


# لماذا أسلم هؤلاء

فضيلة الشيخ







رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# لماذا أسلم هؤلاء

بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

| رقم الإيداع بدار الكتب المصرية |
| --- |
| ١٩٥٧٠ / ٢٠١١م |
| الترقيم الدولي 978-977-323-369-7 |

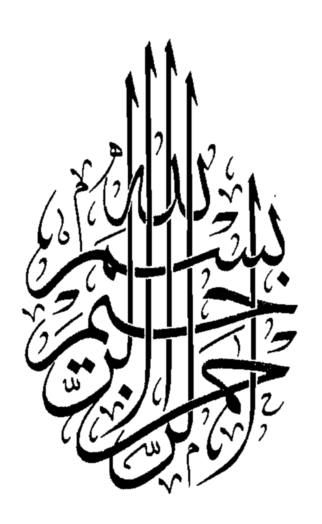


# لماذا أسلم هؤلاء

الشيخ
محمود المصري
أبو عمار



المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت: ٢٧٨٧٩٥٦٥ ف: ٢٧٨٧٩٥٦٤


بسم الله الرحمن الرحيم





# بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

**أما بعد:** فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار، وبعد:

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

* فإن الله (عز وجل) خلقنا لنعبده ونُوحده ولندعو الكون كله لعبادته (جل وعلا).

**قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾**[1].

**وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:** «فالدعوة إلى الله تعالى هى وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل فى أُممهم، والناس تَبَعٌ لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أُنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس. وهكذا المبلغون عنه من أمته، لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له، وقد أمر النبى ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثًا، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو، لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم فى أممهم.

**ويكفى فى هذا قول النبى ﷺ لعلى ولمعاذ أيضًا: «لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمر النعم»**[2].

**وقوله ﷺ: «من دعا إلى هدى فاتبع عليه، كان له مِثْل أجر من اتبعه إلى عمله، إلى يوم القيامة»**[3].

---

(١) سورة فصلت: الآية: (٣٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٠٩) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم.

وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»(١).

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾(٤).

**وعن أبي مسعود عُقبة بن عمرو الأنصاري البدري ﷺ قال:** قال رسول الله ﷺ: **«مَن دلَّ على خيرٍ فلهُ مثلُ أجر فاعله»**(٥).

**وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:** «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقصُ ذلك من آثامهم شيئًا**»(٦).

وهناك أمران في عقيدة المسلم يجعلانه مع استمساكه بدينه، وثباته على إيمانه أشد الناس تسامحًا مع المخالفين له، والكافرين بدعوته:

**أولهما:** أن المسلم يعتقد اعتقادًا جازمًا أن من مقتضيات الإرادة الإلهية التي لا تخلو عن الحكمة اختلاف الناس في الدين والإيمان

(١) جلاء الأفهام (٢٤٩ - ٢٥٠).

(٢) سورة النحل: الآية: (١٢٥).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٢).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٠٤).

(٥) **صحيح:** رواه مسلم (١٨٩٣) كتاب الإمارة.

(٦) **صحيح:** وقد تقدم.

﴿ ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ولا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾[1].

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[2].

وإذا كانت مشيئة الله نافذة - ومشيئته تعالى مرتبطة بحكمته - فكيف يقاوم المؤمن مشيئة الله، أو ينكر حكمة الله؟

وثانيهما: أن الله قد أمر نبيه المصطفى أن يتجنب اللجاج فى الجدل مع المخالفين وأن يكل أمرهم إلى الله، ويعلنهم أن يوم الفصل بين المختلفين إنما هو يوم القيامة، فلا داعى للجدال الذى يثير الفتن، والمراء الذى يُوغر الصدر.... قال تعالى لرسوله: ﴿ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[3].

ويقول: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾[4] ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[5].

(١) سورة هود: الآية: (١١٨).
(٢) سورة يونس: الآية: (٩٩).
(٣) سورة الحج: الآيتان: (٦٨، ٦٩).
(٤) سورة الشورى: الآية: (١٥).
(٥) سورة الزمر: الآية: (٤٦).

ذلك هو المؤمن بعقيدة الإسلام: أحب الوجود كله، أحب الله...، وأحبَّ الحياة والموت، وأحبَّ القَدَر حلوه ومره، وأحبَّ الناس جميعًا وإذا كره - ولا بد - فإنما يكره الشيطان، ويكره حزب الشيطان، كُرهًا مقرونًا بالرحمة والإشفاق وحب الخير للناس جميعًا.

إن هذا الحب هو دليل إيمانه بربه، وقائده إلى جنته[1].

* ومع هذا فإنه لا بد أن يبذل كل مسلمٍ كل طاقاته وأن يضحى بكل ما يستطيع من أجل أن يأخذ بأيدى الناس من حوله إلى جنة الرحمن (جل وعلا).

* وهو فى دعوته لكل من حوله يحمل الأمل الذى سكبه النبى ﷺ فى قلوب المؤمنين حينما قال لخباب بن الأرت: «.... **والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون**»[2].

ولا ينسى أبدًا أن النبى ﷺ قال: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل. عزًا يُعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر**»[3].

---

(١) الإيمان والحياة / د . يوسف القرضاوى (ص١٨٢-١٨٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٦١٢) كتاب المناقب.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٤/١٠٣، رقم ١٦٩٩٨) ، والطبرانى (٢/٥٨، رقم ١٢٨٠) ، وقال الهيثمى (٦/١٤) : رجال أحمد رجال الصحيح. والحاكم (٤/٤٧٧، رقم ٨٣٢٦) ، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١/٣٢) وتحذير الساجد (١/١١٢).

* **فهيا أخى الحبيب.. وهيا أختى الفاضلة:**

لنتحرك من أجل إنقاذ البشرية من ظلمات الشرك والكفران إلى أنوار التوحيد والإيمان.

هيا لنرفع شعار ربعى بن عامر رضي الله عنه حينما قال لرستم - قائد جيوش الفرس -: نحن قومٌ ابتعثنا الله لنُخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

* **ولا تنسوا أن الله (عز وجل) قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾** (١).

فإن كنت من أتباع النبى صلى الله عليه وسلم فلابد أن تدعو إلى ما دعا إليه النبى صلى الله عليه وسلم.

* وها أنا أعرض لحضراتكم صفحات مشرقة لأُناسٍ أشرقت قلوبهم بنور الإسلام ولامس الإيمان شغاف قلوبهم فأحياهم الله بعد موتهم... فهو القائل (جل وعلا): **﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** (٢).

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع تلك النماذج المشرقة عسى أن يكون ذلك حاديًا لغيرهم ليدخلوا فى هذا الدين العظيم وليذوقوا

---

(١) سورة يوسف: الآية: (١٠٨).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١٢٢).

طعم وحلاوة الإيمان.

* أسـأل الله (جل وعلا) أن يـسـتـعـملنى وإياكم لنُصـرة دينه ولهداية الكون كله.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

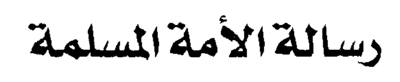
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**وكتبه**

**الفقير إلى عفو الرحيم الغفار**

**محمود المصرى**

**أبو عمار**



# رسالة الأمة المسلمة

إننا أمة رسالة ولا ينبغى أبدًا أن نتخلى عن تلك الرسالة فلقد أخرج الله أمة الإسلام لتكون بمثابة المشعل الذى يضىء الطريق لكل الأمم كى تسير على المنهج الذى اختاره الله للبشرية جميعًا. ففى الوقت الذى كلف الله فيه الأمم السابقة بأن تستقيم فى ذاتها: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾(١) . كلف الله أمة الإسلام بتكليفين عظيمين:

١- كلفها بعبوديتها لله جل وعلا: ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** ﴾(٢).

٢- ثم كلفها بأن تكون أمة هادية لكل البشرية وشاهدة على كل البشرية ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾(٣). وهذا هو السر فى خيرية تلك الأمة المسلمة ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ**

---

(١) سورة البينة: الآية: (٥).

(٢) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).

عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(١).

وللوصول لتلك الغاية الشريفة والمقام السامى لابد لكل مسلم أن يسعى لبناء نفسه بناءً إيمانيًّا يقوم على توحيد الله جل وعلا وعلى التزود بالطاعات من أجل القيام بتلك المهمة العظيمة التى أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾(٢).

ولذا فإن المطلوب من الناس لكى يصبحوا مؤمنين أن يحققوا التوحيد لله جل وعلا وأن يعبدوا الله مخلصين له الدين.

ولقد كان الرسل الكرام صلوات ربى وسلامه عليهم يُرسَل كل واحد منهم لقومه ولفترة من الزمن محدودة حتى جاء النبى ﷺ فأرسله الله إلى الناس كافة وأنزل عليه تلك الرسالة التى اكتمل بها الدين وتمت بها النعمة الربانية.

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾(٣).

ومن أجل ذلك فقد تحملت أمة الإسلام تلك الأمانة العظيمة ألا وهى تبليغ الدعوة للبشرية كلها بصدق وإخلاص.

ولقد وضع القرآن لنا صورة طيبة لكيفية الدعوة إلى الله -

(١) سورة آل عمران: الآية: (١١٠).
(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٧٢).
(٣) سورة المائدة: الآية: (٣).

فقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (١).
﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ (٢)فالكل لابد أن يتحرك للدعوة إلى دين الله فلا عذر لأحدٍ أن يتكاسل أو يتخاذل عن تلك الدعوة المباركة فإن أهل الباطل يتحركون من أجل الباطل ويدعون إليه بكل صدق وإخلاص فكيف يتكاسل أهل الحق عن دعوة الناس إلى الحق وهم شهود الله على أرضه وهم المكلَّفون بحمل مشعل النور لكل من سار فى دياجير الظلام ليهتدى إلى نور الإسلام.

ومن هنا فإن الأمة المسلمة إذا أرادت أن تتحرك فعليها أولاً أن تستقيم هى لله جل وعلا لتعرض على الناس الإسلام من خلال سلوكها الموافق للمنهج الربانى وتدعوهم من خلال القدوة العملية إلى دين الله جل وعلا . . . فالدعوة ليست وقفًا على منابر الدعاة بل إن المسلم بخُلقه وسلوكه بين الناس دعوة . . . فالعامل يدعو فى مصنعه والمدرس فى مدرسته والطبيب فى عيادته . . . فالكل يتحول إلى جيش إسلامى يسير فى موكب الدعوة إلى الله . . . . هذا بعلمه وهذا بخلقه وهذا بماله وهذا . . . . فليست الكلمة هى المنفذ الوحيد للدعوة فمن أراد الخير فإن الله ييسر له سُبل الخير كلها . . . فلنُخلص النية لله جل وعلا وسيفتح الله بنا القلوب . . .

(١) سورة النحل: الآية: (١٢٥).
(٢) سور المائدة: الآية: (٦٧).



فكم من كلمةٍ صادقة خرجت من الجوانح فسكنت فى الجوانح وظهرت على الجوارح!!.

وكان لابد مع كل هذا من منهج ربانى يعد الأمة المسلمة لتكون أمة ينظر إليها الكون بجميع طوائفه على أنها أرقى الأمم وأجدرها بالاتباع والسير وراء منهجها الذى تستقيه من النبع الصافى... من كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ.

وهذا المنهج الإسلامى يسعى ابتداءً وانتهاءً إلى تكوين الإنسان الصالح الذى يحمل أمانة الدين بين جنباته إلى الكون بأكمله فهو قرآن يمشى على الأرض.

ولقد نجح النبى ﷺ فى أن يُخرج للكون نماذج فريدة يندر أن نجد مثلها فى كل زمان ومكان فكان كل صحابى قرآنًا يمشى على الأرض.

فنحن نريد أن نُخرج هذا المواطن الصالح من خلال هذا المنهج الربانى... فهو مواطن صالح ولكن على نموذج خاص يختلف عن غيره من النماذج.

فالمسلم إذا سار على منهج الإسلام سيكون مواطنًا صالحًا قد تربَّى على احترام الإنسان من حيث هو إنسان وعلى احترام الحق من حيث هو حق بصرف النظر عن كون صاحبه ضعيفًا أو قويًا... وكل ذلك ليس من أجل مصلحة دنيوية ولكن من أجل الوفاء بهذا الميثاق القائم بين العبد وبين الرب ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾[1].

فهذا هو الميثاق الأخلاقى الإسلامى بين العبد وبين الرب جل وعلا. . . . ولنضرب الأمثال لنرى كيف كان المسلم بأخلاقه وسلوكه وصدقه مع الله يجعل الناس يدخلون فى دين الله لأنهم يرون الإسلام واقعًا يتحرك على الأرض. . فها هو أبو عبيدة فى حرب الشام: كان قد فتح شمال الشام، وأخذ الجزية من أهلها، ثم سمع أن هرقل يجهز له جيشًا عظيمًا، فردَّ الجزية إلى أهلها وقال لهم: أخذنا منكم الجزية بشرط أن نحميكم، وقد سمعتم ما يُجهَّز لنا، وإنَّا لا نقدر على ذلك - أى لا نقدر على حمايتكم - ونحن لكم على الشرط إن نصرنا الله عليهم.

فبعد أن دخل المال حوزة أبى عبيدة يرده على أصحابه، لأنه لم يستطع أن يوفى بالشرط الذى اشترطه على نفسه.

فلما انتصر عاد فأخذ الجزية. . . أعطاها له الناس متطوعين، وقالوا له وللمسلمين: إنكم - ولستم على ديننا - أحن علينا وأرأف بنا من قومنا، وكان من نتيجة ذلك أن حصون الشام الباقية كلها سلمت للمسلمين، لأنهم رأوا النموذج الإسلامى.

وعمر ﷺ، يقول لقائده فى حرب الفرس: إذا لاعب أحدكم - بمعنى لاغى - أحد الفرس فظن أنه يعطيه عهد أمان فليُعطه الأمان. . . ومعنى هذا أنه إذا تحدث الجندى المسلم بكلام فظن

(١) سورة المائدة: الآية: (٧).

أحد الفـرس وهو لا يعرف العربيـة أن الجندى المسلم يعطيه عـهد أمان فنجد أن أمير المؤمنين عمر يأمر القائد أن ينفذ هذا العهد.

فالجندى المسلم لم يعط عهدًا، ومع ذلك فلأن الجندى الفارسى ظن أنه يعطيه عهـد أمان فعلى القائد المسلم أن ينفـذ هذا العهد.. فهذا نموذج لم يوجد ولا يمكن أن يوجد فى غير الإسلام.

وهذا (على) ﷺ، تضيع منه درعه، فيفـتقدها، فيجدها عند يهودى، فيـقول له: هذه درعى، فينفى اليهـودى أنها درع (على) ﷺ، فيأخذه إلى قاضيه (شُريح) ويعرض عليه القضية، حتى إذا وقف الخصمان بين يدى القاضى شريح يقول (على) ﷺ: الدرع درعى ولم أبع ولم أهب - يعنى لا أنا بعـتهـا ولا أنا وهبتـها! - فيلتـفت القاضى إلى اليهـودى، يقول: ما تقول فـيما يقول أمـير المؤمنين؟

فيقول اليهودى: الدرع درعى، وما أمير المؤمنين عندى بكاذب. (قولة ملتوية كما ترون).

فليلتـفت إلى أمـير المؤمنين ويقـول: يا أمـير المؤمنين هل من بيّنة؟.. هل لك بينة على أن هذه درعك؟

فيقول (على) أمير المؤمنين: صدق شريح! ما لى بينة.

فيقضى القاضى بالدرع لليـهودى وهو يعلم فى دخيلة نفسه أن أمـير المؤمنين لا يمكن أن يكذب، ويعلم يقينًا أن الدرع درع أمـير المؤمنين، لكن القاضى لا يحكم بعلمه... لابد من بينة فهو يطبق

الشريعة بحذافيرها، فيسأل أمير المؤمنين: هل لك من بينة؟ فلما وجد أنه ليس عنده بينة قضى بالدرع لليهودى.

فيمشى اليهودى خطوات ثم يعود فيقول: أمير المؤمنين يقاضينى إلى قاضيه فيقضى عليه؟! إن هذه أخلاق أنبياء، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فيقول (على) رضي الله عنه: أما إذ أسلمت فهى لك...[1].

## الإسلام دين الحق[2]

إننى فى تلك السطور لا أريد أن «أثبت حكمًا أو أوضح شيئًا هو أجلى من الشمس فى رابعة النهار وإنما أريد أن أصحح المفاهيم للكثير ممن ينتسبون إلى الإسلام.

فمنهم من يقول بل ويعتقد عقيدة راسخة فى قلبه أن الدين لله والوطن للجميع فمن حق أى إنسان أن يعتنق الديانة الإسلامية أو النصرانية أو اليهودية أو غيرها فالأمر عندهم سواء!! ثم يحتجون بقول الله عز وجل: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾[4] وما علم هؤلاء أن تلك الآيات ليست للمسلمين وإنما هى

(١) بتصرف من كتاب (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) / للمصنف.
(٢) بتصرف من كتاب (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) / للمصنف.
(٣) سورة الكهف: الآية: (٢٩).
(٤) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

لأهل الكفر فإن الله جل وعلا يقول: من أراد منهم أن يؤمن فليؤمن ومن أراد منهم الكفر فليبق على كفره مع الخضوع لكل ما يفرضه عليه الإسلام من الجزية وغيرها من أحكام أهل الذمة.

وليست هذه الآية فى حق المسلمين فإن الإنسان إذا دخل فى الإسلام فلابد أن يُسلم وجهه لله تعالى وأن يخضع لأمر الله جل وعلا ممتثلاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١).

بل لقد نسى هؤلاء أن الله لن يرضى لأهل الأرض بديانة سوى الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢)وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣).

بل لقد جاء الأمر من الخالق جل وعلا بالثبات على دين الإسلام فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (٤). فهذا هو الدين الذى ارتضاه الله لنا.

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان: (١٦٢-١٦٣).

(٢)سورة آل عمرآن: الآية: (٨٥).

(٣) سورة آل عمرآن: الآيتان: (١٩-٢٠).

(٤) سورة آل عمرآن: الآية: (١٠٢).

قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (١).

فهو الدين الذى جاء به كل الأنبياء والرسل.

فقد جاء به نوح عليه السلام... قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢).

وجاء به إبراهيم عليه السلام... قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٣).

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٣).

(٢) سورة يونس: الآيتان: (٧١-٧٢).

(٣) سورة البقرة: الآيات: (١٢٧-١٣٢).

وجاء به لوط عليه السلام... قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[١] .

وجاء به يعقوب عليه السلام... قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٢] .

وهو دين سليمان عليه السلام... قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[٣] .

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[٤] .

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾[٥] .

وقال تعالى عن بلقيس بعد توبتها: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦] .

وجاء به يوسف عليه السلام وتوجه إلى الله أن يتوفاه على ملة

---

(١) سورة الذاريات: الآيات: (٣١-٣٦).
(٢) سورة البقرة: الآية: (١٣٣).
(٣) سورة النمل: الآيتان: (٣٠-٣١).
(٤) سورة النمل: الآية: (٣٨).
(٥) سورة النمل: الآية: (٤٢).
(٦) سورة النمل: الآية: (٤٤).

الإسلام . . . قال تعالى : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾(١).

وهو دين أنبياء بني إسرائيل... قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ ﴾(٢).

وهو دين المتمسكين بالحق من أهل الكتاب قبل بعثة محمد ﷺ . . . قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾(٣).

وجاء به موسى عليه السلام... قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾(٤).

وهو دين المسيح عليه السلام وحوارييه... قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾(٦).

---

(١) سورة يوسف: الآية: (١٠١).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٤٤).

(٣) سورة القصص: الآيتان: (٥٢-٥٣).

(٤) سورة يونس: الآية: (٨٤).

(٥) سورة آل عمران: الآية: (٥٢).

(٦) سورة المائدة: الآية: (١١١).

ثم إنه دين النبى الخاتم ﷺ ... قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِىَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[2].

بل هو دين أهل السماوات والأرض... قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[3].

فالكون كله أسلم لله والأنبياء كلهم جاءوا بهذا الدين العظيم فعقيدتهم واحدة وشرائعهم مختلفة.... كما قال الله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[4]. وكما قال النبى ﷺ : «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أُمهاتهم شتَّى ودينهم واحد»[5].

فهذا هو الدين الذى ارتضاه الله لنا وما سوى هذا الدين فهو باطل ولذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ

---

(١) سورة غافر: الآية: (٦٦).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٣).

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٨٣).

(٤) سورة المائدة: الآية: (٤٨).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤٤٣) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٣٦٥) كتاب الفضائل.

مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (٧٢) لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (٧٣) أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون (٣٠) اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾(٣).

وإذا كان القرآن الكريم قد نفى الألهية عن المسيح عليه السلام فقد أثبت له العبودية فقال تعالى: ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون (٥٧) وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون (٥٨) إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل ﴾(٤).

(١) سورة المائدة: الآية: (١٧).
(٢) سورة المائدة: الآيات: (٧٢-٧٤).
(٣) سورة التوبة: الآيتان: (٣٠-٣١).
(٤) سورة الزخرف: الآيات: (٥٧-٥٩).



وجاء فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك. أما تكذيبه إياى أن يقول: إنى لن أعيده كما بدأته وأما شتمه إياى أن يقول: اتخذ الله ولدًا وأن الصمد الذى لم ألد ولم أُولد ولم يكن لى كفواً أحد»[1].

وكُفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه قولاً أو عملاً. وكُفر النصارى من جهة عملهم بلا علم فهم يجتهدون فى أصناف العبادات بلا شريعة من الله ويقولون على الله ما لا يعلمون[2].

وصَحَّ عن النبى ﷺ أنه قال: «والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحدٌ من هذه الأمة لا يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[3].

وأخبر سبحانه وتعالى أن أول كلمة نطق بها المسيح عليه السلام وهو فى المهد هى الإقرار بعبوديته لله تعالى مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[4]. ولم يقل إنى أنا الله ولا ابن الله

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٩٧٥) كتاب تفسير القرآن.

(٢) انظر «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم» ص٥ لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٥٣) كتاب الإيمان.

(٤) سورة مريم: الآيات: (٢٩-٣١).

كما يزعمون. . . وسينزل فى آخر الزمان كما أخبر المعصوم ﷺ : **«يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية»**(١).

**قال النووى رحمه الله معلقًا على هذا الحديث:** قوله: **«يضع الجزية»** أى: لا يقبل إلا الإسلام أو السيف)(٢). وعندما يرى هذه الآية أهل الأرض فعند ذلك يرجع لدين الإسلام من هدى الله قلبه حيث أن عيسى عليه السلام لا ينزل برسالة ولكن ليجدد رسالة محمد ﷺ وحينذاك ينكشف الكذب. ويظهر الزيف الذى أدخله الأحبار والرهبان على الديانة النصرانية واليهودية ليضلوا الناس ويلبسوا عليهم دينهم. . . وقد فضح الله أهل الكتاب الذين قالوا بأنهم قتلوا عيسى عليه السلام موضحًا كذبهم فقال تبارك وتعالى: ﴿ **وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾(٣).

**وعن (عدى بن حاتم) قال:** سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** ﴾ قال: **«اليهود»** ﴿ **وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٢٢٢٢) كتاب البيوع، ومسلم (١٥٥) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى (٢/ ١٩٠) بتصرف.

(٣) سورة النساء: الآيات: (١٥٦-١٥٨).

قال: «**النصارى هم الضالون**»[1].

وفى الصحيح من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال فى حديث التجلى يوم القيامة: «.. **ثم يُؤتَى بجهنم تعرض كأنها السراب فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد عزير ابن الله فيقال: كذبتم. لم يكن لله صاحبة ولا ولد. فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا فيقال: اشربوا فيتساقطون فى جهنم، ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم: كذبتم. لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا فيقال لهم: اشربوا فيتساقطون....**» وذكر الحديث[2].

ومن هنا أيها المسلم تشعر بأن الإسلام هو دين الحق وما سواه فهو باطل لا يُلتفت إليه ومن ثم يجب عليك أن تتمسك بهذا الدين ولا تبتعد عن صراطه المستقيم طرفة عين... بل يجب عليك أن تستشعر مسئولية الإسلام فتقوم وتحمل أمانة الدين على عنقك ساعيًا لتبليغ الرسالة مضحيًا بالغالى والنفيس من أجل تلك الغاية النبيلة ممتثلاً قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو**

---

(١) انظر تيسير العلى القدير لاختصار تفسير ابن كثير «لمحمد نسيب الرفاعى» (١/ ١٧) وقال ابن كثير: «وروى ابن مردويه عن أبى ذر قال: (سألت رسول الله ﷺ عن ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: «اليهود» قلت: و﴿الضَّالِّينَ﴾ قال: «النصارى» وقد صحح صاحب المختصر «فضيلة الشيخ محمد نسيب الرفاعى الروايتين. وقد ذكر شيخنا الألبانى لفظ آخر وعزاه للترمذى من حديث عدى بن حاتم: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضُلال» وقال: صحيح. انظر صحيح الجامع تحت رقم (٨٢٠٢).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٤٤٠) كتاب التوحيد.

إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١).

ألست من أتباع محمد ﷺ ؟ إذن فلا تقصر فى حمل الأمانة!!

## مسئولية الإسلام وفضله على البشرية (٢)

وإذا أردنا أن نتحدث عن فضل الإسلام على البشرية فلابد أن نتخيل تلك الصورة التى كان الناس عليها قبل بعثة الإسلام فإنهم كانوا فى جاهلية وشر. كانوا يدفنون البنات أحياءً ويفعلون الفاحشة ويعبدون الأصنام ويذبحون لها وينذرون لها ويأكلون الربا ويشربون الخمر فجاء الإسلام يأمرهم بعبادة الله الواحد القهار. ويأمرهم بحُسن الخُلق وحسن الجوار وصلة الرحم والصدق والأمانة ويُحرم عليهم وأد البنات وشرب الخمور والزنا....... وكل شىء يبعدهم عن الله فلم يترك شيئًا يقربهم من الله إلا ودلَّهم عليه ولم يترك شيئًا يُبعدهم عن الله إلا وحذرهم منه.

فكأن الإسلام إنما جاء ليُحيى هؤلاء الأموات ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣).

---

(١) سورة يوسف: الآية: (١٠٨).

(٢) بتصرف من كتاب (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) / للمصنف.

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٢٢).

وإليك يا أخى تلك الصفحات من فضائل الإسلام على البشرية.

لقد جاء الإسلام إلى أمة غارقة فى أوحال الجاهلية فجاءهم الإسلام بمنهاج يحمل فى طياته الهدى والنور والخير كله فهو منهج يُنشئ الأجيال ويربى النفوس ويبنى الحضارات ويُخرج الناس من الظلمات إلى النور ولذا قال الحق تبارك وتعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١).

فما أن يدخل الرجل فى هذا الدين حتى يستشعر من اللحظة الأولى تلك الأمانة التى ألقاها الله على عاتقه.

فكان الرجل من أصحاب النبى ﷺ يحمل على كاهله أعباء الدعوة ويستعذب فى سبيلها أسمى آيات الصبر والعذاب والتضحية ويواصل الليل والنهار من أجل أن ينشر الإسلام فى أرجاء المعمورة... فلما أخلصوا لله جل وعلا فتح الله بهم القلوب والأمصار فما بين عشية وضحاها قامت للمسلمين دولة وسلطان وتأسست لهم حكومة وقيادة وأخضعوا لحكمهم الفرس والروم ودانت لهم الأمم حتى وقف هارون الرشيد يصور للعالم بسطة العالم الإسلامى فلم يجد غير أن يخاطب السحابة فى كبد السماء قائلاً لها: أيتها السحابة أمطرى حيث شئتِ فإن خراجك سوف

(١) سورة المائدة: الآيتان: (١٥، ١٦).

يأتينى إن شاء الله.

بل تأمل معى ما قاله صاحب الظلال رحمه الله فى كتابه - دراسات إسلامية - فصل انتصار محمد بن عبد الله:

(ولقد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ يوم صنع أصحابه رضي الله عنهم صورًا حية من إيمانه، تأكل الطعام، وتمشى فى الأسواق... يوم صاغ من كل واحد منهم قرآنًا حيًّا يدب على الأرض، يوم جعل من كل فرد نموذجًا مجسمًا للإسلام، يراه الناس فيرون الإسلام.

إن النصوص وحدها لا تصنع شيئًا، وإن المصحف وحده لا يعمل حتى يكون رجلاً، وإن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكًا.

ومن ثم جعل محمد ﷺ هدفه الأول أن يصنع رجالاً لا أن يُلقى مواعظ، وأن يصوغ ضمائر لا أن يُدبج خُطبًا، وأن يبنى أمة لا أن يقيم فلسفة... أما الفكرة ذاتها فقد تكفل بها القرآن الكريم، وكان عمل محمد ﷺ أن يحول الفكرة المجردة إلى رجال تلمسهم الأيدى، وتراهم العيون...

ولقد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ، يوم أن صاغ من فكرة الإسلام شخوصًا، وحوَّل إيمانهم بالإسلام عملاً، وطبع من المصحف عشراتٍ من النسخ ثم مئات وألوفًا ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق، إنما طبعها بالنور على صحائف من

القلوب، وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطى، وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذى جاء به محمد بن عبد الله ﷺ من عند الله).

ويكفى شريعة الإسلام فخراً أن يشهد لها الخصوم والأعداء بنمائها وحيويتها وخلودها.

*شهد الأنام بفضله حتى العدا*

*والفضلُ ما شهدت به الأعداء*

ولم يأتِ هذا كله فى غمضة عين وانتباهتها بل جاء ببذل الدماء والأموال فى سبيل الله فهؤلاء الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ الذين بلغوا المجد والعظمة بحملهم لرسالة الإسلام عقيدة وقولاً وعملاً... فهذه هى مؤهلات النصر والتمكين أن يتمسك المؤمن بعقيدة راسخة ويُحول تلك العقيدة إلى واقع عملى ينظر إليه أعداء الدين على أنه جبل شامخ من القيم والأخلاقيات والمعاملات والعبادات وبهذا يستطيع المسلم أن يحمل رسالة الإسلام إلى الدنيا وما فيها فيجاهد ويضحى ويصبر ويبلغ رسالة الإسلام.

تِذكر كتب التاريخ أنه عندما استبطأ عمر بن الخطاب ﷺ فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص - وكان قائدًا عامًّا على الجيش قال:

(أما بعد: فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، تقاتلونهم منذ

سنتين، وما ذلك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قومًا إلا بصدق نيتهم).

ورحم الله الخليفة العادل حين قال: (نحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله).

حتى إن فتوحاتهم وصلت إلى آخر الغرب، ووقف عقبة بن نافع على شاطئ المحيط الأطلسى (بحر الظلمات)، وقال: - وقد خاض بجواده الماء: (اللهم رب محمد لولا هذا البحر لفتحت الدنيا فى سبيل إعلاء كلمتك.. اللهم فاشهد!!....).

ووصلت الفتوحات إلى آخر الشرق، وتوغل قتيبة الباهلى فى بلاد الصين، فقال له أحد أصحابه محذرًا مشفقًا: لقد أوغلت فى بلاد الترك يا قتيبة، والحوادث بين أجنحة الدهر تُقبل وتُدبر..)، فأجابه قتيبة والإيمان قد بلغ منه كل مبلغ: (بثقتى بنصر الله توغلت، وإذا انقضت المدة لم تنفع العُدة..)، فلما رأى ذلك المحذر عزمه وتصميمه على المُضى لإعلاء كلمة الله قال له: «اسلك سبيلك حيث شئت يا قتيبة، فهذا عزم لا يفله إلا الله!!....» وبدون ذلك لا يمكن أن يملكوا شبرًا من الأرض، ولا أن ينشروا دين الله فى العالمين!!..

ولذا فإننا يا شباب الإسلام إذا أردنا نُصرة هذا الدين فعلينا أن ننهج ما نهجه الأجداد فى حمل رسالة الإسلام إلى الكون وأن نُكلل ذلك كله بالصبر والمصابرة والثبات والتضحية وبذلك نحقق

عز الإسلام ونبنى بسواعدنا دولة المسلمين ونرجع مرة أخرى خير أمة أُخرجت للناس لأننا وقتها سنكون رجالاً. . . وقد امتدح الله عز وجل أصحاب النبى ﷺ فقال: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾(1). وقال: ﴿ **رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ** ﴾(2).

* يقول شاعر الإسلام محمد إقبال:

*من ذا الذى رفع السيوف ليرفع اسمك*

*فوق هامات النجوم منارًا*

*كانوا جبالاً فى الجبال وربما*

*ساروا على موج البحار بحارًا*

وإليكم ما قاله الصحابى الجليل (عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه فى تعداد محامدهم وفضائلهم، ووجوب التأسى بأفعالهم الحميدة، وأخلاقهم الكريمة. . (مَن كان متأسيًا فليتأسَّ بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالاً، اختارهم الله لصُحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم فى آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم).

(1) سورة الأحزاب: الآية: (23).
(2) سورة النور: الآية: (37).

يقول الأستاذ/ عبد الله ناصح علوان فى كتاب تربية الأولاد فى الإسلام:

إن كان العالم اليوم يتيه فى ظلمات المادية الطاغية، ويتخبط فى أوحال الانحلال والإباحية، ويرسف فى قيود الظلم والاستبداد.. ويتصارع فى دياجير الأفكار والمبادئ.. وها هى الدول الكبرى تنشب مخالبها المتوحشة لتفترس حضارة الإنسان، وتخنق ببغيها ووحشيتها القيم الإنسانية ومُثلها العليا، ورسالات الأنبياء.. وتشن هجومها لاستعباد الإنسان، وطرده من أرضه، وابتزاز خيراته، وتشريده بالعراء مع أطفاله ونسائه وشيوخه.

فما الذى يقى العالم من هذه الويلات والكوارث؟ ما الذى يحمى البشرية من هذا الانحطاط الفكرى، والانحلال الأخلاقى؟ ما الذى يحمى الآمنين من حرب طاغية مدمرة؟ أو بعبارة أوضح ما هى سفينة الإنقاذ؟ ما هو صمام الأمان؟

والجواب هو إن القيم الروحية، والأنظمة الاجتماعية والسياسية التى جاء بها الإسلام هى الجديرة بأن تحمل للعالم إمامة الفكر والإصلاح والمبادئ... لتخليص الإنسانية من ويلات الزيغ والضلال، وموبقات الفساد والإباحية.

قال (إلياس أبو شبكة) فى كتابه (روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة): (إن زوال الحضارة العربية كان شؤمًا على أسبانيا وأوروبا فالأندلس لم تعرف السعادة إلا فى ظل العرب، وحالما

ذهب العرب حل الدمار محل الثراء والجمال والخصب..).

وقال (برناردشو) الفيلسوف الإنكليزى قولته المشهورة: (لقد كان دين محمد موضع تقدير سام لما ينطوى عليه من حيوية مدهشة، وإنه الدين الوحيد الذى له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة، وأرى واجبًا أن يُدعى محمد منقذ الإنسانية، وإن رجلاً كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته..).

ولذا فإن جيل الإسلام اليوم مطالبٌ بأداء مسئوليته الكبرى ودوره الحضارى فى إنقاذ البشرية من ظلمات المادية الطاغية وموجبات الإباحية العاتية وعواصف الحروب المدمرة.. وهذا لا يتأتَّى إلا بحمل رسالة الإسلام الخالدة إلى الدنيا من جديد حتى يسود الرخاء والأمن والاستقرار فى كل أرض وتحت كل سماء وتنعم الإنسانية بنور الإيمان وشريعة القرآن.

هذه الشريعة التى تتسم بالربانية والعالمية والشمول، والعطاء والخلود..

أما اتسامها بالربانية فلأنها تنزيلٌ من حكيمٍ حميد.

أما اتسامها بالعالمية فلأنها شريعة البشرية جمعاء.

أما اتسامها بالشمول فلأنها جاءت لمناهج الحياة.

أما اتسامها بالعطاء فلأنها تفى بحاجات البشرية فى كل زمان ومكان... وأما اتسامها بالخلود فلأنها تحمل فى طبيعتها بذور نمائها واستمرارها إلى يوم الدين.

ويكفى أمة الإسلام فخرًا وشرفًا وخلودًا أن يقول الله عنها فى مُحكم تنزيله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1]. ولكننا نرى أن الكثير من رجالات الإصلاح، وأرباب الدعوة إلى الله قد اعتراهم اليأس، واستحوذ عليهم القنوط اعتقادًا منهم أنه لا سبيل إلى إصلاح هذه الأمة، وأنه لا أمل إلى استعادة مجدها. واسترجاع عزتها وكيانها... بل وُجد من هؤلاء الدعاة من ينادى بالعزلة الكاملة، والتزام أحلاس البيوت، لظنهم أن هذا العصر هو آخر الزمان... وقد آن الأوان أن يخرج المسلم بنفسه ببضع غنيمات يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن[2]. حتى يدركه الموت.

* **وهذا التصور اليائس للإصلاح ناتج عن أسباب ثلاثة:**

(أ) عن الجهل بطبيعة هذا الدين.

(ب) وعن حب الدنيا وكراهية الموت.

(ج) وعن الجهل بالغاية التى من أجلها خُلق المسلم.

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١١٠).

(٢) روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «**يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**». والحديث محمول على من يُفتن بدينه ويُجبر على الردة، أما أنه ما دام يوجد مسلمون يؤدون الشعائر، ويطبقون على أنفسهم أحكام الإسلام، وما دام أنه ثمة مجال للتعاون، وتحقيق العز الإسلامى فإنه يحرم على المسلمين العزلة والانزواء، لأنه ما لا يتحقق الواجب إلا به فهو واجب، لهذا وجب على المسلمين اليوم أن يحققوا حكم الله. ويقيموا دولة الإسلام، وإلا فهم آثمون.

ويوم يفـهـم المسلمون أن الإسـلام دين القوة، وأن شـعاره فى ذلك: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[1].

**ويوم يفـهـمـون أن الإسـلام دين العلم:** العلم الشـرعى والعلم الكونـى على السـواء وأن شـعـاره فى ذلك: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[2].

ويوم يفهـمون أن الإسـلام قد جـعل الإنسان خليفـة الله فى الأرض ليملك زمامهـا ويستخرج دفائنها ويطَّلع على كل سـر فيها وأن شعاره فى ذلك ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ ﴾[3].

ويوم يفهمون أن الإسلام كَرم الإنسـان، وفضَّله على كثير ممن خلق الله: ليـضطلع بمسئـولياته، ويؤدى المهـمة الموكل بـها، وأن شعـاره فى ذلك: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[4].

ويوم يفهـمون أن الإسلام يعـتبر الإنسـان مسئـولاً عن عقله، ومسـئولاً عن حـواسه إذا هو قـام بدور الإهمال والتـعطيل، وأن شعـاره فى ذلك: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾[5].

---

(١) سورة الأنفال: الآية: (٦٠).

(٢) سورة طه: الآية: (١١٤).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٦٥).

(٤) سورة الإسراء: الآية: (٧٠).

(٥) سورة الإسراء: الآية: (٣٦).

ويوم يفهمون أن الإسلام اعتبر هذا الكون كله مُسخَّراً للإنسان، ليستعمله فى خدمة العلم، وخدمة الإنسانية، وأن شعاره فى ذلك: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ (١).

ويوم يفهمون أن الإسلام دين التأمل والتفكير فى خلق السماوات والأرض للوصول إلى الحقائق الثابتة، وأن شعاره فى ذلك: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (٢).

ويوم يفهمون أن الإسلام دين العمل والنشاط والحيوية، وأن شعاره فى ذلك: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٣).

ويوم يفهمون أن الإسلام يُحرم اليأس، وينهى عن القنوط وأن شعاره فى ذلك: ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٤).

ويوم يفهمون أن الإسلام دين العزة والكرامة، فيجب أن يتوجوا رؤوسهم بها، ويرفعوا فى العالم لواءها، وأن شعاره فى ذلك: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥).

يوم يفهم المسلمون عن دينهم كل هذا، ويعرف الناس - وعلى رأسهم الدعاة إلى الله - طبيعة هذا الدين، وحقيقة هذا الإسلام فلا يتملكهم يأس، ولا يدب فى نفوسهم قنوط.. بل ينطلقون فى

---

(١) سورة الجاثية: الآية: (١٣).
(٢) سورة يونس: الآية: (١٠١).
(٣) سورة الملك: الآية: (١٥).
(٤) سورة يوسف: الآية: (٨٧).
(٥) سورة المنافقون: الآية: (٨).

مضمــار الدعوة والإصلاح والبناء. . ليعودوا - كمـا كان سلفهم- أساتذة للدنيا، وهداة للأمم، ومنارات متلألأة فى ظلمات الحياة. . فتستقى البشرية من علومهم، وتنهل من معين معارفهم وحضارتهم على مر العصور، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ويوم يتحــرر المسلمون - وعلى رأسهم العلماء ورجـال الدعوة إلى الله - من حب الدنيا، والركون إليها، والتمتع الزائد بلذائذها وطيباتهـا. . ويجعلون هداية الناس، وإصلاح المجتـمع، والسعى إلى إقامــة حكم الله فى الأرض. . أكبـر همهم، ومبلـغ علمهم، وغاية الغايات، ومنطلق العزائم والنيات.

ويوم يتحررون من الجُبن، والخـوف، وكراهية الموت، ويوقنون من قرارة نفـوسهم أن الأرزاق بيد الله، وأن الـذى يضر وينفع هو الله، وأن ما أصابهم لم يكن ليـخطئهم، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصـيبـهم، وأن الأمة لو اجـتمـعت على أن ينفعـوهم بشىء لم ينفـعوهم إلا بشىء قـد كتبـه الله لهم، وإن اجتـمعـوا على أن يضروهم بشىء، لن يضروهم إلا بشىء قد كتبه الله عليهم.

يوم يوقن المسلمـون بهـذا، ويتحـررون من أسـباب الضـعف والوهن، فـعندئذٍ ينـطلقـون فى مـيـادين الدعـوة إلى الله، وفى مجالات التـربية والتوجيه والإصلاح. . غـير هيَّابين ولا وجلين، مُبلغـين رسالات ربهم لا يخـشون أحدًا إلا الله، بـل واثقين كل الثقة أن الله سبحـانه سينصرهم ويُمكِّن لهم فى الأرض، ويبدلهم

من بعد خوف أمنًا، ومن بعد ذلة عزًّا ومن بعد تفرق وحدة.

وما ذلك على الله بعزيز، إن هم صححوا النيات، وعقدوا الهمة والعزيمة وتحرروا من اليأس والخوف وحب الدنيا..!!.

ويوم يعرف المسلمون أنهم خُلقوا فى الحياة لأجل هدف سام، وغاية نبيلة، وهذه الغاية قد قررها الله لهم فى مُحكم تنزيله حين قال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾(١).

ولكن ما هى هذه العبودية التى يريدها الله منا، ويأمرنا بها، ويحضنا عليها؟ إنها الخضوع والانقياد لمنهجه الثابت، وصراطه المستقيم، إنها حمل الأمانة التى عرضها الله على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها.

إنها التكليف المستمر فى إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

إنها إعطاء الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين.

إنها رفض المبادئ والأفكار التى لا تنبثق من شريعة الإسلام.

هذه هى مهمة المسلم فى الأرض، وهذه هى غايته فى الحياة، فحين يعطى المسلم ولاءه لله ورسوله والمؤمنين يكون عبدًا لله، وحين يحمل الأمانة بنفس مؤمنة وعزيمة صادقة يكون عبدًا لله، وحين لا يقبل هديًا إلا هديه، ولا تشريعًا إلا تشريع دينه يكون

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).

عبدًا لله، وحين يستمر فى حركة دائمة وجهاد دائب ليُخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام يكون عبدًا لله.

وإلا.. فإنه يكون هملاً من سقط المتاع، عبدًا للهوى وعبدًا للطاغوت وعبدًا لليأس والجمود والقنوط.. يسير بلا غاية، ويتخبط بلا هدى، ويتعثر بلا دليل.. ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (١).

فلتنهض هذه الأمة بمسئوليتها كما أمرها الله عز وجل، لتخرج إلى الدنيا بأخلاقية الجدود البواسل الأمجاد، وبعزيمة القواد الأشاوس الأبطال، وبفتوح بدر والقادسية واليرموك وحطين.. وبرسالة الإسلام، وبمبادئ القرآن الكريم. اهـ .

* * *

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٢٢).

# الإيمان والسعادة [1]

إن مما لا شك فيه أنه ما من إنسان إلا وهو يبحث عن السعادة أينما وُجدت لكى يحياها ولكن مفهوم السعادة قد اختلف وتباين بتباين الأشخاص وتفاوُت العقول. . . . فمنهم من ظن أن السعادة كل السعادة فى المُلك وعلى رأسهم (فرعون) الذى قال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِى مِن تَحْتِى أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[2]. فجعل الله عذابه وموته فى هذا الشيء الذى أحبه من دون الله وتفاخر به على عباد الله فأجرى الله الأنهار من فوقه!!

ومنهم من ظن أن السعادة فى كثرة الأولاد وعلى رأس هؤلاء (الوليد بن المغيرة) الذى قال الله عنه: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾[3].

ومنهم من ظن أن السعادة فى كثرة الأموال وعلى رأسهم قارون الذى وصف الله ثروته فقال: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ

(١) بتصرف من كتاب (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) / للمصنف.

(٢) سورة الزخرف: الآية: (٥١).

(٣) سورة المدثر: الآيات: (١١-١٧).

لتنوء بالعصبة أولى القوة ﴾(١).

فالمفاتيح تنوء العصبة القوية عن حملها فكيف يحملون ما فى تلك الخزائن؟! وعلى الرغم من ذلك لما جحد نعمة الله ولم يعترف بفضل الله وقال: ﴿ إنما أوتيته على علم عندى ﴾ ردَّ الله عليه فقال: ﴿ أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴾(٢).

فقاده الغرور والكبر إلى أن قام فى يوم وتزين وخرج متبخترًا ﴿ فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم ﴾(٣). فهؤلاء هم ضعفاء النفوس والضمائر الذين يتكالبون على الدنيا وزينتها ويسعون لجمعها من كل سُبل الحلال والحرام!!.

أما أهل الإيمان والتقوى وأصحاب العقول السوية فقالوا: ﴿ ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾(٤). فكانت النتيجة العادلة لكل من تكبر وتجبر ولم ينسب الفضل لله جل وعلا: ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾(٥). ومن أجل ذلك قال المولى عز وجل بعدها بآيات

---

(١) سورة القصص: الآية: (٧٦).

(٢) سورة القصص: الآية: (٧٨).

(٣) سورة القصص: الآية: (٧٩).

(٤) سورة القصص: الآية: (٨٠).

(٥) سورة القصص: الآية: (٨١).

تلك الحقيقة الكبرى ألا وهى: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾(١).

فكثرة المال ليست هى السعادة، بل ربما كانت كثرة المال أحيانًا وبالاً على صاحبها فى الدنيا قبل الآخرة، لذا قال الله فى شأن قوم من المنافقين: ﴿ **فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾(٢)، والعذاب هنا هو المشقة والنَّصَب والألم والهم والسقم، فهو عذاب دنيوى حاضر، على نحو ما ورد فى الحديث «**السفر قطعة من العذاب**»(٣) وهذا ما نشاهده بأعيننا فى كل من جعل المال والدنيا أكبر همه، ومبلغ علمه، ومنتهى أمله، فهو دائمًا مُعذَّب النفس، مُتعَب القلب، مُثقَل الروح، لا يغنيه قليل، ولا يُشبعه كثير.

وفى الحديث يقول النبى ﷺ: «**مَن كانت الآخرة همَّه جمع الله له شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت الدنيا همَّه فَرَّق الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له**»(٤).

ومن أبلغ العذاب فى الدنيا - كما قال الإمام ابن القيم فى

---

(١) سورة القصص: الآية: (٨٣).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٥٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٠٤) كتاب الحج، ومسلم (١٩٢٧) كتاب الإمارة.

(٤) صحيح لغيره: رواه الترمذى (٢٤٦٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (٣١٦٩) بنحوه.

إغاثة اللهفان -: تشتيت الشمل وتفريق القلب، وكون الفقر نُصب عينيه لا يفارقه، ولولا سكرة عشاق الدنيا بحبها لاستغاثوا من هذا العذاب.. على أن أكثرهم لا يزال يشكو ويصرخ منه...

ومن **أنواع العذاب**: عذاب القلب والبدن بتحمل أنكاد الدنيا ومحاربة أهلها إياه، ومقاساة معاداتهم، كما قال بعض السلف: (من أحب الدنيا فليوطن نفسه على تحمُّل المصائب) ومُحب الدنيا لا ينفك عن ثلاث: هَم لازم، وتعب دائم، وحسرة لا تنقضى، وذلك أن مُحبها لا ينال منها شيئًا إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه كما فى الحديث: «**لو كان لابن آدم واد من مال لابتغى إليه ثانيًا ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب**»(١).

وقد مثَّل عيسى ابن مريم عليه السلام مُحب الدنيا بشارب الخمر، كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا.

السعادة إذن ليست فى وفرة المال، ولا سطوة الجاه، ولا كثرة الولد، ولا نيل المنفعة، ولا فى العلم المادى، فالسعادة شىء معنوى لا يُرى بالعين ويُقاس بالكم ولا تحتويه الخزائن ولا يُشترى بالدينار أو الدولار، فالسعادة شىء يشعر به الإنسان بين جوانحه.. صفاء نفس، وطمأنينة قلب، وانشراح صدر، وراحة ضمير.

السعادة شىء ينبع من داخل الإنسان ولا يُستورد من خارجه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٣٦) كتاب الرقائق، ومسلم (١٠٤٩) كتاب الزكاة.

* حدَّثوا أن زوجًا غضب على زوجته فقال لها متوعدًا: لأُشقينك. فقالت الزوجة فى هدوء: لا تستطيع أن تشقينى، كما لا تملك أن تسعدنى.

فقال الزوج فى حنق: وكيف لا أستطيع؟

فقالت الزوجة فى ثقة: لو كانت السعادة فى راتبٍ لقطعته عنى، أو زينةٍ من الحلى والحلل لحرمتنى منها، ولكنها فى شىءٍ لا تملكه أنت ولا الناس أجمعون.

فقال الزوج فى دهشة: وما هو؟

فقالت الزوجة فى يقين: إنى أجد سعادتى فى إيمانى، وإيمانى فى قلبى، وقلبى لا سلطان لأحدٍ عليه غير ربى.

* وهذا هو الإمام ابن تيمية رحمه الله لما ألقوه فى السجن قال تلك المقالة العظيمة التى توضح لنا أين تكمن السعادة؟ قال: ماذا يصنع بى أعدائى والله أنا جنتى وبستانى فى صدرى - يقصد بذلك الإيمان والقرآن والسنة - أنَّى سرت فهى معى. أنا قتلى شهادة وإخراجى من بلدى سياحة وسجنى خلوة بينى وبين ربى فالمأسور من أسره هواه والمحجوب من حُجب عن ربه. ثم جلس يقرأ القرآن بضعًا وثمانين مرة إلى أن وصل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[١] ومات عند تلك الآية.

(١) سورة القمر: الآيتان: (٥٤: ٥٥).

هذه هى السعادة الحقيقية . . . السعادة التى لا يملك بشر أن يعطيها، ولا يملك أن ينتزعها ممن أوتيها، السعادة التى شعر بنشوتها أحد المؤمنين الصالحين فقال: إننا نعيش فى سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف.

وقال آخر وهو منغمس فى تلك اللذة الروحية التى تغمر جوانبه: إنه لتمر علىَّ ساعات أقول فيها: لو كان أهل الجنة فى مثل ما أنا فيه الآن لكانوا إذن فى عيش طيب.

والذين رُزقوا هذه النعمة يسخرون من الأحداث وإن برقت ورعدت، ويبتسمون للحياة وإن هى كشرت عن أنيابها، ويفلسفون الألم، فإذا هو يستحيل عندهم إلى نعمةٍ تستحق الشكر، على حين هو عند غيرهم مصيبة تستوجب الصراخ والشكوى، كأنما عندهم غدد روحية خاصة، مهمتها أن تفرز مادة معينة تتحول بها كوارث الحياة إلى نعيم ما بعده نعيم.

ولا نستطيع أن نجحد أن للجانب المادى مكانًا فى تحقيق السعادة - كيف؟ وقد قال رسول الإسلام ﷺ : «**من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح**»(1).

بيد أنه ليس المكان الأول ولا الأفسح، والمدار فيه على الكيف لا على الكَم، فحسب الإنسان أن يَسلم من المنغصات المادية التى يضيق بها الصدر، من مثل: المرأة السوء، والمسكن السوء،

(1) صحيح لغيره: رواه أحمد (٣/ ٥٥ رقم: ١٤٤٥)، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب (١٩١٤).

والمركب السوء، وأن يُمنح الأمن والعافية، ويتيسر له القوت فى غير حرج ولا إعنات، . . . وما أصدق وأروع الحديث النبوى: «**من أصبح منكم آمنًا فى سربه، معافى فى جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»[1].

وإذا كانت السعادة شجرة منبتها النفس البشرية، والقلب الإنسانى، فإن الإيمان بالله وبالدار الآخرة هو ماؤها وغذاؤها، وهواؤها وضياؤها.

لقد فجَّر الإيمان فى قلب الإنسان ينابيع للسعادة، لا يمكن أن تغيض، ولا أن تتحقق السعادة بغيرها. تلك هى ينابيع السكينة، والأمن، والأمل والرضا والحب.

وقد أيقن أصحاب النبى ﷺ هذا جيدًا وعلموا أن السعادة ليست فى المال أو الجاه أو الأولاد وإنما تكمن فى الإيمان بالله جل وعلا فقاموا جميعًا ولسان كل واحد منهم ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾[2]، فترى الواحد منهم يسمع آية من كتاب الله تحثُّه على الإنفاق أو الجهاد فى سبيل الله فإذا هو يسارع إلى تنفيذ تلك الآية ولا يتردد ولا يتلعثم بل يضحى بالغالى والنفيس ابتغاء رضوان الله.

قرأ أبو طلحة الأنصارى سورة (براءة) حتى بلغ هذه الآية

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٣٤٦) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٠٤٢).
(٢) سورة طه: الآية: (٨٤).

﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(١).

فقال: خفافًا وثقالاً، شبابًا وكهولاً، ما سمع الله عذر أحد، وقال لبنيه: أى بنى، جهزونى.. جهزونى.. جهزونى.. - يعنى للجهاد - فقال بنوه: يرحمك الله، قد غزوت مع النبى ﷺ حتى مات، ومع أبى بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات. فنحن نغزو عنك قال: لا.. جهزونى.. فجهزوه بجهاز الحرب، فغزا فى البحر، فمات فى البحر، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فدفنوه فيها رضي الله عنه.

وخرج سعيد بن المسيب إلى الغزو، وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكنى الحرب كثَّرت السواد وحفظت المتاع. - أى كنت سببًا فى زيادة العدد والمحافظة على متاع المجاهدين -.

ورأى بعضهم فى غزوات الشام رجلاً قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر فقال له: يا عم؛ إن الله قد عذرك، فقال: يا ابن أخى قد أمرنا بالنفير خفافًا وثقالاً(٢).

بل إنهم كانوا يتسابقون للفوز بالشهادة... فها هو خيثمة بن الحارث صحابى النبى ﷺ.. لما استنفر النبى ﷺ المسلمين فى غزوة بدر قال خيثمة لابنه سعد: يا بنى إنك تعلم أنه ليس مع النساء مَن يحميهن فأريد منك أن تبقى معهن لأذهب وأقاتل فى

(١) سورة التوبة: الآية: (٤١).

(٢) ذكر هذه الوقائع الإمام القرطبى فى تفسير قوله تعالى: ﴿خِفَافًا وَثِقَالاً﴾.

سبيل الله... فقال له ابنه سعد: والله يا أبتاه لو كانت الدنيا بأسرها لآثرتك بها ولكنها الجنة... فذهب الشاب ليقاتل فى سبيل الله فقُتل فى تلك الغزوة... فلما بشروا أباه بتلك البشرى بكى بكاءً مريرًا وقال: أواه أواه.. لقد فاز بها دونى... لقد كان أعقل منى.. لقد رأيته البارحة يسرح ويمرح فى أنهار الجنة ويأكل من ثمارها ويقول: أبتاه الحق بنا فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا!!!

- وها هو عمرو بن الجموح الأنصارى... أعرج شديد العرج، وكان له أربعة أبناء يغزون مع الرسول ﷺ . فلما كان يوم أُحد، طلب من بنيه أن يُعدوا له عُدة الجهاد، فقال له بنوه: إن الله قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك! وقد وضع الله عنك الجهاد؟ فأتى عمرو رسول الله ﷺ فقال: إنى بَنِىَّ هؤلاء يمنعوننى أن أجاهد معك، ووالله إنى لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتى هذه فى الجنة!! فقال له رسول الله ﷺ : **«أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد»**. وقال لبنيه: **«وما عليكم أن تدعوه، لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة»**. فخرج مع رسول الله ﷺ فقُتل يوم أُحد شهيدًا وفيه قال النبى ﷺ للأنصار: **«إن منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم عمرو بن الجموح»**! (١).

وهذا نموذج آخر من نماذج التضحية: نموذج التضحية بالراحة والثروة والاستمتاع بالحياة الرضية الناعمة، وارتضاء الحرمان

---
(١) رواه ابن حبان (١٥/ ٤٩٣ رقم: ٧٠٢٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد.

والمشقة والبلاء والأذى فى سبيل الله.

فتى كمصعب بن عمير، نشأ فى الحلية، وربِّى فى الرفاهية والنعمة، بين أبوين يحبانه أشد الحب، ويحنوان عليه أعظم الحنو، يغذوانه بأطيب الطعام، ويكسوانه بأحسن اللباس، وينشران عليه أجنحة العطف والإيثار والرعاية والتدليل، فتى مُنعَّم مُدلل كهذا، ما الذى يجعله يدع هذه الحياة اللذيذة الهادئة الهانئة، إلى حياة خشونة وبأساء، وزلزلة وجهاد، وغربة وهجرة؛ ما الذى جعله يرضى بمفارقة الأهل والوطن، ويرغب عن الثروة والجاه ويفر بدينه مهاجرًا إلى الحبشة ثم إلى المدينة، حتى يموت فى دار الهجرة شهيدًا فى غزوة أُحد، فلا يجد المسلمون له ثوبًا يكفى لغطاء جسده، كل الذى وجدوه هو ثوب قصير، إذا غطى به رأسه بانت رجلاه، وإذا غطيت به رجلاه بانت رأسه؟؟.. لا شىء إلا الإيمان.

ولقد وقف الرسول ﷺ على هذا الفتى، وهو مقتول مُسجَّى فى بُرده، فقال والدموع تزدحم فى عينيه: «**لقد رأيتك بمكة وما بها أحد أرق حلة، ولا أحسن لمة منك، ثم أنت شعث الرأس فى بردة**».

وعن عبيد بن عمير أن النبى ﷺ وقف على مصعب وهو منجعف على وجهه، فقرأ هذه الآية: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾(1)(2).

---

(1) سورة الأحزاب: الآية: (٢٣).

(2) رواه الحاكم فى المستدرك (٤٩٠٤) بنحوه وسكت عنه الذهبى فى التلخيص.

وهذا نموذج آخر من نماذج التضحية: هى التضحية بالمال، يرويه لنا زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: لما نزل: ﴿مَن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (١).

قال أبو الدحداح: فداك أبى وأمى يا رسول الله! وإن الله يستقرضنا وهو غنى عن القرض؟ قال: «**نعم يريد أن يدخلكم الجنة به**» قال: فإنى قد أقرضت ربى قرضًا يضمن لى به ولصبيتى الدحداحة معى الجنة، قال: «**نعم**» قال: ناولنى يدك، فناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال: إن لى حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضًا لله تعالى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اجعل إحداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك**». قال: فأُشهدك يا رسول الله أنى قد جعلت خيرهما لله تعالى وهو حائط فيه ستمائة نخلة. قال: «**إذن يجزيك الله به الجنة**». فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح وهى مع صبيانها فى الحديقة تدور تحت النخل فأنشأ يقول:

*هداك ربى سُبل الرشاد*
*إلى سبيل الخير والسدادِ*
*بينى من الحائط بالوداد*
*فقد مضى قرضًا إلى التنادِ*
*أقرضته الله على اعتمادى*
*بالطوع لا منًّا ولا ارتدادِ*

(١) سورة الحديد: الآية: (١١).

*إلا رجـاء الضـعف فـى المعـاد*
*فــارتحلـى بـالنـفـس والأولادِ*
*والبـر لا شـك فــخـيــر زاد*
*قــدمــه المرء إلى المعــاد*

فقالت أم الدحداح: ربح بيعك! بارك الله لك فيما اشتريت وأجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

*بشــرك الـله بخــيـر وفــرح*
*مــثلك أدى مــا لديه ونصـح*
*قــد مــتع الله عــيـالى ومنــح*
*بالعــجـوة السـوداء والزهـور البلح*
*والعــبـد يسـعى وله مـا قــد كـدح*
*طول الليـالى وعليـه مـا اجـتـرح*

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تُخرج ما فى أفواههم وتنفض ما فى أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر، فقال النبى ﷺ: «**كم من عذقٍ ردَّاح ودار فياح لأبى الدحداح**». أى فى الجنة(١).

إن تاريخ الإسلام وتاريخ الأنبياء وأتباعهم فى كل عصر. حافل بالصور الحية، والنماذج الرائعة للبذل والتضحية فى سبيل الحق. وهى صور ونماذج لم يصنعها غير الإيمان، ولن يصنع أمثالها - إذا أردنا لها أمثالاً - إلا الإيمان!

(١) تفسير القرطبى (٢/١٠٤٦- ١٠٤٧)، ورواه مسلم (٩٦٥) كتاب الجنائز مختصراً.

# معجزات الإيمان[1]

إن الإنسان بلا إيمان ريشة فى مهب الريح لا تستقر على حال ولا تسكن إلى قرار أينما تُميلها الريح تميل - والفرد بلا إيمان لا قيمة له ولا جذور - إنسان قَلِق متبرم حائر لا يعرف حقيقة نفسه ولا سر وجوده لا يدرى مَن ألبسه ثوب الحياة ولماذا ألبسه إياه ولماذا ينزعه عنه بعد حين؟

فالإنسان بلا إيمان قلبه لا يفقه وأذنه لا تسمع وعينه لا تبصر والمجتمع بلا إيمان مجتمع غابة وإن لمعت فيه بوارق الحضارة لأن الحياة فيه للأقوى لا للأفضل والأتقى فهو مجتمع شقاء وإن ذخر بأدوات الرفاهية والرخاء - فالمجتمع بلا إيمان مجتمع مهين رخيص لأن غاية أهله لا تتجاوز شهوات بطونهم وفروجهم ﴿ **يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ** ﴾[2].

ومن هنا جاءت الحاجة الماسة المُلحة لوجود الإيمان فى كل مجتمع مسلم - فيا من توضأتم لله وسجدتم بين يدى الله وقرأتم كتاب الله جل وعلا هنيئًا لكم الإيمان وهنيئًا لكم التوحيد - هنيئًا لكم يوم يغدو النصارى إلى بيوت الصلبان وهنيئًا لكم يوم يغدو

(١) بتصرف من كتاب (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) / للمصنف.
(٢) سورة محمد: الآية: (١٢).

اليهود إلى بيوت الشيطان وهنيـئًا لكم يوم يغدو المجوس إلى بيوت النيران وهنيئًا لكم يوم يغدو المشركون إلى بيوت الأصنام ثم تغدون أنتم إلى بيوت الرحمن ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[1]. إنه الإيمان تلكم الكلمـة المدوية المجلجلة التى تهز كيان المسلم فيرنـو إليها ببصيرته ويتحرك نحوهـا فؤاده ويشد إليها رحاله وتـسعى إليـها تطلعـاته. . . . إنه الميدان الذى يتـسابق فـيه المتسابقون ويتنافس فيه المتنافسون. . . . إنه الإيمان الذى يسعى كل مسلم لأن يتلمس وهجـه فى قلبه لينير به جـوانب روحه. . . إنه قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصـيان. . . إنه نفحـة ربانية يقذفـها الله فى قلوب من يختارهم من أهل هـدايته ويهيئ لهم سُبل العمـل لمرضاته ويجعل قلوبهم تتعلق بمحبته وتأنس بقربه، فالمؤمنون فى رياض المحبة وفى جنان الوصل يرتعون ويمرحون. . . لقد أحبهم الله فأحبوه فاتبعوا نبيه ورضى عنهم فرضوا عنه. . . تقربوا إليه بالصالحات والطاعات فدنا منهم بالمغفرة والرحـمات فهو القائل: «**ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبـه فإذا أحببته كنت سمـعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصـر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بهـا ولئن سألنى**

(١) سورة النور: الآيتان: (٣٦-٣٧).

لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه»(1)

*يا من ألوذ به فيما أؤمله*

*وأستعيذ به مما أحاذره*

*لا يَجْبرُ الناس عظمًا أنت كاسره*

*ولا يهيضون عظمًا أنت جابره*

إنه الإيمان يا إخوانى ذلك الشعور الذى يختلج فى الصدر ويلمع فى القلب فيضىء جوانب النفس ويبعث فى القلب الثقة بالله والأنس بالله والطمأنينة بذكر الله ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾(2). إنه الشعور بأنك ذرة فى كون عظيم هائل متجه إلى الله يسبّح لله ويخضع لله ويؤمن بالله ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾(3) فسبحان من آمن له الكون أجمعه وسبحان من سبَّح له الكون أجمعه... إنه موكب عظيم متجه إلى الله يجعلك تسأل نفسك أين أنا من هذا الموكب؟!

ومن هنا كان لابد لنا من وقفة مع الإيمان ومعجزات الإيمان التى تجعل الميت حيًّا بإيمانه بالله جل وعلا بل تجعل له نورًا يمشى به فى الناس ليضىء لهم طريقهم إلى الله كما قال تعالى: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ**

(1) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

(2) سورة الرعد: الآية: (٢٨).

(3) سورة الإسراء: الآية: (٤٤).

لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1]. إنه الإيمان الذى يحول الظلام الدامس إلى نورٍ ساطع والقلوب الميتة إلى ضمائر حية والعبيد إلى سادةٍ للأمم والضعفاء إلى قادةٍ للشعوب والأجيال.

ولذا فإن الأمم لا تنهض من كبوة ولا تقوى من ضعف ولا ترتقى من هبوط إلا بعد أن يلامس الإيمان شغاف القلوب.

ونحن نعلم جميعًا أن هدم الجبال أو تحويل مياه النيل أو تغيير معالم الكون أسهل بكثير من تغيير القلوب والعقول وعلى الرغم من ذلك فإن الإيمان هو الشىء الوحيد الذى تغيرت به القلوب وتنورت به العقول. فالإيمان بالله وحده هو الذى يصنع العجائب ويغير وجهة الإنسان وسلوكه بين التو واللحظة.

فلو أنك كنت تعرف إنسانًا فى جاهليته ثم رأيته مرة أخرى بعد إسلامه أو بعد توبته -إن كان من عُصاة المسلمين- لرأيت إنسانًا آخر وكأن الله أحياه من بعد موته!!!

ولذا فإن هذا التغيير الذى يحدث للفرد نتيجة الإيمان يظهر أثره عليه حين يلامس الإيمان شغاف قلبه - فالإيمان والتوحيد يجلبان راحة القلب وانشراح الصدر.... قال ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد** ﷺ **رسولاً**»[2].

وقال ﷺ: «**ثلاث مَن كُن فيه وجد حلاوة الإيمان**: أن يكون

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٢٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٤) كتاب الإيمان.

**الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقَى فى النار»**[1].

فتلك الحلاوة التى يجدها المؤمن لا يجدها غيره ولهذا يقول الإمام ابن تيمية: إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها فلن يدخل جنة الآخرة إنها جنة الإيمان، وكان إبراهيم بن أدهم يقول: لو يعلم الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا عليها بالسيوف.

وكذلك فإن الإيمان يجعل المؤمن يتربى على العزة - تلك العزة التى يستمدها المؤمن من عبوديته لله جل وعلا . . . . والعبودية لله نعمة عظيمة لا تدانيها نعمة فى الوجود ولذا فقد امتن الله على نبيه محمد ﷺ بتلك النعمة فى أشرف المقامات. ففى مقام التنزيل قال تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا** ﴾[2]. وفى مقام الدعوة إلى الله قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** ﴾[3]. وفى مقام الإسراء قال تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا** ﴾[4].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٦) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٣) كتاب الإيمان.
(٢) سورة الكهف: الآية: (١).
(٣) سورة الجن: الآية: (١٩).
(٤) سورة الإسراء: الآية: (١).

ولذلك فكلما ازداد المؤمن فى عبوديته لله جل وعلا كلما ازداد عزًا فيصبح لا يخشى إلا الله ولا يداهن أحدًا فى دين الله.

فها هو ربعى بن عامر ﷺ عندما بعث رستم قائد الفرس إلى سعد ابن أبى وقاص يريد منه أن يبعث إليه رجلاً يفاوضه فبعث إليه ربعى بن عامر فدخل على رستم بعزة المؤمن فوجد الجنود مصفوفة والسيوف مُسلطة فلم يزدد إلا عزة فسأله رستم: من أنتم وما الذى جاء بكم؟ فقال له: نحن قوم ابتعثنا الله لنُخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام... هكذا فالمؤمن يقف على أرضٍ صلبة لا تزعزعه الأعاصير والرياح لأنه يعتصم بالعروة الوثقى ويأوى إلى ركنٍ شديد.

وهؤلاء هم سحرة فرعون - الذين لم يكن يشغلهم فى حياتهم سوى جمع الدراهم والدينارات... فتأمل معى كيف انقلبت موازينهم مع الإيمان بالله جل وعلا - لقد جاءوا إلى فرعون وقالوا له: ﴿ **أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ** ﴾[1] فأراد فرعون أن يجزل لهم العطاء فقال: ﴿ **نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴾[2]. فزيادة على المال والثروة فإنكم ستكونون من المقربين إلى هذا الطاغوت!!!

وكانت آمالهم معقودة على فرعون بل كانوا يُقسمون بعزته

(١) سورة الشعراء: الآية: (٤١).

(٢) سورة الشعراء: الآية: (٤٢).

ويقولون: ﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾[1]. هكذا كانت أحوالهم قبل الإيمان فلما لامس الإيمان شغاف قلوبهم وشاهدوا الآيات الباهرات التى تدل على فاطر الأرض والسماوات انقلبت الموازين فقالوا لفرعون: ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾[2] ثم قالوا: ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[3].

قالوا تلك الكلمات التى خرجت من قلوب مؤمنة بالله جل وعلا واثقة فى موعود الله ولم يخشوا من بطش فرعون وتهديده عندما قال لهم: ﴿ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾[4].

وهذا الإيمان هو الذى جعل بضعة شبان كأهل الكهف، يواجهون بعقيدتهم ملكًا جبارًا، وقومًا شديدى التعصب، غلاظ القلوب، مع قلة العدد وانعدام الحول والطول المادى ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم

(١) سورة الشعراء: الآية: (٤٤).
(٢) سورة طه: الآية: (٧٢).
(٣) سورة طه: الآية: (٧٣).
(٤) سورة الشعراء: الآيتان: (٤٩-٥٠).

**بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** ﴾(١)

والإيمان هو الذى يجعل للمؤمن قدرة على الثبات أمام الشهوات والشبهات بل يجعله يثبت أمام الابتلاءات التى هى للمؤمن بمثابة الرأس للجسد. . . . فها هو ﷺ يقف فى صفٍّ والبشرية كلها فى صفٍّ مضادٍ فلم يصده صادٌّ ولم يرده راد فصدع بالإيمان فآذوه كأشد ما يكون الإيذاء فتحمل وهو يقول: «**اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون**» بل لقد حاولوا قتله مرارًا وتكرارًا وضربوه فى الطائف ووضعوا سلا الجزور على ظهره وخنقوه فثبت بالإيمان والتوحيد حتى أظهره الله على أعدائه فما من مئذنة اليوم إلا وهى تقول فى اليوم الواحد خمس مرات «أشهد أن محمدًا رسول الله» وكل ذلك لأنه لم يتعجل النتائج ولم ينسحب من أول صدمة بل ثبت بالإيمان لأنه على يقين من أن الحق منصور وأن الله غالب على أمره وإن تأخر النصر قليلاً ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾(٢).

وهذا بلال رضي الله عنه كانوا يعذبونه فى رمضاء مكة فيجرونه على الرمال الحارقة ويضعون الصخور العظيمة على صدره وهو يقول: (أحدٌ أحد) فلم يظفروا منه بكلمة الكفر فلما نجاه الله على يد أبى بكر الذى اشتراه وأعتقه لوجه الله قام الصحابة رضي الله عنهم فسألوا بلالاً

(١) سورة الكهف: الآيات: (١٣-١٥).
(٢) سورة غافر: الآية: (٥١).



وقالوا له: ألم تشعر بالعذاب؟ فقال لهم: والله لقد ذقت حلاوة الإيمان وارتفع الإيمان فى قلبى لدرجة إنى لم أشعر معه بالعذاب!!!

* والإيمان يجعل المؤمن يثبت فى المواقف ثبات الجبال.

فها هو أبو بكر رضي الله عنه... تأمل معى موقفه يوم توفى الرسول صلى الله عليه وسلم فذُهل المسلمون، وأخرجتهم الفجيعة عن وعيهم، حتى رُوى أن عمر قال: من قال إن محمداً قد مات ضربت عنقه بسيفى هذا! هنالك وقف أبو بكر يؤذن فى الناس بصوتٍ جهير: (مَن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حىّ لا يموت...).

ثم تلا قوله تعالى: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾**[1]. وموقفه بعد ذلك يوم تردد المسلمون فى إنفاذ جيش أسامة الذى جهزه النبى صلى الله عليه وسلم إلى الشام قبل مرض موته، فقد طلبوا من أبى بكر أن يوقف مسير هذا الجيش، فإن الغد ملىء بالطوارئ والاحتمالات، ولا يدرى أحدٌ ماذا يفعل العرب فى القبائل والقرى إذا علموا أن النبى قد مات ولكن أبا بكر أجابهم فى حزم وقال: «والذى نفس أبى بكر بيده لو ظننت أن السباع تختطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله، ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته».

(١) سورة آل عمرآن: الآية: (١٤٤).

* والإيمان يجعل المؤمن واثقًا فى نُصرة الله بل يجعل الكون منقادًا لجند الإيمان... فلقد روى ابن الأثير فى تاريخه أن المسلمين فى أثناء فتحهم لديار فارس حال نهر دجلة بينهم وبين (المدائن) وكانت السَّنة كثيرة المدود، ودجلة تقذف بالزَّبَد، فجمع سعد بن أبى وقاص الناس، فحمد الله وأثنى عليه وقال: ألا إنى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم، فقالوا جميعًا: عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل. فهبَّ الناس إلى العبور، وأذن لهم فى الاقتحام وقال: قولوا نستعين بالله، ونتوكل عليه. حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه، ليُظهرن دينه، وليهزمن عدوه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. وتلاحق الناس فى دجلة، وهم يتحدثون كما كانوا يتحدثون فى البر، وطبقوا دجلة حتى ما يرى من الشاطئ شيء... وروى أن جيشًا من المسلمين كان بينه وبين عدوه نهر، فأمرهم القائد أن يخوضوه، ولبوا الأمر، وخاضوا النهر، والعدو يشهدهم من بعيد دَهِشًا مرتاعًا.. وفى وسط النهر شهدهم العدو يغوصون فى جوف الماء مرة واحدة كأنما غرقوا، ثم ظهروا فجأة.. فسأل العدو: ما شأنهم؟ فعرفوا أن رجلاً منهم سقط منه قعبه - إناؤه - فصاح: قعبى.. قعبى.. فغاصوا جميعًا يبحثون عن قعب أخيهم.. فقال الأعداء فى ذهول: إذا كانوا يصنعون مثل هذا فى قعب سقط من أحدهم. فماذا يصنعون إذا قتلنا بعضًا منهم؟؟ وفتَّ ذلك فى

عضدهم، وكانت العاقبة هى التسليم للمؤمنين. . . . والمرء إذا هانت عليه الدنيا، ولم يبال بالموت. . هان عليه جبابرة الأرض وملوك الناس، ونظر إلى الذهب كما ينظر إلى الحجر، وإلى السيف كما ينظر إلى العصا أو هو أدنى.

* والإيمان كذلك هو الذى يهدم الجاهلية من جذورها ويزرع مكانها أُناسًا لا يعيشون إلا لله ولا يفكرون إلا فى مرضاة الله جل وعلا. . . وحسبُنا مثلاً على هذا التحول الخطير رجل وامرأة عُرف أمرهما فى الجاهلية وعُرف أمرهما فى الإسلام - الرجل هو «عمر ابن الخطاب» الذى رووا أنه بلغ فى جاهليته من انحراف العقل، أن عَبَد إلهًا من الحلوى ثم جاع يومًا فأكله، ومن انحراف العاطفة، أن وأد بنتًا له صغيرة كانت تمسح الغبار عن لحيته وهو يحفر لها مكانها فى التراب. . . . عمر هذا، ينتقل من الجاهلية إلى الإسلام، فيتحرر عقله حتى يقطع شجرة الرضوان التى بايع النبى ﷺ أصحابه يوم الحديبية تحتها خشية أن يطول الزمن بالناس فيقدسوها، ويقف أمام الحجر الأسود بالكعبة فيقول: أيها الحجر؛ إنى أقبلك وأنا أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك - وعمر هذا. . يبلغ من سمو عاطفته، ورقة قلبه، وخشيته لله، ما ملأ صفحات التاريخ بآيات الرحمة الشاملة للمسلم وغير المسلم، بل للإنسان والحيوان، حتى قال: «لو عثرت بغلة بشط الفرات لسألنى الله عنها. . لِمَ لم

تُصلح لها الطريق يا عمر؟ هذا هو الرجل!!!

أما المرأة فهى الخنساء.. المرأة التى فقدت فى جاهليتها أخاها لأبيها «صخرًا» فملأت الآفاق عليه بكاءً وعويلا، وشعرًا حزينًا، ترك الزمن لنا منه ديوانًا كان الأول من نوعه فى شعر المراثى والدموع:

***يُذكرنى طلوع الشمس صخرًا***
***وأذكره بكل غروب شمسِ***
***ولولا كثرة الباكين حولى***
***على إخوانهم لقتلت نفسى***

ولكننا بعد إسلامها نراها امرأة أخرى.. نراها أمًّا تقدم فلذات أكبادها إلى الميدان، أى إلى الموت، راضية مطمئنة، بل محرضة دافعة.

روى المؤرخون أنها شهدت حرب القادسية بين المسلمين والفرس تحت راية القائد «سعد بن أبى وقاص» وكان معها بنوها الأربعة، فجلست إليهم فى ليلة من الليالى الحاسمة، تعظهم وتحثهم على القتال والثبات، وكان من قولها لهم: أى بنى، إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والذى لا إله إلا هو إنكم لبنو رجلٍ واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة والله ما خُنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجَّنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب

الكافريـن، واعلموا أن الدار الباقـية خـير من الدار الفانـية، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، فإذا أصبحتم غدًا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عـدوكم مستبـصرين، وبالله على أعدائكم مسـتنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها فـتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسهـا، تظفروا بالغنم فى دار الخلد. . . . فلما أصبـحوا باشروا القتال بقلوب فـتية، وأنوف حمـية، فإذا فتر أحـدهم ذكَّره إخوته وصـية الأم العـجوز، فـزأر كالليـث، وانطلق كالسـهم، وانقضَّ كالصاعقة، ونزل كقـضاء الله على أعداء الله، وظلوا كذلك حتى استشهدوا واحدًا بعد واحد.

وبلغ الأم نعى الأربعة الأبطال فى يوم واحد، فلم تلطم خدًا، ولم تشق جيبًا، ولكنها اسـتقبلت النبـأ بإيمان الصابرين، وصـبر المؤمنين، وقالت: الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته.

**ولنا أن نسأل أنفسنا هذا السؤال:** ما الذى حوَّلهـم وغيَّرهم من حال إلى حـال؟ إنه إكسيـر الإيمان الذى وضـعه النبى ﷺ فى قلوب المؤمنين فنقلهم من دنيا الجهـالة إلى عالم المُثل العليا والقيم الرفيعة والأخلاق العالية والشوق إلى رضوان الله.

* بل إن الإيمان يجعل الإنسان الذى لا يـشغله إلا بطنه وفرجه

(١) سورة آل عمران: الآية: (٢٠٠).

وشهـواته العاجلة الفانيـة يتحول إلى مـؤمن يشعر بدوره ورسـالته وواجبـاته تجاه هذا الدين فـينسى شهـوته لأنه شغل قلبـه بالله جل وعلا . . . ففى القصة القصيرة التى رواها الإمام مسلم فى صحيحه برهان مبين على مـبلغ أثر الإيمان. . . . ذلك أن رسول الله ﷺ ضافـه ضيف وهو كـافر فـأمر له رسـول الله ﷺ بشاةٍ فـحُلبت فشرب حلابها ثم أخرى فشـربه ثم أخرى فشربه حتى شرب حلاب سبـع شيـاه ثم إنه أصبح فـأسلم فأمـر له رسول الله ﷺ بشـاةٍ فشرب حلابها ثم أمر بأخرى فلم يسـتتمها فقال رسول الله ﷺ : «**المؤمن يشرب فى مِعىً واحد والكافر يشرب فى سبعة أمعاء**»[(١)].

ومن هنا نعلم علم اليـقـين أن القوة الروحـية للإنسـان والتى يستمدها من إيمانه بالله هى أشد من القوة البدنية.

وتلك القوة الروحية تظهـر حين يتجرد المؤمن للحق ويخلص له فيكون المؤمـن فى ميزان الحق أثقل من الجـبال وأشـد من الحديد - يقـول الأثر: «لما خلق الله الأرض جعـلت تميد وتتكفـأ، فأرسـاها بالجبال فاسـتقرت فتعجبت الملائكة من شدة الجـبال فقالت: يا ربنا؛ هل خلقت خلقًا أشد من الجبال؟ قال: نعم. . الحديد. . قالوا: فهل خلقت خلقـًا أشد من الحـديد؟ قـال: نعم. . النار. . قالوا: فـهل خلقت خلقًا أشـد من النار؟ قال: نعم، الماء. . قـالوا: فهل خلقت خلقًا أشـد من الماء؟ قال: نعم، الريح. . قالوا: فـهل خلقت خلقًا أشـد من الريح؟ قال: نعـم، ابن آدم. . إذا تصدق صـدقـة بيمـينه

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٠٦٣) كتاب الأشربة.

فأخفاها عن شمــاله. . . فالمؤمن إذا أخلص لربه يصبح أشد قوة من الجبــال المرساة فى الأرض كـالأوتاد ومن الحديد القـوى الذى يقطع الجبال، وتُنحت به الصخور، ومن النار المتأججة التى تذيب الحديد، ومن الماء المتدفق الذى يطفئ النار، ومن الرياح التى تسوق المياه.

* إنه الإيمــان الذى يجعل المسلم مـثالاً للضـمير الحى الـيقظ الذى لا يغفل لحظة عن مراقبــة الله جل وعلا فى كل زمان ومكان ممتثلاً أمر النبى ﷺ : «**اتق الله حيثما كنت**»[1] لأنه يعتقد أن الله معه حيث كان، فى السفر أو فى الحضر، فى الجلوة أو فى الخلوة، لا يخفى عليه خـافية، ولا يغيب عنه سـر ولا علانية: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[2].

﴿**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾[3].

فالمؤمن يعلم أنه سـيقف بين يدى الواحد الديان وسيـسأله الله عن كل صغيرة وكبيرة وحـينذاك يجد ما كان يحسبه هينًا وهو عند

---

(١) حسن: رواه الترمذى (١٩٨٧) كتاب البر والصلة، وأحمد (٢٠٨٤٧)، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٧).

(٢) سورة المجادلة: الآية: (٧).

(٣) سورة يونس: الآية: (٦١).

الله عظيم، ويذكر من الأعمال ما كان ناسيًا: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (١) ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢).

هناك توزن الأعمال من خير أو شر، من حسنات وسيئات، بميزان إلهى دقيق لا يُعرف كنهه ولا كيفيته، ثم الحساب الإلهى العادل: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٣).

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ (٤).

وبعد ذلك.... فريق فى الجنة وفريق فى السعير: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ (٥).

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٤٩).
(٢) سورة المجادلة: الآية: (٦).
(٣) سورة الأنبياء: الآية: (٤٧).
(٤) سورة الأعراف: الآيتان: (٨، ٩).
(٥) سورة النساء: الآية: (١٧٣).

بهذه العقيدة فى الله، وفى الجزاء فى الآخرة يصبح المؤمن ويمسى مراقبًا لربه محاسبًا لنفسه، متيقظًا لأمره متدبرًا فى عاقبته، لا يظلم ولا يخون... قال محمد بن على الترمذى: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن مُلكه وسلطانه.

**وسُئل ذو النون:** بم ينال العبد الجنة؟ قال: بخمسٍ: استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة للّه فى السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسك قبل أن تُحاسَب.

**قال مالك بن دينار:** رحم الله امرءًا قال لنفسه: ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم زمَّها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله فكان لها قائدًا.

**وقال إبراهيم التيمى:** مثَّلتُ نفسى فى الجنة آكل من ثمراتها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها.. ثم مثَّلتُها فى النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها.. ثم قلت لنفسى: يا نفس، أى شىء تريدين؟ قالت: أريد أن أُردَّ إلى الدنيا، فأعمل صالحًا، قال: فأنت فى الأمنية فاعملى!!

ومن أساليب محاسبة النفس ما روى عن توبة (ابن الصُّمة) وكان محاسبًا لنفسه.. أنه حاسبها يومًا، فإذا هو ابن ستين سنة

فحسب أيامها، فإذا هى أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتى! ألقى الله بأحد وعشرين ألف ذنب! فكيف وفى كل يوم عشرة آلاف ذنب!

**وقال عبد الله بن دينار:** خرجت مع ابن عمر ﷺ إلى مكة فعرسنا فى بعض الطريق فانحدر بنا راعٍ من الجبل، فقال له: يا راعى؛ بِعْ لى شاة من هذه الغنم. فقال: إنى مملوك. فقال - اختبارًا له -: قل لسيدك أكلها الذئب. فقال الراعى: فأين الله؟ فبكى ابن عمر ﷺ ثم غدا مع المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال: أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك فى الآخرة.

* إنه الإيمان الذى يُخرج لنا نماذج تذهب بنفسها إلى الحاكم لتعترف على نفسها بالجريمة لأن خوفهم من الله أشد بكثير من خوفهم من البشر، فإذا كان القانون يفرض العقوبات الرادعة على كل من يرتكب الجرائم فإن الناس يبحثون دائمًا عن ثغرات القانون - وما أكثرها لأنها ليست من عند الله - فيحاولون التفلت من زمام العقوبة على جرائم قد ارتكبوها أما إذا نظرنا إلى ما يفرضه قانون الإيمان على الفرد المؤمن فإن إيمانه يفرض عليه مراقبة الله فى السر والعلن، فإذا وقع فى الجريمة وجد الإيمان يقوده إلى أن يعترف على نفسه ويطلب القصاص من نفسه حتى يفوز بمغفرة الله ورضوانه ورجاء أن يكون ذلك كفارة له عن ذنبه وشفيعًا له إلى

ربه ولا يخشى فى ذلك أن تُقطع يده أو أن يُرجم أو أن يُجلد!!.
فهذا رجل عربى - هو ماعز بن مالك - يأتى رسول الله ﷺ فيقول: يا رسول الله: ظلمت نفسى وزنيت، وإنى أريد أن تطهرنى، فيقول له: «**لعلك لامست؟ لعلك قبَّلت؟ لعلك فاخذت؟**» ويرد الرجل مرة ومرة ومرة والرجل مُصرٌّ على الاعتراف بخطيئته، مُصرٌّ على التطهير منها بإقامة حد الله عليه، ولو كان الرجم بالحجر، ويأمر الرسول أخيرًا بإقامة الحد عليه، فيتقبله صابرًا محتسبًا، راغبًا فى عفو الله ومغفرته.

وهذه امرأة أعرابية -كما روى الإمام مسلم- تُعرف بالغامدية، تزنى ويضطرب فى أحشائها جنين من الزنا، فيأبى عليها ضميرها المؤمن - وقد ارتكبت الفاحشة سرًّا - إلا أن تتطهر منها جهارًا وجاءت رسول الله تقول له: إنى قد زنيت فطهرنى!! فيردها الرسول.. فتأتى فى الغد فتقول: يا رسول الله.. لِمَ تردنى؟ لعلك أن تردنى كما رددت ماعزًا.. فوالله إنى لَحُبلى!! فيقول لها: «**إما لا.. فاذهبى حتى تلدى**». وتذهب المرأة تنتظر الوضع، وتمضى عليها الأيام والأشهر دون أن تخبو جذوة ضميرها. فما إن ولدت حتى أتت بالصبى فى خرقة، وقالت للرسول ﷺ: ها قد ولدته. قال لها: «**فاذهبى فأرضعيه حتى تفطميه**». وتعود المرأة إلى دارها تُرضع ولدها، وتمضى مدة الرضاع وهى - فى العادة حولان كاملان - أربعة وعشرون شهرًا لم يستطع اختلاف الليل

والنهار فيها أن يُنسى المرأة ما ارتكبت من خطيئة... وبغير إعلان من محكمة ولا تنبيه من حاكم ولا حراسةٍ من شرطى ترجع المرأة إلى رسول الله ﷺ طائعة مختارة لتلقى مصيرها الذى رضيته لنفسها فتقدم إليه الصبى وفى يده كسرة من الخبز وتقول: هذا يا نبى الله قد فطمته وقد أكل الطعام.... ولم يجد النبى ﷺ بُدًّا بعد هذا أن أمر بها فحُفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجه خالد فسبَّها فسمع نبى الله سبَّه إياها فقال ﷺ: «**مهلاً يا خالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى**»[1] وفى رواية: «**مهلاً يا خالد لا تسبها فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكسٍ لغُفر له**»[2].

إنه الإيمان الذى يجعل الحاكم والرعية أمام الحق يتساويان فالحق أحق أن يُتبع ومن أجل ذلك سادت العدالة والرحمة والرأفة فى عهد الصحابة والتابعين؛ لأنهم علموا أن الحق يعلو على كل شىء فسادت الفضيلة والعدالة حتى إن خليفة كعمر يدخل حائطًا لقضاء حاجة فيسمعه أنس يقول - وبينهما جدار الحائط -: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين!! بخٍ بخٍ!! والله

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٩٦) كتاب الحدود.
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٩٥) كتاب الحدود.

لتتقين الله يا عمر أو ليعذبنك الله!!

فكان الحق هو الذى يحكم فليس هناك من يستخدم سلطته وسطوته ليأخذ حق غيره بل كان أكثرهم يُؤْثِر أخاه على نفسه حتى إن القاضى ليجلس فى القضاء عامًا بأكمله ولا يتحاكم إليه اثنان لأن كل مسلم قد علم ما له وما عليه فجعل كبير المسلمين أبًا وأوسطهم أخًا وأصغرهم ابنًا فوقَّر أباه وأحب أخاه ورحم ابنه. وهكذا يكون المجتمع الإسلامى الذى أراده الله جل وعلا.

*إنه الإيمان الذى جعل من الإنسان المسلم تاجرًا أمينًا لا يغش ولا يكذب ولا يخدع ولا يُرابى.

- يروى الإمام الغزالى عن محمد بن المنكدر أنه كان له شُقق بعضها بخمسة دراهم، وبعضها بعشرة، فباع غلامه فى غيبته لأعرابى شُقة من الخمسيات بعشرة، فلما عاد ابن المنكدر وعرف، لم يزل يطلب ذلك الأعرابى المشترى طول النهار حتى وجده، فقال له: إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوى خمسة بعشرة.

**فقال الأعرابى:** يا هذا، قد رضيت.

**فقال:** وإن رضيت فإنَّا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا، فاختر إحدى ثلاث خصال: إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك، وإما أن نرد عليك خمسة، وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك. فردَّ عليه خمسة، وانصرف الأعرابى.

- ويروى الغزالى أيضًا أنه كان عند يونس بن عُبيد حُلل

مختلفة الأثمان، فمرَّ إلى الصلاة وخلَّف ابن أخيه فى الدكان، فجاء أعرابى وطلب حُلة بأربعمائة فعرض عليه حلل المائتين، فاستحسنها ورضيها، فاشتراها - أى بأربعمائة - فمشى بها وهى على يديه فاستقبله يونس - فعرف حُلته.

**فقال للأعرابى:** بكم اشتريت؟

**فقال:** بأربعمائة.

**فقال:** لا تساوى أكثر من مائتين فارجع حتى تردها.

**فقال:** هذه تساوى فى بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها.

**فقال له يونس:** انصرف معى فإن النصح فى الدين خير من الدنيا بما فيها. ثم ردَّه إلى الدكان وردَّ عليه مائتى درهم. وخاصم ابن أخيه فى ذلك. وقال: أما استحييت؟ أما اتقيت الله؟ تربح مثل الثمن، وتترك النُّصح للمسلمين؟!

**فقال:** والله ما أخذها إلا وهو راضٍ بها.

**قال:** فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك!!(١) .

فيا له من خُلق ويا لها من أمانة عظيمة يجب أن يتحلى بها كل مسلم ممتثلاً لأمر الله جل وعلا: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** ﴾(٢).

- أما إنه لولا الإيمان لما كانت تلك الفضائل والأخلاق النبيلة.

إنه الإيمان والتوحيد الذى يجعل المؤمن لا يخاف إلا الله فلا

(١) الإحياء - ربع العادات - كتاب الكسب ص ٧٢: ٧٣ .

(٢) سورة النساء: الآية: (٥٨).

يخاف على الرزق والأجل؛ لأنه علم أن الرزق بيد الله جل وعلا وأن الأجل معلوم ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾(1)، فالتوحيد مصدر الأمان النفسى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(2)، فهم لم يشوبوا إيمانهم بالشرك ولذلك فلهم الأمن والهداية فى الدنيا والآخرة. أما أهل الشرك فيقول الله عنهم: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾(3) - هكذا فالتوحيد هو الذى يحرر النفوس فلا تخاف ولا ترجو ولا تذل لغير الله ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(4)، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾(5).

- فالتوحيد هو الذى يسمو بالإنسان من الحضيض إلى الرفيق الأعلى أما الشرك فهو الذى ينحطّ بالإنسان إلى أسفل سافلين فتراه يعبد إنسانًا مثله أو يعبد أشياءً لا تضر ولا تنفع مثل الذى يعبد الحجر والشجر... كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾(6).

وتأمل معى كيف أن الملايين من البشر فى بلاد الهند يعبدون

---

(1) سورة النحل: الآية: (61).

(2) سورة الأنعام: الآية: (82).

(3) سورة آل عمران: الآية: (151).

(4) سورة المنافقون: الآية: (8).

(5) سورة فاطر: الآية: (10).

(6) سورة الصافات: الآيتان: (95-96).

الأبقار من دون الله جل وعلا فإذا وقفت تلك البقرة فى أحد الميادين فى الهند تعطَّل المرور لأن الإله نائم!!!!. فإذا ما استيقظت بدأت الحياة تدب مرة أخرى فى تلك المدينة!! بل إن البقرة إذا دخلت مثلاً (سوبر ماركت) ثم جاءت فى أى مكان وقضت حاجتها فإن صاحب السوبر ماركت يعتبر ذلك اليوم عيداً عنده ويقول بلسان الحال والمقال (لقد حلَّت بركة الإله)!!!.

ألا تشعر بعد ما قرأت تلك الكلمات أيها المسلم بتلك النعمة التى تعيشها... ألا وهى نعمة التوحيد لله فتقوم وتسجد لله شكرًا أن جعلك من أهل التوحيد وعصمك من الشرك ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾ (١).

﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ (٢).

تلك بعض آثار الإيمان والتوحيد على الفرد المسلم الذى أسلم واستسلم بجوانحه وجوارحه لله جل وعلا وإن كانت آثار الإيمان والتوحيد لا تُعد ولا تُحصى... ويكفيك يا أخى أنها هى الطريق الوحيد الذى يوصلك إلى جنات النعيم وإلى رضوان الله جل وعلا.

وأما عن أثر الإيمان والتوحيد على الأمة فلابد أن نعلم أن الأمة لا يتم استقلالها إلا فى ظل العقيدة فقد جاء الإسلام ليحرر

(١) سورة المائدة: الآية: (٧٢).
(٢) سورة الحج: الآية: (٣١).

الناس من ذل الرق والعبودية لغير الله ويدخلهم فى حياة جديدة كلها قائمة على توحيد الله - ومن هنا يجب أن ترتفع الرؤوس وتسمو النفوس فإن التوحيد هو الذى حرر البشر ولذلك فقد نهى الله سبحانه وتعالى ونهى النبى ﷺ عن الشرك بأنواعه كلها.

حتى إن النبى ﷺ نهى عن الغلو فى شخصه فقال: «**لا تُطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله**»(١). ولذا فنحن نقول فى التشهد: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله).

وإليك يا أخى الحبيب هذا المثال لكى تعلم وتوقن جيدًا أن الأمة المسلمة لم تتحرر إلا فى ظل التوحيد والإيمان بالله جل وعلا.... لقد كانت العرب تابعة للفرس والروم فلما جاء النبى ﷺ بعقيدة التوحيد تحررت الأمم من تبعيتها للفرس والروم وأصبحت تبعيتها للواحد القهار فظهرت البركات وتجمعت قلوب الناس بعد أن فرقها الشرك بالله.. بل لقد جاء النصر على أعداء الله ولم يكن ذلك إلا ببركة التوحيد والإيمان والعقيدة.

ولقد كانت قريش تعيش حياة الرعب فلما جاء أبرهة الأشرم لهدم الكعبة فتحوا له الطريق بلا قتال أو حتى أى مقاومة وفروا إلى الجبال حتى إن أبرهة لما جاءه عبد المطلب ظن فى بادئ الأمر أنه جاء ليفاوضه أو ليمنعه من هدم الكعبة ولكنه فوجئ أنه ما جاء

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٤٤٥) كتاب أحاديث الأنبياء.

إلا ليطلب منه مائة ناقة كان أبـرهة قد أخذها عند دخوله إلى مكة فتعـجب أبرهة وقال: لقد ظننت أنك إنما جـئت لتمنعنى من هدم الكعبـة فقـال له عبد المطـلب: إنما جئت لأطلب الإبل أمـا البيت فللبيت ربٌّ يحميه!!. هكذا تكون الأمـة بلا عقيدة.. لا تستطيع أن تدفع عن نفسها الأذى أو العدوان فـضلاً عن أن تذهب بنفسها لتقاتل فى سبيل الله!!

ولكن الله جل وعلا يريد البـقاء لهذا البيت إيذانًا بمـجىء خير مخلوق يطأ الثـرى برجليه وهامتـه عند الثريا ليأتينا بأرقى شـريعة وأنقى عقيـدة وتكون قبلته عند هذا البيت... فـما كان منه (جل وعلا) إلا أن صـرفهم عن البـيت ﴿ **وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ** ﴾ [(١)].

- فكانت تلك الحادثة إرهاصًـا لبعثة النبى ﷺ... فـجميع قبائل العـرب لما سمعت بهذه الحادثة صـاروا يقولون إن هذا البيت له قدسيتـه وهذه القبيلة (قريش) لها مكانتهـا لأنها هى التى تخدم البيت فصارت القبائل لا تفكر أبدًا فى أن تغزو قريشًا أو أن تنالهم بأذى ولهذا فـإن الله جل وعلا بعد (سورة الفـيل) قال: ﴿ **لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾ [(٢)].

- فالله جل وعلا هو الذى رزقهم وهو الذى بسط عليهم ثوب

(١) سورة الفيل: الآيات: (٣-٥).
(٢) سورة قريش.

الأمن والأمان وعلى الرغم من ذلك فقد عاشوا على الشرك والطغيان بكل صوره ومعانيه... وبينما هم كذلك إذ بعث الله محمدًا ﷺ بهذا الدين العظيم وبتلك العقيدة الخالدة ليقول لهم: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»[1].

فماذا صنعت قريش؟! رفضت الاستجابة لأمر الله ورسوله ولم يكن هذا عجيبًا ولكن العجيب أنهم عللوا عدم الاستجابة بتعليل هو أعجب من الخيال!!.

﴿**وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا**﴾[2].

- أى إننا إذا آمنا بك يا محمد فسوف تقوم القبائل من حولنا ليحاربوننا وسوف نعيش حياة الرعب بعد أن كنا آمنين.

- **فجاءهم الجواب من عند الله جل وعلا**: ﴿**أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[3].

أى كيف تقولون ذلك فمن أين أتاكم الأمن والخير؟! أليس من الله جل وعلا؟! فمن الذى يستطيع أن يجلب عليكم الضرر أو الخوف إن أراد الله بكم الأمان؟!.

وتلك والله دندنة قديمة حديثة فكما قال أهل قريش تلك المقالة الشنيعة للنبى ﷺ: ﴿**وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا**﴾ فإن الأمة المسلمة اليوم تعيد نفس المقالة التى خرجت من

(١) صحيح: رواه أحمد (١٥٥٩٣)، وصححه الألبانى فى صحيح السيرة (١/ ١٤٣).
(٢)، (٣) سورة القصص: الآية: (٥٧).

قلوب خاوية من الإيمان والتوحيد فتقول إن نتبع الهدى ونحكم بشرع الله فسوف يغضب علينا الشرق الملحد والغرب الكافر ويمنعون عنا الخير من السماء والأرض. . . وتلك والله عقيدة فاسدة لأن الله هو النافع الضار. . وإن المؤمن الذى لامس التوحيد شغاف قلبه يعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشىء فلن ينفعوه إلا بشىء قد كتبه الله له ولو اجتمعت على أن يضروه بشىء فلن يضروه إلا بشىء قد كتبه الله عليه رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف[1].

بل إن الحق تبارك وتعالى يقول: **﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾**[2]. ولذلك فإن الواجب على الأمة أن تقيم شرع الله ولا تخشى من الشرق والغرب لأنها تعبد رب المشارق والمغارب الذى بيده أزمَّة الأمور **﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾**[3].

وهو الذى وعدنا بالخير كل الخير إذا حققنا الإيمان والتوحيد له سبحانه وتعالى فقال: **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾**[4].

---

(١) أصل الحديث أخرجه الترمذى (٢٥١٦) عن ابن عباس - بطرف «يا غلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك...» وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٦٠).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٨).

(٤) سورة الأعراف: الآية: (٩٦).

ولذا لا بد أن نعلم أخيراً أن الأمـة المسلمة فى ماضيـها المشرق لم تقاتل الأعداء بعدد ولا بعُدة ولكن بتلك العقيدة الشامخة.

فها هم المسلمون فى غـزوة مؤتة كان عددهم ثلاثة آلاف وعدد المشركين مـائتى ألف فقام أحد الصـحابة وأشار عليهم بـأن يكتبوا إلى رسول الله ﷺ ليخبروه الخبر ثم لينتظروا ما يأمرهم به وهنا ظهرت العـقيدة التى غـرسها النبى ﷺ فى قلوب أصـحابه فى أبهى صورها فقام عبـد الله بن رواحة وقال: يا قوم والله إن الذى تكرهون للذى خـرجتم تطلبوه.. إنه الشـهادة. ومـا نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كـثرة إنما نقاتلهم بهـذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة.

فكانت الغلبـة والنصر للمسلمـين - بإذن الله - فمـتى أقامت الأمة شرع الله فإن الله سيخلصها من رق الذل للمخلوقين ويجعل عبوديتـها تتوجه إليـه سبحانه وهنا تحـقق الأمة استقـلالها فى ظل العقيدة الشامخة.

* * *



# الإيمان مصدر الأمان[1]

إن الناس يخافون من أشياء كثيرة، وأمورٍ شتَّى، ولكن المؤمن سَدَّ أبواب الخوف كلها. فلم يعد يخاف إلا الله وحده، يخافه أن يكون قد فرَّط فى حقه، أو اعتدى على خلقه، أما الناس فلا يخافهم، لأنهم لا يملكون له ضراً ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشوراً.

دعا أبو الأنبياء إبراهيم ﷺ إلى توحيد الله، وتحطيم الأصنام، فخوَّفه قومه من آلهتهم التى دعا إلى نبذها، فقال إبراهيم متعجبًا: ﴿ **وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (٢) وقد عقَّب الله على ذلك حاكمًا بين الفريقين فقال: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ (٣).

**وفسر النبى ﷺ الظلم فى هذه الآية بالشرك:** ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ (٤).

---

(١) بتصرف من كتاب (الإيمان والحياة) / للدكتور يوسف القرضاوى.

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٨١).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (٨٢).

(٤) سورة لقمان: الآية: (١٣).

فبيَّن لنا أن الإيمان والتوحيد هما أعظم أسباب الأمن والطمأنينة، وبالتالى يكون الجحود بالله أو الشك فيه، أو الشرك به، أعظم أسباب الخوف والاضطراب والرعب.

وصدق الله إذ يقول: ﴿ **سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا** ﴾(١).

* * *

## • مخاوف الملحدين والشاكِّين:

والملحدون الجاحدون أكثر الناس مخاوف -وإن كتموها عن الناس... إنهم يخافون الزمن والكوارث، والفقر والمرض والناس، وأشد ما يُخيفهم الموت، فهم ينظرون إليه نظرتهم إلى سبعٍ فاتك، وعدو متربص، ونهاية مجهولة، ومصير مخوف.

* * *

## • المؤمن آمن على رزقه:

هو آمن على رزقه أن يفوت فإن الأرزاق فى ضمان الله الذى لا يُخلف وعده. ولا يضيع عبده. وقد خلق الأرض مهادًا وفراشًا وبساطًا. وبارك فيها وقدَّر فيها أقواتها. وجعل فيها معايش. ووعد عباده فيها بكفالة الأرزاق وعدًا كرره وأكَّده وأقسم عليه.

وعد كريم لا يبخل. قدير لا يعجز. حكيم لا يعبث: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ**

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٥١).

هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾(١) ، ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾(٢) ، ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾(٣) ، ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾(٤) .

بهذه الضمانات يعيش المؤمن حياته آمنًا على رزقه. مطمئنًا إلى أن الله لن يهلكه جوعًا. وهو الذى يطعم الطير فى الوكنات والسباع فى الفلوات والأسماك فى البحار. والديدان فى الصخور.

ولقد كان المؤمن يذهب إلى ميدان الجهاد حاملاً رأسه على كفه متمنيًا الموت فى سبيل عقيدته، ومن خلفه ذرية ضعافًا، وأفراخ زُغب الحواصل لا ماء ولا شجر، ولكنه كان يوقن أنه يتركهم فى رعاية رب كريم، هو أبرُّ بهم وأحنى عليهم منه.

**وتقول الزوجة عن زوجها وهو ذاهب فى سبيل الله:** إننى عرفته أكَّالاً وما عرفته رزاقًا، ولئن ذهب الأكَّال لقد بقى الرزاق!

* * *

**• المؤمن آمن على أجله:**

وهو آمن على أجله، فإن الله قدر له ميقاتًا مُسمًّى، أيامًا معدودة وأنفاسًا محدودة. لا تملك قوة أن تنقص من هذا الميقات

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (٥٨).

(٢) سورة الذاريات: الآيتان: (٢٢-٢٣).

(٣) سورة هود: الآية: (٦).

(٤) سورة العنكبوت: الآية: (٦٠).

أو تزيد فيه ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(١).

أيقن المؤمن أن الله قد فرغ من الآجال والأعمار، وكتب على كل نفس متى تموت وأين تموت.

*ومن كانت منيته بأرض*

*فليس يموت فى أرض سواها*

وبهذا ألقى عن كاهله هم التفكير فى الموت والخوف على الحياة.

هذا الأمن على الرزق والأجل منح المؤمن السكينة والطمأنينة، كما منحه القوة فى مواجهة الحياة وما فيها من طغيان وجبروت.

**هدد الحجاج سعيد بن جبير بالقتل فقال له:** لو علمت أن الموت والحياة فى يدك ما عبدت إلها غيرك!

* * *

**• المؤمن لا يخاف الموت:**

وهو كذلك لا يعيش فى خوف من الموت، وجزع من مرارة كأسه، إنه زائر لابد من لقائه، وقادم لا ريب فيه، والخوف لا يرده، والجزع لا يثنيه، ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾(٢)، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(٣)، ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾(٤).

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٣٤).

(٢) سورة الجمعة: الآية: (٨).

(٣) سورة النساء: الآية: (٧٨).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٥٤).

ويهـون الموت على المؤمن أنه سـبيل الـناس قبله من الـنبيـين والصدِّيقين والشـهداء والصالحين فلا عليه إذا اقـتفى أثرهم، وسار فى دربهم . . . إن الموت خَطْبٌ قـد عَظُم حتى هان وخـشن حتى لان، إنه بلية عمَّت، والـبلايا إذا عمت طابت، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1].

ومتاع الدنيا أهـون عند المؤمن من أن يأسى على فراقه بالموت، كيف والموت قنطرة إلى المتاع الباقى، والنعيم السرمدى؟ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[2]. ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[3].

فالموت ليس عدمًا محضًا، ولا فنـاءً صرفًا، إنه انتقال من حياة إلى حيـاة، ومن طور إلى طور، وفى الأثر «إنكم خُلقـتم للأبد. وإنما تُنقلون من دارٍ إلى دار».

*ومـا الموت إلا رحلة غـيـر أنهـا*

*من المنزل الـفـانى إلى المنزل الـبـاقى*

الموت انطلاق من قفص الجسـد وغلافه -فى الحياة البـرزخية- ثم عودة إليه فى نشأة أخرى يوم البعث والنشور.

وقـال جـلال الدين الرومى فى بيـان سـر الموت وحكمـة فناء

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٣٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٨٥).

(٣) سورة النساء: الآية: (٧٧).

الأجساد قبل حياة الخلود والبقاء: «إن العمران لا يكون إلا بعد الخراب، وإن الكنز الثمين لا يُعثر عليه إلا بعد حفر الأرض وإثارتها، فإذا رأيت بيتًا يُهدم ويخرب فاعلم أن هناك تصميمًا جديدًا وبناءً جديدًا، إنما خرب البيت ليستخرج منه الكنز الدفين، وتعمره عمارة جديدة» «إن الشجرة لا تعطى الأثمار حتى تنفتح وتسقط الأزهار، كذلك الروح لا تقوى ولا تجد، ولا تلبس كسوة جديدة قشيبة حتى يتهدم الجسم الفانى، ويخلع العمر البالى»[1].

«إن الله -وهو الجواد المطلق- لا يسلب نعمة أنعم بها إلا وهو يعطى نعمة أكبر منها، فلا يسلب هذه الحياة الضعيفة القيمة التى لا تستحق أن تُسمَّى الحياة الباقية إلا ويعطى حياة أوسع وأبقى وأجمل وأفضل».

**وقال يحيى بن معاذ:** «لا يكره لقاء الموت إلا مريب، فهو الذى يقرب الحبيب من الحبيب».

ولم تكن هذه نظرة الخاصة أو المتفلسفة أو المتصوفة فقط للموت، ولكنها كانت نظرة جمهور المؤمنين.

**قيل لأعرابى اشتد مرضه:** إنك ستموت، فقال: وإلى أين يُذهب بى بعد الموت؟ قالوا: إلى الله، فقال: ويحكم، وكيف أخاف الذهاب إلى من لا أرى الخير إلا من عنده؟

**وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ**

(١) من كتاب «رجال الفكر والدعوة فى الإسلام» ص٢٧٩ نقلاً عن المثنوى.

عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾(١).

## من خصائص دين الإسلام

الإسلام دين الفطرة، ودين السلام والأمان، والبشريةُ لن تجد الراحة، ولن تحقق السعادة إلا بالأخذ بالإسلام، وتطبيقه فى شتَّى الشؤون.

ومما يؤكد عظمة دين الإسلام ما يتميز به من خصائص لا توجد فى غيره من المذاهب والأديان.

ومن تلك الخصائص التى تثبت تَمَيُّزَ الإسلام، ومدى حاجة الناس إليه ما يلى:

١- أنه جاء من عند الله: والله - عز وجل - أعلم بما يصلح عباده... قال تعالى: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(٢).

٢- أنه يبين بداية الإنسان ونهايته، والغاية التى خُلق من أجلها قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾(٣).

وقال: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾(٤)،

(١) سورة فصلت: الآيات: (٣٠-٣٢).
(٢) سورة الملك: الآية: (١٤).
(٣) سورة النساء: الآية: (١).
(٤) سورة طه: الآية: (٥٥).

وقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنس إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾(١).

٣- أنه دين الفطرة: فلا يتنافى معها، قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾(٢).

٤- أنه يعنى بالعقل ويأمر بالتفكر ويذم الجهل، والتقليد الأعمى، والغفلة عن التفكير السليم، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾(٣).

وقال: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾(٤).

٥- الإسلام عقيدة وشريعة: فهو كامل في عقيدته وشرائعه؛ فليس دينًا فكريًّا فحسب، أو خاطرة تمر بالذهن، بل هو كامل في كل شيء، مشتمل على العقائد الصحيحة، والأعمال الصالحة والمعاملات الحكيمة، والأخلاق الجميلة، والسلوك المنضبط؛ فهو دين فرد وجماعة، ودين آخرة وأولى.

٦- أنه يعنى بالعواطف الإنسانية: ويوجهها الوجهة الصحيحة التي تجعلها أداة خير وتعمير لا أداة إفساد وتدمير.

٧- أنه دين العدل: سواء مع العدو، أو الصديق، أو القريب،

(١) سورة الذاريات: الآية: (٥٦).
(٢) سورة الروم: الآية: (٣٠).
(٣) سورة الزمر: الآية: (٩).
(٤) سورة آل عمران: الآيتان: (١٩٠، ١٩١).

أو البعيد، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾[1] ، وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[2] ، وقال: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[3].

٨- الإسلام دين الأُخُوَّة الصادقة: فالمسلمون إِخْوةٌ فى الدين، لا تفرقهم البلاد، ولا الجنس، ولا اللون، فلا طبقية فى الإسلام، ولا عنصرية، ولا عصبية لجنس أو لون أو عِرق، ومعيارُ التفاضل فى الإسلام إنما يكون بالتقوى.

٩ - الإسلام دين العلم: فالعلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، والعلم يرفع صاحبه إلى أعلى الدرجات، . . . قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[4].

١٠- أن الله تكفل لمن أخذ بالإسلام وطبَّقه بالسعادة، والعزة، والنصرة فردًا كان أم جماعة. . . قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[5]، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم

(١) سورة النحل: الآية: (٩٠).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١٥٢).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٨).

(٤) سورة المجادلة: الآية: (١١).

(٥) سورة النور: الآية: (٥٥).

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

١١- فى الإسلام حل لجميع المشكلات: لاشتمال شريعته وأصولها على أحكام ما لا يتناهى من الوقائع.

١٢-أن شريعته أحكم ما تُساس به الأمم: وأصلح ما يُقضَى به عند التباس المصالح، أو التنازع فى الحقوق.

١٣- الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان، وأمة وحال، بل لا تصلح الدنيا بغيره: ولهذا كلما تقدمت العصور، وترقَّت الأمم ظهرت براهين جديدة على صحة الإسلام، ورفعة شأنه.

١٤- الإسلام دين المحبة، والاجتماع، والألفة، والرحمة:

**قال النبى ﷺ: «مَثَلُ المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» (٢).**

**وقال: «الراحمون يرحمهم الرحمن؛ ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» (٣).**

١٥- الإسلام دين الحزم والجد والعمل: قال النبى ﷺ:

**«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، احرص على ما ينفعك ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل» (٤).**

---

(١) سورة النحل: الآية: (٩٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) رواه أبو داود (٤٩٤١) كتاب الأدب، والترمذى (١٩٢٤) كتاب البر والصلة، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٢٢).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٦٤) كتاب القدر.

١٦- الإسلام أبعد ما يكون عن التناقض... قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾(١).

١٧- أنه يحمى معتنقيه من الفوضى والضياع والتخبط: ويكفل لهم الراحة النفسية والفكرية.

١٨ - الإسلام واضح ميسور: وسهل الفهم لكل أحد.

١٩ - الإسلام دين مفتوح: لا يغلق فى وجه من يريد الدخول فيه.

٢٠ - الإسلام دين يرتقى بالعقول، والعلوم، والنفوس، والأخلاق: فأهله المتمسكون به حق التمسك هم خير الناس، وأعقل الناس، وأزكى الناس.

٢١ - الإسلام يدعو إلى أحسن الأخلاق والأعمال... قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾(٢)، وقال: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(٣).

٢٢- الإسلام يحفظ العقول: ولهذا حرَّم الخمر، والمخدرات، وكل ما يؤدى إلى فساد العقل.

٢٣- الإسلام يحفظ الأموال: ولهذا حثَّ على الأمانة، وأثنى على أهلها، ووعدهم بطيب العيش، ودخول الجنة، وحرَّم السرقة، وتوعَّد فاعلها بالعقوبة، وشرع حد السرقة وهو قطع يد

(١) سورة النساء: الآية: (٨٢).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٩٩).

(٣) سورة فصلت: الآية: (٣٤).

السارق؛ حتى لا يتجرأ أحد على سرقة الأموال؛ فإذا لم يرتدع خوفًا من عقاب الآخرة، ارتدع خوفًا من قطع اليد؛ ولهذا يعيش أهل البلاد التى تطبق حدود الشرع آمنين على أموالهم، بل إن قطع اليد قليل جدًّا؛ لقلة من يسرق.

ثم إن قطع يد السارق فيه حكمة الزجر للسارق من معاودة السرقة، وردع أمثاله عن الإقدام عليها، وهكذا تُحفظ الأموال فى الإسلام.

**٢٤**- الإسلام يحفظ الأنفس: ولهذا حرَّم قتل النفس بغير الحق، وعاقب قاتل النفس بغير الحق بأن يُقتل؛ ولأجل ذلك يقل القتل فى بلاد المسلمين التى تطبق شرع الله؛ فإذا علم الإنسان أنه إذا قَتَل شخصًا بغير حق سيُقتل به كفَّ عن القتل، وارتاح الناس من شر المقاتلات.

ثم إن أهل القتيل لهم حق فإذا كان القاتل سيقتل ثم يخرج بعد ذلك يتمتع بالحياة كيفما شاء - كان ذلك - مغيظا لأهل المقتول وربما حملهم على الثأر فيزيد الأمر ضراوة وفتنة.

فإذا اقتص من القاتل ارتاحت نفوس أهل القتيل واشتفت صدورهم بأخذ حقهم.

ثم إن القصاص ليس الطريق الوحيد بل إن لورثة القتيل الحق فى العفو أو أخذ الدية وهذا من التخفيف والرحمة.

بل إن الإسلام حث على العفو ورتب عليه الجزاء العظيم

والثواب الجزيل من الله - عز وجل -.

**قال الله - تبارك وتعالى -:** ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (١).

**وقال:** ﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ (٢).

**٢٥**- الإسلام يحفظ الصحة: فالإشارات إلى هذا المعنى كثيرة جدًّا سواء في القرآن أو السنة النبوية،... قال تعالى: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ (٣).

**قال العلماء:** إن هذه الآية جمعت الطبَّ كلَّه؛... ذلك أن الاعتدال في الأكل والشرب من أعظم أسباب حفظ الصحة.

ومن الإشارات لحفظ الصحة أن الإسلام حرَّم الخمر، ولا يخفى ما في الخمر من أضرار صحية كثيرة، فهي تُضعف القلب، وتفري الكلى، وتمزق الكبد إلى غير ذلك من أضرارها المتنوعة.

ومن ذلك: أن الإسلام حرَّم الفواحش من زنًا ولواط، ولا يخفى ما فيهما من الأضرار الكثيرة، ومنها الأضرار الصحية التي عُرِفَتْ أكثر ما عُرِفَتْ في هذا العصر من: زهري، وسيلان، وهربس، وإيدز ونحوها.

ومن حفظ الإسلام للصحة أنه حرَّم لحم الخنزير، الذي عُرِفَ الآن أنه يولِّد في الجسم أدواءً كثيرة، ومن أخصِّها الدودة الوحيدة،

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٧٩).

(٢) سورة الشورى: الآية: (٤٠).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٣١).

والشعرة الحلزونية، وعملهما فى الإنسان شديد، وكثيرًا ما يكونان السبب فى موته.

ومن الإشارات فى هذا الصدد ما عُرف من أسرار الوضوء، وأنه يمنع من أمراض الأسنان، والأنف، بل هو من أهم الموانع للسل الرئوى؛ إذ قال بعض الأطباء: إن أهم طريق لهذا المرض الفتاك هو الأنف، وإن أنوفًا تُغسَلُ فى اليوم خمس عشرة مرة لجديرة بألا تبقى فيها جراثيم هذا الداء الوبيل، ولذا كان هذا المرض فى المسلمين قليلاً وفى الإفرنج كثيرًا.

والسبب أن المسلمين يتوضئون للصلاة خمس مرات فى اليوم، وفى كل وضوء يغسل المسلم أنفه مرة أو مرتين أو ثلاثًا.

٢٦ - الإسلام يتفق مع الحقائق العلمية: ولهذا لا يمكن أن تتعارض الحقائق العلمية الصحيحة مع النصوص الشرعية الصريحة.

وإذا ظهر فى الواقع ما ظاهره المعارضة فإما أن يكون الواقع مجرد دعوى لا حقيقة لها، وإما أن يكون النص غير صريح فى معارضته؛ لأن النص وحقائق العلم كلاهما قطعى، ولا يمكن تعارض القطعيين.

ولقد قرر هذه القاعدة كثير من علماء المسلمين، بل لقد قررها كثير من الكُتَّاب الغربيين المنصفين، ومنهم: الكاتب الفرنسى المشهور (موريس بوكاى) فى كتابه «التوراة والإنجيل والقرآن»،

حيث بيَّن فى هذا الكتاب أن التوراة المحرَّفة، والإنجيل المحرَّف الموجودين اليوم يتعارضان مع الحقائق العلمية، فى الوقت الذى سجل فيه هذا الكتاب شهادات تفوق للقرآن الكريم سبق بها القرآنُ العلمَ الحديثَ.

وأثبت الكاتب من خلال ذلك أن القرآن لا يتعارض أبدًا مع الحقائق العلمية، بل إنه يتفق معها تمام الاتفاق.

ولقد تضافرت البراهين الحسيَّة، والعلميَّة، والتجريبيَّة على صدْق ما جاء به الإسلام حتى فى أشد المسائل بُعدًا عن المحسوس، وأعظمها إنكارًا فى العصور السابقة.

خذ على سبيل المثال قول النبى ﷺ: «**إذا شرب الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعًا أُولاهنَّ بالتراب**»(١).

ولقد جاء الطب باكتشافاته ومكبراته فأثبت أن فى لعاب الكلب ميكروباتٍ وأمراضًا فتَّاكة لا يزيلها الماء وحده، وأظهرت البحوث العلمية الحديثة أنه يحصل من إنقاء التراب لهذه النجاسة ما لا يحصل بغيره.

وجاء - أيضًا - أن شرب الكلب فى الإناء يسبب أمراضًا خطيرة، فالكلب كثيرًا ما تكون فيه ديدان مختلفة الأنواع، ومنها: دودة شريطية صغيرة جدًّا، فإذا شرب فى إناء، أو لمس إنسان جسد الكلب بيده أو بلباسه انتقلت بويضات هذه الديدان إليه،

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٧٢) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٧٩) كتاب الطهارة.

ووصلت إلى معدته فى أكله، أو شربه، فتثقب جدرانها، وتصل إلى أوعية الدم، وتصل إلى الأعضاء الرئيسة، فتصيب الكبد، وتصيب المخ، فينشأ عنه صداع شديد، وقىءٌ متوالٍ، وفقد للشعور، وتشنجات، وشلل فى بعض الأعضاء، وتصيب القلب، فربما مزَّقته، فيموت الشخص فى الحال.

ثم إن العلوم الطبيعية تؤيد الإسلام، وتؤكد صحته على غير علم من ذويها.

**مثال ذلك:** تلقيح الأشجار الذى لم يُكتَشف إلا منذ عهد قريب، وقد نصَّ عليه القرآن الذى أُنزل على النبى الأمى منذ أربعة عشر قرنًا فى قوله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**﴾(١)، وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾(٢)، وقوله: ﴿**وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ**﴾(٣)، وقوله: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا**﴾(٤).

فهذا كلام رب العالمين فى القرآن قبل أن تبيِّن لنا العلوم الطبيعية أن فى كل نبات ذكرًا وأنثى.

ولقد اعتنق بعض الأوربيين الإسلام لما وجد وصف القرآن للبحر وصفًا شافيًا مع كون النبى ﷺ لم يركب البحر طول

(١) سورة الحجر: الآية: (٢٢).
(٢) سورة ق: الآية: (٧).
(٣) سورة الذاريات: الآية: (٤٩).
(٤) سورة يس: الآية: (٣٦) .

عمره، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾(١).

٢٧- الإسلام يكفل الحريات ويضبطها: فحرية التفكير فى الإسلام مكفولة، وقد منح الله الإنسان الحواس من السمع، والبصر، والفؤاد؛ ليفكر، ويعقل، ويصل إلى الحق، وهو مأمور بالتفكير الجاد السليم، ومسئول عن إهمال حواسه وتعطيلها، كما أنه مسئول عن استخدامها فيما يضر.

والإنسان فى الإسلام حُرٌّ فى بيعه، وشرائه، وتجارته، وتنقلاته، ونحو ذلك ما لم يتعدَّ حدود الله فى غشٍّ، أو خداع، أو إفساد.

والإنسان فى الإسلام حُرٌّ فى الاستمتاع بطيبات الحياة الدنيا من: مأكول، أو مشروب، أو مشموم، أو ملبوس، ما لم يرتكب محرمًا يعود عليه أو على غيره بالضرر.

ثم إن الإسلام يضبط الحريات؛ فلا يجعلها مطلقة سائمة فى مراتع البغى والتعدى على حريات الآخرين؛ فالشهوة على سبيل المثال لو أُطلقت لاندفع الإنسان وراء شهوته، التى تكون سببًا فى هلاكه؛ لأن طاقته محدودة، فإذا استُنفذت فى اللهو والعبث والمجون لم يبقَ فيها ما يدفعها إلى الطريق الجاد، ويدلها على

(١) سورة النور: الآية: (٤٠).

مسالك الخير؛ فليس من الحرية - إذًا - أن يسترسل فى شهواته وملذاته غير مبالٍ بحلال أو حرام، وغير ناظر فى العواقب.

إن نهايته ستكون وخيمة فى العاجل قبل الآجل؛ . . . إن ثرواته ستتبدد، وإن قواه ستنهار، وصحته ستزول، وبالتالى سيكون تعيسًا محسورًا.

ثم هَبْ أن الإنسان أطلق لشهواته العنان، هل سيجد الراحة والطمأنينة؟

**الجواب:** لا؛ وإذا أردت الدليل على ذلك فانظر إلى عالمنا المعاصر بحضارته المادية؛ لما أطلق حرية العبث والمجون، ولم يُحسن استخدامها حدثت القلاقل، والمصائب، والأمراض الجسدية والنفسية، وشاع القتل، والنهب، والسلب، والانتحار، والقلق، وأمراض الشذوذ.

وليست الحرية - أيضًا - بالسير وراء الأطماع التى لا تقف عند حدٍّ دونما مبالاة فى آثارها على الآخرين؛ فهل يعد من الحرية ما يقوم به الأقوياء من سطوٍ على الضعفاء، واستخفاف بحقوقهم، ومصادرة لآرائهم كما هى حال الدول الكبرى فى عالمنا المعاصر؟

**الجواب:** لا؛ فالحرية الحقة هى ما جاء به الإسلام، وهى الحرية المنضبطة التى تحكم تصرفات الإنسان، والتى يكون فيها الإنسان عبدًا لربه وخالقه؛ فذلك سر الحرية الأعظم؛ فالإنسان إذا تعلق بربه خوفًا، وطمعًا، وحبًّا، ورجاء، وذلاً، وخضوعًا - تحرر من

جميع المخلوقين؛ ولم يعد يخاف أحدًا غير ربه، ولا يرجو سواه، وذلك عين فلاحه وعزته.

وبالجملة، فالإسلام دين الكمال والرفعة، ودين الهداية والسمو.

وإذا رأينا من بعض المنتمين إليه وَهنًا فى العزم، أو بُعدًا عن الهدى فالتبعة تعود على أولئك، لا على الدين؛ فالدين براء، والتبعة تقع على من جهل الإسلام، أو نبذ هدايته وراء ظهره.

* * *

## من محاسن الدين الإسلامى

مرَّ بك فى الفقرة السابقة ذكْرٌ لبعض خصائص الدين الإسلامى، والحديث فى هذه الفقرة قريب من الحديث السابق أو إكمالٌ له، وسيتضح لك فيما يلى شىء من محاسن الدين الإسلامى، وأنه دين السعادة والفلاح، وأنه لم يَدَع الإنسان فى خاصة نفسه أو مع أهله، أو مع جيرانه، أو أهل ملَّته، أو الناس أجمعين إلا علَّمه من دقائق الآداب، ومحاسن المعاملات ما يصفو به عيشه، ويتم سروره.

ولا يَريبَنَّك ما عليه كثير من المسلمين من سوء الحال؛ فإن ذلك بمقتضى أهوائهم لا من طبيعة دينهم.

ومحاسن الدين الإسلامى تتجلى بوضوح من خلال النظر فى أوامر الإسلام ونواهيه؛ فإليك نبذة عن ذلك فيما يلى من أسطر:

**أولاً: من أوامر الإسلام:** الإسلام يأمر بأوامر عظيمة تنتظم بها الأمور المدنية، وتصلح بها حالة المعاش؛ فالإسلام فى ذلك الشأن هو البحر الذى لا يدرك غوره، والغاية التى ليس بعدها أمل لآمل، ولا زيادة لمستزيد.

وهذه الأوامر حثَّ عليها الإسلام بأبلغ العبارات، وأقربها إلى

الأفهام، وتوعد على الخروج عن هــذه الجادة بالعقاب، ووعد من أخذ بها بجزيل الثواب.

**فمن تلك الأوامر العظيمة التى جاء بها الإسلام ما يلى:**

١- الإسلام يأمرك بما تكون به كبير النفس عن التشبه بما دونك من أنواع الحيوانات، رفيعَ القدر عــن أن تكون عبدًا لشهــواتك وحظوظك، عالى المنزلة عن أن تعظم غيــر ربك، أو تخضع لغير حكمه.

٢- الإسلام يأمـرك بما يُشعرك أنك عضــو نافع عامل تأنف أن تقلد غيرك، أو تكون عالة على سواك.

٣- الإسلام يأمرك باستعمــال عقلك، وجوارحك فيما خُلِقْتَ له، من العمل النافع فى أمر دينك ودنياك.

٤- الإسلام يأمرك بالتوحيد الخالص، والعقيدة الصحيحة التى لا يقبل العقل غــيرها، ولا تطمئن القلوب إلا بها؛ فالعــقيدة التى أمرك الإســلام بها تجـعلك عظيـمًا كبـيرًا، وتشــعر قلبك الـعزة، وتذيقك حلاوة الإيمان.

٥- الإسلام يأمــرك بستــر عورات المسلمــين، واتقاء مــواضع التُّهَم.

٦- الإسلام يأمــرك بالسعى لقضــاء حاجات الـناس، وتنفيس كرباتهم.

٧- الإسلام يأمــرك بالبدء بالسلام على كل مــسلم، وأن تنصر

أخاك المسلم فى غيبته وأن ترده عن الظلم إذا ظلم.

٨- الإسلام يأمرك بعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، وزيارة القبور، والدعاء لإخوانك المسلمين.

٩- الإسلام يأمرك بإنصاف الناس من نفسك، وأن تحب لهم ما تحبه لنفسك.

١٠- الإسلام يأمرك بالسعى فى طلب الرزق، وأن تعز نفسك، وأن ترفعها عن مواطن الذل والهوان.

١١- الإسلام يأمرك بالرحمة بالخَلق، والعطف عليهم، وحُسن رعايتهم ومداراتهم، والسعى فى نفعهم، وجلب الخيرات لهم، ودفع المضرات عنهم.

١٢- الإسلام يأمرك ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وإكرام الجار، والرفق بالحيوان.

١٣- الإسلام يأمرك بالوفاء للأصحاب، وحُسن المعاملة للزوج والأبناء.

١٤- الإسلام يأمرك بالحياء، والحلم، والسخاء، والكرم، والشجاعة، والغيرة على الحق.

١٥- ويأمرك بالمروءة، وحسن السمت، والحزم، والحكمة فى الأمور.

١٦- ويأمرك بالأمانة، وإنجاز الوعد، وحُسن الظن، والأناة فى الأمور، والمبادرة فى فعل الخير.

١٧-ويأمرك بالعفة، والاستقامة، والشهامة، والنزاهة.

١٨- الإسلام يأمرك بشكر الله، ومحبته، وخوفه، ورجائه، والأنس به، والتوكل عليه.

إلى غير ذلك من المعانى الجميلة العظيمة.

**ثانيًا: من نواهى الإسلام:** فمن أعظم محاسن الإسلام ما جاء به من النواهى التى تحذر المسلم من الوقوع فى الشر، وتنذره سوء العاقبة التى تترتب على الأفعال القبيحة؛ فمما نهى الإسلام عنه ما يلى:

١- نهى عن الكفر، والفسوق، والعصيان، واتباع الهوى.

٢- ونهى عن الكِبْر، والحقد، والعجب، والحسد، والشماتة بالمبتلين.

٣- ونهى عن سوء الظن، والتشاؤم، واليأس، والبخل، والتقتير، والإسراف، والتبذير.

٤- ونهى عن الكسل، والخور، والجبن، والضعف، والبطالة، والعجلة، والفظاظة، وقلة الحياء، والجزع، والعجز، والغضب، والطيش، والتسخط على ما فات.

٥- ونهى عن العناد، وعن قسوة القلب التى تمنع صاحبها من إغاثة الملهوف والمضطر.

٦- ونهى عن الغيبة وهى ذكرك أخاك بما يكره، وعن النميمة وهى نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد.

٧- ونهى عن كثرة الكلام بلا فائدة، وعن إفشاء السر، والسخرية بالناس، والاستهزاء بالآخرين.

٨ - ونهى عن السب، واللعن، والشتم، والتعبير بالعبارات المستقبحة، والتخاطب بالألقاب السيئة.

٩- ونهى عن كثرة الجدال، والخصومة، وعن المزاح البذىء الذى يجر إلى الشر والتطاول.

١٠- ونهى عن الكلام فيما لا يعنى.

١١- ونهى عن كتمان الشهادة، وعن شهادة الزور، وعن قذف المحصنات، وسب الأموات، وكتم العلم.

١٢- ونهى عن السفاهة، والفُحش، وعن المن بالصدقة، وعن ترك الشكر لمن أسدى إليك معروفًا.

١٣- ونهى عن الاستطالة فى الأعراض، وانتساب المرء إلى غير أبيه، وعن ترك النصيحة، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

١٤- ونهى عن الخيانة، والمكر، وإخلاف الوعد، والفتنة التى توقع الناس فى اضطراب.

١٥- ونهى عن عقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وإهمال الأولاد، وأذية الجار.

١٦- ونهى عن التجسس، والتحسس، وتتبع عورات الناس.

١٧- ونهى عن تشبه الرجال بالنساء، وعن تشبه النساء

بالرجال، وعن إفشاء سر الزوج.

١٨- ونهى عن شـرب الخمـر، وتعـاطى المخـدرات، وعن المقامرة التى تعرض المال للمخاطرة.

١٩- ونهى عن ترويج السلعة بالحلف الكاذب، وعن بخس الكيل والوزن، وعن إنفاق المال بالمحرمات.

٢٠- ونهى عن السرقة، والغصب، وخطبة الإنسان على خطبة أخيه، وشرائه على شراء أخيه.

٢١- ونهى عن خيانة أحد الشريكين لشريكه، وعن استعمال العارية بغير ما أذن بها صاحبها، وعن تأخير أجرة الأجير، أو منعه منها بعد فراغه من عمله.

٢٢- ونهى عن الإكثار من الطعام بحيث يضر صاحبه.

٢٣- ونهى عن التهاجر، والتشاحن، والتدابر، وحذَّر أن يهجر المسلم أخاه فوق ثلاث ليال.

٢٤- ونهى عن الضرب لأحد بغير مسوغ شرعى، وعن ترويع الناس بالسلاح.

٢٥- ونهى عن الزنا، واللواط، وقتل النفوس التى حرَّم الله قتلها.

٢٦- ونهى عن قبـول القاضى هديةً من أحـد لم يكن له عادة بإهدائها له قبل توليه، وعن قبول الضيافة الخاصة.

٢٧- ونهى عن أخـذ الرشوة من مُحقٍّ أو مُبطل، وعن دفع

الرشوة من محق أو مبطل، إلا من محق مضطر إلى دفعها دون أن تكون على حساب تضييعٍ لحق أحد.

٢٨- ونهى عن خذلان المظلوم مع القدرة على نصره.

٢٩- ونهى عن اطِّلاع المرء على دار غيره بغير إذنه ولو من ثقب، وعن التسمع لحديث قوم يكرهون سماعه.

٣٠- ونهى عن كل ما يضر بالهيئة الاجتماعية، أو النفس، أو العقل، أو الشرف، أو العرض.

هذه نبذة موجزة عن أوامر الإسلام ونواهيه، وبسط ذلك وذكر أدلته يحتاج إلى مجلدات ضخام[1].

* * *

(١) الطريق إلى الإسلام / د. محمد بن إبراهيم الحمد - حفظه الله -.

# الخصائص الرئيسية للإسلام (١)

يقول برناردشو: «إنى أُكنُّ كل تقدير لدين محمد لحيويته العجيبة، فهو الدين الوحيد الذى يبدو لى أن له طاقة هائلة لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة وصالحًا لكل العصور.

لقد درستُ حياة هذا الرجل العجيب، وفى رأيى أنه يجب أن يُسمَّى مُنقذ البشرية دون أن يكون فى ذلك عداء للمسيح.

وإنى لأعتقد أنه لو أُتيح لرجلٍ مثله أن يتولى منفردًا حكم هذا العالم الحديث لحالفه التوفيق فى حل جميع مشاكله بأسلوب يؤدى إلى السلام والسعادة التى يفتقر العالم إليهما كثيرًا؛ وإنى أستطيع أن أقول إن العقيدة التى جاء بها محمد ستَلقى قبولاً حسنًا فى أوروبا فى الغد. وقد بدأتْ تجد آذانًا صاغية فى أوروبا اليوم» (٢).

فما هى خصائص الإسلام ومميزاته التى جذبت إلى عقيدته ما لا يُحصى من البشر فى الأزمان الماضية، والتى تجعله مقبولاً ومناسبًا للعصر الحديث؟.

---

(١) بتصرف من كتاب (لماذا أسلمنا)/ تهذيب وتعليق الشيخ عبد الحميد السحيبانى.
(٢) الإسلام الصحيح - برناردشو - سنغافورة - المجلد الأول- رقم ٨/ ١٩٣٦ .

* **الخاصة الأولى: البساطة والمنطقية والقابلية للتطبيق:**

فالإسلام دين لا أساطير فيه، وتعاليمه بسيطة وواضحة مفهومة، فهو لا يقرُّ الخرافة ولا المعتقدات التى تنافى العقول السليمة. . . . والإيمان بوحدانية الله، وبرسالة محمد ﷺ من ربه، وبالحياة الآخرة هى المبادئ الرئيسية فى العقيدة الإسلامية، وكلها قائمة على أساس من الفكر السليم والمنطق الرصين.

وجميع تعاليم الإسلام ترتكز على هذه الأسس الأولية وجميعها بسيطة وقويمة.

وليس فى الإسلام سلطة كهنوتية تحتكر الدين ولا أفكار مجردة يصعب تصديقها ولا طقوس دينية معقدة، ويستطيع كل إنسان أن يقرأ كتاب الله (القرآن) ثم يصوغ حياته عمليًّا طبقًا لهذا الكتاب.

والإسلام يحثّ الإنسان على التفكر وتدبر الأمور، وعلى البحث عن الحقيقة والسعى إلى المعرفة؛ ويأمر الله الإنسان أن يسأل ربه المزيد من العلم ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1].

وجعل سعة العلم وعافية البدن من صفات الذين اصطفاهم الله ليحكموا بين الناس، وذلك فى حكايته عن بعث طالوت ملكًا على قومه ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ

(١) سورة طه: الآية: (١١٤).



اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ من يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(١).

ويقرر القرآن الكريم أنه بالعلم استحق الإنسان الأفضلية على الملائكة، واستحق الخلافة فى الأرض: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾(٢).

وهكذا يُخرج الإسلام الناس من عالم الخرافات ومن ظلمات الجهل ويأخذ بأيديهم إلى دنيا العلم والنور، وهو فى ذلك دين عملى لا ينحصر فى نظريات فارغة عقيمة، بل يقرر أن الإيمان ليس مجرد معتقدات يؤمن بها الإنسان إنما على الإنسان أن يجعله ينبوع حياته الواقعية فتسرى روحه فى كل ما يؤديه من عمل كما يسرى الماء فى خلايا الكائنات الحية، ذلك أن الإيمان بالله يستتبع تنفيذ أوامره، فليس الدين مجرد كلمات ترددها الأفواه فى ذكر

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٤٧).

(٢) سورة البقرة: الآيات: (٣٠- ٣٣).



الله والثناء عليه، بل هو حياة الإنسان كلها، وفى هذا يقول الله - جل وعلا -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[1].

ويقول الرسول ﷺ: «**إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا وابتُغى به وجهه**»[2].

ولهذا نقول إن الإسلام دين البساطة، والعقل، والواقعية.

*** الخاصة الثانية: وحدة المادة والروح:**

من الخصائص الفريدة للإسلام أنه لا يفصل فصلاً كاملاً بين المادة والروح، بل ينظر إلى الحياة على أنها وحدة تشملهما معًا؛ فلا يحول بين الإنسان ومقتضيات الحياة، بل يتولى تنظيم هذه المقتضيات؛ . . . لا يُقر الحرمان ولا يطلب تجنُّب الحياة المادية، بل يرسم الطريق إلى رفعة الجانب الروحى من خلال تقوى الله فى النواحى المختلفة من حياة البشر، لا من خلال إنكار المطالب الدنيوية، ويحكى عن عباد الله الصالحين: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[3].

كما ينعى على أولئك الذين لا ينعمون بواسع فضل الله وما خلق من متاع فيقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ

(١) سورة الرعد: الآية: (٢٩).

(٢) حسن: رواه النسائى (٣١٤٠) وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٥٦).

(٣) سورة البقرة: الآيتان: (٢٠١- ٢٠٢).

مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(١).

ولكنه فى الوقت ذاته يطلب إليهم أن يكونوا فى ذلك أمَّةً وسطًا: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾(٢).

فالإسلام لا يقر الفصل بين المادية والروحانية فى حياة الإنسان، ولكن يؤلف بينهما حتى يتسنَّى للإنسان أن يمارس الحياة بكل طاقاته على أسس صحيحة سليمة، ويعلمه أن الجانبين المادى والروحى متلازمان متلاصقان، وأن تنقية الروح من الشوائب أمر ميسور إذا استُخدمت المادة لصالح الإنسانية، ولا يتم ذلك بالتقشف والزهد وقهر الغرائز الحيوية.

وكم قاست البشرية نتيجة سيطرة جانب واحد من الجانبين الروحى والمادى فى كثير من الأديان والمذاهب، فبعضها بالغ فى تغليب عالم الروح وتجاهل الناحية الدنيوية ونظر إليها على أنها وهْمٌ وخيال خدَّاع وشَرَك يجب الفرار منه؛ وبعضها بالغ فى تغليب عالم المادة وتجاهل الجانب الروحى واصفًا إيَّاه بأنه مجرد وهم مصطنع وتلفيق خيالى، ولم تجن البشرية من هذا الاتجاه أو ذاك إلا التعاسة والشقاء، بعد أن فقدت عوامل الأمن والرضى

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٣٢).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (٣١).

والاستقرار؛ وحتى فى أيامنا هذه فـإنه ما زال التوازن بين الجانبين مفقودًا.

**يقول العالم الفرنسى الدكتور دى بروجبى Dr. De Brogbi :**

«إن الخطر الكامن فى المدنية المادية البحتـة يمكن تلخيصه فى أنه مُوجَّـه إلى هذه المدنية نفـسهـا... هذا الخطر هو الاختـلال وعدم التوازن المتوقع حدوثه إذا لم تجد الحياة الروحية لها طريقًا إلى جانب المدنية المادية لتعيد إلى الحياة الإنسانية توازنها الذى تفتقر إليه».

لقد اعـتمـدت المسيحـية على أحـد الجانبين وأخطـأت المدنية الحديثة فى الجانب الآخر.

**ويقول لورد سنل Lord Snell**: «ولقد أسَّـسْنا بنيانًا ظاهِرُه النُّبل والتناسق، ولكننا أهملنا المتطلبات الرئيسية اللازمة لتنظيم داخليته، لقد وضـعنا التصميم الدقـيق للوعاء وزخرفنا ظاهره وبدا جـميلاً نظيفًـا؛ أما باطنه فسلبٌ واغتـصاب وتطرف[1] إننا لم نستـخدم ما عندنا من علم وقوة متزايدين على مرِّ الأيام إلا للمتـاع الجسدى، ولكننا تركنا الجانب الروحى ضعيفًا قاصرًا».

والإسـلام يهـدف إلى إيجـاد توازن بين هذين الوجـهـين فى الحياة، المادى والروحى. إنه يقرر أن كل مـا فى هذا العالم مُسخَّر للإنسان ولكن الإنسان نفسه عـبدٌ لله وأن رسالته فى الحياة هى أن

(١) من المؤسف جدًّا أن مصطلح (التطرف) صار اليوم يطلقـه العلمانيـون على المؤمنين المتمسكين بدينهم.

ينفذ مشيئة الله؛ وفى الإسلام للإنسان مدد روحى كما فيه إرواء لحاجاته الدنيوية ويدفع به دائمًا إلى تنقية الروح كما يدفعه فى نفس الوقت إلى تقويم وتنظيم حياته الدنيا وليقيم الحق ويهجر الظلم، ويسلك سبيل الفضيلة ويتجنب الرجس والرذيلة.

وبذلك؛ فإن الطريق التى رسمها الإسلام هى الطريق الوسط المثلى.

* **الخاصة الثالثة: الإسلام نظام كامل للحياة:**

ليس الإسلام دينًا يحصر فعاليته فى نطاق الحياة الفردية للإنسان كما هى الصورة المشوهة عنه فى أذهان الكثيرين؛ بل هو نظام كامل للحياة البشرية فى مختلف ميادينها يرسم الطريق لكل جوانبها، سواء فى ذلك حياة الفرد أو الجماعة، وفى جانبيها المادى والروحى، وفى مجالاتها الاقتصادية والسياسية والتشريعية والثقافية والإقليمية والعالمية.

والقرآن يحض الناس على الدخول فى الإسلام دون أدنى قيد أو شرط إلا أن يقيموا أمر الله فى جميع نواحى حياتهم.

ولكن الناس انحرفوا عن سواء السبيل، وما كان أشقاهم وأتعسهم حين اختاروا لأنفسهم أن يحصروا هذا النظام الشامل، فلم يأخذوا به إلا فى نطاق الحياة الخاصة للفرد متجاهلين الحكمة الإلهية والنور الربانى فيما أعطاهم من تعاليم تنظم مجتمعهم وثقافتهم.

## * الخاصة الرابعة: الموازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة:

وهناك ظاهرة أخرى فريدة فى دين الإسلام أنه يوجد تناسقًا بين حياة الفرد وحياة الجماعة، فهو يؤكد وجود الكيان الشخصى للفرد ويعتبر كل إنسان مسئولاً ومُحاسبًا أمام الله، ويضمن للفرد الحقوق الأساسية، ولا يبيح مطلقًا لأى كائن أن يعبث بها أو أن ينتقص منها، ثم هو يحافظ على كرامة الفرد وشخصيته ويجعل ذلك فى المقام الأول من تعاليمه التربوية، ولا يؤيد مبدأ ضياع الكيان الفردى فى نطاق كيان الجماعة أو الدولة.

فالصلاة فى الإسلام تقام فى جماعات وفى هذا ما يغرس الشعور بالنظام الجماعى فى نفس الفرد الواحد.

والزكاة فرض على من يملك نصابها، . . . قال تعالى: ﴿**وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾[1] وهى حق للجماعة طبعًا.

والجهاد فرض، وفى هذا ما يوجب على الفرد - إذا جَدَّ الجد - أن يبذل حتى روحه دفاعًا عن الإسلام والدولة الإسلامية، وفى هذا يقول الرسول ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته**»[2].

ويقول الرسول ﷺ: «**إياكم والظنَّ فإن الظنَّ أكذبُ الحديث،**

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (١٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٨٩٣) كتاب الجمعة، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة.

ولا تحسَّسوا ولا تجسسوا ولا تنافَسوا ولا تَحاسَدوا ولا تَباغضوا ولا تَدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم الله تعالى»(١).

ويقول: «المؤمن من أمِنه الناس على أموالهم وأنفسهم»(٢).

وخلاصة القول: أن الإسلام يقرر الحقوق الفردية كما يقرر حقوق الجماعة ويقيم نوعًا من التناسق والتوازن بين كل منهما ويحدِّدُ الحدود الدقيقة المناسبة لهما.

*** الخاصة الخامسة: عالمية وإنسانية:**

الإسلام رسالة من الله إلى الجنس البشرى بأسره ويقرر الإسلام أن الله سبحانه وتعالى هو رب العالمين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٣). وأن النبى ﷺ رسول الله إلى الناس كافة ويؤكد القرآن ذلك فى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٤).

---

(١) تتمة الحديث «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا، التقوى ههنا، التقوى ههنا (وأشار إلى صدره) بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله». عن أبى هريرة رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى واللفظ لمسلم، قال فى الترغيب والترهيب: هو أتم الروايات.

(٢) رواه ابن ماجة (٣٩٣٤) كتاب الفتن وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٥٨).

(٣) سورة الفاتحة: الآية: (١).

(٤) سورة الأعراف: الآية: (١٥٨).

وفى قوله: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾(١).

وفى قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٢).

والإسلام يقرر أن الناس سواسية، مهما اختلفت ألوانهم وألسنتهم وأجناسهم ومواطنهم، وهو توجيه من الله إلى الضمير الإنسانى وينكر كل فارق من جنس أو طبقة أو مال.

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن هذه الفوارق كانت وما تزال قائمة حتى فى عصرنا هذا الذين يدَّعون أنه عصر النور والحضارة، ولكن الإسلام ينكر قيامها وبقاءها ويقرر أن البشر جميعًا أسرة واحدة ربُّها الله، . . . فالإسلام دين عالمى فى نظرته للأمور وعلاجه لها ولا يجيز مطلقًا قيام الحواجز والمميزات التى نشأت فى عهود الجاهلية؛ إنه دين يهدف إلى جمع البشر كافة تحت راية واحدة، وهو بالنسبة لهذا العالم الذى مزقته الأحقاد والتنافس بين أممه المختلفة؛ إنه - ولا شك - رسالة الحياة والأمل فى مستقبل عظيم مزدهر.

* **الخاصة السادسة: الثبات والتطور:**

فالأمور الرئيسية فى الحياة تبقى على حالها ثابتة، مهما طالت بها الآماد أو اختلفت بها الأجواء، إلا أن طرق معالجة هذه الأمور ووسائل إيجاد الحلول لما يطرأ من مشاكل هى التى تتأثر وتتغير مع مرور الزمان.

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (١).

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

والإسلام كفيل بتنظيم حالتى الـثبات والتطور، فالقرآن الكريم والسنة المطهرة فيـهما الهداية الثابتـة الخالدة، وذلك من فضل الله رب العالمين.

هذه التـعاليم الهـادية هى من عند الله الذى لا يحـدُّه زمان أو مكان. . . وهى بذلك، سـواء ما تعلق منهـا بالفـرد أو الجمـاعة، متناسقة تمامًا مع خواص الطبيعة التى خلقها الله رب العالمين، وهى بذلك أيضًـا أزلية باقـية، غـيـر أن الخالق - جل شـأنه - رسم لنا المبـادئ والأصول، وترك للإنسـان الحرية فى كـيفـية تطبـيقهـا فى العصور المختلفة، بما يتفق مع الروح والظروف القائمة فى كلٍّ منها. فكان «الاجتهاد» هو السـبيل التى يترسمها رجـال كل عصر لتطبيق هذه الهداية الربانية لمواجهة مشاكل الحياة فى زمانهم. فتعاليم الهداية الأساسية ثابتـة لا تتغير، أما وسائل تطبـيقها فيمكن أن تتغـير طبقًا لاحتياجات الحياة فى كل عـصر من العصور، وفى هذا ما يفسر لنا السر فى بقاء تعاليم الإسلام ناضرة مع تجدد اليوم والغد.

*** الخاصة السابعة: تعاليم الإسلام سجل لا يتطرق إليها التحريف:**

وأخيرًا هناك الحقيقة الهـامة الثابتة، تلك أن تعاليم الإسلام فى القرآن الكريم باقـية على أصولها ونصـوصها كمـا أنزلها الله رب العالمين، يجـد الناس فيهـا الهدى كمـا أراده الله، دون تحريف أو تبديل فى قليل أو كثير، فالقرآن كما أنزله الله قد بقى بين ظهرانينا

قرابة أربعة عشر قرنًا ولا زالت كلمات الله هى هى على هيئتها التى أُنزلت عليها.

وحياة رسول الإسلام ﷺ بتفاصيلها، وتعاليمه على أصولها، سجلها التاريخ فى دقة لم يعتريها أدنى تحريف، وهى قائمة بين أيدينا؛ ولقد تواترت أحاديثه وسيرته ﷺ عبر القرون بمنتهى الدقة وصدق التحرى والأمانة، وهذه حقيقة واضحة جلية يقرها حتى الناقدون من غير المسلمين.

يقول البروفسور رينولد أ. نيكلسون **prof. Reynold A. Nicholson** فى كتابه (التاريخ الأدبى للعرب - ص ١٤٣):

«القرآن وثيقة إلهية رائعة توضح بدقة سر تصرفات محمد فى جميع أحداث حياته، حتى إننا لنجد فيه مادة فريدة لا تقبل الشك أو الجدل، نستطيع من خلالها أن نتتبَّع سير الإسلام منذ نشأته وظهوره فى تاريخه المبكر، وهذا ما لا تجد له مثيلاً فى البوذية أو المسيحية أو أى من الأديان القديمة».

هذه بعض الملامح الفريدة فى الإسلام وهى تؤكد وتبرهن أنه الدين الأكمل للإنسان وأن المستقبل لهذا الدين.

وقد بهرت طبيعة هذا الدين مئات الألوف من البشر فى الماضى وفى الحاضر فآمنوا بأنه دين الحق وأنه الطريق المستقيم الذي يجب أن تسلكه البشرية، وسيظل محتفظًا بكل خواصه ما بقى الزمان.






وكل من أُوتى قلبًا سليمًا وحنينًا إلى الحق سيقول دائمًا ويردد: «أشهد أنه لا معبود بحقٍّ إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله».

## مزايا العقيدة الإسلامية

### ١- عقيدة واضحة:

للعقيدة الإسلامية مزايا لا تتوافر لغيرها من العقائد...

فهى عقيدة واضحة بسيطة لا تعقيد فيها ولا غموض، تتلخص فى أن وراء هذا العالم البديع المنسق المحكم ربًّا واحدًا خلقه ونظَّمه. وقدَّر كل شىء فيه تقديرًا، وهذا الإله أو الرب ليس له شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾[1].

وهذه عقيدة واضحة مقبولة، فالعقل دائمًا يطلب الترابط والوحدة وراء التنوع والكثرة، ويريد أن يُرجع الأشياء دومًا إلى سبب واحد.

فليس فى عقيدة التوحيد ما فى عقائد التثليث أو المثنوية ونحوها من الغموض والتعقيد الذى يعتمد دائمًا على الكلمة

(١) سورة البقرة: الآية: (١١٦).

المأثورة عند غير المسلمين «اعتقد وأنت أعمى».

**٢- عقيدة الفطرة:**

وهى عقيدة ليست غـريبة عن الفطرة ولا مناقضة لها، بل هى منطبقـة عليها انطبـاق المفتاح المحدد عـلى قفله المحكم، وهذا هو صريح القرآن: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[١] وصريح الحديث النبوى: «**كل مولود يولد على الفطرة** - أى: على الإسلام- **وإنما أبواه يهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يمـجِّسانه**»[٢]. فدل على أن الإسلام هو فطرة الله، فلا يحتاج إلى تأثير من الأبوين.

أما الأديان الأخـرى من يهودية ونصرانيـة ومجوسيـة فهى من تلقين الآباء.

**٣- عقيدة ثابتة:**

وهى عـقيـدة ثابتـة مـحددة لا تـقبل الزيادة والـنقصـان، ولا التحريف والتـبديل فليس لحاكم من الحكام، أو مـجمع من المجامع العلميـة، أو مؤتمر من المؤتمرات الدينيـة، أن يضيف إليهـا أو يحوِّر فيـها، وكل إضافة أو تحوير مردودة على صاحبـها، والنبى ﷺ يقول: «**من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد**»[٣]أى: مردود عليه.

---

(١) سورة الروم: الآية: (٣٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٥٨) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٦٥٨) كتاب القدر.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٩٧) كتاب الصلح، ومسلم (١٧١٨) كتاب الأقضية.

والقرآن يقول مستنكرًا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ (١). وعلى هذا فكل البدع والأساطير والخرافات التى دُسَّت فى بعض كتب المسلمين أو أشيعت بين عامتهم باطلة مردودة لا يقرها الإسلام ولا تؤخذ حجة عليه.

### ٤- عقيدة مبرهنة:

وهى عقيدة «مبرهنة» لا تكتفى من تقرير قضاياها بالإلزام المجرد والتكليف الصارم، ولا تقول كما تقول بعض العقائد الأخرى «اعتقد وأنت أعمى» أو «آمن ثم اعلم» أو «أغمض عينيك ثم اتبعنى» أو «الجهالة أم التقوى» بل يقول كتابها بصراحة: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢) ولا يقول أحد علمائها ما قاله القديس الفيلسوف المسيحى ( أوغسطين ): «أومن بهذا لأنه محال»! بل يقول علماؤها: إن إيمان المقلد لا يُقبل.

وكذلك لا تكتفى بمخاطبة القلب والوجدان والاعتماد عليهما أساسًا للاعتقاد بل تتبع قضاياها بالحجة الدامغة، والبرهان الناصع، والتعليل الواضح، الذى يملك أزمَّة العقول، ويأخذ الطريق إلى القلوب، ويقول علماؤها: إن العقل أساس النقل .. والنقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح.

فنرى القرآن فى قضية الألوهية يقيم الأدلة من الكون ومن

---

(١) سورة الشورى: الآية: (٢١).
(٢) سورة البقرة: الآية: (١١١). والنمل: الآية: (٦٤).

النفس ومن التاريخ على وجود الله وعلى وحدانيته وكماله.

وفى قضية البعث يدلل على إمكانه بخلق الإنسان أول مرة، وخلق السموات والأرض، وإحياء الأرض بعد موتها، ويدلل على حكمته بالعدالة الإلهية فى إثابة المحسن، وعقوبة المسيء: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (١).

## ٥- عقيدة وسط:

وهى عقيدة وسط لا تجد فيها إفراطًا ولا تفريطًا:

هى وسط بين الذين ينكرون كل ما وراء الطبيعة مما لم تصل إليه حواسهم، وبين الذين يثبتون للعالم أكثر من إله، بل يحلون روح الإله فى الملوك والحكام بل فى بعض الحيوانات والنبات مثل الأبقار والأشجار، فقد رفضت الإنكار الملحد، كما رفضت التعديد الجاهل، والإشراك الغافل، وأثبتت للعالم إلهًا واحدًا، لا إله إلا هو: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ (٢).

**وهى عقيدة وسط فى صفات الإله:**

فليس فيها الغلو فى التجريد الذى جعل صفات الإله مجرد أسلوب لا تعطى معنى، ولا توحى بخوف أو رجاء، -كما فعلت

---

(١) سورة النجم: الآية: (٣١).

(٢) سورة المؤمنون: الآيات: (٨٤-٨٩).

الفلسفة اليونانية- فكل ما وصفت به الإله أنه ليس بكذا وليس بكذا . . من غير أن تقول ما صفات هذا الإله الإيجابية؟ وما أثرها فى هذا العالم؟

ويقابل هذا أنها خلت من التشبيه والتجسيم الذى وقعت فيه عقائد أخرى كاليهودية . . جعلت الخالق كأحد المخلوقين من الناس، ووصفته بالنوم والتعب والراحة، والتحيز والمحاباة والقسوة. . و . . وجعلته يلتقى ببعض الأنبياء فيصارعه فلم يتمكن الرب من الإفلات منه حتى أنعم عليه بلقب جديد! .

ولكن عقيدة الإسلام تقرر تنزيه الله -إجمالاً- عن مشابهة مخلوقاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١) ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٢) ومع هذا تصفه -تفصيلاً - بصفات إيجابية فعالة: **﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾**(٣) . .

**﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾**(٤)

---

(١) سورة الشورى: الآية: (١١).
(٢) سورة الإخلاص: الآية: (٤).
(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).
(٤) سورة البروج: الآيات: (١٢-١٦).

وهى وسط بين التسليم الأبله الذى يأخذ عقائد الآباء بالوراثة، كما يرث عنهم العقارات والأملاك: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[1]، وبين الذين يريدون أن يعرفوا كُنه كل شىء حتى الألوهية وهم بعد لم يعرفوا كُنه أنفسهم التى بين جنوبهم، ولا ماهية حياتهم وموتهم، ولا كُنه شىء من القوى الكونية المحيطة بهم، فكيف يطمع العقل بعد ذلك فى معرفة كنه الألوهية؟ وهل يعرف النسبى كنه المطلق؟ ويعرف المحدود حقيقة غير المحدود؟!

وهى مع هذا تفتح الباب للنظر فى الكون والتفكر فيه.

**يقول الرسول** ﷺ: «**تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فتهلكوا**»[2] ويقول القرآن: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[3] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾[4] ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[5] ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[6].

وهى وسط فى علاقتها بالعقائد الأخرى، فلا تقبل الذوبان فى

---

(١) سورة الزخرف: الآية: (٢٣).

(٢) الحديث رُوى بألفاظ متعددة، من طرق مختلفة، بأسانيد كلها ضعيفة، ولكن تعددها واجتماعها يكسبها قوة، والمعنى صحيح كما قال السخاوى فى المقاصد الحسنة.

(٣) سورة يونس: الآية: (١٠١).

(٤) سورة الروم: الآية: (٨).

(٥) سورة الأعراف: الآية: (١٨٥).

(٦) سورة الذاريات: الآيتان: (٢٠-٢١).

غيرها، بل تدعو فى قوة إلى الثبات عليها والاستمساك بها: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ (١)، ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٢) ولكنها لا تتعصب ضد غيرها من العقائد السماوية: ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ (٣).

بل يتسع صدرها لما يخالفها: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (٤) ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٥).

تهيب بأصحابها أن يدعوا إليها: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ (٦) ولكنها لا ترضى بإكراه أحد على اعتناقها: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٧).

لا تقبل التهاون فى موادة من يحاربونها ويضعون العراقيل فى سبيلها وإن كانوا من ذوى القرابة القريبة: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (٨) ولكنها لا تقبض يد البر والمعونة عمَّن يخالفها ولا يعتدى على أهلها: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ

---

(١) سورة النمل: الآية: (٧٩).
(٢) سورة الزخرف: الآية: (٤٣).
(٣) سورة الشورى: الآية: (١٥).
(٤) سورة الكافرون: الآية: (٦).
(٥) سورة يونس: الآية: (٤١).
(٦) سورة فصلت: الآية: (٣٣).
(٧) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).
(٨) سورة المجادلة: الآية: (٢٢).

فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [1].

وهى وسط بين الذين يتساهلون فى إثبات العقائد فيقبلون الظنون والشكوك والأوهام، وهذا معين لا ينضب لقبول الخرافات والأساطير، وبين الذين لا يقبلون فى العقيدة أى خطرة تمر بالذهن ثم تختفى، أو هاجس يهجس فى النفس ثم يزول،... لقد رفضت عقيدة الإسلام الظن فى أصول العقيدة - فضلاً عن الشك أو الوهم... قال تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [2] ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ ﴾ [3] ﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [4].

ومع هذا تسامحت فى الخواطر التى لا يسلم منها العقل البشرى، بل اعتبرتها أحيانًا دليل يقظة العقل، ومظنة للطمأنينة وعلم اليقين... قال بعض الصحابة: يا رسول الله، إنَّا نجد فى أنفسنا ما لو أن نصير حممًا -فحمًا محترقًا- أهون من أن نتكلم به - يعنون: خطرات ترد عليهم فى قضايا الألوهية- فقال النبى ﷺ فى صراحة وقوة: «أَوَ قد وجدتموه؟ ذاك صريح الإيمان» [5]

(١) سورة الممتحنة: الآية: (٨).
(٢) سورة يونس: الآية: (٣٦).
(٣) سورة النجم: الآية: (٢٣).
(٤) سورة النجم: الآية: (٢٨).
(٥) صحيح: رواه مسلم (١٣٢) كتاب الإيمان.

ويروى الحاكم أن ابن عباس وابن عمر التقيا، فقال ابن عباس: أى آية فى كتاب الله أرجى؟ فقال ابن عمر: قول الله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[(١)]. فرضى منه بقوله: ﴿بَلَى﴾، فهذا لما يعترض فى الصدر مما يوسوس به الشيطان.

إنها وسوسة الشيطان سرعان ما يطردها إلهام الملك فى قلب المؤمن، إنها طيف يلوح ثم يختفى، وهاجس يهجس ثم يزول بإسلام الوجه لله. والاعتصام بهداه، وتلاوة آياته: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(٢)] ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[(٣)].

وهى وسط فى أمر النبوة، فلم ترفع الأنبياء إلى مقام الألوهية، فيتجه الناس إليهم بالعبادة أو الاستعانة مع الله، كما اعتقد أهل الملل فى أنبيائهم، ولم تنزل بهم إلى مستوى السفلة من الناس، فتنسب إليهم ارتكاب الموبقات، وفعل المنكرات من شربٍ للمسكرات: واتباع للشهوات، بل قتل للنفوس فى سبيلها - كما رأينا فى وصف أسفار العهد القديم للأنبياء.

وإنما الأنبياء فى عقيدة الإسلام بشر أصفياء، عَلِم الله طيب

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٦٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٠١).

(٣) سورة لقمان: الآية: (٢٢).

معادنهم، وحسن استعدادهم، فأنزل وحيه عليهم: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾(١) وجعلهم أسوة لأتباعهم وعصمهم من قبائح الذنوب ودنىء الأعمال، حتى لا يتوجه إليهم وعيد الله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾(٢) وحتى يكونوا أهلاً لعهد الله ﴿قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(٣).

وهى عقيدة وسط فى قضية الإرادة الإنسانية، قضية الجبر والاختيار، تلك القضية التى حار العقل البشرى فى الوصول إلى رأى فيها، وتنازع فيها الفلاسفة وعلماء الأخلاق والنفس والتربية وغيرهم منذ تفلسف الإنسان إلى اليوم.

عقيدة الإسلام فى هذا هى العقيدة الوسط المطابقة للفطرة السليمة والواقع المشاهد، فالإنسان -فى دائرة أعماله الاختيارية- حُرٌّ مسئول عن نفسه وعمله، له أن يفعل وأن يترك، أن يقدم وأن يحجم كما تشهد بذلك بديهته وإحساسه، وكما تشهد نصوص القرآن ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٤) ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾(٥) ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾(٦)

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٢٤).
(٢) سورة البقرة: الآية: (٤٤).
(٣) سورة البقرة: الآية: (١٢٤).
(٤) سورة الكهف: الآية: (٢٩).
(٥) سورة المزمل: الآية: (١٩).
(٦) سورة المدثر: الآية: (٣٧).

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾[1] ﴿ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[2] إلى غير ذلك من آيات تبلغ المئات، كلها تقرر حرية الإنسان ومسئوليته عن عمله.

ولم يكتف القرآن بهذا التقرير الإيجابى، ولكنه حمل بقوة على الجبريين الذين يلقون بشركهم وأوزارهم على كاهل القدر، محتجين بمشيئة الله... فقال: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾[3].

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾[4].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾[5].

ولكن الإنسان - كما هو الواقع - ليس مطلق الإرادة، كامل الاختيار، بحيث يفعل كل ما يشاء، ويُنفذ كل ما يريد، ولو

---

(١) سورة الجاثية: الآية: (١٥).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٣٣).

(٣) سورة الأنعام: الآية: (١٤٨).

(٤) سورة النحل: الآية: (٣٥).

(٥) سورة يس: الآية: (٤٧).

فعل لكان إلهًا.

ولن يستطيع أحد - مهما بلغ من الانتصار للحرية الإنسانية - أن ينكر هذه المحدودية لإرادة البشر، فقد حكَّموا فيه الوراثة، أو البيئة أو كليهما.

**وقال بعضهم:** «الإنسان حر فى ميدان من القيود»، حتى أولئك الماديون الجدليون قيدوه بوسائل الإنتاج، وظواهر الاقتصاد، فنزلوا بالإنسان إلى أحط مستوى من «الجبرية» حين جعلوه عبدًا خاضعًا لمظاهر المادة، لا سيدًا مهيمنًا عليها كما يقرر الإسلام.

هذه الحقيقة المتفق عليها قررها الإسلام فى صورة أشرف وأكرم للإنسان، فهو حر مختار فى دائرة ما رسم الله للوجود من سُنن، يُجريها بعلمه وحكمته ومشيئته على أجزاء الكون كله، ومنها هذا الإنسان، فهو حر لأن الله أراد له الحرية. أو هو يشاء، لأن الله هو الذى قدر له أن يشاء: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾(١)..

فالقرآن بجانب ما يقرره من حرية الإرادة الإنسانية - يذكر الجانب الآخر، جانب الإرادة الإلهية النافذة، والقدرة الإلهية القاهرة: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِى الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا** ﴾(٢).. ﴿ **وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾(٣).. ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ**

(١) سورة الإنسان: الآية: (٣٠).

(٢) سورة يونس: الآية: (٩٩).

(٣) سورة الكهف: الآية: (٢٣-٢٤).

يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾(١). . ﴿ يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴾(٢). . ﴿ قل كل من عند الله ﴾(٣).

والقرآن قد أدى للحقيقة حقها من كل جوانبها، فلم يغمط الألوهية حقها، كما لم يعد بالإنسان قدره. وكان بشموله واتساع نظرته كتاب العالم كله وكتاب الزمن كله.

* **يقول الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة:**

«إن القرآن كتاب مُوجَّه للإنسانية كلها، وهو ينطبق على جميع طوائف هذه الإنسانية ويعبر عن ذلك تمامًا، فالمتدين الورع، الذى قد نفذ فى كيانه الشعور العميق أنه مخلوق فيريد أن يخرج عن حوله وقوته وينسب الخير لله والشر لنفسه، أو يرى أن ينسب كل شىء لله نسبة ميتافيزيقية لا مادية يجد فى القرآن ما يناسبه ذلك. من مثل: ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾(٤) . . ﴿ **قل كل من عند الله** ﴾(٥).

والمتدين المعتز بفعل الخير، المعترف بمسئوليته فى فعله للشر، يجد ما يرضى شعوره بذاته، ويتفق مع العدالة التى يتصورها. من مثل: ﴿ **من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها** ﴾(٦) ﴿ **فمن يعمل مثقال**

(١) سورة الإسراء: الآية: (٣٠).
(٢) سورة فاطر: الآية: (٨).
(٣) سورة النساء: الآية: (٧٨).
(٤) سورة النساء: الآية: (٧٩).
(٥) سورة النساء: الآية: (٧٨).
(٦) سورة فصلت: الآية: (٤٦)، سورة الجاثية: الآية: (١٥).

ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾(1).

والمذنب المسرف على نفسه يجد إذا تاب وأناب ما يبدد يأسه ويطمئنه على مصيره. من مثل: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(2).

والناظر نظرة فلسفية ميتافيزيقية عميقة يجد ما يلائم نظرته..

والخاسر الذى يزعم أنه هالك قد قُضى عليه بالشر والشقاء يجد ما يقرر وصف حاله.

فالقرآن ليس مُوجَّهًا للسُذَّج ولا للمُصرين على النظر إلى شيء واحد وعلى النظر من جانب واحد، بل هو موجه إلى الإنسانية المتطورة، السائرة فى تطورها نحو الكمال والفكر ونحو النظرة الموحدة» (3)(4).

* * *

(1) سورة الزلزلة: الآيتان: (7-8).

(2) سورة الزمر: الآية: (53).

(3) من تعقيبات الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة على كتاب «تاريخ الفلسفة فى الإسلام» لديبور ص69 .

(4) من كتاب (الإيمان والحياة)/ د . يوسف القرضاوى.

# العدل فى ظل الإسلام[1]

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

* **قال صاحب الظلال رحمه الله:**

لقد جاء هذا الكتاب لينشئ أمة وينظم مجتمعًا، ثم لينشئ عالمًا ويقيم نظامًا، جاء دعوة عالمية إنسانية لا تعصب فيها لقبيلة أو أمة أو جنس؛ إنما العقيدة وحدها هى الآصرة والرابطة والقومية والعصبية.

ومن ثم جاء بالمبادئ التى تكفل تماسك الجماعة والجماعات، واطمئنان الأفراد والأمم والشعوب، والثقة بالمعاملات والوعود والعهود.

جاء «بالعدل» الذى يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل، لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بالود والبغض، ولا تتبدل مجاراة للصهر والنسب، والغنى والفقر، والقوة والضعف، إنما تمضى فى طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع، وتزن بميزان واحد للجميع.

(١) بتصرف من كتاب (صور من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين)/ للمصنف.
(٢) سورة النحل: الآية: (٩٠).

وإلى جوار العدل «الإحسان» يلطف من حدة العدل الصارم الجازم، ويدع الباب مفتوحًا لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه إيثاراً لود القلوب، وشفاء لغل الصدور. ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوي جرحًا أو يكسب فضلاً [1].

## العدل في حياة المصطفى ﷺ

وإذا أردنا أن نتكلم عن العدل فلا نستطيع أن نتكلم عن أهل العدل وننسى أستاذهم ومُعلمهم الذي ربَّاه الحق جل وعلا ليربي به الأمم والأجيال - بأبي هو وأمي ﷺ - وسأكتفي بذكر بعض المواقف وذلك لأن الكلام عن عدله ﷺ سيحتاج إلى مجلدات. ومع ذلك فلن نستطيع أن نوفيه حقه ﷺ.

**فعن عائشة** رضي الله عنها: أنَّ قريشًا أَهَمَّهُم شَأنُ المرأة المَخزُومية التي سَرَقَت فقالوا: من يُكلِّمُ فيها رسولَ الله ﷺ؟ فقالوا: مَن يجتَرِئُ عليه إلا أُسامةُ بنُ زيدٍ حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسامةُ، فقال رسول الله ﷺ: **«أَتَشفعُ في حدٍّ من حُدُود الله تعالى؟»** ثم قامَ فَاختَطَبَ ثم قال: **«إنما أهْلَكَ من قبلكُم أَنَّهُم كَانُوا إذَا سرقَ فيهم الشَّريفُ تَركُوهُ، وإذا سرق فيهم الضَّعيفُ أقامُوا عليه الحدَّ وايْمُ الله، لو أنَّ فاطمَة بنت محمد سرقَتْ لقَطَعْتُ يَدهَا»** [2].

إن الإمام العادل يضع نُصب عينيه قول رسول الله ﷺ وهو

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢١٩٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٧٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٨٨) كتاب الحدود.

القـدوة والأسوة: «**إنى لأرجـو أن أفـارقكم ولا يطلـبنى أحـد منكم بمظلمة ظَلَمته**»(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله تعالى هو: الخالق، القـابض، الباسط، الرازق، المسعِّـر، وإنى لأرجو أن ألقى الله، ولا يطلبنى أحد بمظلمة ظلمتها إياه فى دم ولا مال**»(٢).

## وهذه صورة لعدل النبى صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ورفض الظلم بينهم

روى البـخارى رحـمـه الله عن أبى ذر أنه قـال: كان بينى وبين رجل كلام، وكـانت أمه أعجمـية فنلت منها، فـذكرنى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى: «**أسابيـت فلانًا؟**» قلت: نعم. قال: «**أفَنِلتَ من أمه؟**» قلت: نعم. قال: «**إنك امـرؤ فيك جـاهليـة**». قلت: على حين ساعتى هذه مـن كبر السن؟ قال: «**نعم، هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكـم، فمن جـعل الـله أخاه تحـت يده فليطعـمـه مما يأكل وليلبسـه مما يلبس، ولا يكلفه من العـمل ما يغلبـه، فإن كلفه مـا يغلبه فليُعنه عليه**»(٣).

---

(١) رواه ابن مـاجة (٢٢٠١) عن أبى سـعيد، ورواه أحـمد (١٢١٨١)، والطبـرانى فى «الأوسط» وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» رقم (٢٤٨٠).

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والتـرمذى، وابن ماجه، وابن حبان، والبـيهقى فى «سننه»، وصححه الألبانى فى «غاية المرام» (٣٢٣)، و«صحيح الجامع» رقم (١٨٤٦).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٠٥٠) كتاب الأدب عن أبى ذر.



## وهذا موقف من مواقف عدله ﷺ بين أزواجه رضي الله عنهن

كان النبى ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بِصَحْفة[1] فيها طعام، فَضربَت التى النبى ﷺ فى بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانْفَلَقَت، فجمع النبى ﷺ فلَقَ الصحَفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذى كان فى الصحفة ويقول: «**غارت أمكم**»، ثم حبس الخادمَ حتى أُتِىَ بصحفة من عند التى هو فى بيتها فدفع الصحفة الصحيحة إلى التى كُسِرتْ صحفتها وأمسك المكسورة فى بيت التى كسرت[2].

وفى رواية النسائى[3] عن أم سلمة أنها أتت بطعام فى صحفة لها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فجاءت عائشة مُتَزِرَة بكساء ومعها فِهْر[4] فَفَلَقَتْ به الصحفة، فجمع النبى ﷺ بين فِلْقَتى الصحفة وقال: «**كلوا غارت أمكم**» مرتين، ثم أخذ رسول الله ﷺ صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة وأعطى صحفة أم سلمة عائشة.

* * *

(١) إناء واسع.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٢٢٥) كتاب النكاح.

(٣) صحيح: رواه النسائى (٣٩٥٦) كتاب عشرة النساء، وصححه الألبانى فى الإرواء (٥/ ٣٦٠).

(٤) أى حجر.



# بل هذا عدله ﷺ مع المشركين

فقبل وفاة النبى ﷺ بعامين أرسل أسامة بن زيد رضي الله عنهما على سرية خرجت للقاء بعض المشركين الذين يناوئون الإسلام والمسلمين وكانت تلك أول إمارة يتولاها أسامة.

ولقد أحرز فى مهمته النجاح والفوز، وسبقته أنباء فوزه إلى رسول الله ﷺ ففرح بها وسُرّ.

**ولكن أسامة رضي الله عنه قتل رجلاً من المشركين بعدما قال:** لا إله إلا الله، فقال له رسول الله ﷺ : «**لِمَ قتلته؟**» قال: يا رسول الله؛ أوجع فى المسلمين، وقتل فلانًا وفلانًا، وسمَّى له نفرًا، وإنى حملت عليه، فلما رأى السيف، قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ : «**أقتلته؟**» قال: نعم، قال: «**فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟**» قال: يا رسول الله، استغفر لى[1].

**وفى رواية أخرى:** وصف أسامة رضي الله عنه كيف قتل هذا الرجل وكان مع أسامة رجل من الأنصار.

**قال أسامة** رضي الله عنه: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جُهينة قال: فصبَّحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم. قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٧) كتاب الإيمان.

فكفَّ عنه الأنصارى فطعنته برمحى حتى قتلته. قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبى ﷺ قال: فقال لى: «**يا أسامة، أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟**» قال: قلت: يا رسول الله، إنه إنما كان متعوذًا، قال: «**قتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟**» قال: فما زال يكررها علىَّ حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم (1).

وفى رواية **قال:** فوالذى بعثه بالحق ما زال يرددها علىَّ حتى لوددتُ أنَّ ما مضى من إسلامى لم يكن، وأنى كنت أسلمت يومئذ، وأنى لم أقتله؛ قال: قلت: أنظرنى يا رسول الله، أعاهد الله أن لا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله أبدًا، قال: «**تقول بعدى يا أسامة**»، قال: قُلت بعدك (2).

* وإذا بهذا الدرس العظيم ينتفع به أسامة رضي الله عنه.

فإنه لما حدثت الفتنة بين (على) و (معاوية) رضي الله عنهما اعتزل أسامة تلك الفتنة وقال: «لا أقاتل أحدًا يقول: لا إله إلا الله».

* ولقد أمر رسول الله ﷺ بالعدل مع عامة الناس وخاصتهم حتى الوالد فى ولده فقال: «**اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**» (3).

وأمر الزوج بالعدل بين الزوجات، بل أمر الإنسان نفسه أن يعدل بين نفسه فإذا انقطعت شراك إحدى نعليه خلع الأخرى،

---

(1) متفق عليه: رواه البخارى (٦٨٧٢) كتاب الديات، ومسلم (٩٦) كتاب الإيمان.
(2) ذكره الطبرى فى تاريخه (٢/ ١٤٢) وأصله فى البخارى (١٢/ ٦٨٧٢).
(3) صحيح: رواه البخارى (٢٥٨٧) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

وقال: «**لينعلهما معًا أو ليحفهما معًا**»[1] [2]؟

* بل ها هو ﷺ يقدم نفسه للقصاص... وهو مَن هو؟ هو رسول الله ﷺ وخير خلق الله أجمعين.

فبينما كان رسول الله ﷺ يعدل صفوف جيشه، مرّ بسواد ابن غزية، وهو خارج عن الصف فطعن فى بطنه بعود كان فى يده قائلاً: «**استوِ يا سواد**» وهنا قال سواد: أوجعتنى يا رسول الله، وقد بعثك الله بالحق والعدل، ثم طلب من الرسول ﷺ أن يعطى القصاص من نفسه قائلاً: أقدنى، فلم يتردد ﷺ، وكشف عن بطنه ﷺ ليقتص منه سواد قائلاً له: «**استقد**».

ولكن سواد بدلاً من أن يطعن فى بطن الرسول قصاصًا، أخذ يُقبّلها، فقال له الرسول ﷺ: «**ما حملك على هذا يا سواد؟**».

قال: يا رسول الله حضر ما ترى - يعنى القتال - فأردت أن يكون آخر العهد بك أن مسّ جلدى جلدك، فدعا له الرسول ﷺ بخير[3].

**وروى البخارى عنه قوله ﷺ: «إنما أنا بشر وإنه يأتينى الخصم فلعلّ بعضكم أن يكون ألحن من بعض، فأحسب أنه صادق، فأقضى له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها»**[4].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٨٥٥) كتاب اللباس بنحوه.

(٢) ظلال عرش الرحمن (ص: ٨٨).

(٢) «سلسلة معارك الإسلام الفاصلة» - غزوة بدر - لمحمد أحمد باشميل (ص: ١٥٦ - ١٥٧).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧١٨١) كتاب الأحكام.

## (الصدِّيق) وصور مشرقة من عدله رضي الله عنه

وها هى صورة مشرقة من العــدل نهديها لكل من ولى من أمر المسلمين شيئًا صغيرًا كان أو كبيرًا.

**فمن عــدل الصدِّيق:** أنه سوّى بيــن رعيتــه فى العطاء وقســمة المال، واعتــبر أن سابقــة بعضهم فى الخـيرات إنما يُثاب عليــها فى الدار الآخرة.

**عن عائشــة** رضي الله عنها **قال:** «قسم أبى أول عام الفَــىء، فأعطى الحُرّ عشرة، وأعطى المملوك عــشرة، والمرأة عشرة، وأمَتهــا عشرة، ثم قسّم فى العام الثانى، فأعطاهم عشرين عشرين»(١).

**وقال سهل بن أبى حــثمة** رضي الله عنه: قَدم مال فى خــلافة الصديق، فكان أبو بكر يقسمه على الناس نُفرًا نُفرًا؛ فيصيب كل مائة إنسان كذا وكذا، وكان يسوىّ بين الناس فى القَسْم، الحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير فيه سواء»(٢).

لله دَر أبى بكر من إمام عظيم متــفوق لم تفلت منه مَزيّة، ولم تغب عنه فضيلة.

لله دره كم كان ولاؤه لتطبيق هدى نبيه ﷺ حرفيًّا حتى فى الظروف التى تجيش فيها العواطف وهو أرقّ الناس أفئدة.

لقد كُتب عليه أن يبــدأ عهد خلافته بواقعة امــتحن فيها ولاؤه

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ١٩٣) فى الطبقات.

(٢) إسناده حسن لغيره: أخرجه ابن سعد (٣/ ٢١٢- ٢١٣) ورواه عن غير سهل.

للعدل وهدى نبيه امتحانًا عظيمًا، حين ذهبت إليه فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ تسأله قطعة أرض باعتبارها ميراث أبيها ﷺ، فقال لها أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**»(١)، إنى والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه إلا صنعته، إنى أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ... وهو يعلم أن أولى الناس بالرعاية بنت حِبِّه ورسوله ﷺ فلله دره وهو يحمل إيمان العباقرة لا تثنيه عن عدله أرقّ الوشائج(٢).

## فاروق الأمة عمر رضي الله عنه

## صاحب القلب الرحيم برعيته

وها هى صفحات ناصعة من عدل فاروق الأمة نهديها لكل الأمة.

**أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين:**

وها هى صور مشرقة من رحمة الفاروق رضي الله عنه وشفقته برعيته التى عاشت فى ظل خلافته الراشدة.

**عن زيد بن أسلم عن أبيه قال:** خرجت مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حَرّة واقم حتى إذا كنا بصرار، إذا نار تؤرث،

(١) إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد (٨/ ٣٦٤)، وأصله فى البخارى (٣٠٩٢، ٣٠٩٣).

(٢) نقلاً من ترطيب الأفواه/ د. سيد حسين (١/ ١١٠- ١١١).

فقال: يا أسلم، إنى أرى هؤلاء ركبًا قصَّر بهم الليل والبرد، انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا امرأة معها صبيان لها، وقِدْر منصوبة على النار، وصبيانها يتضاغون فقال عمر: السلام عليكم يا أصحابَ الضَوء، وكره أن يقول: يا أصحاب النار - قالت: وعليك السلام.

قال: أأدنو؟ قالت: ادنُ بخير أو دَعْ، فدنا فقال: ما بالُكم؟ قالت: قصّر بنا الليل والبرد، قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع.

قال: وأى شىء فى هذا القِدْر؟ قالت: ماء أُسكِّتهم به حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر قال: أى رحمك الله، مَا يُدرى عمر بكم؟ قالت: يتولى أمرنا، ويغفل عنَّا! فأقبل علىّ فقال: انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلاً فيه كُبّة شحم فقال: احمله علىّ! فقلت: أنا أحمله عنك، قال: احمله علىَّ، مرتين أَو ثلاثًا، كل ذلك أقول: أنا أحمله عنك، فقال لى فى آخر ذلك: أنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة؟! لا أُمَّ لك، فحمّلته عليه، فانطلق، وانطلقت معه نهرول، حتى انتهينا إليها، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئًا، فجعل يقول لها: ذُرّى علىّ، وأنا أحرِّك لك، وجعل ينفخ تحت القدر - وكان ذا لحية عظيمة - فجعلتُ أنظر إلى الدخان من خَلَل لحيته حتى أنضج وأدُمَ القِدرُ، ثم أنزلها، وقال: ابغنى شيئًا فأتته بصحفة

فأفرغها فيها، ثم جعل يقول: أطعميهم، وأنا أسطِّح لك، فلم يزل حتى شبعوا، ثم خلّى عندها فضل ذلك، وقام وقمت معه، فجعلت تقول: جزاك الله خيرًا، أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين! فيقول: قولى خيرًا، إنك إذا جئت أمير المؤمنين، وجدتنى هناك إن شاء الله.

ثم تنحَّى ناحية عنها، ثم استقبلها وربَض مربض السبعُ، فجعلت أقول له: إن لك شأنًا غير هذا، وهو لا يكلمنى حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون، ثم ناموا، وهدؤوا فقام، وهو يحمد الله ثم أقبل علىّ فقال: يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم(1).

*** لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنَّا نفرض لكل مولود فى الإسلام:**

وعن ابن عمر قال: قَدِمتْ رفقة من التجار فنزلوا المُصلىَّ فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسَهم الليلة من السُّرَّاق؟ فباتا يحرسانهم، ويصليان ما كتب الله لهما، فسمع عمر بكاء صبىّ فتوجه نحوه فقال لأمه: اتقى الله، وأحسنى إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاءه

---

(1) تاريخ الطبرى (٥٦٨/ ٢) بسند رجاله رجال الصحيح، وأخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد (٣٨٢) فى الفضائل.

فأتى أمه فقال: ويحك: إنى لأراك أم سَوْءٍ، ما لى أرى ابنك لا يَقرّ منذ الليلة؟.

**قالت:** يا عبد الله قد أبرمتنى منذ الليلة، إنى أُريغُه عن الفطام فأبى... قال: ولِمَ؟

**قالت:** لأن عمر لا يفرض إلا للفُطم، قال: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهراً، قال: ويحك لا تعجليه!.

فصلى الفجر، وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء، فلما سلّم قال: يا بؤسًا لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين؟ ثم أمر مناديًا فنادى: ألا لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق، أن يُفرض لكل مولود فى الإسلام[1].

*** والله ما أملك قميصًا غيره:**

وعن قسامة بن زهير قال: وقف أعرابى على عمر بن الخطاب فقال:

*يا عُمَرَ الخير جُزيت الجَنَّة*
*جَهِّز بُنَيَّاتى واكسُهنه*
*أقسمُ بالله لتفعلنَّهْ*

**قال:** فإن لم أفعل يكون ماذا يا أعرابى؟

**قال:** أقسم بالله لأمضينه.

**قال:** فإن مضيت يكون ماذا يا أعرابى؟

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٣/ ٢٢٨/ ٢٢٩) ورجاله ثقات.

والله عن حالى لَتُسْألَنَّهْ
ثمَّ تكونُ المسألات عنَّهْ
والواقفُ المسئول بينَهُنَّه
إمَّا إلى نار وإمَّا جَنَّةً

قال: فبكى عمر حتى اخضلت لحيته بدموعه، ثم قال: يا غلام، أعطه قميصى هذا، لذلك اليوم لا لشعره، والله ما أملك قميصًا غيره! (١).

*** ما لى أرى خُدَّامكم لا يأكلون معكم؟!!!**

**وعن ابن عباس** رضي الله عنهما **قال:** قَدِم علينا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه حاجًّا فصنع له صفوان بن أمية طعامًا قال: فَجاؤوا بجفنة يحملها أربعة، فوضعت بين القوم فأخذ القوم يأكلون، وقام الخُدّام فقال عمر: ما لى أرى خُدامكم لا يأكلون معكم، أترغبون عنهم؟ فقال: سفيان بن عبد الله: لا والله يا أمير المؤمنين ولكننا نستأثر عليهم، فغضب غضبًا شديدًا، ثم قال: ما لقوم يستأثرون على خُدَّامهم؟ فعل الله بهم وفعل، ثم قال: للخُدّام اجلسوا، فكلوا، فقعد الخدام يأكلون، ولم يأكل أمير المؤمنين(٢).

* * *

(١) أخرجه ابن الأثير فى أُسد الغابة (٤/ ١٥٥) بسند صحيح، والخبر فى مناقب عمر لابن الجوزى وغيره.
(٢) أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» (٢٠١)، وقال الألبانى فى صحيح الأدب (١٤٨): صحيح الإسناد.

# حرصه على العدل ﷺ ونصائحه للولاة

كان الفاروق ﷺ حريصًا على العدل غاية الحرص؛ ولذا كان ينتقى (الولاة) انتقاءً فكان لا يعطى الولاية لمن يحرص عليها، بل كان يعطيها لأهل الزهد والعفاف والتقوى، وكان يحرص على أن يتابعهم ويوصيهم بالناس خيرًا.

**عن ابن خزيمة بن ثابت الأنصارى قال:** كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له عهدًا، وأشهَد عليه رهطًا من المهاجرين والأنصار واشترط عليه ألا يركب برذونًا، ولا يأكل نقيًّا، ولا يلبس رقيقًا، ولا يتخذ بابًا دون حاجات الناس [1].

### * ارجع إلى عملك ولا تعد:

وبينما عمر بن الخطاب يتصفح الناس يسألهم عن أخبار أمرائهم؛ إذ مرَّ بأهل حِمْص، فقال: كيف أنتم؟ وكيف أميركم؟ قالوا: خير أمير يا أمير المؤمنين، إلا أنه قد بنى عُلِّيَّة يكون فيها.

فكتب كتابًا وأرسل بريدًا، وأمره إذا جئت باب عُلِّيَّته فاجمع حطبًا وأحرق الباب.

فلما قَدِم جمع حطبًا، وأحرق باب العُلية، فدخل عليه الناس، وذكروا أن ها هنا رجلاً يحرق باب عليتك!

**فقال:** دعوه فإنه رسول أمير المؤمنين، ثم دخل عليه فناوله الكتاب، فلم يضع الكتاب من يده حتى ركب، فلما رآه عمر قال:

---

(١) تاريخ الطبرى (٢/ ٥٦٩) بسند صحيح.

احبسـوه عنى فى الشمس ثلاثة أيام، فحُبس عنه ثلاثًا، حتى إذا كان بعد ثلاث، قال: يا ابن قرط! الحقنى إلى الجرَّة - وفيها إبل الصدقة، وغنمها - حتى إذا جاء الحرَّة ألقى عليه جبة، وقال: انزع ثيابك واتزر بهذه... ثم ناوله الدلو فقال: اسق هذه الإبل، فلم يفرغ حتى لَغَب (أى تعب).

**فقال:** يا ابن قرط! متى كان عهدك بهذا؟ أى بالإمارة.

**قال:** مليًّا (أى زمانًا) يا أمير المؤمنين.

**قال:** فلهذا بنيت العُلِّيَّة وأشرفت بها على المسلمين، والأرملة واليتيم.... ارجع إلى عملك ولا تعد(١).

* **والله لو أن أهل صنعاء اشتركوا فى قتله لقتلتهم أجمعين.**

وعن زيد بن وهب قال: خرج عمر رضي الله عنه ويداه فى أذنيه وهو يقول: يا لبيكاه!يالبيكاه! قال الناس: ما له؟!!

**قال:** جاءه بريدٌ من بعض أمرائه، أن نهرًا حال بينهم وبين العبور، ولم يجدوا سفُنًا فقال أميرهم: اطلبوا لنا رجلاً، يعلم غور الماء فأُتى بشيخ، فقال: إنى أخاف البرد، (وذلك فى البرد)، فأكرهه، فأدخله، فلم يلبثه البرد، فجعل ينادى: يا عمراه.... يا عمراه.... فغرق.

فكتب إليه فأقبل فمكث أيامًا معرضًا عنه، وكان إذا وَجَد على أحدٍ منهم فعل به ذلك، ثم قال: ما فعل الرجل الذى قتلته؟!

(١) الرياض النضرة (٢/ ٥٥).

**قال:** يا أمير المؤمنين، ما تعمدت قتله، لم نجد شيئًا نعبر فيه وأردنا أن نعلم غور الماء، ففتحنا كذا وكذا، وأصبنا كذا وكذا (أى من الغنيمة).

**فقال عمر:** لَرَجلٌ مسلم أحب إلىّ من كل شىء جئت به، لولا أن تكون سُنّة!! لضربت عنقك، اذهب فأعط أهله ديته، واخرج فلا أراك(١).

**وعن المغيرة بن حكيم الصنعانى عن أبيه قال:** أن امرأة بصنعاء غاب عنها زوجها، وترك فى حجرها ابنًا له من غيرها غلامًا يقال له أصيل، فاتخذت المرأة بعد زوجها خليلاً فقالت له: إن هذا الغلام يفضحنا فاقتله فأبَى، فامتنعت منه، فطاوعها، فاجتمع على قتل الغلام الرجل، ورجل آخر، والمرأة، وخادمها فقتلوه، ثم قطعوه أعضاء، وجعلوه فى عيبة (هى وعاء من أدم) فطرحوه فى ركية (هى البئر التى لم تُطو) فى ناحية القرية ليس فيها ماء، فَأُخِذَ خليلها، فاعترف ثم اعترف الباقون فكتب يعلى - وهو يومئذ أمير - بشأنهم على عمر فكتب إليه عمر بقتلهم جميعًا، وقال: والله لو أن أهل صنعاء اشتركوا فى قتله لقتلتهم أجمعين»(٢).

*** اتق الله وأشبع المسلمين مما تشبع منه:**

وذات يوم يتلقى الفاروق هدية من الحلوى، ولا تكاد توضع بين يديه حتى يسأل الرسول الذى جاء يحملها: ما هذا؟

(١) أخرجه البيهقى (٨/ ٣٢٢ - ٣٢٣) وإسناده صحيح.
(٢) رواه البخارى رقم (٦٨٩٦) فى الديات مختصرًا، وانظر الفتح (١٢/ ٢٨١).

**قال:** حلوى يصنعها أهل أذربيجان، وقد أرسلنى بها إليك عتبة ابن فرقد - وكان واليًا على أذربيجان -، فذاقها عمر، فوجد لها مذاقًا شهيًّا، فعاد يسأل الرسول: أَكُل المسلمين هناك يطعمون هذا؟.

**قال الرجل:** لا . . . وإنما هو طعام الخاصة.

**فقال عمر للرجل:** أين بعيرك؟ خذ جملك هذا، وارجع به لعتبة، وقل له: عمر يقول لك، اتق الله، وأشبع المسلمين مما تشبع منه. . . !!

وفى عام الرمادة أمر يومًا بنحر جزور، وتوزيع لحمه على أهل المدينة، وعند الغداء، وجد عمر أمامه سنام الجزور، وكبده، وهما أطيب ما فيه. . . ! فقال: من أين هذا؟ قيل: من الجزور الذى ذُبح اليوم، قال: «بخٍ بخٍ» بئس الوالى أنا إن طعمت طيبها، وتركت للناس كراديسها» يعنى عظامها، ثم نادى خادمه (أسلم)، وقال له: يا أسلم، ارفع هذه الجفنة وائتنى بخبز وزيت.

لله درك من إمام وعاهل منقطع النظير، وصاحب العدل فى ذراه العالية التى تنقطع الأنفاس دون بلوغها.

*** بدون عنوان!!!**

لم أجد كلامًا يعبر عن مدى ورع الفاروق ﷺ فجعلت هذه الفقرة بدون عنوان.

قدم بريد ملك الروم على عمر بن الخطاب، فاستقرضت امرأة عمر بن الخطاب دينارًا فاشترت به عطرًا، وجعلته فى قوارير،

وبعثت به مع البريد إلى امرأة ملك الروم، فلما أتاها فرغتهن وملأتهن جواهر، وقالت: اذهب به إلى امرأة عمر بن الخطاب، فلما أتاها فرغتهن على البساط، فدخل عمر بن الخطاب، فقال: ما هذا؟ فأخبرته الخبر، فأخذ عمر الجواهر، فباعها، ودفع إلى امرأته دينارًا، وجعل ما بقى من ذلك فى بيت مال المسلمين[1].

**وعن إسماعيل بن محمد الوقاصى رحمه الله:** قَدِم على عمر مسك وعنبر من البحرين، فقال عمر: والله لوددت أنى وجدت امرأة حسنة الوزن تزن لى هذا الطِّيب، حتى أقسمه بين المسلمين، فقالت له امرأته عاتكة بنت زيد: أنا جيدة الوزن، فهلم أزن لك، قال: لا، قالت: لِمَ؟ قال: إنى أخشى أن تأخذيه فتجعلينه هكذا: وأدخل أصابعه فى صدغيه، وتمسحين به عنقك، فأصيب فضلاً على المسلمين[2].

### * ويحك تسقينى نارًا؟!!!

**قال ابن نجيح:** نزلت على عمر رضي الله عنه فكانت له ناقة يحلبها، فانطلق غلامه ذات يوم فسقاه لبنًا أنكره، فقال: ويحك من أين هذا اللبن لك؟

**قال:** يا أمير المؤمنين، إن الناقة انفلت عليها ولدها فشربها، فحلبت لك ناقة من مال الله.

---

(١) صحيح: أخرجه ابن عساكر فى «تاريخه» (٥٢/ ٢٧٧، ٢٧٨).

(٢) حسن لغيره: أخرجه ابن أبى الدنيا فى «الورع» وأحمد فى «الزهد» وفى «الورع».

**فقال:** ويحك تسقينى نارًا، ادع لى على بن أبى طالب.

**قال:** فدعاه، فقال: إن هذا عمد إلى ناقة من مال الله فسقانى بعضها، أفتحله لى؟

**قال:** نعم، هو لك حلال يا أمير المؤمنين[1].

### * وأنا والله ما نسيتها بعد:

**وعن إياس بن سلمة عن أبيه قال:** مَرّ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وأنا فى السوق وهو مارّ فى حاجة له، ومعه الدرة قال: هكذا أمط عن الطريق يا سلمة، قال: ثم خفقنى بها خفقة، فما أصاب إلا طرف ثوبى، فأمطت عن الطريق، فسكت عنى حتى كان فى العام المقبل فلقينى فى السوق فقال: يا سلمة أردت الحج العام؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأخذ بيدى، فما فارقت يدى يده حتى دخل بى بيته، فأخرج كيسًا فيه ستمائة درهم فقال: يا سلمة استعن بهذه، واعلم أنها من الخفقة التى خفقتك عام أول قلت: والله يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتى ذكرتنيها! قال: وأنا والله ما نسيتها بعد.

### * يا عمر عدلت فأمنت فنمت!!!:

أرسل قيصر روما رسولاً إلى عمر بن الخطاب لينظر أحواله ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال: أين ملككم؟ فقالوا: ما لنا ملك، بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة، فخرج

---

(١) إسناده صحيح: ابن أبى شيبه (٢/ ٧٠٣)، وابن الجوزى فى «المناقب» (ص: ١٣٩).

الرسول فى طلبه، فرآه نائمًا فى الشمس على الأرض فوق الرمل الحار وقد وضع جُبته كالوسادة والعرق يسقط من جبينه وقد بلّ الأرض، فلما رآه على هذه الحال وقع الخشوع فى قلبه وقال: رجل لا يقر للملوك قرار من هيبته وتكون هذه حاله! ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت، وملكنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهرًا خائفًا، أشهد أن دينك الدين الحق ولولا أننى أتيت رسولاً لأسلمت، ولكنى أعود وأُسلم»(١).

وعن أنس بن مالك أن الهرمزان رأى عمر بن الخطاب نائمًا فى مسجد المدينة فقال: هذا والله هو الملك الهنىء(٢).

## عثمان بن عفان رضي الله عنه وخلافته الراشدة

ولما آلت الخلافة إلى عثمان بن عفان رضوان الله عليه فتح الله على يديه «أرمينية» و «القوقاز» . . . ونصر المسلمين وسوَّدهم على «خُراسان»، و«كرمان»، و«سجستان»، و«قبرص» وطرف غير قليل من إفريقية.

ولقى الناس فى عهده من الثراء ما لم يحظ به شعبٌ على ظهر الأرض.

### * صفحة ناصعة من عدله رضي الله عنه:

وها هى صفحة ناصعة البياض من عدله رضي الله عنه.

---

(١) «الفاروق فى شعر حافظ إبراهيم» لسليمان محمد سليمان (ص: ٨٠).

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر، ترجمة عمر بن الخطاب (ص: ٢٧٢).

عثمان الرحيم الذى تشع الرحمة فى حياته، وتكون نبراسًا لكل تصرفاته، يغضب على خادم له يومًا، فيفرك أذنه حتى يوجعه.... ثم سرعان ما يدعو خادمه ويأمره أن يقتص منه فيفرك أذنه.... ويأبى الخادم، ويأمره فى حزم فيطيع: «اشدد يا غلام، فإن قصاص الدنيا أرحم من قصاص الآخرة».

## على بن أبى طالب رضي الله عنه وصفحات مشرقة من عدله وورعه

عن على بن الأرقم، عن أبيه قال: رأيت عليًّا، وهو يبيع سيفًا له فى السوق، ويقول: من يشترى منى هذا السيف، فوالذى فلق الحبة لطالما كشفت به عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان عندى ثمن إزار ما بعته[1].

**وعن عبد الله بن زُرير رحمه الله قال:** دخلت مع على رضي الله عنه يوم الأضحى، فقرّب إلينا خزيرة[2]، فقلنا: أصلحك الله لو أطعمتنا من هذا البط فإن الله قد أكثر الخير فقال: يا ابن زرير، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا يحلّ للخليفة من مال الله إلا قصعتان: قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يطعمها بين الناس**»[3].

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى «مصنفه» (٨/ ١٥٧)، وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٨٣).

(٢) طعام عبارة عن لحم يقطع صغارًا، ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُرّ عليه الدقيق، وقيل: الحساء من سمن ودقيق.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٧٨) وفيه ابن لهيعة، لكن الراوى عنه فى رواية حرملة عن ابن وهب، وهو أحد العبادلة وانظر السلسلة الصحيحة (٣٦٢).

وكان ﷺ يمشى فى أسواق الكوفة وهو خليفة المسلمين، فيرشد الضال ويعين الضعيف ويلتقى بالشيخ المُسنَّ الكهل، فيحمل عنه حاجته، ولا يسكن قصر الإمارة ويقول: «قصر الخبال هذا، لا أسكنه أبدًا».

**ولما طُعِن** ﷺ: وهو يتهيأ للصلاة، بعد أن مرَّ بشوارع الكوفة يوقظ أهلها لصلاة الفجر... قال لبنيه بعد أن علم قاتله: «أحسنوا نُزله، وأكرموا مثواه، فإن أعش، فأنا أولى بدمه قصاصًا أو عفوًا، وإن أمت، فألحقوه بى، أخاصمه عند رب العالمين، ولا تقتلوا بى سواه، إن الله لا يحب المعتدين».

## رحلة العدل مع عمر بن عبد العزيز ﷺ

وها نحن نتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع ذلكم الرجل الذى كان ثمرة من ثمرات العدل والمراقبة.

فلقد أصدر عمر بن الخطاب ﷺ قانونًا يمنع غش اللبن بخلطه بالماء، ولكن هل تستطيع عين القانون أن ترى كل مخالف وأن تقبض على كل خائن وغاش؟!.

القانون أعجز من هذا فإن عين الإنسان لها حدود لا تتجاوزها، أما عين الله فلا يُعجزها شىء، فالإيمان بالله والمراقبة له هو الذى يعمل عمله فى هذا المجال.

وهنا تُحكى القصة المشهورة... **حكاية الأم وابنتها:** الأم تريد أن تخلط اللبن طمعًا فى زيادة الربح والبنت المؤمنة تُذكرها بمنع أمير المؤمنين لهذا الأمر فتقول الأم: وهل أمير المؤمنين يرانا؟. فترد الابنة بهذا الجواب الذى نبع من قلب مؤمن بالله، ويعلم أن الله مطلع عليه، قالت: إن كان أمير المؤمنين لا يرانا، فرب أمير المؤمنين يرانا، فما كان من عمر الذى سمع تلك المقالة من هذه الفتاة الصالحة المراقبة لله عز وجل إلا أن قام إلى أولاده، وقال: ليذهب أحدكم إلى تلك الفتاة فليتزوجها، فإنى لأرجو الله أن يُخرج من أصلابها رجلاً يوحد الله به كلمة المسلمين، وكان الذى توقعه عمر ﷺ، فقد تزوجها ابنه عاصم فأنجبت له بنتًا سموها ليلى وكنَّوها بأم عاصم ثم تزوجت ليلى بعبد العزيز بن مروان، فأنجبت له الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز الذى قاد المسلمين إلى كل خير، وهكذا تكون نتيجة المراقبة لله جل وعلا[1].

* إنه عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى الراشد الذى يقول فيه مالك بن دينار:

**يقولون:** مالك زاهد! أىُّ زهد عندى؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، أتته الدنيا فاغرة فاها، فتركها جملة!

أجل، فلم يكن له فى خلافته سوى قميص واحد يلبسه، فكان إذا غسلوه جلس فى المنزل حتى ييبس، وهو الذى نشأ وشَبَّ فى

(١) إنا عرضنا الأمانة/ للمصنف (ص: ١٠٤ : ١٠٥).

أحضان النعيم.

ودخل على امرأته يومًا فسألها أن تُقرضه درهمًا يشترى به عنبًا، فلم يجد عندها شيئًا، فقالت له: أنت أمير المؤمنين وليس فى خزانتك ما تشترى به عنبًا؟ فقال: هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غدًا فى نار جهنم.

وقد اجتهد فى مدة ولايته مع قصرها حتى رَدَّ المظالم وصرف إلى كل ذى حقٍّ حقه، وكان مناديه ينادى فى كل يوم: أين الغارمون؟ أين الراغبون فى الزواج؟ أين اليتامى؟ أين المساكين؟ حتى أغنى كُلاً من هؤلاء.

ومع عدله وزُهده، وردِّه للمظالم، وشدته على نفسه وأقاربه كان يُناجى ربه فيقول: اللهم إن عمر ليس أهلاً أن تناله رحمتك، ولكن رحمتك أهلٌ أن تنال عمر.

**وأثنى عليه رجل فقال له:** جزاك الله عن الإسلام خيرًا يا أمير المؤمنين، فقال جزى الله الإسلام عنى خيرًا [1].

* إنه عمر الإمام العادل الذى يخرج متنكرًا ومعه غلامه مزاحم إلى مفارق طرق بعيدة تعبرها قوافل المسافرين يسأل الغادين والرائحين عن بلادهم.

**يقول لرجل:** كيف تركت الناس فى بلدك؟

**فقال الرجل:** إن شئت جمعت لك خبرى، وإن شئت بعضتُه تبعيضًا.

(١) البداية والنهاية للإمام ابن كثير (٩/ ١٩٢ وما بعدها).

**فقال عمر**: بل اجمعه، فقال الرجل: «تركت البلاد الظالم بها مقهور، والمظلوم منصور، والغنى موفور، والفقير مجبور».

**وتحدرت الدموع من عينى عمر وهو يقول لمزاحم**: «والله لأن تكون البلاد كلها على ما وصف هذا الرجل، لأحب إلىَّ مما طلعت عليه الشمس».

**لله دره حين يقول**: «والله لو لم ينهض الحق ويدحض الباطل إلا بتقطيع أوصالى وأعضائى لأمضيت ذلك وأنا سعيد!!».

## هذا هو العدل فى ظل الإسلام

وانظر إلى عدل (عمر بن عبد العزيز) الرائع الباهر وموقفه الجميل من قضية «كنيسة يوحنا» بدمشق، فقد كان «الوليد بن عبد الملك» قد هدم جزءًا كبيرًا من كنيسة يوحنا ليقيم عليه امتداد المسجد الأموى، وصار هذا الجزء مسجدًا، وإن أقصى ما يستطيعه حاكم عادل فى مثل هذا الموقف أن يعطى تعويضًا سخيًّا أو أرضًا بديلة، لكن «عمر بن عبد العزيز» يتعامل مع العدل والحق بأسلوب مختلف عن أساليبنا، إنه أسلوب جليل!!

وهكذا أصدر أمره العجيب بهدم ذلك الجزء الكبير من المسجد وإعادة الأرض التى أُقيم عليها إلى الكنيسة!!

ودارت الأرض بعلماء دمشق وفقهائها، فأرسلوا وفدهم لإقناع أمير المؤمنين بالعدول عن قراره، ولكن أمير المؤمنين أصدر أمرًا

جديدًا حدد فيه اليوم بل الساعة التى يجب أن تتم فيها عملية الهدم والتسليم!!.

ولم يجد العلماء سبيلاً لإنقاذ المسجد سوى أن يفاوضوا زعماء الكنيسة فى دمشق، ويعقدوا معهم اتفاقًا يرضونه، ويتنازلون بموجبه عن الجزء المأخوذ من كنيستهم، ثم يذهب وفد من الفريقين لإبلاغ الخليفة نبأ الاتفاق، فيحمد الله عليه، ثم يُقره ويرضاه!! (١).

### * حصِّن مدينتك بالعدل ونقِّ طرقها من الظلم:

**كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه:** «أما بعد، فإن مدينتنا قد خربت، فإن يرى أمير المؤمنين أن يقطع لنا ما نرمُّها به فعل».

**فكتب إليه عمر:** «أما بعد، فقد فهمت كتابك، وما نكرت أن مدينتكم قد خربت فإذا قرأت كتابى هذا فحصنها بالعدل، ونقِّ طرقها من الظلم فإنه مرمتها، والسلام».

وكتب إليه واليه على خراسان يستأذنه فى أن يرخِّص له باستخدام بعض القوة والعنف مع أهلها قائلاً فى رسالته له: «إنهم لا يصلحهم إلا السيف والسوط» فكان ردُّه التقى الحازم «كذبت... بل يصلحهم العدل والحق، فابسط ذلك فيهم، واعلم أن الله لا يُصلح عمل المفسدين».

### * إلى فرتونة السوداء!!!

وما أجمل أن نتدبر سويًا هذه القصة التى تُثلج القلوب.

(١) «خلفاء الرسول» لخالد محمد خالد (ص: ٥٨٠ - ٥٨١) - طبع دار الجيل.

فها هو عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

كتبت إليه سوداء مسكينة تسمى «فرتونة السوداء» من الجيزة بمصر، أن لها حائطًا متهدمًا لدارها، يتسوره اللصوص ويسرقون دجاجها، وليس معها مال تنفقه فى هذا السبيل.

فيكتب عمر إلى واليه على مصر «أيوب بن شرحبيل»: «من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى أيوب بن شرحبيل، سلام الله عليك: أما بعد، فإن فرتونة السوداء كتبت إلىَّ تشكو إلىَّ قِصر حائطها، وأنَّ دجاجها يُسرق منها، وتسأل تحصينه لها، فإذا جاءك كتابى هذا، فاركب بنفسك وحصِّنه لها».

وكتب إلى فرتونة: «من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء: سلام الله عليك، أما بعد: فقد بلغنى كتابك وما ذكرت فيه من قِصَر حائطك، حيث يُقتحم عليك ويُسرق دجاجك... وقد كتبت إلى أيوب بن شرحبيل، آمره أن يبنى لك الحائط حتى يُحصنه مما تخافين، إن شاء الله»، يقول ابن عبد الحكم راوى هذه القصة الباهرة: «فلما جاء الكتاب إلى أيوب ابن شرحبيل، ركب بنفسه حتى أتى الجيزة، وظل يسأل عن فرتونة حتى وجدها، فإذا هى سوداء مسكينة، فأعلى لها حائطها».

*** لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم أحب إلىَّ من أن ألقى الله بدمائهم:**

كتب عدى بن أرطأة إلى عمر بن عبد العزيز: «من عدى بن

أرطأة: أمـا بعد، أصلح الله أمـير المؤمنين، فـإن قِبلى أُناسًـا من العمَّال قد اقتطعوا من مـال الله عز وجل مالاً عظيمًا، لست أرجو استخراجه من أيديهم، إلا أن أمسهم بشىء من العذاب، فإن رأى أمير المؤمنين أصلحه الله أن يأذن لى فى ذلك، أفعل».

فأجابه عمر: «أما بعد، فالعجب كل العجب من استئذانك إياى فى عذاب بـشر، كأنى جُنَّة مـن عذاب الله، وكأن رضـائى عنك ينجـيك من سـخط الله عـز وجل، فـانظر من قـامت عليـه بينة عدول، فخذه بما قامت عليه به البينة، ومن أقرَّ لك بشىء فخذه بما أقرَّ به، ومن أنكر فـاستحلفه بالله العظيم وخلِّ سـبيله، . . . وايم الله، لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم أحب إلىَّ من أن ألقى الله بدمائهم. . . والسلام»[1].

* **لوددت أن الناس كلهم يسلمون حتى تكون أنا وأنت حراثين:**

وكان ﷺ لا ينسى المهمة الأولى فى حياة المسلم وهى أن يُعبِّد الناس أجمعين لله رب العالمين.

كـما قـال ربعى بن عـامـر ﷺ لرستم قـائد الفـرس: نحن قومٌ ابتعثنا الله لنُخرج العباد من عبـادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عـدل الإسلام ومن ضيق الـدنيا إلى سعـة الدنيا والآخرة.

وهذا عمر بن عبد العزيز ﷺ يرسل إليه عدى بن أرطأة واليه

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز (ص: ١٠٣).

على العراق: «إن الناس قد دخلوا فى الإسلام أفواجًا حتى خشيت أن يقلَّ الخراج، فيجيبه الخليفة المقسط العظيم بكلماته الوضيئة: «إن الله بعث محمدًا هاديًا ولم يبعثه جابيًا، والله لوددت أن الناس كلهم يسلمون، حتى تكون أنا وأنت حراثين، نأكل من كسب أيدينا!».

## * حتى الدواب كان لها نصيب من رحمته:

**كتب عمر إلى واليه على مصر:** «أما بعد، فقد بلغنى أن الحمَّالين فى مصر يحملون على ظهور الإبل فوق ما تطيق... فإذا جاءك كتابى هذا، فامنع أن يُحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل».

**وقال أبو عثمان الثقفى:** كان لعمر بن عبد العزيز غلام على بغلٍ له يأتيه بدرهم كل يوم، فجاءه يومًا بدرهم ونصف، فقال: ما بدا لك، قال: نفقت السوق، قال: لا، ولكنك أتعبت الخيل، أجمّه ثلاثة أيام»(1) - أى: اترك الخيل ترتاح ثلاثة أيام -.

## * أصلحت ما بينى وبين ربى فأصلح الله ما بين الذئب والغنم:

**قال مالك بن دينار:** «لما ولى عمر بن عبد العزيز رحمه الله قالت رعاة الشاة فى ذروة الجبال: من هذا الخليفة الصالح الذى قد قام على الناس؟ فقيل لهم: وما علمكم بذلك؟ قالوا: إنا إذا قام على الناس خليفة صالح، كفَّت الذئاب والأسد عن شأننا»(2).

(1) سيرة عمر بن عبد العزيز/ لابن الجوزى (ص: ٩٧).
(2) المرجع السابق (ص: ٨٧).

وفى رواية: أنه دخل عليه راعى غنم فقال له: يا أمير المؤمنين لقد حدث عندى شيء عجيب، قال له: وما ذاك. فقال الراعى: إن الذئب يأتى كل ليلة لينام فى حضن الغنم، فقال: لا عجب فى ذلك فلقد أصلحت ما بينى وبين ربى فأصلح الله ما بين الذئب والغنم.

## محمود بن سبكتكين (رحمه الله) فاتح الهند

*** آليت على نفسى أن لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أنصرك:**

وها هو (محمود بن سبكتكين) رحمه الله الذى سطَّر على جبين التاريخ صفحة مضيئة من العدل.

**قال عنه ابن كثير:** كان عادلاً جيدًا، اشتكى إليه رجل أن ابن أخت الملك يهجم عليه فى داره وعلى أهله، فى كل وقت، فيخرجه من البيت ويختلى بامرأته، وقد حار فى أمره، وكلما اشتكاه لأحد من أولى الأمر لا يجسر أحد عليه؛ خوفًا وهيبة للملك، فلما سمع الملك ذلك، غضب غضبًا شديدًا، وقال للرجل: ويحك، متى جاءك فأتنى فأعلمنى ولا تسمعن من أحد منعك من الوصول إلىَّ، ولو جاءك فى الليل فأتنى فأعلمنى.. ثم إن الملك تقدم إلى الحجبة وقال لهم: إن هذا الرجل متى جاءنى لا يمنعه أحد من الوصول إلىَّ من ليل أو نهار، فذهب الرجل مسرورًا داعيًا، فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى هجم عليه ذلك

الشاب فأخرجه من البيت، واختلى بأهله، فذهب باكيًا إلى دار الملك، فقيل له: إن الملك نائم، فقال: قد تقدم إليكم أن لا أُمنع منه ليلاً ونهارًا، فنبهوا الملك، فخرج معه بنفسه وليس معه أحد، حتى جاء إلى منزل الرجل فنظر إلى الغلام وهو مع المرأة فى فراش واحد، وعندهما شمعة تُقد، فتقدم الملك فأطفأ الضوء، ثم جاء فاحتز رأس الغلام، وقال للرجل: ويحك، الحقنى بشربة ماء، فأتاه بها فشرب، ثم انطلق الملك ليذهب، فقال له الرجل: بالله لِمَ أطفأت الشمعة، قال: ويحك إنه ابن أختى، وإنى كرهت أن أشاهده حالة الذبح، فقال: ولِمَ طلبت الماء سريعًا؟ فقال الملك: إنى آليت على نفسى منذ أخبرتنى، أن لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أنصرك، وأقوم بحقك فكنت عطشان هذه الأيام كلها، حتى كان ما كان فما رأيت، فدعا له الرجل، وانصرف الملك راجعًا إلى منزله ولم يشعر بذلك أحد»(1).

* **عودة إلى العدل فى زمن المهدى:**

وبعد غياب العدل عن دنيا الناس سنوات وسنوات يرجع مرة أخرى بظهور المهدى المنتظر الذى يملأ الأرض كلها عدلاً وقسطًا.

**قال رسول الله ﷺ: «لتُملأنَّ الأرضُ ظلمًا وعدوانًا، ثم ليخرجن رجل من أهل بيتى، حتى يملأها قسطًا وعدلاً، كما مُلئت ظلمًا وعدوانًا»(2).**

---

(1) البداية والنهاية (12/ 33).

(2) صحيح: أخرجه الحارث، وأحمد (3/ 36)، وابن حبان (15/ 236)، والحاكم (4/ 600) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (5074).

وقال رسول الله ﷺ: «المهدى من عترتى من ولد فاطمة»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «لتُمْلأن الأرض جَوْرًا وظلمًا، فإذا مُلئت جورًا وظلمًا، يبعث الله رجلاً منى، اسمه كاسمى، واسم أبيه كاسم أبى، فيملؤها عدلاً وقسطًا، كما مُلئت جورًا وظلمًا، فلا تمنع السماء من قطرها(٢)، ولا الأرض شيئًا من نباتها، يمكث فيكم سبعًا أو ثمانيًا، فإن أكثر فتسعًا»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «يكون فى آخر الزمان خليفة، يقسم المال ولا يعده»(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لَطَوَّل الله ذلك اليوم، حتى يُبعث فيه رجل من أهل بيتى، يواطئ(٥) اسمه اسمى، واسم أبيه اسم أبى، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا»(٦).

* * *

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٨٤) كتاب المهدى، وابن ماجه (٤٠٨٦) كتاب الفتن، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٧٣٤).

(٢) القطر: أى المطر.

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (١٩/ ٣٢)، وابن عساكر (٤٩/ ٢٩٦)، والبزار (٨/ ٢٥٧)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠٧٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩١٣) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٥) يواطئ: أى يوافق.

(٦) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٨٢) كتاب المهدى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠٣٤).

# الرحمة فى ظل الإسلام

الإنسان من غير قلب أشبه بالآلة الصمَّاء والحجر الصلد، فإن حقيقة الإنسان ليست فى هذا الغلاف الطينى من لحم وعظم، وإنما هى تلك اللطيفة الربانية، والجوهرة الروحية، التى بها يحس ويشعر وينفعل ويتأثر، ويتألم ويرحم... هى القلب الحى.

ومن أخص أوصاف المؤمن أنه يتميز بقلب حى مرهف ليِّن رحيم، يتجاوب به مع الأحداث والأشخاص، فيرق للضعيف، ويألم للحزين، ويحنو على المسكين ويمد يده إلى الملهوف، وبهذا القلب الحى الرحيم ينفر من الإيذاء، وينبو عن الجريمة ويصبح مصدر خير وبرٍّ وسلام لما حوله ومن حوله.

* **رحمة المؤمن من رحمة الله تعالى:**

المؤمن إنسان ذو قلب رحيم، لأن مثله الأعلى أن يتخلق بأخلاق الله تعالى، وأن يكون له حظ من أسمائه الحسنى.

ومن أوضح الأخلاق الإلهية (الرحمة) التى وسعت كل شىء وشملت المؤمن والكافر، والبَر والفاجر، واستوعبت الدنيا والآخرة، وقد قرب الرسول ﷺ لأصحابه هذا المعنى - على طريقته فى انتهاز الأحداث والمناسبات فرصًا لغرس المبادئ والمعانى التى يريدها... فعن عمر بن الخطاب أنه قال: قَدِم على رسول الله ﷺ سَبى فإذا امرأة من السبى تبتغى (أى تطلب ابنها) إذ وجدَت صبيًا فى السبى أخذته فألصقته ببطنها

وأرضعته فقال لنا رسول الله ﷺ : **«ترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار؟»** قلنا: لا والله وهى تقدر على ألا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ : **«لله أرحم بعباده من هذه بولدها»**[1].

وإن أبرز أسماء الله الحسنى (الرحمن الرحيم) وهما أشهر الأسماء بعد لفظ الجلالة (الله). . . . والمؤمن بالقرآن كلما تلا كتاب الله أو بدأ سورة منه. افتتحها بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) فى مائة وثلاث عشرة سورة منه.

وحسبنا أن يردد هذين الاسمين فى صلاته المكتوبة ما لا يقل عن أربعٍ وثلاثين مرة فى اليوم، فهو كلما أدى ركعة قرأ فاتحة الكتاب: ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾[2] وهى سبع عشرة ركعة فى الصلوات الخمس المفروضة على المسلم فى يومه فإذا أدى السُنن زاد ضعف ذلك، فإذا رغب فى النافلة، زاد ما شاء الله أن يزيد.

ولهذين الاسمين الكريمين (الرحمن الرحيم) إيحاء قوى فى نفس المؤمن، فضلاً عما توجبه عليه عبوديته لله أن يكون له حظ من أسمائه تعالى.

وللإمام الغزالى كتاب سماه (المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى) يشرح فيه الاسم الإلهى ثم يعقب بما يمكن أن يكون حظ الإنسان من هذا الاسم وبعد أن شرح معنى الاسمين (الرحمن

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٤) كتاب التوبة.

(٢) سورة الفاتحة: الآيات: (١- ٣).

الرحيم) قال: وحظ العبد من اسم (الرحمن) أن يرحم عباد الله الغافلين، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف، وأن ينظر إلى العُصاة بعين الرحمة، لا بعين الإيذاء، وأن يرى كل معصية تجرى فى العالم كمعصية له فى نفسه، فلا يألوا جهدًا فى إزالتها بقدر وسعه، رحمة لذلك العاصى من أن يتعرض لسخط الله تعالى، أو يستحق البُعد عن جواره.

وحظ العبد من اسم (الرحيم) ألا يدع فاقة لمحتاج إلا ويسدها بقدر طاقته ولا يترك فقيرًا فى جواره أو فى بلده إلا ويقوم بتعهده ودفع فقره، إما بماله أو جاهه أو الشفاعة إلى غيره، فإن عجز عن جميع ذلك، فيعينه بالدعاء، وإظهار الحزن، رقة عليه وعطفًا، حتى كأنه مساهم له فى ضره وحاجته.

*** مَن لا يرحم لا يرحم:**

والمؤمن يعتقد أنه دائمًا فقير إلى رحمة الله تعالى، فبهذه الرحمة الإلهية يعيش فى الدنيا ويفوز فى الآخرة، ولكنه يوقن أن رحمة الله لا تُنال إلا برحمة الناس «**إنما يرحم الله من عباده الرُّحماء**»[1]، و«**مَن لا يرحم لا يُرحم**»[2]، «**ارحم مَن فى الأرض يرحمك مَن فى السماء**»[3].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٢٨٤) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٢٣) كتاب الجنائز.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٩٧) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣١٨) كتاب الفضائل.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير (٢/٣٥٦)، وقال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح: (٨/ ١٨٧)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٩٦).

ورحمة المؤمن لا تقتصر على إخوانه المؤمنين - وإن كان دافع الإيمان المشترك يجعلهم أولى الناس بها - وإنما هو ينبوع يفيض بالرحمة على الناس جميعًا، ومن صفات المؤمنين فى القرآن: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾(١) .

بل هى رحمة تتجاوز الإنسان الناطق إلى الحيوان الأعجم، فالمؤمن يرحمه ويتقى الله فيه، ويعلم أنه مسئول أمام ربه عن هذه العجماوات، وقد أعلن النبى لأصحابه أن الجنة فتحت أبوابها لبغى سقت كلبًا فغفر الله لها، وأن النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت، فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض، فإذا كان هذا عقاب من حبس هرة بغير ذنب، فماذا يكون عقاب الذين يحبسون عشرات الألوف من بنى الإنسان بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله؟!.

ورأى عمر رجلاً يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له: (ويلك. . . . قُدها إلى الموت قودًا جميلاً).

يروى المؤرخون أن عمرو بن العاص فى فتح مصر نزلت حمامة بفسطاطه (خيمته) - فاتخذت من أعلاه عشًّا، وحين أراد عمرو الرحيل رآها، فلم يشأ أن يهيجها بتقويضه، فتركه وتكاثر العمران من حوله، فكانت مدينة (الفسطاط).

ويروى ابن عبد الحكم فى سيرة الخليفة الراشد عمر بن

(١) سورة البلد: الآية: ( ١٧ ).

عبد العزيز أنه نهى عن ركض الفرس إلا لحاجة. وأنه كتب إلى صاحب السكك: أن لا يحملوا أحداً بلجام ثقيل، ولا ينخس بمقرعة فى أسفلها حديدة، وكتب إلى واليه بمصر: إنه بلغنى أن بمصر إبلاً نقَّالات يُحمل على البعير منها ألف رطل، فإذا أتاك كتابى هذا، فلا أعرفن أنه يُحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل.

هذه الرحمة الدافقة الشاملة أثر من آثار الإيمان بالله والآخرة، ذلك الإيمان الذى يُرقق بنفحاته القلوب الغليظة، ويُلين الأفئدة القاسية.

أرأيت إلى عمر - وقد كان معروفًا بالشدة والقسوة فى جاهليته - كيف صنع الإيمان به، ففجر ينابيع الرحمة والرقة فى قلبه، لقد قالوا: إنه وأد بنتًا له فى الجاهلية، فلما وُلى إمارة المؤمنين كان يرى نفسه مسئولاً أمام الله عن بغلة تعثر بأقصى البلدان.

ولقد غلبت هذه العقيدة وهذا الخلق على أعمال المسلمين الأولين، ووضحت آثارها فى سلوكهم حتى مع الأعداء المحاربين، فنجد رسول الإسلام يغضب حين مر فى إحدى غزواته، فوجد امرأة مقتولة فقال: «**ما كانت هذه لتقاتل**» وينهى عن قتل النساء والشيوخ والصبيان، ومَن لا مشاركة له فى القتال.

ويسير أصحابه على نفس النهج أبرارًا رحماء لا فُجار قُساة فهذا أبو بكر يودع جيش أسامة بن زيد ويوصيهم قائلاً: «لا تقتلوا

امرأة ولا شيخًا، ولا طفلاً، ولا تعقروا نخلاً، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، وستجدون رجالاً فرغوا أنفسهم فى الصوامع، فدعوهم وما أفرغوا أنفسهم له».... ويقول عمر: (اتقوا الله فى الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب).

ويُحمل إلى أبى بكر رأس مقتول من كبراء الأعداء المحاربين، فيستنكر هذا العمل، ويعلن سخطه عليه ويقول لمن جاءه بالرأس: لا يُحمل إلىَّ رأس بعد اليوم. فقيل له: إنهم يفعلون بنا ذلك. فقال: فاستنان (أى اقتداء) بفارس والروم؟! إنما يكفى الكتاب والخبر.

وهكذا كانت الحرب الإسلامية حربًا رحيمة رفيقة، لا يراق فيها الدم إلا ما تدعو الضرورة القاهرة إليه، وقد لاحظ ذلك الفيلسوف الفرنسى جوستاف لوبون فقال: ما عرف التاريخ فاتحًا أعدل ولا أرحم من العرب[١].

وإن كان هذا دأب المسلمين مع المحاربين من أهل الكتاب وغيرهم فما ظنك برحمة الإسلام والمسلمين بأهل الذمة؟!

فى بداية الأمر لابد أن يعلم الناس أننا لا نُكره أحدًا على الدخول فى دين الإسلام، وأساس هذا قول الله تعالى: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[٢].

---

(١) من كتاب الإيمان والحياة للدكتور / يوسف القرضاوى - ص: ٢٨١ : ٢٨٤ بتصرف.
(٢) سورة البقرة: الآية: ( ٢٥٦).



وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[1].

قال ابن كثير فى تفسيره للآية الأولى: (أى: لا تُكرهوا أحدًا على الدخول فى دين الإسلام فإنه بيِّن واضح جلى دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يُكرَه أحدٌ على الدخول فيه).

وسبب نزول الآية - كما ذكر المفسرون - عن ابن عباس: إن الأنصار: كانت المرأة منهم تجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تُهوده فلما أُجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

فتلك هى الحرية الدينية العظيمة فى ظل الإسلام فإننا نعرض عليهم الإسلام أولاً فإن أجابونا للدخول فى الإسلام فلهم ما لنا وعليهم ما علينا كما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾[2] وإن رفضوا الدخول فى الإسلام فإننا نعرض عليهم الجزية وليس فى ذلك ظلم لهم فإن الجزية قد شرعها الله فى قوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[3].

وقد فرض الإسلام الجزية على الذميين فى مقابل فرض الزكاة على المسلمين حتى يتساوى الفريقان لأن المسلمين والذميين يستظلون

---

(١) سورة يونس: الآية: (٩٩).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١١).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٢٩).

براية واحدة ويتمتعون بجميع الحقوق وينتفعون بمرافق الدولة بنسبة واحدة ولذلك أوجب الله الجزية للمسلمين نظير قيامهم بالدفاع عن الذميين وحمايتهم فى البلاد الإسلامية التى يقيمون فيها.

ومن الرحمة فى الإسلام أن الجزية لا تؤخذ إلا من الذكر المكلف الحُر فلا تجب على المرأة أو الصبى أو العبد أو المجنون أو الأعمى أو المُقعد أو ذوى العاهات أو المترهبنين فى الأديرة إلا إذا كان غنيًّا من الأغنياء - فيالها من رحمة!!! وأما عن قدرها فقال الإمام أحمد فى إحدى رواياته: (إن على الموسر ثمانية وأربعين درهمًا فى السنة وعلى المتوسط أربعة وعشرين درهمًا وعلى الفقير اثنى عشر درهمًا) ولابد أن نعلم أن الجزية لم تكن تؤخذ منهم عُنوة بل كانت تؤخذ بكل رأفة ورحمة وكان المسلمون لا يكلفونهم ما لا يطيقون فالإنسان المُعدَم لا يأخذون منه شيئًا بل كانوا يعطونه من بيت مال المسلمين... فإن رفضوا دفع الجزية كان القتال بعد الإعلام (فإن الإسلام لا يعرف الغدر) وعلى الرغم من ذلك فتأمل معى إلى رحمة الإسلام فى حرب أعداء الإسلام.

إن الإسلام حَرم قتل النساء والأطفال والمرضى والشيوخ والرهبان والعباد والأجراء وحرم المَثلة بل حرم قتل الحيوان وإفساد الزرع والمياه وتلويث الآبار وهدم البيوت وحرم الإجهاز على الجريح وتتبع الفار وذلك لأن الحرب كعملية جراحية لا يجب أن تتجاوز موضع المرض بمكان. ولذا فإن الرسول ﷺ كان إذا أمَّرَ أميرًا

على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومَن معه من المسلمين خيرًا ثم قال له: «**اغزوا باسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا مَن كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا**»(١).

وفي وصية أبي بكر رضي الله عنه لأسامة حين بعثه إلى الشام:
(لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيرًا، ولا شيخًا كبيرًا، ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع - يريد الرهبان- فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له) فيا لها من رحمة لا توجد إلا في ظل الإسلام.

بل إن الإسلام يعامل الأسرى في الحرب معاملة إنسانية كلها رحمة... فالإسلام يدعو إلى إكرامهم والإحسان إليهم ويمدح الذين يبرونهم ويثني عليهم... فقد قال تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾(٢).

ويروي أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**فُكُّوا العاني وأجيبوا الداعي، وأطعموا الجائع، وعودوا المريض**»(٣) - والعاني هو الأسير - وتقدم أن ثُمامة بن أثال وقع

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.
(٢) سورة الإنسان: الآيتان: (٨- ٩).
(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٠٤٦) كتاب الجهاد والسير.

أسيرًا فى أيدى المسلمين فجاءوا به إلى النبى ﷺ فقال: «أحسنوا إساره» وقال: «**اجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوا به إليه**»، فكانوا يقدمون إليه لبن لقحة الرسول ﷺ غدوًا ورواحًا.

ودعاه النبى ﷺ إلى الإسلام فأبى - وقال له -: إن أردت الفداء، فاسأل ما شئت من المال، فمنَّ عليه الرسول ﷺ وأطلق سراحه بدون فداء، فكان ذلك من أسباب دخوله فى الإسلام.

وقد جاء فى الصحاح فى شأن أسرى غزوة بنى المصطلق، وكان من بينهم جويرية بنت الحارث، أن أباها الحارث بن أبى ضرار حضر إلى المدينة ومعه كثير من الإبل ليفتدى بها ابنته، وفى وادى العقيق قبل المدينة بأميال أخفى اثنين من الجمال أعجباه فى شعبٍ بالجبل، فلما دخل على النبى ﷺ قال له: يا محمد أصبتم ابنتى، وهذا فداؤها فقال عليه الصلاة والسلام: «**فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق فى شعب كذا؟**» فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، والله ما أطلعك على ذلك إلا الله، وأسلم مع الحارث ابنان له، وأسلمت ابنته أيضًا، فخطبها رسول الله إلى أبيها وتزوجها، فقال الناس: لقد أصبح هؤلاء الأسرى الذين بأيدينا أصهار رسول الله فمنُّوا عليهم بغير فداء.

وتقول عائشة رضي الله عنها: «فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية، إذ بتزوج الرسول ﷺ إياها أعتق مائة من أهل بيت من بنى المصطلق».

ولمثل هذا تزوج النبى من جـويرية، لا لشهـوة يقـضيهـا، بل لمصلحة شرعية يبتغيها، ولو كان يبغى الشهوة لأخذها أسيرة حرب بملك اليمين.

هذا هو الإسـلام وتلك هى رحمـة الإسـلام فى معـاملة أهل الكتـاب... بل لقد أجـاز الإسلام مـعاملتـهم فى البيع والـشراء وأجاز أكل طعام أهل الكتاب، والزواج من نسائهم.

ولنقرأ سويًّا تلك الباقـة العطرة من رحمة الإسلام فى مـعاملة أهل الكتاب.

فعلى سبيل المثـال فإن علاقة المسلمين بغيـرهم علاقة تعارف، وتعاون، وبر، وعدل، يقول الله سبـحانه فى التعارف المُفضى إلى التـعاون: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾(١) .

ويقـول فى وصيتـه بالبـر والعـدل: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾(٢) ومن مقتضيات هذه العلاقة تبادل المصالح، وإطراد المنافع، وتقوية الصلات الإنسانية.

وهذا المعنى لا يدخل فى نطاق النهى عن مـوالاة الكافرين، إذ أن النهى عن مـوالاة الكافـرين يقصـد به النهى عن مُـحـالفتـهم ومناصرتهم ضـد المسلمين كما يُقـصد به النهى عن الرضى بما هم

(١) سورة الحجرات: الآية: ( ١٣ ).

(٢) سورة الممتحنة: الآية: ( ٨ ).

فيه من كفر، إذ أن مناصرة الكافرين على المسلمين فيه ضرر بالغ بالكيان الإسلامى، وإضعاف لقوة الجماعة المؤمنة كما أن الرضى بالكفر، كفر يحظره الإسلام ويمنعه، أما الموالاة بمعنى المسالمة، والمعاشرة الجميلة، والمعاملة بالحسنى، وتبادل المصالح، والتعاون على البر والتقوى؛ فهذا مما دعا إليه الإسلام.

## أمثلة للرحمة فى ظل الإسلام

وإذا كان لنا أن نضرب أمثلة من تاريخ العقيدة الزاهرة، وعملها فى الأنفس والقلوب فإنا نكتفى فى هذا المقام بمثلين اثنين من خلفاء المسلمين.

* **المثل الأول:**

ما صنعه أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وقد حاصر داره الثائرون، الذين عملت فيهم الدعاية اليهودية السبئية عملها، ودفعتهم إلى الثورة المسلحة على الخليفة الشيخ، ولكن الخليفة أَبَى أن يقابل القوة بالقوة، والسلاح بالسلاح، وإن أدى ذلك إلى إراقة دمه، . . . . ذكروا أن عبد الله بن عمر لبس درعه وتقلّد سيفه «يوم الدار» وهو الاسم الذى أُطلق على يوم محاصرة عثمان فى داره لقتله - فعزم عثمان عليه أن يخرج، ويضع سلاحه، ويكف يده، ففعل.

ودخل عليه زيد بن ثابت فقال: إن هذه الأنصار بالباب،

وتقـول: إن شئت كنا أنـصار الله مـرتين، قـال: لا حاجـة لى، كُفوا.

**وعن عامر بن ربيعة قال:** كنت مع عثمان فى الدار فقال: أعزم على كل من رأى أن لى عليـه سمـعًا وطاعـة أن يكف يده ويُلقى سلاحه. . . فألقى القوم أسلحتهم.

**وقال بعض أنصاره:** نهانا عثـمان عنهم (أى الثوار) ولو أذن لنا عثمان فيهم لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارنا.

وهكذا رفض الخليـفة إراقـة الدمـاء ولو كان ذلك فى نصـرته والدفـاع عنه وحاول أن يردهم بالحكمـة والموعظة الحسنـة والجدال بالتى هى أحسن.

**أشـرف عليهم يـومًا وقـال لهم:** إنه لا يحل سـفك دم امرئٍ مسلم إلا فى إحدى ثلاث: كـفر بعد إيمان أو زنا بعـد إحصان أو قتل نفس بنفس - فهل أنا فى واحدة منهـن؟ فما وجد القوم له جوابًا.

**وقال لهم مرة:** أيها الناس إن وجدتم فى الحق أن تضعوا رجلى فى القيد فضعوها، فما وجد القوم له جوابًا، ثم قال: أستغفر الله إن كنت ظَلمت، وقد غفرت إن كنت ظُلمت!!

واعتصم الخليـفة بالصبر وأبَى أن تُسل السيـوف تأييدًا له حتى ضرج الثوار الأرض بدمه، كراهة أن يلقى الله بدم أحد فى عنقه.

**قـال معـبـد الخـزاعى لعلـى بن أبى طالب:** أخـبـرنى أى منزلة

وسعتك إذ قُتل عثمان ولم تنصـره؟ قال: إن عثمان كان إمامًا وإنه نهى عن القتـال، وقال: مَن سلَّ سيفـه فليس منى فلو قاتلنا دونه عصيناه.

قال: فأى منزلة وسعت عـثمان: إذ استسلم حـتى قُتل؟ قال: المنزلة التى وسـعت ابن آدم إذ قـال لأخيـه: ﴿**لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾[1].

* المثل الثانى:

وأمـا المثل الثانى فـهو أمـير المـؤمنين على بن أبى طالب، إذ يتـربص بـه اثنان من طائفـة الخـوارج (شـبـيب الأشـجـعى، وعـبدالرحـمن بن ملجم) وقـد خرج قـبيـل الفجـر يوقظ الناس للصلاة، فتـرقباه بباب المسجـد حتى دخل فضربه شـبيب فأخطأه وضـربه ابن ملجم على صلعـته، فـقال على ﷺ، فُـزت ورب الكعبـة، أى بالشهادة، وتجـمع الناس بسرعة على الرجلين، فـأما شبيب فاستطاع أن ينسلَّ من بين الناس، وأما ابن ملجم فلم يكتف بجريمته الشنعـاء حتى حمل بسيفه على الناس فـأفرجوا له وتلقاه المغيرة بن نوفل أخو الهاشميين - بقطيفة فرمى بها عليه، واحتمله فضرب به الأرض، وكان قويًّا فقعـد على صدره، ثم أقبل الناس على (على) ﷺ، يسـألونه ما يصنعـون به، فماذا قـال على فى شأن قاتله البغيض، وهو الخليفة الآمر المطاع؟.

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٢٨).

قال: «إن أعش فالأمر لى، وإن أصبت فالأمر لكم، فإن آثرتم أن تقتصوا فضربة بضربة، وأن تعفوا أقرب للتقوى. . .» ألا ما أروع وما أعظم العفو عند المقدرة ولن تجد ذلك إلا فى ظل الإسلام.

## صور من التسامح فى الإسلام مع غير المسلمين[1]

المجتمع الإسلامى مجتمع يقوم على عقيدة خاصة، منها تنبثق نُظمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه، هذه العقيدة هى الإسلام، وهذا هو معنى تسميته «المجتمع الإسلامى» فهو مجتمع اتخذ الإسلام منهاجًا لحياته ودستورًا لحكمه، ومصدرًا لتشريعه وتوجيهه فى كل شئون الحياة وعلاقاتها فردية واجتماعية، مادية ومعنوية، محلية ودولية.

ولكن ليس معنى هذا أن المجتمع المسلم يحكم بالفناء على جميع العناصر التى تعيش فى داخله، وهى تدين بدين آخر غير الإسلام.

كلا، إنه يقيم العلاقة بين أبنائه المسلمين وبين مواطنيهم من غير المسلمين على أسس وطيدة من التسامح والعدالة والبر والرحمة، وهى أسس لم تعرفها البشرية قبل الإسلام، وقد عاشت قرونًا بعد الإسلام وهى تقاسى الويل من فقدانها، ولا تزال إلى

(١) بتصرف من كتاب سماحة الإسلام/ للدكتور عمر بن عبد العزيز - حفظه الله -.

اليوم تتطلع إلى تحقيقها فى المجتمعات الحديثة، فلا تكاد تصل إليها فى مجتمعٍ ما، وفى وقتٍ ما، إلا غلب عليها الهوى والعصبية وضيق الأفق والأنانية، وجرَّتها إلى صراعٍ دامٍ مع المخالفين فى الدين أو المذهب أو الجنس أو اللون.

## دستور العلاقة مع غير المسلمين

وأساس هذه العلاقة مع غير المسلمين قوله تعالى: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ (١).

فالبر والقسط مطلوبان من المسلم للناس جميعًا، ولو كانوا كفارًا بدينه، ما لم يقفوا فى وجهه ويحاربوا دعاته، ويضطهدوا أهله.

ولأهل الكتاب من بين غير المسلمين منزلة خاصة فى المعاملة والتشريع، والمراد بأهل الكتاب: من قام دينهم فى الأصل على كتاب سماوى، وإن حُرِّفَ وبُدِّل بعد، كاليهود والنصارى الذين قام دينهم على التوراة والإنجيل.

فالقرآن ينهى عن مجادلتهم فى دينهم إلا بالحسنى، حتى لا

---

(١) سورة الممتحنة: الآيتان: (٨- ٩).

يوغر المراء الصدور، ويوقد الجدل نار العصبية والبغضاء فى القلوب، قال تعالى: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(١).

ويبيح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب، والأكل من ذبائحهم، كما أباح مصاهرتهم والتزوج من نسائهم المحصنات العفيفات، مع ما قرره القرآن من قيام الحياة الزوجية على المودة والرحمة، وهذا فى الواقع تسامح كبير من الإسلام، حيث أباح للمسلم أن تكون ربة بيته، وشريكة حياته وأم أولاده غير مسلمة، وأن يكون أخوال أولاده وخالاتهم من غير المسلمين.

قال تعالى: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِى أَخْدَانٍ ﴾(٢).

وهذا الحكم فى أهل الكتاب، وإن كانوا فى غير دار الإسلام أما المواطنون المقيمون فى دار الإسلام فلهم منزلة ومعاملة، وهؤلاء هم «أهل الذمة» فما حقيقتهم؟(٣).

**أهل الذمة:** جرى العرف الإسلامى على تسمية المواطنين من غير

(١) سورة العنكبوت: الآية: (٤٦).
(٢) سورة المائدة: الآية: (٥).
(٣) غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى، للدكتور: يوسف القرضاوى (ص ٥- ٧) بتصرف، ط مكتبة وهبة، الثانية عام (١٩٨٤م - ١٤٠٤هـ).



المسلمين فى المجتمع الإسلامى باسم «أهل الذمة» أو «الذميين».

و«الذمة» كلمة معناها العهد والضمان والأمان، وإنما سُمُّوا بذلك؛ لأن لهم عهد الله وعهد رسوله، وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا فى حماية الإسلام، وفى كنف المجتمع الإسلامى آمنين، مطمئنين، فهم فى أمان المسلمين وضمانهم، بناء على «عقد الذمة» فهذه الذمة تعطى أهلها - من غير المسلمين - ما يشبه فى عصرنا «الجنسية» السياسية التى تعطيها الدولة لرعاياها، فيكتسبون بذلك حقوق المواطنين ويلتزمون بواجباتهم[1].

## حقوق أهل الذمة

القاعدة الأولى فى معاملة أهل الذمة فى «دار الإسلام»: أن لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين، إلا فى أمور محددة مستثناة، كما أن عليهم ما على المسلمين من الواجبات إلا ما استثنى.

* **حق الحماية:**

فأول هذه الحقوق هى حق تمتعهم بحماية الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامى وهذه الحماية تشمل حمايتهم من كل عدوان خارجى، ومن كل ظلم داخلى حتى ينعموا بالأمان والاستقرار.

**(١) الحماية من الاعتداء الخارجى:**

أما الحماية من الاعتداء الخارجى، فيجب لهم ما يجب

---

(١) غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى (ص٧)، لماذا يخافون الإسلام، د/ عبد الودود شلبى بتصرف، ط دار الشروق، الأولى (١٩٨٥م).

للمسلمين، وعلى الإمام أو ولى الأمر فى المسلمين، بما له من سلطة شرعية، وما لديه من قوة عسكرية، أن يوفر لهم هذه الحماية، قال فى «مطالب أولى النهى» من كتب الحنابلة:

«يجب على الإمام حفظ أهل الذمة ومنع ما يؤذيهم وفك أسرهم، ودفع مَن قَصَدهم بأذى إن لم يكونوا بدار حرب، بل كانوا بدارنا، ولو كانوا منفردين ببلد، وعلل ذلك بأنهم: «جرت عليهم أحكام الإسلام، وتأبَّد عقدهم فلزمه ذلك كما يلزمه للمسلمين»[1].

وينقل الإمام القرافى المالكى فى كتابه «الفروق» قول الإمام الظاهرى «ابن حزم» فى كتابه «مراتب الإجماع»: أن من كان فى الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك، صونًا لمن هو فى ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة، وحكى فى ذلك إجماع الأمة.

وعلق على ذلك القرافى بقوله: «فعقد يؤدى إلى إتلاف النفوس والأموال صونًا لمقتضاه عن الضياع، إنه لعظيم»[2].

---

(١) مطالب أولى النهى فى شرح غاية المنتهى للكرمى، تأليف الفقيه العلامة مصطفى السيوطى الرحيبانى (ج٢ ص ٦٠٢، ٦٠٣) بتصرف ط المكتب الإسلامى (الأولى) (١٣٨٠هـ - ١٩٦١م).

(٢) الفروق للإمام العلامة شهاب الدين أبى العباس القرافى (ج ٣ ص ١٤، ١٥) ط دار إحياء الكتب العربية (أولى) سنة (١٣٤٦هـ).

ومن المواقف التطبيقية لهذا المبدأ الإسلامى، موقف شيخ الإسلام «ابن تيمية» حينما تغلب التتار على الشام، وذهب الشيخ ليكلم «قطلوشاه» فى إطلاق الأسرى، فسمح القائد التترى للشيخ بإطلاق أسرى المسلمين، وأبى أن يسمح له بإطلاق أهل الذمة، فما كان من شيخ الإسلام إلا أن قال: لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسارى من اليهود والنصارى، فهم أهل ذمتنا، ولا ندع أسيرًا، لا من أهل الذمة ولا من الملة، فلما رأى إصراره وتشدده أطلقهم له[1].

**(٢) التأمين عند العجز والشيخوخة والفقر:**

وأكثر من ذلك أن الإسلام ضمن لغير المسلمين فى ظل دولته، كفالة المعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونه؛ لأنهم رعية للدولة المسلمة وهى مسئولة عن كل رعاياها، . . . قال رسول الله ﷺ: **«كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته»**[2].

وهذا ما مضت به سنة الراشدين ومن بعدهم، ففى عقد الذمة الذى كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة بالعراق، وكانوا من النصارى: «وجعلت لهم، أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله»[3]. وكان هذا فى عهد أبى بكر الصديق رضي الله عنه وبحضرة عدد كبير من

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨ / ٦١٧- ٦١٨).
(٢) رواه البخارى (٧١٣٨) كتاب الأحكام، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة.
(٣) الخراج لأبى يوسف (ص١٤٤) بتصرف.

الصحابة، وقد كتب خالد به إلى الصدِّيق ولم ينكر عليه أحد، ومثل هذا يُعَدُّ إجماعًا... ونحن نعلم ما فعله عمر مع الشيخ اليهودى حين أمر بصرف راتبٍ له من بيت مال المسلمين، وكذلك ما أمر به من الصدقات لمجزومى النصارى...

وبهذا تقرر الضمان الاجتماعى فى الإسلام، باعتباره «مبدأً عامًّا» يشمل أبناء المجتمع جميعًا، مسلمين وغير مسلمين، ولا يجوز أن يبقى - فى المجتمع المسلم - إنسان محرومًا من الطعام أو الكسوة أو المأوى أو العلاج، فإن دفع الضرر عنه واجب دينى، مسلمًا كان أو ذميًّا.

## حرية التدين

ويحمى الإسلام - فيما يحميه من حقوق أهل الذمة - حق الحرية، وأول هذه الحريات: حرية الاعتقاد والتعبد، فلكل ذى دين دينه ومذهبه، لا يُجبر على تركه إلى غيره، ولا يضغط عليه أى ضغط ليتحول منه إلى الإسلام.

**وأساس هذا الحق قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(1).**

**وقوله سبحانه: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(2).**

**قال ابن كثير فى تفسير الآية الأولى:** أى: لا تُكرهوا أحدًا على

(1) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

(2) سورة يونس: الآية: (٩٩).

الدخول فى دين الإسلام، فإنه بيِّنٌ واضح، جلى دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكرَه أحدٌ على الدخول فيه (١).

وكذلك صان الإسلام لغير المسلمين معابدهم ورعى حرمة شعائرهم، بل جعل القرآن من أسباب الإذن فى القتال حماية حرية العبادة، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا** ﴾(٢).

وقد رأينا كيف اشتمل عهد النبى ﷺ إلى أهل نجران، أن لهم جوار الله وذمة رسوله على أموالهم وملتهم وبيعهم(٣).

وفى عهد عمر بن الخطاب إلى أهل إيلياء «القدس» نص على حريتهم الدينية، وحرية معابدهم وشعائرهم: «هذا ما أعطى عبد الله «عمر بن الخطاب» أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسائر ملتهم، لا تُسكن كنائسهم، ولا تُهدم ولا ينتقص منها، ولا حيزها، ولا من صليبها، ولا من شىء من أموالهم ولا يُكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود... كما رواه الطبرى»(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير (ج١ص ٣١٠).
(٢) سورة الحج: الآيتان: (٣٩- ٤٠).
(٣) انظر الخراج لأبى يوسف (ص ٧١ - ٧٣). بتوسع.
(٤) تاريخ الطبرى (ج ٣ ص ١٠٥) بتصرف، والفاروق عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين، (ص ٢٠٦، ٢٠٧).

# حرية العمل والكسب

لغير المسلمين حرية العمل والكسب، بالتعاقد مع غيرهم، أو بالعمل لحساب أنفسهم، ومزاولة ما يختارون من المهن الحرة، ومباشرة ما يريدون من ألوان النشاط الاقتصادى، شأنهم فى ذلك شأن المسلمين، فقد قرر الفقهاء أن أهل الذمة فى البيوع والتجارات وسائر العقود والمعاملات المالية كالمسلمين، ولم يستثنوا من ذلك إلا عقد الربا، فإنه محرم عليهم كالمسلمين وقد روى أن النبى ﷺ كتب إلى مجوس هجر: «**إما أن تذروا الربا أو تأذنوا بحرب من الله ورسوله**».

كما يُمنع أهل الذمة من بيع الخمور والخنازير فى أمصار المسلمين، وفتح الحانات فيها لشرب الخمر، ويسهل تداولها أو إدخالها إلى أمصار المسلمين على وجه الشهرة والظهور، ولو كان ذلك لاستمتاعهم الخاص، سداً لذريعة الفساد وإغلاقاً لباب الفتنة.

وفيما عدا هذه الأمور المحدودة، يتمتع الذميون بتمام حريتهم، فى مباشرة التجارات والصناعات والحرف المختلفة، وهذا ما جرى عليه الأمر، ونطق به تاريخ المسلمين فى شتَّى الأزمان وكادت بعض المهن تكون مقصورة عليهم كالصيرفة والصيدلة وغيرها، واستمر ذلك إلى وقت قريب فى كثير من بلاد الإسلام، وقد جمعوا من وراء ذلك ثروات طائلة معفاة من الزكاة ومن كل

ضريبة إلا الجزية، وهى ضريبة على الأشخاص القادرين على حمل السلاح، كما سيأتى وهى مقدار جد زهيد(١).

## تولى وظائف الدولة

ولأهل الذمة الحق فى تولى وظائف الدولة كالمسلمين، إلا ما غلب عليه الصيغة الدينية كالإمامة ورئاسة الدولة والقيادة فى الجيش، والقضاء بين المسلمين، والولاية على الصدقات ونحو ذلك.

فالإمامة أو الخلافة رياسة عامة فى الدين والدنيا وخلافة عن النبى ﷺ، ولا يجوز أن يخلف النبى فى ذلك إلا مسلم، ولا يُعقل أن ينفذ أحكام الإسلام ويرعاها إلا مسلم وقيادة الجيش ليست عملاً مدنيًّا صرفًا، بل هى عمل من أعمال العبادة فى الإسلام، إذ الجهاد فى قمة العبادات الإسلامية، والقضاء إنما هو حكم بالشريعة الإسلامية، ولا يطلب من غير المسلم أن يحكم بما لا يؤمن به.

ومثل ذلك الولاية على الصدقات ونحوها من الوظائف الدينية وما عدا ذلك من وظائف الدولة يجوز إسناده إلى أهل الذمة، إذا تحققت فيهم الشروط التى لا بد منها، من الكفاية والأمانة والإخلاص للدولة، بخلاف الحاقدين الذين تدل الدلائل على

---

(١) غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى: (ص٢٢).

بغض مستحكم منهم للمسلمين، كالذين قال الله فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١).

## ضمانات الوفاء بهذه الحقوق

لقد قررت الشريعة الإسلامية لغير المسلمين كل تلك الحقوق، وكفلت لهم كل تلك الحريات وزادت على ذلك بتأكيد الوصية بحسن معاملتهم ومعاشرتهم بالتى هى أحسن.

ولكن من الذى يضمن الوفاء بتنفيذ هذه الحقوق وتحقيق هذه الوصايا؟ وبخاصة أن المخالفة فى الدين كثيرًا ما تقف حاجزًا دون ذلك وهذا الكلام حق وصدق بالنظر إلى الدساتير الأرضية والقوانين الوضعية التى تنص على المساواة بين المواطنين فى الحقوق والواجبات ثم تظل حبرًا على ورق، لغلبة الأهواء والعصبيات التى لم تستطع القوانين أن تنتصر عليها، لأن الشعب لا يشعر بقدسيتها، ولا يؤمن فى قرارة نفسه بوجوب الخضوع لها والانقياد لحكمها.

* * *

(١) سورة آل عمران: الآية: (١١٨).

# ضمان العقيدة

أما الشريعة الإسلامية فهى شريعة الله وقانون السماء، الذى لا تبديل لكلماته، ولا جور فى أحكامه، ولا يتم الإيمان إلا بطاعته، والرضا به... قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾(1).

ولهذا يحرص كل مسلم يتمسك بدينه على تنفيذ أحكام هذه الشريعة ووصاياها، ليُرضى ربه، وينال ثوابه، لا يمنعه من ذلك عواطف القرابة والمودة، ولا مشاعر العداوة والشنآن.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾(2).

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(3).

* * *

(1) سورة الأحزاب: الآية: (٣٦).
(2) سورة النساء: الآية: (١٣٥).
(3) سورة المائدة: الآية: (٨).

# ضمان المجتمع المسلم

إن المجتمع الإسلامى مسئول بالتضامن عن تنفيذ الشريعة، وتطبيق أحكامها فى كل الأمور، ومنها ما يتعلق بغير المسلمين؛ فإذا قصَّر بعض الناس أو انحرف أو جار وتعدَّى، وجد فى المجتمع من يرده إلى الحق، ويأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، ويقف بجانب المظلوم المعتدى عليه، ولو كان مخالفًا فى الدين.

فإذا كان الظلم من أحد أفراد المسلمين إلى ذمِّى، فإن والى الإقليم سرعان ما ينصفه ويرفع الظلم عنه، بمجرد شكواه أو علمه بقضيته من أى طريق.

وقد شكا أحد رهبان النصارى فى مصر إلى الوالى «أحمد بن طولون» أحد قواده؛ لأنه ظلمه وأخذ منه مبلغًا من المال بغير حق، فما كان من «ابن طولون» إلا أن أحضر هذا القائد وأنَّبه وعزره وأخذ منه المال وردَّه إلى النصرانى، وقال له: لو ادَّعيت عليه أضعاف هذا المبلغ لألزمته به، وفتح بابه لكل متظلم من أهل الذمة، ولو كان المشكو من كبار القواد وموظفى الدولة.

وإن كان الظلم واقعًا من الوالى نفسه أو من ذويه وحاشيته فإن إمام المسلمين وخليفتهم هو الذى يتولى ردعه وردِّ الحق لأهله، وأشهر الأمثلة على ذلك قصة القبطى مع «عمرو بن العاص» والى مصر، . . . وإذا لم يصل أمر الذمى إلى الخليفة، أو كان الخليفة نفسه على طريقة واليه، فإن الرأى العام الإسلامى الذى يتمثل فى

فقـهاء المسلمين، وفى كـافة المتدينين يقـف بجوار المظلوم من أهل الذمة ويسانده.

ومن الأمـثلة البارزة علـى ذلك، موقف الإمـام الأوزاعى من الوالى العـباسى فى زمنه، عنـدما أجلى قـومًا من أهل الذمـة من جبل لبـنان، لخروج فريق منـهم على عامل الخـراج، وكان الوالى هذا أحد أقارب الخليفة وعصبته، وهو «صالح بن على بن عبد الله ابن العباس» فكتب إليه الأوزاعى رسالة طويلة، كان مما قال فيها: «فكيف تؤخـذ عامة بـذنوب خاصة، حـتى يخرجـوا من ديارهم وأمـوالهم، وحكم الله تعـالى: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـرَى﴾[1] وهو أحق مـا وقف عنده واقتـدى به، وأحق الوصايا أن تحـفظ وترعى وصية رسول الله ﷺ فإنه قال: **«من ظلم ذميًّا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه»**[2].

**إلى أن يقول فى رسالته:** فإنهم ليسوا بعـبيد فتكون فى حِلٍّ من تحويلهم من بلد إلى بلد، ولكنهم أحرار أهل الذمة[3].

وسرعان ما يعود الحق إلى نِصابه.

ولقد أخذ الوليـد بن عبد الملك «كنيسـة يوحنا» من النصارى، وأدخلها فى المسـجد، فلما استـخلف «عمر بن عبـد العزيز» شكا إليه النصارى ما فعل «الوليـد» بهم فى كنيستهم، فكتب إلى عامله

(١) سورة النجم: الآية: (٣٨).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٠٥٢) كتاب الخراج، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٤٤٥).

(٣) انظر: فتوح البلدان، للبلاذرى، (ص ١٦٦، ١٦٧).

بردٍّ ما زاده فى المسجد عليهم، لولا أنهم تراضوا مع الوالى على أساس أن يعوضوا بما يرضيهم[1].

وأجلى «الوليد بن يزيد» من كان بقبرص من الذميين، وأرسلهم إلى الشام مخافة حملة الروم، ورغم أنه لم يفعل ذلك إلا حماية للدولة، واحتياطًا لها فى نظره، فقد غضب عليه الفقهاء وعامة المسلمين واستعظموا ذلك منه، فلما جاء «يزيد بن الوليد» ردَّهم إلى قبرص استحسنه المسلمون وعدُّوه من العدل، وذكروه فى مناقبه، كما يروى ذلك المؤرخ البلاذرى[2].

## درجات التسامح وحظ المسلمين منها:

إن التسامح الدينى والفكرى له درجات ومراتب، فالدرجة الدنيا فى التسامح أن تدع لمخالفك الحرية فى دينه وعقيدته، ولا تُجبره بالقوة على اعتناق دينك أو مذهبك بحيث إذا أبى حكمت عليه بالموت والعذاب أو المصادرة أو النفى أو غير ذلك من ألوان العقوبات والاضطهادات، فتدع له حرية الاعتقاد، ولكن لا تمكنه من ممارسة واجباته الدينية التى تفرضها عليه عقيدته، والامتناع عما يعتقد تحريمه عليه.

**والدرجة الوسطى من التسامح:** أن تدع له حق الاعتقاد بما يراه من ديانة ومذهب ثم لا تضيق عليه بترك أمر يعتقد وجوبه أو فعل أمر يعتقد حرمته، فإذا كان اليهودى يعتقد حرمة العمل يوم

(١) فتوح البلدان (ص ١٣١، ١٣٢) بتصرف.
(٢) نفس المرجع السابق (ص ١٥٩) بتصرف.

السبت، فلا يجوز أن يُكلَّف بعمل فى هذا اليوم؛ لأنه لا يفعله إلا وهو يشعر بمخالفة دينه، وإذا كان النصرانى يعتقد بوجوب الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد فلا يجوز أن يُمنع من ذلك فى هذا اليوم.

**والدرجة التى تعلو هذه فى التسامح:** ألا تضيق على المخالفين فيما يعتقدون حِلّه فى دينهم أو مذهبهم، وإن كنت تعتقد أنه حرام فى دينك أو مذهبك، وهذا ما كان عليه المسلمون مع المخالفين من أهل الذمة، إذا ارتفعوا إلى الدرجة العُليا من التسامح، فقد التزموا كل ما يعتقده غير المسلم أنه حلال فى دينه، ووسعوا له فى ذلك، ولم يضيقوا عليه بالمنع والتحريم، وكان يمكنهم أن يحرموا ذلك، مراعاة لشرعية الدولة ودينها ولا يُتهموا بكثير من التعصب أو قليل، ذلك لأن الشىء الذى يحله دين من الأديان ليس فرضًا على أتباعه أن يفعلوه، فإذا كان دين المجوسى يبيح له الزواج من أمه أو أخته، فيمكنه أن يتزوج من غيرهما ولا حرج، وإذا كان دين النصرانى يحل له أكل الخنزير، فإنه يستطيع أن يعيش عمره دون أن يأكل الخنزير، وفى لحوم البقر والغنم والطير متسع له.

ومثل ذلك الخمر، فإذا كان الإنجيل قد جاء بإباحتها، فليس من فرائض المسيحية أن يشرب المسيحى الخمر، فلو أن الإسلام قال للذميين: دعوا زواج المحارم، وشرب الخمر وأكل الخنازير مراعاة لشعور إخوانكم المسلمين، لم يكن عليهم فى ذلك أى حرج دينى؛ لأنهم إذا تركوا هذه الأشياء لم يرتكبوا فى دينهم منكرًا، ولا أخلوا بواجب مقدس.

ومع هذا لم يقل الإسلام ذلك، ولم يشأ أن يضيق على غير المسلمين فى أمر يعتقدون حِلّه، وقال للمسلمين: اتركوهم وما يدينون!

على أن هناك شيئًا آخر لا يدخل فى نطاق الحقوق التى تنظمها القوانين، ويلزم بها القضاء، وتشرف على تنفيذها الحكومات، ذلك هو روح السماحة التى تبدو فى حسن العشرة، ولطف المعاملة، ورعاية الجوار، وسعة المشاعر الإنسانية من البر والرحمة والإحسان، وهى الأمور التى تحتاج إليها الحياة اليومية، ولا يغنى فيها قانون ولا قضاء، وهذه الروح لا تكاد توجد فى غير المجتمع الإسلامى(1).

**الأساس الفكرى لتسامح المسلمين:**

١- اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان أيًا كان دينه أو جنسه أو لونه.... قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** ﴾(2).

وهذه الكرامة المقررة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية.

ومن الأمثلة العملية ما ذكرناه من قيام النبى ﷺ لجنازة يهودى، معللاً ذلك بقوله: «**أليس نفسًا؟**»... بلى، ولكل نفس فى الإسلام حرمة ومكان، فما أروع الموقف، وما أروع التفسير والتعليل!.

٢- اعتقاد المسلم أن اختلاف الناس فى الدين واقع بمشيئة الله تعالى، الذى منح هذا النوع من خلقه الحرية، والاختيار فيما يفعل ويدع: ﴿ **فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾(3).

---

(1) غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى (ص ٤٥- ٤٦).

(2) سورة الإسراء: (٧٠).

(3) سورة الكهف: الآية: (٢٩).

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾[١].

٣- ليس المسلم مكلفًا أن يحاسب الكافرين على كفرهم، أو يعاقب الضالين على ضلالهم، فهذا ليس إليه، وليس موعده هذه الدنيا، إنما حسابهم إلى الله يوم الحساب، وجزاؤهم متروك إليه فى يوم الدين.

**قال تعالى: ﴿ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾**[٢].

وبهذا يستريح ضمير المسلم، ولا يجد فى نفسه أى أثر للصراع بين اعتقاده بكفر الكافر، وبين مطالبته ببره، والإقساط إليه، وإقراره على ما يراه من دين واعتقاد.

٤- إيمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل، ويحب القسط، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، ولو مع المشركين، ويكره الظلم ويعاقب الظالمين، ولو كان الظلم من مسلم لكافر، .... قال تعالى: **﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾**[٣].

**وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا فإنه ليس دونها حجاب»**[٤].

* * *

(١) سورة هود: الآيتان: (١١٨، ١١٩).
(٢) سورة الحج: الآيتان: (٦٨- ٦٩).
(٣) سورة المائدة: الآية: (٨).
(٤) حسن: رواه أحمد (٣/ ١٥٣)، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١١٩).

# صور من التسامح الإسلامى

«عندما طُعن عمر بن الخطاب وهو يتأهب لصلاة الفجر علم - وعلم الناس معه - أنه ميت لا محالة، فإن الطعنات كانت نافذة مزقت الأمعاء، فإذا تناول شرابًا خرج من البطن، ورأى أمير المؤمنين قبل أن يودع الحياة أن يوصى الخليفة بعده بأمور ذات بال، إنه لا يعرف من سيختار المسلمون، ولكنه يعرف ما يجب أن يفعله الرجل الذى يليه فى حكم الأمة، فذكر طوائف من المسلمين لها منزلتها، ثم قال للخليفة المرتقب: «وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله - يعنى ما يسمى فى عصرنا بالأقليات الدينية- أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم ولا يُكلَّفوا إلا طاقاتهم»!![1].

تريثت طويلاً وأنا أقرأ هذه الوصاة،... خليفة نبى كريم يوصى وهو يموت بمخالفيه فى الدين ومعارضيه فى المعتقد، فيصفهم أولاً بأنهم ذمة الله وذمة رسوله متناسيًا الخلاف القائم فى أصل الإيمان، ثم يطلب من الحاكم المقبل، ثلاثة أمور محددة:

(أ) الوفاء بعهودهم.

(ب) إقامة سياج يمنع كل عدوان عليهم، وفى سبيل ذلك

(١) الفاروق عمر بن الخطاب - ثانى الخلفاء الراشدين (ص ٣٢٣) بتصرف.

يقاتل دونهم، أو كما جاء فى النص «يقاتل من ورائهم».

(جـ) لا يكلفون إلا بما يطيقون.

هل وعى تاريخ العالم إلى يوم الناس هذا أشرف من هذه المعاملة؟![1].

«ومن قبل.... خطب عمر بن الخطاب ﵁ فقال يُعلِّم الناس حقوقهم تجاه الأمراء: «يا أيها الناس إنى والله ما أرسل إليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا من أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فُعل به شىء من ذلك فليرفعه إلىَّ، فوالذى نفس عمر بيده لأقصَّنه منه..».

**فوثب عمرو بن العاص فقال:** «يا أمير المؤمنين، أرأيتك إن كان رجلاً من أمراء المسلمين على رعيته، فأدب بعض رعيته، إنك لتقص منه؟ قال عمر: إى والذى نفس عمر بيده إذًا لأقصنه منه، وكيف لا أقص منه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه، ألا لا تضربوا الناس فتذلوهم، ولا تجمروهم[2] فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم»[3].

❊ ❊ ❊

(١) الحق المر، للشيخ محمد الغزالى (ص ٥٢) ط دار الجبل.

(٢) لا تجمروهم: لا تبعدوهم طويلاً عن بيوتهم وأزواجهم.

(٣) الخراج لأبى يوسف (ص١١٥).

## بين الإسلام واليهودية

وعندما جاء النبى ﷺ إلى المدينة، وجد بها يهودًا توطنوا ومشركين مستقرين فلم يتجه فكره إلى رسم سياسة للإبعاد أو المصادرة والخصام، بل قَبِلَ - عن طِيب خاطر - وجود اليهودية والوثنية، وعرض على الفريقين أن يعاهدهم معاهدة الند للند، على أن لهم دينهم وله دينه.

إن الإسلام يعد موسى عليه السلام نبى اليهود أخًا لمحمد ﷺ وشريكًا له فى الدعوة إلى الله.... والمسلمون استجابة لدينهم يؤمنون بموسى عليه السلام إيمانهم بمحمد ﷺ.

وقد كان اليهود فى صدر تاريخهم الشعب الذى اختاره الله لهداية الخلائق، وظلت رسالة السماء حكرًا عليهم فى جنسهم دهرًا طويلاً، إلا أن هذا الشعب مَلَّ تكاليف الإيمان واستثقل قيود الصلاح والعدالة، بل بلغ الفجور به مبلغ التعدى على رسل الله عليهم السلام واستباحة دمائهم، ووضح من إصراره على عوجه واستغراق الفساد لجمهرته أنه ليس بأهل لرسالات الله وإبلاغها، فغضب الله عليه، وصرف الوحى عنه، واصطفى العرب ليقودوا الإنسانية جمعاء بكلمات السماء.

إلا أن اليهود لا يزالون على دعواهم بأنهم الأمة التى يجب أن تقود العالم، وتسود الأرض، وقد استبدت هذه الدعوى بنفر منهم، واختلطت بمشاعر مضطرمة من التعصب والحقد.

ومن ثَمَّ تألفت الحركة الصهيونية العالمية مستهدفة إعادة الأرض المقدسة إلى اليهود ليتمكن الصهاينة من داخلها أن يفرضوا أنفسهم على العالم، وهم يبغضون العرب أشد البغض، ويجحدون رسالة النبى ﷺ أشد الجحد، ولا علينا من بغضهم وجحدهم!! ولكننا نتساءل: بِمَ يستحق اليهود هذه المكانة التى يرونها لأنفسهم؟.

إنهم حيث كانوا ناشروا الربا والزنا والحروب والدسائس... والدين لديهم آصرة قرابة بين جنس معين يهوى الانتساب إلى السماء، ثم هو من شهواته ونزواته ينقلب فى أوحال الأرض.

ولقد استطاع هؤلاء أن يقيموا لهم دولة إبان عجز العرب، وذهاب ريحهم، ووهن إيمانهم، وأطلق الغالبون اسم إسرائيل وهو نبى كريم على دولتهم هذه ! فهل اصطلحوا مع الله، وقرروا الاستقامة على أمره؟ كلا، إن الدولة التى قامت بُنيت يوم بُنيت على المآثم والمظالم، وظلت فى المكان الذى نُكب بها قنطرة للاستعمار المجرم، وجسراً لكل اعتداء على العرب والمسلمين.

وأهل الشرق والغرب يعلمون أن بنى إسرائيل فى دولتهم الجديدة لا تربطهم بالسماء صلة قريبة أو بعيدة.

إن المسلم فى ظل الحكم الإسرائيلى الباغى يفقد دينه وكيانه، يفقد عقيدته وشريعته، يفقد كرامته وسعادته... أما اليهود فى ظل الحكم الإسلامى، فلم يفقدوا ذرة من دينهم، ولا من

مكانتهم، لقد عاشوا فُرادى وجماعات طيلة أربعة عشر قرنًا، فلم يتعرضوا للمجازر التى تعرض لها إخوانهم فى أوروبا، ولم يفكر المسلمون قط فى استباحة حقوقهم المادية والأدبية؛ لأنهم «أمانة» فى ذمة المسلمين لا يجوز إخفارها.

وإن كان أسلاف اليهود الأولون قد عوملوا بصرامة، لما خانوا المسلمين ومالؤا عليهم الوثنية الناقمة على القرآن والنبوة، فإن هذه الصرامة تلاشت كل التلاشى لما استقام اليهود على الجادة، وباشر اليهود نشاطهم التجارى فى أوسع نطاق من الحريات الممدودة والحقوق المصونة.

وحسبك أن أحدهم أبى أن يعطى الرسول ﷺ بضاعة إلى أجل حتى يرتهنه درعه، وكان لليهودى ما شاء، ومات النبى ﷺ ودرعه مرهونة عند اليهودى... إن الدولة فى الإسلام أبعد ما تكون عن التعصب ضد أتباع الديانات الأخرى ما داموا يعاملونها بشرف، فلا يفكرون فى بيعها لأعدائها، عندئذ يكون لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين دون تفاوت أو افتيات»(١).

* * *

(١) معركة المصحف فى العالم الإسلامى، محمد الغزالى (ص ٣٣ - ٣٦).

# بين الإسلام والمسيحية

وليست هناك خصومات مسلحة بين الإسلام والمسيحية، سواء كانت هذه المسيحية كما يتصورها المسلمون، ديانة توحيد حمل رسالتها النبى الإنسان «عيسى ابن مريم» أو كانت ديانة تثليث تقوم على حلول الألوهية فى البشر، وافتداء ابن الإله بدمه خطايا بنى آدم! لأن المسيحية بالمعنى الأول جزء من الإسلام، وعيسى ومحمد وغيرهما من المرسلين إخوة كرام، جاءوا لتعليم الناس كيف يعبدون ربهم ويتهيئون للقائه.

أما المسيحية بالمعنى الثانى فهى فكرة قَبلها أصحابها وراجت لديهم،... ونحن وإن أنكرناها إنكارًا تامًّا فلسنا بمُرغمى أحد على إطراح ما يعتقد.

ولا يجوز أن نلجأ إلى إكراه مادى أو أدبى لتحويل أتباع دين عن دينهم.

إن الخصومة المسلحة تنشب يوم تتحول المسيحية إلى صليبية عنيدة تمشق الحسام لبسط سلطانها وفتنة مخالفيها ومطاردة أصحاب العقائد المعارضة...

والصليبية اليوم فى المجالين الثقافى والسياسى تفعل الأفاعيل للتنكيل بالإسلام وتدويخ أممه ولفتهم عن دينهم الذى يؤثرون، وشريعتهم التى يعتنقون...!!

بل إن هذه الصليبية - فى ميدان الاستعمار - تصطلح مع

أعدائها التقليديين من شيوعيين ويهود كى تحارب الإسلام وتهدد مستقبله، ولا ندرى حتى متى يستمر هذا اللدد فى العداوة!! بيد أننا مضطرون إلى التنادى باليقظة لمواجهته، وإحباط مكايده.

ونظرة عجلى إلى اتجاهات الغرب الصليبى وبعوثه التبشيرية، ومؤامراته الدولية وتهديداته العسكرية توحى بما هنالك [١].

## سماحة الإسلام

حادثان متشابهان فى تاريخ الإسلام يحققان وصية الرسول ﷺ : **«من ظلم معاهدًا أو كلَّفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة»** [٢].

أحدهما ما فعله «صلاح الدين الأيوبى» يوم فتح بيت المقدس، وكان بها مائة ألف نصرانى، أعطاهم أمانًا لمدة أربعين يومًا للجلاء عن المقدس، فجلا منها أربعة وثمانون ألفًا، لحقوا بأهليهم من النصارى فى عكا، وافتدى بنفسه بضعة آلاف، وافتدى «العادل» ألف رجل ورفض أن يفعل بهم كما فعلوا بالمسلمين قبل تسعين سنة.

وفى فتح القسطنطينية أعلن السلطان «محمد الفاتح» حمايته للمسيحيين وضمانه لحرية دينهم وعبادتهم واحتفل معهم على طريقتهم بنفس الأبهة والفخامة، . . . . ومثل ذلك فعل «عمرو بن العاص» فى مصر، عندما أعلن الأمان لرئيس النصارى المختفى، وسمح له بالعودة إلى استئناف عمله.

---

(١)معركة المصحف فى العالم الإسلامى (ص٣٦، ٣٧).

(٢) صحيح:رواه أبو داود (٣٠٥٢) كتاب الخراج، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٤٤٥).

أين هذا مما فعله الصليبيون عندما استولوا على القسطنطينية عام ١٢٠٤هـ ودمروها وهتكوا أهلها وهم مسيحيون مثلهم؟

وأين هذا مما فعل النصارى فى الأندلس عندما سقطت فى أيديهم، وخدعوا المسلمين بأن أعطوهم عهدًا باحترام ديانتهم وأموالهم وأعراضهم، ولم يلبثوا أن مالوا عليهم ميلة واحدة (1).

وفى الوقت الذى يناصب فيه أهل الكتاب العداء للإسلام والمسلمين بشتَّى الطرق والوسائل من أجل ردتهم عن دينهم، ورجوعهم عن الحق، بماذا يأمرنا الإسلام؟

**اقرأ قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** (2).

ذلك الحسد المقترن بالنَّهم والشَّره فى صد الناس عن الطريق المستقيم، ذاك الحسد المشوب بتمنى زوال نعمة الإيمان من قلوب المؤمنين حتى يصير الجميع سواء، تمامًا مثل الطالب الذى فشل فى علمه ودراسته فصار من أعز أمانيه أن يفشل غيره....، بماذا يقابل هذا فى الإسلام؟

إن تسامح الإسلام أكبر من هذا كله، وقد قابل هذا بقوله: **﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾** وهو قول كريم يُعَلِّم المؤمنين

---

(1) معالم التاريخ الإسلامى المعاصر، أنور الجندى، (ص ٢٠١)، ط دار الاعتصام، سنة (١٩٨١م).

(2) سورة البقرة: الآيتان: (١٠٩، ١١٠).

كيفـيـة مواجهة تلك الأعـمال، ومعاملة أمثـال هؤلاء، فأشار إلى العفو، أى المغفرة والتسامح ثم الصفح أو النسيان، حيث إن العفو هو التسامح، والصفح هو النسيان.

## شهادة التاريخ

كثيرًا مـا تُوضع شرائع حسنة، وأحكام عادلة، ومبـادئ قيمة، ولكنها تظل حبرًا على ورق، فلا توضع موضع التنفيذ، ولا يبالى بها الذين فى أيديهم سلطة الأمر والنهى والإبرام والنقض.

ولكن مـيزة المبـادئ والأحكام الإسلامـيـة أنها مـبادئ ربانيـة الأصول، دينية الصبـغة، ولهذا وجدت من القبول والاسـتجابة ما لم تجده أى شريعة أخرى أو قانون مما يضع البشر بعضهم لبعض.

وقـد حفل الـواقع التاريخـى للأمة الإسـلامـية فى مـخـتلف عصـورها، وشتى أقدارها، بأروع مظاهر التـسامح، الذى لا يزال الناس يتطلعون إليه إلى اليوم فى معظم بقاع الأرض فلا يجدونه.

وقد مرت بنا صـور ناصعة من هذا التاريخ المشرق الصـفحات خلاف بحثنا هذا، رأينا فيها حقيقة التسامح الإسلامى ومداه، كما عرفنا روح هذا التـسامح والأساس الفكرى والعقـائدى الذى يقوم عليـه، ولا بأس أن أضيف هنا إلى مـا تقدم صـفحة جـديدة عن معاملة أهل الذمة فى العصـرين: الأموى والعباسى لنزداد إيمانًا مما عرفناه عن سماحة الإسلام وتسامح المسلمين. وقد مر بنا من عدل الراشدين وتسامحهم ما فيه كفاية وغناء.

أما العصر الأموى، فأكتفى بنقل هذه السطور من كتاب «قصة الحضارة» لول ديورانت - يقول: «لقد كان أهل الذمة المسيحيون، والزرادشتيون، واليهود، والصابئون يتمتعون فى عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرًا فى البلاد المسيحية فى هذه الأيام، فلقد كانوا أحرارًا فى ممارسة شعائرهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يُفرض عليهم أكثر من ارتداء زيٍّ ذى لون خاص، وأداء ضريبة عن كل شخص تختلف باختلاف دخله، وتتراوح بين دينار وأربعة دنانير، ولم تكن هذه الضريبة تُفرض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويُعفى منها الرهبان والنساء، والذكور الذين هم دون البلوغ، والأرقاء والشيوخ، والعجزة والعُمى والفقراء.

وكان الذميون يُعفون فى نظير ذلك من الخدمة العسكرية، أو إن شئت فقل لا يُقبَلون فيها، ولا تُفرض عليهم الزكاة البالغ قدرها (٢,٥٪) من الدخل السنوى، وكان لهم على الحكومة أن تحميهم، ولم تكن تُقبل شهادتهم فى المحاكم الإسلامية، ولكنهم كانوا يتمتعون بحكم ذاتى يخضعون فيه لزعمائهم، وقُضاتهم وقوانينهم»(١).

أما العصر العباسى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية، ومكانة أهل الذمة فيه، فيكفينا مؤنة الحديث فيه صفحة أخرى ننقلها من كتاب «الإسلام وأهل الذمة» للدكتور الخربوطلى، لأنه يعتمد فيما يقرره

(١) قصة الحضارة لول ديورانت: (ج ١٣، ص ١٣٠، ١٣١) بتصرف.

على المراجع التاريخية الأساسية أو على كتابات المستشرقين أنفسهم.

يقول: «اشتهر من بين أهل الذمة في العصر العباسى كثير من العظماء، مثل: «جرجيس بن بختيشوع» طبيب الخليفة العباسى «أبى جعفر المنصور» وقد وثق الخليفة فيه وأكرمه، ومن هؤلاء «جبرائيل بن بختيشوع» طبيب «هارون الرشيد» الذى قال الرشيد عنه: كل من كانت له حاجة إلىَّ فليخاطب بها جبريل، لأنى أفعل كل ما يسألنى فيه، ويطلبه منى، وكان مرتب الطبيب عشرة آلاف درهم شهريًّا، ومن هؤلاء أيضًا «ماسويه» الذى كان الرشيد يجرى عليه ألف درهم شهريًّا، ويصله كل سنة بعشرين ألفًا»(١).

وأشاد «ترتون» بتسامح المسلمين، فقال: والكُتَّاب المسلمون كريمون فى تقدير فضائل هؤلاء ممن على غير ملتهم، حتى ليسمون «حنين بن إسحاق» برأس أطباء عصره، «وهبة الله بن تلميذ» بأبقراط عصره، وجالينوس دهره، وكان «بختيشوع بن جبرائيل» ينعم بعطف الخليفة المتوكل حتى إنه كاد يضاهيه فى ملابسه، وفى حسن الحال، وكثرة المال، وكمال المروءة، ومباراته فى الطِيب والجوارى والعبيد».

ولما مرض «ماسويه» بعث المعتصم ابنه لزيارته، ولما مات أمر بأن تحضر جنازته إلى القصر، وأن يُصلَّى عليه بالشموع والبخور جريًا على عادة النصارى، وامتنع «المعتصم» يوم موته عن أكل الطعام.

أما «يوحنا بن ماسويه» فقد خدم الخلفاء العباسيين منذ الرشيد

(١) الإسلام وأهل الذمة، للدكتور الخربوطلى (ص ١٧٠).

إلى المتوكل، وكان لا يغـيب قط عن طعامهم، فكانوا لا يتناولون شيئًا من أطعمتـهم إلا بحضرته، ومن ثمَّ لم يكن هناك أدنى كلفة بينه وبين الخليفة المتوكل، فكان الخليفة يداعبه فى رفق ولين.

واشتـهر من بين أهل الذمة كـثير فى مـيدان الآداب والفنون، فيقول «ترتون»: ظلت علاقات العرب برعاياهم فى ميدان الآداب، والفنون علاقات طيبة قائمة على المودة خلال القرنين الأول والثانى للهجرة، بل إن كـثيرًا من هذه المودة استمر بعـد هذه الفترة، وقد اصطنعت الحكومة مهندسين وعمالاً من غير المسلمين[1].

ودرس كثير من الذميين على أيدى مـدرسين وفقهاء مسلمين، من ذلك أن «حنين بن إسحاق» درس عـلى يد «الخليل بن أحمد» و«سيبويه» حتى أصبح حجة فى العربية[2].

وتتلمذ «يحيى بن عدى بن حميد» أفقه رجال عصره فى المنطق على يد «الفارابى» ودرس «ثابت بن قرة» على يد «على بن الوليد» من رجال المعـتزلة وكـان حسنَ الخط، متـمكنًا من الأدب، وتدل مؤلفاته وكتبه على عمق تفكيره، وقوة معرفته، وما لبث أن اعتنق الإسلام[3] [4].

---

(١) الإسلام وأهل الذمة، (ص ١٤٥- ١٤٧) بتصرف.

(٢) الأغانى للأصفهانى (ج ٢ ص ١١٦) فى الحاشية.

(٣) طبقـات الأطباء، لابن أبى أصيـبعة، (ج١ ص ١٨٥) نقـلاً عن: غيـر المسلمين فى المجتمع الإسلامى، (ص ٥٦).

(٤) سماحة الإسلام / د. عمر بن عبد العزيز قريشى (ص: ٩٤- ١١٣).

# المرأة فى ظل الإسلام

لقد علم أعداء هذا الدين العظيم أن المرأة المسلمة من أعظم أسباب القوة فى المجتمع الإسلامى . . فهى نصف المجتمع وتلد النصف الآخر فهى المجتمع كله وهى صانعة الرجال والأبطال.

فانطلق أعداء الإسلام يخططون ليل نهار من أجل إفساد المرأة المسلمة وإخراجها من خدرها وحيائها ودينها.

فبدأ أعداء الإسلام يصورون للمرأة أنها فى ظل الدين الإسلامى لا تنال حقوقها . . وأنها مظلومة وأنها فى سجن مؤبد وأن الحجاب تخلف ورجعية حتى انطلت تلك الشعارات الزائفة - بكل أسف- على كثير من المسلمين فأخذوا يرددون تلك الشعارات دون وعى ولا فهم للعواقب الوخيمة التى ستعقبها.

* ووالله لا أعلم دينًا كرَّم المرأة كما كرمها الإسلام.

فلقد كانت المرأة لا وزن لها ولا قيمة عند سائر الأمم وفى ظل الديانات الأخرى المُحرَّفة فجاء الإسلام ليرفعها من هذا الحضيض إلى تلك المكانة السامية بعد أن كانت من سقط المتاع تُشترى وتُباع . . وبعد أن كانت تُقتل وهى حية مخافة الفقر والعار(١).

(١) بتصرف واختصار من كتاب «عودة الحجاب/ الجزء الثانى» لفضيلة الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم -حفظه الله-.

* نعم.. جاء الإسلام ليجعلها صنو الرجل، فقال ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال»[1].

بل وخص القرآن الكريم النساء بسورة كاملة وسماها باسمهن «النساء»، ويا لها والله من كرامة!!

بل ويُقر الآن المتجردون الذين لم يمت الإنصاف فى قلوبهم ولم تضل عقولهم. يقرون الآن بما تعانيه المرأة فى الشرق والغرب. التى يُتلهى ويُستمتع بها وهى شابة جميلة، ثم يُرمَى بها بعد ذلك فى آخر عمرها فى إحدى دور العجائز والمسنين..

## المرأة عند الآخرين[2]

لا جرم أن الباحث فى وضع المرأة قبل الإسلام لن يجد ما يسره، إذ يرى نفسه أمام إجماع عالمى على تجريد هذه المخلوقة من جميع الحقوق الإنسانية:

**(١) المرأة عند الإغريق:**

كانت مُحتقرة مَهينة، حتى سموها رجسًا من عمل الشيطان، وكانت عندهم كسقط المتاع، تُباع وتُشترى فى الأسواق، مسلوبة

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى (١١٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٦٣).

(٢) مستفاد من «المرأة بين الفقه والقانون» للدكتور السباعى رحمه الله (١٣-٢٢)، «ماذا عن المرأة؟» للدكتور نور الدين عتر (١٣-١٦)، «المرأة المسلمة» لوهبى غاوجى (٢٥-٢٧)، «المرأة ومكانتها» للحصين (١١-١٧) و«المرأة العربية» لعبد الله عفيفى، و(الحجاب) للمودودى (١٢-٢٥) وغيرها.

الحقوق، محرومة من حق الميراث وحق التصرف فى المال، ومما يُذكر عن فيلسوفهم (سقراط) قوله: (إن وجود المرأة هو أكبر منشإ ومصدر للأزمة والانهيار فى العالم، إن المرأة تشبه شجرة مسمومة حيث يكون ظاهرها جميلاً، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً).

ويُحدثنا التاريخ عن اليونان فى إدبار دولتهم كيف فشت فيهم الفواحش والفجور، وعُدَّ من الحرية أن تكون المرأة عاهرًا، وأن يكون لها عشاق، ونصبوا التماثيل للغوانى والفاجرات، وقد أفرغوا على الفاحشة ألوان القداسة بإدخالها المعابد حيث اتخذ البغاء صفة التقرب إلى آلهتهم، ومن ذلك أنهم اتخذوا إلهًا أسموه (كيوبيد) أى ابن الحب، واعتقدوا أن هذا الإله المزعوم ثمرة خيانة إحدى آلهتهم[1] (أفروديت) زوجها مع رجل من البشر.

وتحكى بعض المصادر أنه كان للمرأة الإسبرطية الحق فى أن تتزوج بأكثر من رجل واحد.

**(٢) المرأة عند الرومان:**

**كان شعارهم فيما يتعلق بالمرأة:** «إن قيدها لا يُنزع، ونيرها لا يُخلَع»[2]، وكان الأب غير ملزم بقبول ضم ولده منه إلى أسرته ذكرًا كان أم أنثى، بل كان يوضع الطفل بعد ولادته عند قدميه، فإذا رفعه وأخذه بين يديه كان ذلك دليلاً على أنه قَبِل ضمه إلى

---

(١) كان يبلغ عدد الآلهة التى عبدوها من دون الله ألف إله.

(٢) المرأة فى القرآن للعقاد ص (٥٤).



أسرته، وإلا فإنه يعنى رفضه لذلك، وحينئذ يؤخذ الوليد إلى الساحات العامة، أو ساحات هياكل العبادة فيُطرح هناك، فمن شاء أخذه إذا كان ذكرًا، وإلا فإن الوليد يموت جوعًا وعطشًا وتأثرًا من حرارة الشمس أو برودة الشتاء، وكان لرب الأسرة أن يُدخل فى أسرته من الأجانب من يشاء، ويُخرج منها من أبنائه من يشاء عن طريق البيع، ثم قيد قانون الاثنى عشر لوحًا حق البيع بثلاث مرات، فإذا باع الأب ابنه ثلاث مرات متوالية كان له الحق فى التحرر من سلطة رئيس الأسرة، أما البنت فكانت تظل خاضعة له مادام حيًّا، وكانت قوانين الاثنى عشر لوحًا تعد الأنوثة من أسباب حرمان الأهلية، ومن عجيب ما ذكرته بعض المصادر - وهو مما لا يكاد يصدَّق -أن مما لاقته المرأة فى العصور الرومانية تحت شعارهم المعروف «ليس للمرأة روح» تعذيبها بسكب الزيت الحار على بدنها، وربطها بالأعمدة، بل كانوا يربطون البريئات بذيول الخيول، ويسرعون بها إلى أقصى سرعة حتى تموت(١).

**(٣) المرأة عند الصينيين القدماء:**

شُبهت المرأة عندهم بالمياه المؤلمة التى تغسل السعادة والمال، وللصينى الحق فى أن يبيع زوجته كالجارية، وإذا ترملت المرأة الصينية أصبح لأهل الزوج الحق فيها كثروة، وتورث، وللصينى الحق فى أن يدفن زوجته حية!

---

(١) المرأة فى الإسلام لسكينة زيتون (ص١١).

### (٤) المرأة فى قانون حمورابى:

كانت المرأة تُحسب فى عداد الماشية المملوكة، ومن قتل بنتًا لرجل كان عليه أن يسلمه بنته ليقتلها أو يتملكها.

### (٥) المرأة عند الهنود:

فى شرائع الهندوس أنه: (ليس الصبر المقدر، والريح، والموت، والجحيم، والسم، والأفاعى، والنار، أسوأ من المرأة).

ويقول الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله: (ولم يكن للمرأة فى شريعة «مانو» حق فى الاستقلال عن أبيها أو زوجها أو ولدها، فإذا مات هؤلاء جميعًا وجب أن تنتمى إلى رجل من أقارب زوجها، وهى قاصرة طيلة حياتها، ولم يكن لها حق فى الحياة بعد وفاة زوجها بل يجب أن تموت يوم موت زوجها، وأن تُحرق معه وهى حية على موقد واحد، واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر حيث أُبطلت على كُره من رجال الدين الهنود، وكانت تُقدَّم قربانًا للآلهة لترضى، أو تأمر بالمطر أو الرزق، وفى بعض مناطق الهند القديمة شجرة يجب أن يقدم لها أهل المنطقة فتاة تأكلها كل سنة؟!)[1].

### (٦) المرأة عند الفرس:

«أبيح الزواج بالأمهات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت، وكانت تنفى الأنثى فى فترة الطمث إلى مكان بعيد خارج المدينة، ولا يجوز لأحد مخالطتها إلا الخدام

(١) المرأة بين الفقه والقانون (ص١٨).

الذين يقدمون لها الطعام، وفضلاً عن هذا كله فقد كانت المرأة الفارسية تحت سلطة الرجل المطلقة، يحق له أن يحكم عليها بالموت، أو يُنعم عليها بالحياة»[(١)].

## (٧) المرأة عند اليهود:

كانت بعض طوائف اليهود تعتبر البنت في مرتبة الخادم، وكان لأبيها الحق في أن يبيعها قاصرة، وما كانت ترث إلا إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين وإلا ما كان يتبرع لها به أبوها في حياته، وحين تُحرَم البنت من الميراث لوجود أخ لها ذكر يثبت لها على أخيها النفقة والمهر عند الزواج، وإذا كان الأب قد ترك عقاراً فيعطيها من العقار، أما إذا ترك مالاً منقولاً فلا شيء لها من النفقة والمهر ولو ترك القناطير المقنطرة.

وإذا آل الميراث إلى البنت لعدم وجود أخ لها لم يجز لها أن تتزوج من سبط آخر، ولا يحق لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها، واليهود يعتبرون المرأة لعنة لأنها أغوت آدم، وعندما يصيبها الحيض لا يجالسونها ولا يؤاكلونها[(٢)] ولا تلمس وعاءً حتى

(١) حقوق المرأة في الإسلام لمحمد رشيد رضا (ص٢٧، ٢٨).

(٢) وقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه. الحديث رواه مسلم رقم (٣٠٢) في الحيض: باب جواز غسل الحائض رأس زوجها، وأبو داود رقم (٢١٦٥) في النكاح: باب في إتيان الحائض ومباشرتها، والترمذي رقم (٢٩٨١) في التفسير، والنسائي (١/ ١٥٢) في الطهارة.

لا يتنجس، وكان بعضـهم ينصب للحائض خيمة، ويضع أمـامها خبزًا وماءً، ويجعلها فى هذه الخيمة حتى تطهر.

**(٨) المرأة عند الأمم النصرانية:**

هال رجال النصـرانية الأوائل ما رأوا فى المجتـمع الرومانى من انتشار الفواحش والمنكرات وما آل إليه المجتمع من انحلال أخلاقى شنيع، فاعتبروا المرأة مسـئولة عن هذا كله؛ لأنها كانت تخرج إلى المجتـمعات، وتتـمتع بما تشـاء من اللهو، وتختـلط بمن تشاء من الرجال كما تشاء، فـقرروا أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه وأن العزب أكرم عند الله من المتـزوج، وأعلنوا أنها باب الشيطان، وأن العلاقة بالمرأة رجس فى ذاتها، وأن السمو لا يتحقق إلا بالبعد عن الزواج، قال «ترتوليان» الملقب بالقـديس: إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، ناقضة لنواميس الله، مشوهة للرجل.

**وقال:** «سوستـام» الملقب بالقديس: إنها شـر لا بد منه، وآفة مرغـوب فيـها، وخطر على الأسـرة والبيت، ومـحبـوبة فتـاكة، ومصيبة مطلية مموهة[1].

وعقد الفـرنسيون فى عام ٥٨٦م -أى فى زمان شـباب رسول الله ﷺ- مؤتمرًا للبـحث: هل تُعدُّ المرأة إنسانًا أم غيـر إنسان؟ وهل لها روح أم ليس لها روح؟ وإذا كانت لها روح فهل هى روح حيـوانية أم روح إنسانية؟ وإذا كـانت روحًا إنسانيـة فهل هى على

(١) المرأة فى القرآن ص (٥٤).

مستوى روح الرجل أم أدنى منها؟ وأخيرًا: قرروا أنها إنسان، ولكنها خُلقت لخدمة الرجل فحسب.

فالدين النصرانى الـمُحرَّف الذى ينتمى إليه العالم الغربى اليوم يرى أن المرأة ينبوع المعاصى، وأصل السيئة والفجور، ويرى أن المرأة للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هى مصدر تُحركه وتَحمله على الآثام، ومنها انبجست عيون المصائب على الإنسانية جمعاء.

ومن أساسيات النصرانية المحرفة التنفير من المرأة وإن كانت زوجة، واحتقار وترذيل الصلة الزوجية وإن كانت حلالاً، حتى بالنسبة لغير الرهبان، . . . يقول أحد رجال الكنيسة: «بونا فنتور» الملقب بالقديس: إذا رأيتم امرأة، فلا تحسبوا أنكم ترون كائنًا بشريًا، بل ولا كائنًا وحشيًا، وإنما الذى ترون هو الشيطان بذاته، والذى تسمعون به هو صفير الثعبان[1]. اهـ.

(وأصدر البرلمان الإنكليزى قرارًا فى عصر هنرى الثامن ملك إنكلترا، يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب «العهد الجديد» أى الإنجيل؛ لأنها تعتبر نجسة).

وتذكر بعض المصادر أنه قد شُكِّل مجلس اجتماعى فى بريطانيا خصيصًا لتعذيب النساء، وذلك سنة ١٥٠٠م، وكان من ضمن مواده تعذيب النساء وهن أحياء بالنار!

---

(١) «العلمانية: نشأتها، وتطورها، وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ص ٨٦» نقلاً من: أشعة خاصة بنور الإسلام ص (٢٩).

* **وقال الأستاذ محمد رشيد رضا رحمه الله**: من الغرائب التى نُقلت عن بعض صحف إنكلترا فى هذه الأيام[1] أنه لا يزال يوجد فى بلاد الأرياف الإنكليزية رجال يبيعون نساءهم بثمن بخس جداً كثلاثين شلنًا، وقد ذكرت -أى الصحف الإنكليزية- أسماء بعضهم»[2]. اهـ.

أما وضع المرأة اليوم فى ديار الكفار، فحدث ولا حرج عن الإذلال، والمهانة، والمجون، والخلاعة، والابتذال، والاستغلال، فى أقسى صورها، وأبشع مظاهرها، التى لا يسيغها إلا ممسوخ الفطرة، منتكس السريرة، خبيث الطوية، وترصد ما وصلت إليه المرأة فى انحطاط أخلاقى، وانهيار اجتماعى، وتفكك أسرى، يقول الدكتور «مصطفى السباعى» رحمه الله فى وصف شىء من أحوال المرأة فى الغرب:

(وأما المرأة فقد دفع بها الوضع الاجتماعى الذى لا يرحم إلى أن أصبحت تُطرد من المنزل بعد سن الثامنة عشرة لكى تبدأ فى الكدح لنيل لقمة العيش، وإذا ما رغبت -أو أجبرتها الظروف- فى البقاء فى المنزل مع أسرتها بعد هذه السن، فإنها تدفع لوالديها إيجار غرفتها، وثمن طعامها، وغسيل ملابسها، بل تدفع رسمًا معينًا مقابل اتصالاتها الهاتفية)[3]. اهـ.

(١) وتاريخ طبع الكتاب ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٥١ هـ، أى أن آثار الماضى كانت لا تزال باقية فى إنكلترا إلى ما قبل حوالى ستين سنة فقط!

(٢) حقوق النساء فى الإسلام الشيخ/ محمد رشيد رضا رحمه الله.

(٣) المرأة بين الفقه والقانون (ص: ٣٠٠).

وحدِّث ولا حرج عن نُدرة الزواج، وشيوع البغاء، وتفشى الزنا واللواط، وكثرة اللقطاء، وارتفاع نسبة الطلاق، وتغلغل الأمراض التناسلية الفتاكة، وانتشار نكاح المحارم بصورة مفزعة، بل لقد وصلت المرأة إلى دركة من المهانة والانحلال لا يتخيلها عاقل.

**(٩) المرأة عند العرب:**

* **قال عمر بن الخطاب** ﷺ: والله إن كنا فى الجاهلية ما نعد للنساء أمرًا، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم[1].

* لم يكن لها حق الإرث، وكانوا يقولون فى ذلك: (لا يرثنا إلا من يحمل السيف، ويحمى البيضة)، فإذا مات الرجل ورثه ابنه، فإن لم يكن فأقرب من وُجد من أوليائه أبًا كان أو أخًا أو عمًّا، على حين يضم بناته ونساءه إلى بنات الوارث ونسائه، فيكون لهن ما لهن، وعليهن ما عليهن.

ولم يكن لها على زوجها أى حق، وليس للطلاق عدد محدود، ولا لتعدد الزوجات عدد معين، وكانوا إذا مات الرجل وله زوجة وأولاد من غيرها، كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره، فهو يعتبرها إرثًا كبقية أموال أبيه، فإن أراد أن يعلن عن رغبته فى الزواج منها طرح عليها ثوبًا، وإلا كان لها أن تتزوج بمن تشاء.

---

(١) انظر (فتح البارى) (١٠/ ٣٠١).

وقد كان نكاح زوجات الآباء معروفًا فى الجاهلية، فعله كثير من العرب[1]، وهذا الذى نهى الله عنه بقوله جل وعلا: ﴿ وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[2].

وكانت المرأة تُمسَك ضرارًا للاعتداء، وتلاقى من بعلها نشوزًا أو إعراضًا، وتُترك أحيانًا كالمُعلَّقة.

وكان أحدهم إذا أراد نجابة الولد حمل امرأته -بعد طهرها من الحيض- إلى الرجل النجيب كالشاعر والفارس، وتركها عنده حتى يستبين حملها منه، ثم عاد بها إلى بيته، وقد حملت بنجيب!

**وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:** كانوا فى الجاهلية يُكرهون إماءهم على الزنا ويأخذون أجورهم.

**وقال قتادة:** كان الرجل فى الجاهلية يقامر على أهله وماله، فيقعد حزينًا سليبًا ينظر إلى ماله فى يد غيره، فكانت تورث بينهم عداوة وبغضًا[3]. اهـ.

* وكان عند العرب فى الجاهلية أنواع من الزواج الفاسد الذى

---

(1) وقد ذكر أسماء بعض منهم العلامة القرطبى فى تفسيره (٥/ ١٠٤)، وكان بعض ذوى المروءات منهم يمقتون هذا النكاح، ويسمونه نكاح المقت، وكانوا يسمون الرجل الذى يزاحم أباه فى امرأته غير أمه: «الضَّيْزن»، وكانوا يسمون المولود من هذا النكاح: المقتى، وأصل المقت: البغض. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ١٠٤-١٠٥).

(2) سورة النساء: الآية: (٢٢).

(3) ذكره الطبرانى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: الآية: (٩١)].

كان يوجد عند كثير من الشعوب، ولا يزال بعضه إلى اليوم فى البلاد الهمجية:

- فمنها اشتراك الرهط من الرجال فى الدخول على امرأة واحدة، وإعطائها الحق فى الولد أن تُلحقه بمن شاءت منهم.

- ومنها نكاح الاستبضاع، وهو أن يأذن الرجل لزوجه أن تُمكِّن من نفسها رَجُلاً معينًا من الرؤساء والكبراء المتصفين بالشجاعة أو الكرم ليكون لها منه ولد مثله، وقد مر ذكره آنفًا [1].

- ومنها السفاح بالبغاء العلنى، وكان عند العرب خاصًّا بالإماء دون الحرائر، «وكانوا لا يتحرجون من الزنا، وهم يتحرجون من ولاية اليتامى»[2].

- ومنها اتخاذ الأخدان أى الصواحب والعشيقات، وكانوا يستترون به، ويعدونه لؤمًا وخِسة[3].

- ومنها نكاح المتعة وهو المؤقت، وقد استقر أمر الشريعة على تحريمه، وتبيحه فرقة الشيعة الإمامية[4].

- ومنها نكاح البدل والمبادلة، وهو أن يَنزل كل من الرجلين للآخر عن زوجته[5].

---

(١) وهذان النوعان لا يزالان موجودان بصفة مطلقة دائمة عند بعض الأمم كالتبت وغيرها، وكان عند العرب مؤقتًا ومقيداً بما ذكرنا.

(٢) الكشاف للزمخشرى (١/٤٩٦).

(٣) وهذان النوعان شائعان اليوم فى أوربا كلها جهراً، وسَرى منها إلى كثير من البلاد الشرقية.

(٤) وهو شائع بمعناه اليوم عند الإفرنج ويسمونه: نكاح التجربة.

(٥) نيل الأوطار (٥/٢) ط. دار التراث.

- ومنها نكاح الشِّغـار، وهو أن يُزوج الرجل امرأةً: - بنته أو أخته أو من هى تحت ولايتـه - على أن يزوجه أخرى بغيـر مهر، صداق كل واحدة بضع الأخرى.

- وهذان النوعان مبـنيان على قاعدة اعتـبار المرأة ملكًا للرجل يتصرف فيها كما يتصرف فى بهائمه وأمواله[1].

وأما المرتقون من العرب كـقريش فكان نكاحهم هو الذى عليه المسلمون فى الإسـلام، من الخطبة والمهر والعقـد، وهو الذى أقره الإسلام[2]، مع إبطال بعض الـعـادات الظالمة للنسـاء فـيـه، من استبـدادٍ فى تزويجهن كرهًا أو عـضلهن - أى منعهن من الزواج- أو أكل مهورهن... إلى غير ذلك.

## وأد البنات فى الجاهلية

(من العـرب من كان يرى البنت حِـملاً فـادحًا يضـعف دونه احتمـاله، وتتخاذل قواه لفرط ما يُشـفَق من وصمة الذل، ووصم العـار، إذا وهنت نفـسـها، أو ذهب السـبـاء بهـا، فكان بين أن يستبقيها على كُرهٍ لها، ومضضٍ منها، وترقُّب لموتها، أو يفزع إلى الحُفـر فيقذفـها فى جوفهـا، ويهيل التراب على غضـارة عودها، ونضارة وجهها، وبدل أن يدعها تسـتقبل الوجود، وتستنشى نسيم الحياة، يدعها فى غمرة الموت بين طباق الأرض!!

(١) ولا يزالان موجودين فى الشعوب الهمجية كالغجر.
(٢) انظر: «فتح البارى» (٩/ ١٥٠-١٥٢).



وقد كانت بعض القبائل تئد البنات والأولاد أيضًا خشية الفقر (1).

**وكانت بعض القبائل تقول:** «الملائكة بنات الله»، فيقتلون بناتهم، ويقولون: «نُلحقهن ببنات الله» - تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا.

**وقال قتادة:** «كان مُضَر وخزاعة يدفنون البنات أحياء، وأشدهم في هذا تميم، زعموا خوف القهر عليهم، وطمع غير الأكفاء فيهن» (2).

**وعنه أيضًا قال:** (كان أحدهم يغذو كلبه، ويئد ابنته). اهـ (3).

(وكان بعضهم يُغرقها، وبعضهم يذبحها) (4).

وكانوا في بعض الأحيان يئدون البنات بقسوة نادرة، فقد يتأخر وأد الموؤودة (5) لسفر الوالد وشُغُله، فلا يئدها إلا وقد كبرت، وصارت تعقل، وقد كان بعضهم يُلقي الأنثى من شاهق (6)، وقد حكوا في ذلك عن أنفسهم مبكيات.

---

(1) وقد رد عليهم القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ **(الإسراء: 31)** وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ **(الأنعام: 151)** فأبطل بالآية الأولى تخوفهم من الإملاق المتوقع، وفي الثانية من الإملاق الحاضر.

(2) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (10/ 117).

(3) «تفسير الطبري» (14/ 76).

(4) «روح المعاني» للألوسي (14/ 169).

(5) الموؤودة: هي البنت التي تُدفن حية، من الوأد وهو الثقل، كأنها سُميت بذلك لأنها تثقل بالتراب حتى تموت.

(6) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ ص (68- 70) والشاهق: المرتفع من الجبال والأبنية وغيرها.

منها: ما روى أن عمر ﷺ قال: «أمران فى الجاهلية، أحدهما يبكينى، والآخر يضحكنى؛ أما الذى يبكينى: فقد ذهبت بابنة لى لوأدها، فكنت أحفر لها الحفرة، وتنفض التراب عن لحيتى، وهى لا تدرى ماذا أريد لها، فإذا تذكرت ذلك بكيت، والأخرى: كنت أصنع إلهًا من التمر، وأضعه عند رأسى يحرسنى ليلاً، فإذا أصبحت معافى أكلته، فإذا تذكرت ذلك ضحكت من نفسى» (١).

* ومن طرائف ما يروى فى ذلك:

أنه كان لأبى حمزة الأعرابى زوجتان، فولدت إحداهما ابنة، فعزَّ عليه ذلك، واجتنبها، وصار فى بيت ضرتها، فأحست به يومًا فى بيت صاحبتها، فجعلت تُرقص ابنتها الصغيرة، وتقول:

*ما لأبى حمزة لا يأتينا*
*يظل فى البيت الذى يلينا*
*غضبان أن لا تلد البنينا*
*تالله ما ذلك فى أيدينا*
*بل نحن كالأرض لزارعينا*
*يلبث ما قد زرعوه فينا*
*وإنما نأخذ ما أُعطينا*

فعرف أبو حمزة قُبْح ما فعل، وراجع امرأته(٢).

* * *

(١) تتمة أضواء البيان (٩/ ٦٣).

(٢) «صون المكرمات برعاية البنات» ص (٢٥).

## موقف بعض سادات العرب من الوأد

ذلك وقد نهض من سادات العرب مَن حال دون الوأد بما بذل من مال جَمٍّ، وسعى وفير، ومن بين هؤلاء صعصعة بن ناجية التميمى، فقد كان يتلمس مَن مسَّها المخاض، فيغدو إليها، ويستوهب الرجل حياة مولوده إن كانت بنتًا على أن يبذل له فى سبيل ذلك بعيرًا وناقتين عشراويين(1)، فجاء الإسلام وقد افتدى أربعمائة وليدة(2).

* ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل القرشى، كان يضرب بين مضارب القوم فإذا بصر برجل يهُمُّ بوأد ابنته قال له: لا تقتلها، أنا أكفيك مؤونتها، فيأخذها، ويلى أمرها حتى تشب عن الطوق، فيقول لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤونتها)(3).

وبالجملة فكان الوأد عادة من أشنع العوائد فى الجاهلية مما يدل على نهاية القسوة، وتمام الجفاء والغلظة.

## مظاهر تكريم الإسلام للمرأة

لم يعتبر الإسلام المرأة جرثومة خبيثة كما اعتبرها الآخرون، ولكنه قرر حقيقة تزيل هذا الهوان عنها، وهى أن المرأة بين يدى الإسلام قسيمة الرجل، لها ما لها من الحقوق، وعليها أيضًا من

(1) الناقة العشراء: التى أتى عليها من وقت حملها، عشرة أشهر.
(2) الأغانى (٣/ ٩٩).
(3) رواه البخارى تعليقًا (٧/ ١١٠) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ: باب حديث زيد ابن عمرو بن نفيل.

الواجبات ما يلائم تكوينها وفطرتها، وعلى الرجل بما اختُص به من شرف الرجولة، وقوة الجلد، وبسطة اليد، واتساع الحيلة، أن يلى رياستها، فهو بذلك وليها؛ يحوطها بقوته، ويذود عنها بدمه، وينفق عليها من كسب يده.

ذلك ما أجمله الله، وضم أطرافه، وجمع حواشيه، بقوله تباركت آياته: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾(١).

تلك هى درجة الرعاية والحياطة، لا يتجاوزها إلى قهر النفس، وجحود الحق.

وكما قرن الله سبحانه بينهما فى شؤون الحياة، كذلك ساوى بينهما فى الإنسانية، والموالاة، وتكاليف الإيمان، وحسن المثوبة، وادخار الأجر، وارتقاء الدرجات العُلى فى الجنة.

## المساواة فى أغلب تكاليف الإيمان

وقد وضع القرآن الكريم الرجل والمرأة على قدم المساواة فى الالتزامات الأخلاقية، والتكاليف الدينية إلا فى حالات مخصوصة خفف الله فيها عن المرأة رحمة بها، ومراعاة لفطرتها وتكوينها.

* **وإيمان النساء كإيمان الرجال:**

قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٢٨).

(٢) سورة البروج: الآية: (١٠).

وأمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات جميعًا فقال عز وجل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١).

ومن المُجمع عليه المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن على النساء ما على الرجال من أركان الإسلام، إلا أن الصلاة تسقط عن المرأة فى زمن الحيض والنفاس مُطلقًا فتتركها، ولا تعيدها لكثرتها، وأما الصيام فيسقط عنها فى زمنهما، وتقضى ما أفطرته من أيام رمضان لقلته، وأما حجها فيصح فى كل حال، ولكنها لا تطوف بالبيت الحرام إلا وهى طاهرة.

## المساواة فى المسؤولية المدنية فى الحقوق المادية الخاصة (٢)

أكد الإسلام احترام شخصية المرأة المعنوية، وسوَّاها بالرجل فى أهلية الوجوب والأداء، وأثبت لها حقها فى التصرف، ومباشرة جميع العقود: كحق البيع، وحق الشراء، وحق الدائن، وحق المدين، وحق الراهن، وحق المرتهن، كذلك حق الوكالة، والإجارة، والاتجار فى المال الخاص، وما إلى ذلك، وكل هذه الحقوق المدنية واجبة النفاذ.

---

(١) سورة محمد: الآية: (١٩).

(٢) من الأسرة فى ضوء الكتاب والسنة للدكتور السيد أحمد فرج ص (٢٩-٣٢) بتصرف.



## المساواة فى جزاء الآخرة

وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١).

وقال عز وجل: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٢).

فسوى سبحانه بين الزوج والزوجة والابن والبنت والعبد والأمة فى هذه الصفات الجميلة، ومازال السلف رضوان الله عليهم على هذا المنهاج تجد أولادهم ونساءهم وعبيدهم وإماءهم فى غالب أمرهم مشتركين فى هذه الفضائل كلها.

وقال سبحانه: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٣).

وقال ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلى الجنة من أى الأبواب شئت»(٤).

---

(١) سورة النحل: الآية: (٩٧).

(٢) سورة غافر: الآية: (٤٠).

(٣) سورة التوبة: الآية: (٧٢).

(٤) رواه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٤/٣٠٦) قال الهيثمى: فيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وسعيد ابن عفير لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٦٢).

فإذا احتمل الرجل نار الهجير، واصطلى جمرة الحرب، وتناثرت أوصاله تحت ظلال السيوف، فليس ذلك بزائده مثقال حبة عن المرأة إذا وفَّت لبيتها، وأخلصت لزوجها، وأحسنت القيام على بنيها.

## تحريم قتل النساء فى الحروب

حرم الشرع الشريف قتل النساء والأطفال والشيوخ فى الجهاد، إلا أن يقاتلوا، فيُدفَعوا بالقتل:

فعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيشًا قال: «**انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلاً صغيرًا، ولا امرأة ولا تغلوا، وضُمُّوا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**»(١).

**وعن عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما **قال:** (وُجدت امرأة مقتولة فى بعض مغازى رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان)(٢)، وفى رواية: (فأنكر).

## معاملة الحائض فى السنة الشريفة

**عن عائشة** رضي الله عنها **قالت:** كنت أشرب من الإناء وأنا حائض، ثم أناوله النبى ﷺ، فيضع فاه على موضع فىَّ، وفى رواية أبى داود

(١) ضعيف: رواه أبو داود (٢٦١٤) كتاب الجهاد، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (١٣٤٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠١٤، ٣٠١٥) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٧٤٤) كتاب الجهاد والسير.

والنسائى قالت: كنت أتعرَّق العرْق[1] وأنا حائض، فأعطيه رسول الله ﷺ، فيضع فمه فى الموضع الذى وضعت فمى فيه، وكنت أشرب من القدح فأناوله إياه، فيضع فمه فى الموضع الذى كنت أشرب»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قال: «كان رسول الله ﷺ يُخرج إلىّ رأسه من المسجد، وهو مجاور -أى معتكف- فأغسله وأنا حائض»[3].

وعنها رضي الله عنها قالت: إن النبى ﷺ كان يتكئ فى حجرى وأنا حائض، فيقرأ القرآن[4].

## كرامة المرأة المسلمة

لئن قرن الإسلام بين الرجل والمرأة فى عامة المواطن، لقد عرف لها نصيبها من رقة القلب، ودقة الوجدان، وأنها مناط شرف الرجل، وموطن عرضه، فاختصها بنصيب وافر من الحرمة والكرامة.

إن كرامة المرأة فى الإسلام تتناول شخصها وسيرتها، وتشمل مشهدها ومغيبها، فمن حقها أن تكون هى فى موطن الرعاية والعناية، وأن يكون اسمها بمنجاة من لغو القول، ومنال اللسان. لقد كانت المرأة المسلمة تجير الخائف، وتفك العانى، وذلك كله إلى

(١) العرق: العظم عليه بقية اللحم، وتعرقه: إذا أكل ذلك اللحم الباقى عليه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٠٠) كتاب الحيض.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠١) كتاب الحيض، ومسلم (٢٩٧) كتاب الحيض.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٧) كتاب الحيض، ومسلم (٣٠١) كتاب الحيض.

تجلَّة واحترام بلغت منهما غايتهما.

فقد أجارت أم هانئ بنت أبى طالب رجلين من أحمائها كُتب عليهما القتل، وذلك مجمل حديثها فى سبيل ذلك، قالت رضي الله عنها: ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح، فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فسلَّمت عليه، فقال: «**من هذه؟**»، فقلت: أنا أم هانئ بنت أبى طالب، فقال: «**مرحبًا بأم هانئ**». فلما فرغ من غُسله، قام فصلى ثمانى ركعات ملتحفًا فى ثوب واحد، فلما انصرف قلت: يا رسول الله! زعم ابن أمى علىٌّ: أنه قاتلٌ رجلاً قد أجرته[1] -فلان بن هبيرة- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»[2].

* وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويُجير عليهم أقصاهم**[3]**، وهم يد على من سواهم**»[4] الحديث.

* ولما أسر المسلمون أبا العاص بن الربيع، وغنموا ماله فيما أسروا وغنموا وكان زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن الإسلام فرَّق بينهما، استجار أبو العاص بزينب رضي الله عنها فوعدته

---

(١) أجرت الرجل: منعت من يريده بسوء، وآمنته شره وأذاه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٧) كتاب الصلاة، ومسلم (٣٣٦) كتاب الحيض.

(٣) يجير عليهم أقصاهم: يعنى أن أبعد المسلمين دارًا يجير عليهم، ويمنعهم ممن يريدونه إذا كان قد أعطاه بذلك عهدًا، وقيل: هو إذا وجه الإمام سرية فأجازوا أحدًا أمضاه.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٢٧٥١) كتاب الجهاد، وابن ماجه (٢٦٨٥) كتاب الديات، وأحمد (٦٦٥١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح أبى داود.

خيرًا، وانتظرت حتى صلى رسول الله ﷺ الفجر بالمسلمين، ثم وقفت على بابها -فى المسجد- فنادت بأعلى صوتها: إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فقال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس هل سمعتم ما سمعت**»؟ قالوا: نعم، قال: «**فوالذى نفسى بيده ما علمت بشىء مما كان حتى سمعت الذى سمعتم، المؤمنون يدٌ على من سواهم، يجير عليهم أدناهم، وقد أجرنا من أجارت**»[1]، فلما انصرف النبى ﷺ إلى منزله دخلت عليه زينب فسألته أن يرد على أبى العاص ما أخذ منه ففعل[2].

أما كرامة سيرتها، وصيانة اسمها، فذلك ما لا نحسب شريعة من الشرائع حاطتهما بمثل حياطة الإسلام لهما، وحسبك أن الله سبحانه وتعالى اشتد فى كتابه الكريم على قاذفى النساء فى أعراضهن بأشد مما اشتد على القتلة وقُطَّاع الطريق، فقد قال الله سبحانه فى سورة النور: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[3].

فجعل سبحانه للقاذف عقوبة ثمانين جَلدة، ثم دعم هذه العقوبة بأخرى أشد وأخزى وهى اتهامه أبد الدهر فى ذمته،

---

(١) السيرة لابن هشام (١/٦٥٣-٦٥٩) والحاكم (٣/ ٢٣٦، ٢٣٧).

(٢) وقد عاد أبو العاص بعد ذلك إلى مكة، فأدى الحقوق إلى أهلها، ثم آب إلى المدينة مسلمًا، فرد عليه رسول الله ﷺ زوجه ﵂، وانظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٣٢-٣٣٤)، والإصابة (٧/ ٢٤٨).

(٣) سورة النور: الآية: (٤).

واطِّراح شهادته، فلا تُقبل له شهادة أبدًا، ثم وسمه بعد ذلك بسمة هى شر الثلاثة جميعًا، وهى سمة الفسق، ووصمة الفجور.

لم يكن كل ذلك عقاب أولئك الأثمة الجناة، فقد عاود الله أمرهم بعد ذلك بما هو أشد وأهول من تمزيق ألسنتهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[١] وإن فى حديث الإفك وما أفاض الله فى شأنه لموعظة وذكرى لقوم يعقلون.

## وصية النبى ﷺ بالنساء

وكانت فى رجال قريش صرامة على نسائهم، ومنهم من كان يعمد إليهن بالأذى، فأما رسول الله ﷺ فما ضرب فى حياته امرأة ولا خادمًا -وهو الذى يقول: «**اتقوا الله فى النساء**»[٢] و«**استوصوا بالنساء خيراً**»[٣] ويقول: «**إنى أُحرِّج عليكم حق الضعيفين: اليتيم، والمرأة**»[٤]، وكان كأغضب ما يكون إذا سمع بامرأة يضربها زوجها.

---

(١) سورة النور: الآيات: (٢٣ - ٢٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٢١٨) كتاب الحج.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٨٦) كتاب النكاح، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

(٤) حسن: رواه ابن ماجه (٣٦٧٨) كتاب الأدب، وأحمد (٩٣٧٤)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠١٥).

فعن عبد الله بن زمعة قال: وعظ النبى ﷺ فى النساء فقال: «يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد، ثم يعانقها آخر النهار؟»(١).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا، إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتهَك شىء من محارم الله، فينتقم»(٢).

وعن إياس بن عبد الله بن أبى ذُباب: قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماء الله»، فجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: «ذئرن النساء على أزواجهن»، فرخص فى ضربهن، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير، يشكون أزواجهن، فقال رسول الله ﷺ: «لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم»(٣)، وعن بهز بن حكيم حدثنى أبى عن جدى قال: قلت: يا رسول الله! نساؤنا ما نأتى منهن وما نذر؟ قال: «ائت حرثك أنَّى شئت(٤)، وأطعمها إذا طعمت، واكسُها إذا اكتسيت، ولا تقبح الوجه، ولا تضرب»(٥) وفى رواية بزيادة:

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٤٢) كتاب الأدب، ومسلم (٢٨٥٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٧) كتاب الفضائل.

(٣) رواه أبو داود وابن ساجه والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٣٧).

(٤) انظر آداب الزفاف للألبانى (ص: ٩٩-١٠٦) - وأضواء البيان/ للشنقيطى (١/ ١٢٤-١٢٨).

(٥) رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه الألبانى فى الإرواء (٧/ ٩٨).

«ولا تهجر إلا فى البيت».

ولم يقف الإسلام من كرامة المرأة ورعايتها موقف المكتفى بكفِّ الأذى عنها فحسب، بل كان مما سنَّه رسول الله ﷺ ترفيهها والحرص على سرورها، واجتلاب ما يُفرحها، ويشرح صدرها فى حدود ما أباحه الله وفى غير معصية:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ وكان يأتينى صواحبى، قالت: فكن ينقمعن عن رسول الله ﷺ، قال أنس: ينقمعن(1) يفررن، قالت: فكان النبى ﷺ يسربهن إلىَّ، فيلعبن معى»(2).

وعنها رضي الله عنها قالت: والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتى والحبشة يلعبون بالحراب فى المسجد، ورسول الله ﷺ يسترنى بردائه لأنظر إلى لعبهم بين أذنه وعاتقه، ثم يقوم من أجلى حتى أكون أنا التى أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن(3) الحريصة على اللهو»(4).

* * *

(1) أى يتغيبن، والانقماع: الدخول فى بيت أو ستر، والمراد: يستترن حياء منه ﷺ.

(2) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٣٠) كتاب الأدب، ومسلم (٢٤٤٠) كتاب فضائل الصحابة.

(3) أى قيسوا قياس أمرها، وأنها مع حداثتها، وشهوتها للنظر وحرصها عليه، كيف مسَّها التعب والإعياء، ورسول الله ﷺ لم يمسَّه شىء من ذلك حفظًا لقلبها.

(4) متفق عليه: رواه البخارى (٤٥٥) كتاب الصلاة، ومسلم (٨٩٢) كتاب صلاة العيدين.

# المجتمع الإسلامى وحضارة الغرب

شتَّان شتَّان ما بين المجتمع الإسلامى الذى أرسى قواعده النبى محمد ﷺ وبين هذا المجتمع الغربى الذى أرسى قواعده الملحدون الذين لا يعرفون طريق النور ولا سبيل السعادة ولم يذوقوا طعم الإيمان.

فالمجتمع الإسلامى الذى أرسى قواعده النبى ﷺ هو مجتمع تربِطُه آصِرةُ العقيدة، وتذوبُ فيه الأجناسُ والأوطانُ والألوانُ، فالمؤمنون إخوة.

المجتمعُ الذى بناه رسول الله ﷺ لا تشيعُ فيه الفاحشة، ولا يتبجَّحُ فيه الإغراء، ولا تُروجُ فيه الفتنة، ولا تلتفتُ الأعُينُ فيه إلى العَوْرات، ولا ترِفُّ فيه الشهواتُ على الحرمات، ولا ينطلقُ فيه سُعارُ الجنسِ، ولا عرامةُ اللحم والدم، فتأمنُ الزوجةُ على زوجها، ويأمنُ الزوجُ على زوجته، ويأمنُ الأولياءُ على حُرماتهم، ويأمنُ الجميع على أعصابهم وقلوبهم، حيث لا تقعُ العيونُ على المفاتن، ولا تقودُ العيونُ القلوبَ إلى المحارم، لا رغائبَ مكبوتة، ولا قلقَ للأعصاب، ولا أمراضَ للنفوس، وإنما مجتمعٌ نظيفٌ عفيفٌ آمنٌ ساكن، تَرِفُّ عليه أجنحةُ السِّلم والطُّهْر والأمان.

وهو المجتمعُ الذى يكفلُ لكلِّ قادرٍ عملاً ورزْقًا، ولكلِّ عاجزٍ ضمانةً للعيش الكريم، ولكلِّ راغبٍ فى العفَّة زوجةً صالحةً، والذى يَعتبِرُ أهلَ كلِّ حىٍّ مسؤولين مسؤوليةً جنائيةً لو مات فيهم

جائع، حتى لَيرى بعضُ فقهاءِ الإسلام تغريمَهمُ الدِّيَة.

المجتمع المسلم الذى بناه رسولُ الله ﷺ وأرسى قواعدَه فى دنيا الإسلام عَبْرَ التاريخ: مجتمعٌ تُكْفَل فيه حُرِيَّاتُ الناس وكراماتهم وحُرماتهم وأموالُهم بحكم الشرع الحنيف، بعد كفالتها بالتوجيه الرَّبانى المُطاع فلا يُؤخذُ واحدٌ فيه بالظَّنَّة، ولا يُتَسَوَّرُ على أحد بيته، ولا يَتجسَّسُ على أحد فيه متجَسِّسٌ، ولا يَذهبُ فيه دمٌ هَدَرًا، والقِصاصُ حاضر، ولا يَضيعُ فيه على أحدٍ ماله سرقةً أوْ نَهبًا، والحدودُ حاضرة، وعَدلُ الله قائم.

مجتمعٌ تَشِيعُ فيه الشورى ويتساوى فيه الناسُ حُكَّامًا ومحكومين أمامَ شرعِ الله عز وجل.

لقد أقام النبىُّ ﷺ مجتمعًا لأول مرةٍ فى التاريخ لا يُعادلُه عَبْرَ التاريخ أىُّ مجتمعٍ آخَرُ وأقامَ ﷺ دولةً كأحسنِ ما تُقامُ الدول، حتى استمرَّ امتدادُها لأكثرَ من ألفٍ وثلاثمئةِ عام وهى مؤهَّلةٌ للعَودة والاستمرار، كمعجزةٍ باقيةٍ لإنسانٍ واحد، هى فى الحقيقة من أعظمِ معجزاته التى غَفَل عنها الغافلون.

قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ..** ﴾[1].

لقد صَنع رسولُ الله ﷺ بالقرآن الذى عليه وبسُنَّته المباركة فى نفوس المؤمنين به الذين تلقَّوا هذا الوحىَّ العظيمَ وتكيَّفُوا به

(١) سورة الرعد: الآية: (٣١).

أكثرَ من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياءِ الموتى لقد صنَعَ فى هذه النفوس وبهذه النفوس خوارقَ أضخمَ وأبعدَ آثارًا فى أقدار الحياة، بل أبعدَ أثرًا فى شكل الأرض ذاته، فكم غَيَّر الإسلامُ والمسلمون من وجه الأرض، إلى جانبِ ما غيَّروا من وجهِ التاريخ؟!

لقد سَيَّر رسولُ الله ﷺ بالقرآن ما هو أضخم من الجبال، وهو تاريخُ الأمم والأجيال، وقَطَع به ما هو أصلبُ من الأرض، وهو جُمودُ الأفكار، وعَفَنُ الشِّرك والكفر، وأحيى به وبسُنَّته ما أُخمد من الموتى، وهى الشعوبُ التى قَتَل رُوحهَا الشِّركُ، وظلمُ الطواغيت، وأوهامُ الأوثان.

إنَّ التحوُّل الذى تَمَّ فى نفوسِ العرب والمسلمين وبهم، ونقلهم تلك النَّقْلةَ الضخمةَ على يدِ رسول الله ﷺ وما جاء به، فأقام بهم أطهرَ وأعفَّ وأجملَ مجتمعٍ ودولةٍ فى التاريخ، أضخمُ بكثير من تحوُّلِ الجبالِ عن رُسوخها، وتحوُّلِ الأرض عن جُمودها، وتحوُّلِ الموتى عن الموات!

* شتانَ ما بين مجتمعِ الإسلام ومجتمع الخوفِ والجريمةِ وحضارة الدَّجال الأعور:

هذا الطُّهرُ والعفافُ والمَثَلُ الأعلى فى دنيا الناس، أين منه حضارةُ الجريمة والخوف. . . ، فعلى الخوف ينامُ الغرب، وعليه يصحو، وصدَق فيه قولُ الله تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ**

آمنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾(١).

* في تصريح لرئيس الندوة الدولية لمكافحة الجريمة والإرهاب الجنرال «أناتولى كوليكوف»: «إن هناك حوالى (٤٠٠) ألف جريمة تُرتكب يوميًّا فى العالم، وإن الجريمة قد نَمَت خلالَ الأعوامِ الثلاثين الأخيرة حوالى ثمانى مرات فى الولايات المتحدة الأمريكية، وسَبْعِ مراتٍ فى بريطانيا والسويد، وأربع مرات فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق، ومرَّتين فى اليابان».

وطبقًا لإحصائيات الجريمة فى الولايات المتحدة الأمريكية فإنَّ معدلَ الجرائم لديها كان: وقوع جريمة سرقة عادية كلَّ (٣) ثوان، وجريمة سَطْو كلَّ (١٤) ثانية، سرقة سيارة كلَّ (٢٥) ثانية، سرقة مقترنة بالعنف كلَّ (٦٠) ثانية، جريمة اغتصاب كلَّ (٦) ثوان، قتل كلَّ (٣١) ثانية.

وتُقدَّرُ كُلْفةُ الجريمة فى أمريكا (١٠٥) بلايين دولار، تُنفق فى علاج الضحايا، و(٣٥٠) بليون دولار للتعويضات والتأمين، و(١٢٠) مليون دولار تُصرَف على الشرطة، و(٣٥) بليون دولار تُصرف على السجون، وهناك (١٤) مليون متعاط للمخدِّرات.

وتشير إحصائيةُ السجون الأمريكية الصادرة عن وزارةِ العدلِ الأمريكية إلى أنه خلال عام ٢٠٠٣م ازداد عددُ النزلاء فى سجون

(١) سورة النحل: الآية: (١١٢).

أمريكا (٢٠٣٧٠) نزيلاً عن العام السابق، ومع نهاية ٣١ ديسمبر ٢٠٠٣ قُدِّرت نسبة الزيادة فى الطاقة الاستيعابية للسجون الأمريكية المحلية بـ (+ ١٦٪) عن طاقتها التصميمية الاستيعابية، فى حين كانت نسبةُ الفَرق فى السجون الفيدرالية (+ ٣٩٪) عن طاقتها الاستيعابية، ومع نهاية عام ٢٠٠٣ بلغ عددُ النساء المودَعاتِ السجون (١٠١١٧٩)، نزيلة من مجموع (٦ ملايين و٩٠٠ ألف) سجين أمريكى (أى نسبة ٦,٩٪ من عموم النزلاء) بمعنى أن وجود حوالى ٧ ملايين نزيل أمريكى سجين داخل الولايات المتحدة عام ٢٠٠٣ يدل على أنَّ مِن بينِ كلٍّ (٣٢) مواطنًا أمريكيًا بالغًا هناك سجين واحد»(١).

وانظر إلى حضارة «الدجَّال الأعور» المادية المزيَّفة التى كَفَرت بمحمد ﷺ رسول الإسلام، الذى قال عنه ربُّه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾(٢) فرفضوا شرعَه، وسَخِروا منه، واستهزؤوا به، وهو الطُّهْرُ كلُّ الطهـر يَدُبُّ على الأرض... والأمنُ معه، فماذا حصَّلوا: «جرائم غسل الأموال المتحصِّلة من الجريمة» «المخدِّرات والجريمة المنظمة» تُكَلِّفَ المجتمعَ الدولىَّ سنويًّا (١٥٠٠) مليار دولار».

كثيرٌ من دُول العالم المتقدِّم صارت نسبةُ الشرطة فيها إلى

---

(١) مجلة البيان العدد ٢٢٣ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ مارس ٢٠٠٦م (ص ٧٠، ٧١، ٧٣) مقالة «الإجرام العالمى وفشل العقوبات الوضعية» للدكتور أكرم عبد الرزاق المشهدانى.
(٢) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٦).



السُّكان تتــــراوحُ بين (٥٠٠ إلـى ١٠٠٠ عنصـــرِ أمن لـكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة من السكان)[١] ومع هذا فشِلوا!!!!

«عددُ الذين يتعاطَون المخـدِّرات فى أمريكا (٩٦ - ٩٧) مليون نَسمة»[٢].

«ونقل العلاَّمــة المودودى عن «دائرة المعارف البـريطانية» أنه فى الأربعينيـات كان (٩٠٪) من الشباب الأمـريكى مصابًا بالزُّهرى، و(٦٠٪) من الشباب الأمريكى مصابًا بالسَّيلان»[٣].

نسبةُ المرضى عقليًا وعصبيًّا ونفسيًّا فى السويد، أرقى بلدان العالم ماديًّا (٢٥٪) من سكان السـويد، وتُنفقُ الدولةُ (٣٠٪) من ميزانيتها على علاجهم، ونسبةُ الموظَّفين الذين يَخرُجون من وظائفهم بسبب هذه الأمراض يُساوى (٥٠٪) من مجموع المخرَجين.

ويقول (سى . ويبرس): «إن شخـصًا من كلِّ ٢٢ شخـصًا من سكان نيويورك يجبُ إدخالُه أحَدَ مستـشفيات الأمراض العقلية بين آنٍ وآخر».

*يوجـد (٩٥) مليـون مُـدمن فى أمـريكا، ونصفُ حـوادثِ السيارات التى تؤدِّى إلى الموت والتى بلغ عددُها (٥٥,٥٠٠) حالة موت كانت ناتجةً عن سُكر السائق، أو المشاة.

(١) مجلة البيـان العدد ٢٢٣ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ مارس ٢٠٠٦م (ص ٧٠، ٧١، ٧٣) مقالة «الإجرام العالمى وفشل العقوبات الوضعية» للدكتور أكرم عبد الرزاق المشهدانى.

(٢) مجلة المجتمع الكويتية (٥٥٧/ ٣٠).

(٣) «الإسلام ومستقبل البشرية» للدكتور عبد الله عزام (ص ٢٧- ٢٨).

* ويقول الدكتور «سيدلى كاى» فى كتابه «علم السموم»: «إن الخمر هى السببُ المباشرُ وغيرُ المباشر فى (٥٠٪) من مجموع حالات الوفاة التى نفحصها بمعمل الطب الشرعى بولاية «فرجينيا» بالولايات المتحدة».

* ولعل أصدق كلمة عن مجتمع الغرب ما قاله الكاتب الإنجليزى «أوسبورن»: «نحن موتى، مكدودون، مضيَّعون، نحن سكِّيرون، مجانين، نحن حمقى، نحن تافهون»(١).

* قال وزير العدل الأمريكى: «وارن بيرجر» فى فبراير سنة (١٩٨١): «إن هناك حُكمًا من الإرهاب يسودُ المدنَ الأمريكية» ثم يتساءل: «أَلَسْنا رهائنَ داخل حدود بلادنا المستنيرة المتحضِّرة»؟!.

* ويقول مدير شركة «هوستون» الأمريكية بولاية «تكساس»: «الخوف من الجريمة يهدد تدريجيًّا بشلل الحياة فى المجتمع الأمريكى.... لقد سَمَحنا لأنفسنا بالتحلُّل والتفسُّخ إلى الحدِّ الذى أصبحنا فيه نعيشُ مثلما تعيشُ الحيوانات... فنحن نعيشُ وراءَ قضبانٍ حديدية تحمينا من وصولِ اللصوص إلينا، ومجموعةً من الأقفال المثبَّتةِ فى الأبواب وأجهزة الإنذار، ثم نرقدُ على الفراش، وبجوارنا مسدسٌ محشوٌّ بالرصاص، وبعد هذا نحاولُ أن نَحصلَ على شيءٍ من الراحة... يا للسخرية!!».

* **والانتحار:**

تحظى الولايات المتحدة بنصيب الأسد فى عدد المُقدِمين على

(١) «فوضى العالم» (ص ٤٩).

الانتحار، فقد بلغ عددُهم خلالَ عامٍ واحدٍ ما يقاربُ الرُّبعَ مليون شخص، أىْ بمعدَّل ١٢٠ شخصًا يوميًّا، وهذا بدون شكٍّ يفوقُ عددَ جرائمِ القتل التى تقعُ فى نفسِ الفترة الزمنية.

وأعلى نسبةٍ للانتحار هى فى أكثر الدول رُقيًّا ماديًّا كالسويد وسويسرا... رخاءٌ مادىٌّ عجيب ثم انتحار!!!! يا للعجب العُجاب!!!

وشعب الدانمارك الذى سَخِرت صُحُفُه من رسول الله ﷺ هو كشعب السويد مُهدَّدٌ بالانقراض، فالنسلُ فى تناقصٍ مطَّرد، بسبب فوضى الاختلاط والتبرج والجيل الجديد يُدمِنُ المُسكِرات والمخدِّرات ليُعوِّضَ خَواءَ الروح من الإيمان وطمأنينةِ القلب بالعقيدة، والأمراضُ النفسيةُ والعصبيةُ والشذوذُ بأنواعه يفترسُ عشراتِ الآلافِ من النفوس والأرواحِ والأعصاب.. هذا غير جرائم الاغتصاب والإجهاض والانتحار.

إنها الشِّقوةُ النَّكِدةُ المكتوبةُ على كلِّ قلبٍ يخلو من بشاشةِ الإيمان وطمأنينةِ الإسلام، فلا يذوقُ طعمَ السِّلم الذى يُدعى المؤمنون ليدخلوا فيه كافةً ولِينعموا بالأمن والظلِّ والراحةِ والقَرار والسلام[1].

* * *

(١) وامحمداه/ د. سيد حسين العفانى (١٥١ - ١٥٧) بتصرف.

# حق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى

إن من أبرز خصائص الإسلام الكمال والشمول، والعالمية، فجاء خطابه عالميًّا، وجاءت تشريعاته عامة متضمنة سعادة الدارين، ولم يقتصر وابل رحمته على أهله المنتسبين إليه، بل وسعت رحمته كل ذات كبد رطبة.

لذا حظى جانب العلاقات بين الناس باهتمام كبير فى الإسلام، ومن ذلك العلاقة بين المسلمين ومخالفيهم فى الاعتقاد، سواء فى الأصول العامة التى تقوم عليه تلك العلاقة، أو فى الفروع التفصيلية المرتبطة بها.

ونحن نعلم أن من أسماء الله تعالى الحسنى: الرحمن، الرحيم، ومن صفاته: الرأفة، والرحمة، واللطف. وقد أرسل الله رسوله محمدًا ﷺ رحمة للخلق: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾(١).

ومن هنا... حض الإسلام على رحمة الناس والرأفة بهم، وجاءت النصوص الكثيرة حول هذا، ومنها:

- قوله ﷺ: «**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**»(٢).

- وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ **أنه قال: «من لا يَرحم لا يُرحم»**(٣).

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٧٦) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٣١٩) كتاب الفضائل.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٩٧) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣١٨) كتاب الفضائل.

- قال فى الفتح عند الحديث الأخير: قال ابن بطال[1]: فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن والكافر والبهائم، المملوك منها وغير المملوك[2].

فالرحمة -إذًا- شاملة لجميع الخلق، وليست خاصة بالمسلمين، وسبب هذه الرحمة ظاهر، فإن وجود معنى الحيوانية فى الشىء سواء كان إنسانًا أم حيوانًا أمر يدعو للرحمة، ولهذا لما سُئل ﷺ هل فى الإحسان إلى البهائم أجر؟ قال: «**فى كل ذات كبد رطبة أجر**»[3]، ودواعى الرحمة فى الإنسان آكد منه فى الحيوان.

ثم إن وجود الكفر أو الفسوق أو العصيان فى شخصٍ ما أمرٌ يدعو للرحمة والتأسف؛ لأنه مُبتلى، والمبتلى لا ينبغى تعنيفه أو إظهار التعالى عليه، بل إن على المسلم المعافى، أن يحمد ربه على العافية، ويرحم هذا المبتلى، بتوجيه النصح إليه، ودعوته إلى طريق الحق بالأسلوب المناسب.

فقد روى الإمام الترمذى عن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**من رأى صاحب بلاء[4]، فقال: الحمد لله الذى عافانى مما**

---

(1) ابن بطال: هو على بن خلف بن عبد الملك بن بطال المغربى المالكى المعروف بابن اللجام، محدث مشهور، شرح الجامع الصحيح للبخارى، توفى سنة ٤٤٩ هـ. (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٧).

(2) فتح البارى (١٠/ ٤٤٠).

(3) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٦٦) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٢٤٤) كتاب السلام.

(4) قال فى تحفة الأحوذى: من رأى صاحب بلاء أى مبتلى فى أمر بدنى كبرص وقِصَر فاحش أو طول مفرط أو عمى أو عوج أو اعوجاج يد ونحوها، أو دينى بنحو فسق وظلم وبدعة وكفر وغيرها (٩/ ٣٩٠) مطبعة الاعتماد.

ابتلاك الله به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلاً، إلا عوفى من ذلك البلاء كائنًا ما كان ما عاش»[1].

وسيرة رسول الله ﷺ فى دعوته لقومه، مَثَلٌ أعلى فى هذا المجال، بل وصل به الحال إلى إرهاق نفسه، حتى نزل قوله سبحانه: ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾[2].

وقوله: ﴿ **فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ** ﴾[3].

فالمسلم - ولاسيما الداعية إلى الله - يرحم الناس ويهتم بهم، لكن لا ينبغى أن تصل به هذا الرحمة وهذا الاهتمام إلى حد الأسى وتعذيب النفس وإرهاقها، إذ الهداية بيد الله، وما على الداعى إلا البلاغ.

ورسول الله ﷺ -المبعوث رحمة للعالمين- بالرغم مما كان يعانيه فى سبيل الله من المشقة والجهد والتحدى- قال لما طُلب منه أن يدعو على المشركين: «**إنى لم أُبعث لعانًا، وإنما بُعثت رحمة**»[4].

هذه سمة المسلم، إنه ذو رحمة ورأفة وعطف، وتواضع، وليس هذا عنوانًا للاستكانة والذلة والضعف، بل إنه طبع الأقوياء الأعزاء.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٤٣١) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٥٨٩).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٦)، ومعنى باخع نفسك أى: قاتلها همًّا وغمًّا.

(٣) سورة فاطر: الآية: (٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٩) كتاب البر والصلة والآداب.

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾(١)، حيث وصف الله محمدًا وصحبه بأنهم أشداء على الكفار غلاظ عليهم، وهذا يتنافى مع الرحمة؟!

قلنا: يفسر ذلك قوله سبحانه: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⁽٧⁾ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⁽٨⁾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٢).

فهذه الآيات توضح لنا أن من أبدى عداء للمسلمين وأضمر شرًّا لهم فلا بد أن يكون المسلمون أشداء عليهم جزاء وفاقًا - وهو المقصود - والله أعلم بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ الآية، فالكفار الذين أمرنا أن نكون أشداء عليهم هم من جاءت أوصافهم في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

وتلك الأوصاف هي: مقاتلة المسلمين وفتنتهم عن دينهم، والاعتداء على المسلمين في ديارهم وإخراجهم منها، وكذلك مظاهرة أولئك ومساعدتهم؛ ثم إن الشدة لا تتنافى مع الرحمة كما قيل:

(١) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٢) سورة الممتحنة: الآيات: (٧ - ٩).

*فقسا ليزدجروا ومن يكُ حازمًا*

*فليقسُ أحيانًا على من يرحم*

فإن هذه الشدة من أجل مصلحة الإنسان نفسه.

أما من أبدى تعاطفًا وسلمًا سواء أكان له عهد أم لا، فالمشروع فى حقه أن يُبر ويُحسن إليه علاوة على الرحمة، ولعل هذا ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ**﴾[1]، الآية[2].

*ولما كانت أصابع الاتهام تتجه دائمًا إلى الإسلام والمسلمين فى كل وقت وفى كل بلدٍ وعند كل حادث... كان لابد أن نُلقى الضوء سريعًا على تلك الحقوق التى أرساها هذا الدين العظيم لغير المسلمين.

وما رأينا بل وما سمعنا عن دين يوجب على من ينتسبون إليه حقوقًا تجاه الآخرين مثل هذا الدين العظيم.

*فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع بعض حقوق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى.

* * *

---

(١) انظر: ما قاله الرازى عند قوله تعالى فى سورة التوبة: ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ (١٦/ ٢٢٨).

(٢) بتصرف من كتاب (التعامل مع غير المسلمين) د. عبد الله الطريقى -حفظه الله-.

# حقوق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى

وها هى نبذة يسيرة عن حقوق غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ليعلم الكون كله مدى عظمة الدين الإسلامى.

**الحق الأول: عرض الاسلام عليهم وعدم إكراههم عليه:**

قال تعالى: ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾(١) أى: لا تُكرهوا أحدًا على الدخول فى دين الإسلام، فإنه بيِّنٌ واضح جَلى، فدلائله وبراهينه لا تحتاج إلى أن يُكرَه أَحدٌ على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره، ونوَّر بصيرته، دخل فيه على بيِّنة ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول مكرهًا مقهورًا.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت فى رجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف، يقال له: الحصينى، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلاً مسلمًا، فقال للنبى صلى الله عليه وسلم: «**ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟**» فنزلت الآية(٢).

وقد كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه مملوك نصرانى يسمى أسبق، فكان يعرض عليه الإسلام فيأبى، فيقول: لا إكراه فى الدين، ويقول: يا أسبق، لو أسلمت لاستعنا بك على بعض أمور المسلمين(٣).

---

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

(٢) رواه ابن جرير فى تفسيره وابن كثير.

(٣) سيرة ومناقب عمر لابن الجوزى.

ثم يُطيِّب القرآن الكريم خاطر النبى ﷺ والمؤمنين معه، حتى لا يأسفوا، أو يحزنوا على من لم يعتنق الإسلام فيقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[1].

## لا إكراه فى الدين

ومن تسامح هذا الدين مع المخالفين فى العقيدة والعبادة أنه لا يجبرهم على الدخول فيه، بل يترك لهم حرية الاختيار، ومن ثم يعطيهم فرصة للتفكير والنظر فيقبل منهم الجزية ويحقن دماءهم وأموالهم، ويبقون فى حماية المسلمين أبد الدهر ما داموا محافظين على العهد ملتزمين به.

وهذا ما أكدته النصوص وأوضحته.

**فأما عدم الإكراه على الدخول فى الدين فدليله قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[2].

**قال ابن كثير فى تفسيره للآية:** يقول تعالى: **﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾**، أى: لا تكرهوا أحدًا على الدخول فى دين الإسلام فإنه بيِّنٌ واضح جلى دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكرَه أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوَّر بصيرته

---

(١) سورة يونس: الآية: (٩٩).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول فى الدين مُكرهًا مقصورًا [1].

هذا هو ما ذهب إليه جمهور العلماء والمفسرين ومحققوهم[2].

فأما من قال: إن هذه الآية منسوخة بآية السيف فقول ضعيف، وبعيد عن الواقع كما أشار إلى ذلك الطبرى [3]، وابن العربى[4].

إذا تقرر هذا؛ فهل كل الناس لا يُكرَهون على الدين، أو أن ذلك خاص ببعضهم؟

الجواب: أن هذا يتوقف على القول بمن الذين تؤخذ منهم الجزية؟ وهى مسألة شهيرة، والخلاف فيها قوى.

غير أن أهل الكتاب -اليهود والنصارى- اتفق العلماء على جواز أخذ الجزية منهم؛ وكذلك المجوس فقد ألحقوهم بأولئك، كما اتفقوا على أنها لا تؤخذ من المرتدين.

**أما مَن عَداهم فللعلماء فيهم أقوال:**

فالشافعى[5]، ورواية عن أحمد [6]، أنها لا تؤخذ من غيرهم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣١٠).

(٢) من هؤلاء ابن جرير الطبرى (انظر: تفسيره ٣/ ١٣-١٨)، ومكى بن أبى طالب القيسى (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١٦٣)، والجصاص (أحكام القرآن ١/ ٤٥٢)، ومحمد الشنقيطى (أضواء البيان ٢/ ٤٩٢)، وعبد الرحمن السعدى- تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣١٦، ٣١٧) والقاسمى (محاسن التأويل ٣/ ٦٦٤-٦٦٦).

(٣) انظر: تفسير الطبرى (٣/ ١٢).

(٤) انظر: «أحكام القرآن» له (١/ ٢٣٣).

(٥) انظر: «المهذب» للشيرازى (٢/ ٢٥٠).

(٦) انظر: «المغنى» (١/ ٥٦٨- ٥٧٤).

لقول الله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (١).

فالآية لم تذكر إلا أهل الكتاب، وهذا يدل على أن غيرهم خارج عن الحكم إلا المجوس، لحديث «**سنّوا بهم** - يعنى: المجوس- **سنة أهل الكتاب**» (٢).

ولما رواه البخارى: أن عمر بن الخطاب ﷺ ما كان يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ﷺ أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر (٣).

وذهب الإمام مالك والأوزاعى (٤)، إلى أنها تؤخذ من جميع الملل والأديان إلا المرتدين (٥)، ومال إلى هذا الرأى الإمام ابن القيم (٦)، وهو ظاهر كلام الإمام ابن تيمية (٧)، وقالا: إنَّ تَرْك

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٢٩).

(٢) أخرجه مالك فى موطئه عن عبد الرحمن بن عوف كتاب الزكاة. ص ١٨٧، تصحيح وترقيم وتخريج/ محمد فؤاد عبد الباقى. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الهيثمى (٦/ ١٣)، والحديث وإن كان فيه مقال (انظر: إرواء الغليل ٥/٨٨)، فله شواهد ثابتة، وإنما أوردناه مع ضعفه لشهرته.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٣١٥٧) كتاب الجزية.

(٤) الأوزاعى: هو عبد الرحمن بن عمرو الدمشقى (٨٨- ١٥٧ هـ)، إمام أهل الشام فى عصره، ومحدث فقيه مجتهد من آثاره: السنن فى الفقه (تهذيب الأسماء واللغات للنووى ١/ ٥٧٣).

(٥) «مواهب الجليل لشرح مختصر خليل» (٣/ ٣٨١)، و«المغنى» (١٠/ ٥٧٣).

(٦) انظر: أحكام أهل الذمة (١/ ١- ١٢).

(٧) انظر: «مجمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (١٩/ ١٩-٣٠).

النبى ﷺ العرب وعدم أخذها منهم لا يدل على اختصاص فيهم، وإنما لأنهم قد أسلموا حين شُرعت الجزية، أى فى سنة تسع... ومما يدل على العموم حديث بريدة[1]: «**وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم**»[2]، ثم ذكر الخصال وهى على الترتيب:

١- الإسلام.

٢- الجزية.

٣- القتال.

فظاهر الحديث يدل على أنها تؤخذ من جميع الملل، لقوله: «**عدوك من المشركين**» إذ هو لفظ عام لا مخصص له[3].

وقد أجاب هؤلاء عن الآية الكريمة: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ الآية بأنها -وإن ذكرت اليهود والنصارى- فإنها لا تنص على الحصر، بدليل إلحاق المجوس بهم كما وردت به السنة.

**قال ابن العربى:** والصحيح قبولها من كل أمة وفى كل حال عند الدعاء إليها والإجابة بها[4].

---

(١) بريدة هو: ابن الحصيب بن عبد الله الأسلمى، قيل: أسلم قبل غزوة بدر، وغزا مع الرسول ﷺ ست عشرة غزوة له مناقب كثيرة، تُوفى فى زمن خلافة يزيد بن معاوية (الإصابة ١/ ١٤٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

(٣) انظر: «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» للشوكانى (٤/ ٥٧٠).

(٤) أحكام القرآن (٢/ ٩١٠)، وانظر: كذلك «سبل السلام» للصنعانى (٤/ ٧٢)، ط. سنة ١٣٥٤هـ، والمختارات الجلية للشيخ عبد الرحمن بن سعدى ص (٦٨).

ولعل هذا القول هو الصحيح.

وعليه... فلا إكراه لأحدٍ على دين الله بل هو الاختيار، والخيار بين الإسلام والجزية والقتال باستثناء المرتدين (١)

* **الحق الثانى: الإحسان إليهم وبرهم:**

يحث الإسلام على البر والإحسان وبذل المعروف والنصح لجميع الناس إلا من حارب الله ورسوله وتربص بالمسلمين الدوائر، وهم من يسمون الحربيين.

أما من عداهم -حتى من غير المسلمين- فالدين لا يمانع من برهم والعطف عليهم؛ ماداموا مسالمين موادعين كأهل الذمة وأهل الأمان ونحوهم.

يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾(٢).

قال ابن جرير الطبرى عند الآية الأولى، بعد أن ساق أقوال المفسرين فى المراد بالذين لا ينهى الله عن برهم... قال: وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين من جميع أصناف الملل والأديان

---

(١) التعامل مع غير المسلمين (٣٤: ٣٧) بتصرف.

(٢) سورة الممتحنة: الآيتان: (٨، ٩).

أن تبروهم وتَصلُوهُم وتقسطوا إليهم، إن الله عزّ وجلّ عَمَّ بقوله: ﴿الَّذينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾، جميع من كان ذلك صفته فلم يخصص به بعضًا دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ(١).

ويقول الشوكانى حول الآية الأولى أيضًا: ومعنى الآية أن الله سبحانه لا ينهى عن بر أهل العهد من الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك القتال وعلى ألا يظاهروا الكفار عليهم(٢).

ويظهر لنا مما تقدم: أن الإحسان وبذل المعروف مرغوبان لكل أحد، ولو كان من غير المسلمين، وقد أوضح ابن الوزير(٣) ذلك فقال: المخالقة والمنافعة وبذل المعروف وكظم الغيظ وحسن الخلق وإكرام الضيف ونحو ذلك يُستحب بذله لجميع الخَلْق إلا ما كان يقتضى مفسدة كالذلة، فلا يُبذل للعدو فى حال الحرب(٤).

وهذا القيد -الذى ذكره ابن الوزير- أعنى ألا يقتضى ذلك مفسدة قيد فى محله، ففعل البر كله لابد أن يكون من يد عُليا عزيزة، فإذا

(١) تفسير الطبرى (٢٨/ ٤٣) دار المعرفة.

(٢) «فتح القدير» (٥/ ٢١٣)، وانظر: أيضًا «أحكام القرآن» للجصاص (٣/ ٤٣٦)، «وأحكام القرآن» لإلكيا الهراس (٤/ ٤٦١).

(٣) هو محمد بن إبراهيم المرتضى بن المنصور اليمنى من آل الوزير، ولد سنة ٧٧٥هـ، وتُوفى سنة ٨٤٠هـ، من أئمة الزيدية وقد رد عليهم فى كتابه «العواصم والقواصم» واختصره فى الروض الباسم، شارك فى كثير من العلوم (البدر الطالع للشوكانى ٢/ ٨١).

(٤) «إيثار الحق على الخلق» ص(٤٠٨)، دار ومكتبة الهلال، وكذلك انظر: ما قاله الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ فى مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/ ١٨٩).

كان يفضى إلى ذل واستكانة فلا ينبغى فعله لغير المسلم.

ولعل أهم الذين يتعين برهم والإحسان إليهم من غير المسلمين هم: الوالدان، ثم الأقربون على حسب درجات قربهم.

**يقول تعالى مقررًا حق الوالد المشرك: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[1].**

**وقد ثبت عن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهما أنها قالت لرسول الله** ﷺ: قدمت أمي عليَّ راغبة[2]، وهى مشركة، أفأصلها؟ قال: **«نعم صلى أمك»**[3].

بل إن صلة الرحم مأمور بها لكل الأقارب وإن كانوا غير الأبوين كما قال سبحانه: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾**[4].

**قال ابن العربى**[5]: «واتفقت الملة أن صلة ذوى الأرحام واجبة وأن قطيعتها محرمة... فلتأكيدها دخل الفضل فى صلة الرحم الكافرة»[6].

---

(١) سورة لقمان: الآية: (١٥).

(٢) راغبة أى: ترغب صلتى، أو ترغب أن تسألنى شيئًا (انظر: فتح البارى ٥/ ٢٣٤)، والمقصود أن أم أسماء وهى (قتيلة) قدمت من مكة إلى المدينة من أجل صلة ابنتها.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٢٠) كتاب الهبة وفضلها، ومسلم (١٠٠٣) كتاب الزكاة.

(٤) سورة النساء: الآية: (١).

(٥) ابن العربى: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافرى الإشبيلى المالكى، رحل إلى المشرق فلقى الغزالى، والطرطوشى وغيرهما. له مؤلفات كثيرة، ت ٥٤٣ هـ، وهو غير ابن عربى الطائى صاحب وحدة الوجود انظر: (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٩٧).

(٦) «الأحكام» لابن العربى (١/ ٣٠٧)، وانظر: «أحكام القرآن» للقرطبى (٥/ ٦)، وفتح البارى السابق. وكتاب السير الكبير للشيبانى (١/ ٩٦) تحقيق صلاح الدين المنجد. و«أحكام أهل الذمة» لابن القيم ص (٣٠١).

ومن ذلك نعلم أن صلة الرحم من أبرز جوانب البرّ والإحسان المقدمة لغير المسلمين.

غير أنه لابد من الإشارة إلى أن ذا الرحم إذا كان محاربًا معاندًا محادًّا لله ورسوله والمؤمنين، فإنه لا يلزم بره ولا صلته[1]، وممن يتعين بره كذلك الجار وإن كان مشركًا كما جاء فى الحديث: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**»[2]، قال القرطبى: «والوصاة بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلمًا كان أو كافرًا وهو الصحيح، والإحسان قد يكون بمعنى المواساة وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه»[3].

ومما يجدر التنبيه عليه والإشارة إليه فى نهاية هذا المطلب أن البر والإحسان إلى أهل العهد والعطف عليهم -سواء أكانوا أقارب أم أجانب- إن ذلك لا يلزم منه حبهم ومودتهم وموالاتهم التى نهى الله عنها فى قوله: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾[4].

**يقول ابن الجوزى عند قوله تعالى:** ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ**﴾، وهذه الآية رخصة فى صلة الذين لم ينصبوا

---

(١) انظر: «كتاب السير الكبير» للشيبانى (١/ ١٠٦، ١٠٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٤٨) كتاب الإيمان.

(٣) تفسير القرطبى (٥/ ١٨٤).

(٤) سورة المجادلة: الآية: (٢٢).

الحرب للمسلمين وجواز برهم، وإن كانت الموالاة منقطعة عنهم[1].

## نعمة الإحسان إلى الناس

الجميل كاسمه، والمعروف كرسمه، والخير كطعمه، أول المستفيدين من إسعاد الناس هم المتفضلون بهذا الإسعاد، يجنون ثمرته عاجلاً فى نفوسهم، وأخلاقهم، وضمائرهم، فيجدون الانشراح والانبساط، والهدوء والسكينة.

فإذا طاف بك طائف من همٍّ، أو ألمَّ بك غم فامنح غيرك معروفًا وأَسْدِ له جميلاً تجد الفَرَجَ والرَّاحة... أعط محرومًا، انصر مظلومًا، أنقذ مكروبًا، أطعم جائعًا، عُد مريضًا، أعن منكوبًا، تجد السعادة تغمرك من بين يديك ومن خلفك.

إن فعل الخير كالمسك ينفع حامله وبائعه ومشتريه، وعوائد الخير النفسيَّة عقاقير مباركة تُصرف فى صيدلية الذين عمرت قلوبهم بالبر والإحسان.

إن توزيع البسمات المشرقة على فقراء الأخلاق صدقة جارية فى عالم القيم «**ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق**» وإن عُبوس الوجه إعلان حرب ضروس على الآخرين لا يعلم قيامها إلاَّ علام الغيوب.

شربة ماء من كف بغيٍّ لكلبٍ عقور أثمرت دخول جنة عرضها السماوات والأرض؛ لأن صاحب الثواب غفور شكور جميل،

(١) زاد المسير (٨/ ٢٣٧)، وانظر: «أحكام القرآن» للإمام الشافعى (٢/ ١٩١)، و«أحكام القرآن» لابن العربى ص (٩٠٧) والفتاوى الهندية (٥/ ٣٤٧).

يحب الجميل، غنى حميد.

وكان ابن المبارك له جار يهودى، فكان يبدأ فيُطعم اليهودى قبل أبنائه، ويكسوه قبل أبنائه، فقالوا لليهودى: بعنا دارك. قال: دارى بألفى دينار، ألفٌ قيمتها، وألفٌ جوارُ ابن المبارك! فسمع ابن المبارك بذلك، فقال: اللهم اهده إلى الإسلام.... فأسلم بإذن الله!

ومرَّ ابن المبارك حاجًّا بقافلة، فرأى امرأة أخذت غرابًا ميتًا من مزبلة، فأرسل فى أثرها غلامه فسألها، فقالت: ما لنا منذ ثلاثة أيام إلا ما يُلقَى بها، فدمعت عيناه، وأمر بتوزيع القافلة فى القرية، وعاد وترك حجَّته تلك السنة، فرأى فى منامه قائلاً يقول: حجٌّ مبرور، وسعى مشكور، وذنب مغفور(١).

*** الإحسان إلى الناس جميعًا:**

وتتسع دائرة الإحسان لتشمل غير المسلمين الذين يخالفوننا فى العقيدة ومع ذلك فإن من الإحسان أن نُحسن إليهم -بنية الدعوة إلى الله- ولذا قال تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾(٢)... ونحن نعلم جميعًا كيف كان النبى ﷺ يتألف قلوب المشركين وأهل الكتاب من أجل أن يدعوهم إلى توحيد الخالق -جل وعلا-.

(١) لا تحزن (ص: ٢١، ٢٢، ١٠٧).

(٢) سورة المائدة: الآية: (١٣).

# صفحات مشرقة من الإحسان لغير المسلمين

وها هى صورة وصفحات مشرقة من إحسان المسلمين لغير المسلمين وإليكم هذه الصورة المشرقة من سيد ولد آدم ﷺ الذى علَّم الكون كله معنى الإحسان والرحمة.

* **النبى ﷺ يسبق حِلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حِلماً:**

كان النبى ﷺ يعفو عند المقدرة، ويحلم عند الغضب، ويحسن إلى المسىء، وقد كانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب فى إجابة دعوته والإيمان به، واجتماع القلوب عليه، ومن ذلك ما فعله مع زيد بن سعنة، أحد أحبار اليهود وعلمائهم الكبار. جاء زيد بن سعنة إلى رسول الله ﷺ يطلبه دَينًا له عليه، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه، وأغلظ له القول، ونظر إلى النبى ﷺ بوجه غليظ وقال: يا محمد! ألا تقضينى حقى، إنكم يا بنى عبد المطلب قوم مُطلٌ، وشدَّ له فى القول، فنظر إليه عمر وعيناه تدوران فى رأسه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عدو الله! أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى، فوالذى بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفى رأسك،... ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر فى سكون وتؤدة وتبسُّم، ثم قال: «**أنا وهو يا عمر كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرنى بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضى، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعًا من تمر**» فكان هذا سببًا لإسلامه، فقال: أشهد

أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وكان زيد قبل هذه القصة يقول: لم يبق شيء من علامة النبوة إلا وقد عرفتها فى وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا. فاختبره بهذه الحادثة فوجده كما وصف، فأسلم وآمن وصدق، وشهد مع النبى ﷺ مشاهده، واستشهد فى غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر[1].

* حدث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مَرَّ بباب قوم وعليه سائل يسأل: «شيخ كبير ضرير البصر».

**فسأله عمر:** من أى أهل الكتاب أنت؟

**فقال:** يهودى.

**فسأله:** ما ألجاك إلى ما أرى؟

**قال:** «أُسأل الجزية والحالة والسِّن».

فأخذه عمر بيده إلى منزله وأعطاه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له: «انظر هذا وضُرَباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم!!!»[2].

* **كذلك جاء فى كتاب خالد بن الوليد لأهل الحيرة:**

«جعلتُ لهم -أى لأهل الذمة- أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيًّا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحتُ حريته وعيل من بين المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة»[3].

(١) انظر: فتح البارى (٧/ ٤٢٨)، وشرح النووى على مسلم (١٥/ ٤٤)، وذكر ابن حجر والنووى فى هذا الموضع أن اسم الأعرابى: غورث بن الحارث.

(٢)، (٣) من سماحة الإسلام ص (٢٨، ٢٩) ط. وزارة الأوقاف المكتب الفنى لنشر الدعوة الإسلامية.

*** وهذا موقف آخر:**

عندما طُعن عـمر بن الخطاب ﷺ وهو يتأهب لصلاة الـفجر علم وعلم الناس معه أنه ميت لا محالة. فإن الطعنات كانت نافذة مزّقت الأمعاء فإذا تناول شرابًا خرج من البطن!

ورأى أمير المؤمنـين قبل أن يُودِّع الحياة أن يوصى الخليـفة بعده بأمور ذات بال! إنه لا يعـرف من سيختار المسلمـون! ولكنه يعرف ما يجب أن يفعله الرجل الذى يليه فى حكم الأمة!

فذكر طوائف من المسلمين لها منزلتها، ثم قال للخليفة المرتقب:

«. . . وأوصيـه بذمة الله وذمـة رسوله -يعنى: مـا يُسمَّى فى عصرنا بـالأقليات الدينية- أن يوفى لهم بعهـدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يُكلَّفوا إلا طاقتهم!!».

يقول الشيخ/ محمد الغـزالى -رحمه الله تعالى- مُعلِّقًا- على هذه الوصية:

تريثت طويلاً وأن أقرأ هذه الـوصاة! خليفـة نبىٍّ كريم يوصى وهو يموت بمخالفيه فى الدين ومعارضيه فى المعتقد، فيصفهم أولاً بأنهم ذمة الله ورسوله متناسيًا الخلاف القائم فى أصل الإيمان، ثم يطلب من الحاكم المُقبل ثلاثة أمور محددة:

١- الوفاء بعهودهم.

٢- إقامة سياج يمنع كل عـدوٍّ عليهم، وفى سبيل ذلك يقاتل دونهم أو كما جاء فى النص «يقاتل من ورائهم».

٣- لا يكلفون إلا بما يطيقون.

هل وعى تاريخ العالم إلى يوم الناس هنا أشرف من هذه المعاملة؟

**وهنا أطرح سؤالاً:**

بماذا قوبل هذا المسلك النبيل؟

فتحت التليفزيون الجزائرى فإذا أمامى صور متتابعة لمقبرة جماعية احتوت على هياكل عظمية لأكثر من مائة شهيد، قال المذيع:

هذا الهيكل مُشوَّهٌ من التعذيب، وهذا قُطعت يده قبل الموت، وهذا الهيكل الكبير المنحنى على آخر صغير هو لأمٍّ تحتضن ابنها! والجميع عرايا لا ملابس ولا أكفان، وأدوات التعذيب مبعثرة هنا وهناك.

إن هذه المقبرة أصغر من سابقتها التى تحدثتُ عنها من قبل والتى ضمّت ألفين من المسلمين.

وعندما أشحتُ بوجهى عن المنظر الكئيب لم ألبث طويلاً حتى سمعتُ أخبار لبنان، وكيف يتعاونون الانعزاليون -كما سمّوهم- مع المغيرين فى إفناء اللاجئين، وإخلاء الأرض منهم...

**إن أعداء الإسلام يتنادَون من قريب ومن بعيد:** الويل للمغلوب!

خُيِّل إلىَّ أننى أسمع نداء وحوش فى البرارى تطلب دمنا..!

ترى هل أيقظتنا الأحداث؟ أما يجب أن نحذر الأفاعى وأولاد الأفاعى؟؟[1].

---

(١) الحق المر (ص ٥٢، ٥٣).



* **الحق الثالث: الرفق بأهل الذمة:**

من حق كل ذى ذمة أن يُعامَل معاملة حسنة لا أذى فيها ولا غلظة، ودون سب وشتم، أو قهر ونهر، أو إذلال وإهانة؛ لأن فى كل هذه الأشياء إلحاق أذى بهم، والدين لا يبيح أذيتهم بحال.

فقد روى الإمام مسلم أن هشام بن حكيم[1]، مر على أُناس من الأنباط[2]، بالشام قد أقيموا فى الشمس، فقال: ما شأنهم، قالوا: حُبسوا فى الجزية[3]، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا**»[4].

وواضح أن إلحاق الأذى بهم يزهدهم فى الإسلام ويرغبهم عنه وتسوء نظرتهم إلى الإسلام سوءًا قد يحجبهم عن الدخول فيه.

مع أن الإسلام لم يحقن دماءهم ويكتفى منهم بأخذ الجزية إلا من أجل أن تكون لهم فسحة وقت للتأمل والنظر فى هذا الدين؛ فيدخلوا فى دين الله عن رضا واقتناع.

أما ما ورد من النصوص الأخرى التى قد يُفهَم من ظاهرها خلاف ما ذُكر؛ فإنها لا تعارض هذه الأدلة التى سُقناها فى تقرير

(١) هو هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد الأسدى. صحابى جليل كان مهيبًا، وسمعه عمر بن الخطاب يقرأ مرة سورة الفرقان على غير ما يقرؤها هو فأحضره إلى رسول الله ﷺ فصوبهما معًا. استشهد بأجنادين (الإصابة ٣/ ٦٠٣).

(٢) الأنباط: هم فلاحو العجم.

(٣) قوله: فى الجزية أى بسبب الجزية، والمعنى: أنهم يعجزون عن أدائها فيحبسون عند ذلك.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦١٣) كتاب البر والصلة والآداب.

تلك الوصايا، ولتكون الصورة واضحة أمامنا أعرض أهم الأدلة المعارضة مع مناقشتها:

**أولاً: قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾** (١).

**والشاهد هنا قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.**

حيث ورد فى تفسيرها أقوال . . . منها (٢):

١- إن الذمى يدفع الجزية وهو قائم والآخذ يكون جالسًا.

٢- أن يأتى بها ماشيًا لا راكبًا ويطال وقوفه عند إتيانه بها، ويُجرُّ إلى الموضع الذى تؤخذ منه بالعنف ثم تُجر يده ويمتهن.

٣- بمعنى توجأ عنقه.

**غير أننا لو فكرنا مليًا لأدركنا:** أن ذلك كله مما لا دليل عليه - كما يقول ابن القيم- ولا هو مقتضى الآية، ولا نُقل عن رسول الله ﷺ، ولا عن الصحابة أنهم فعلوا ذلك، والصواب فى الآية: أن الصغار هو التزامهم لجريان أحكام الملة عليهم وإعطاء الجزية فإن التزام ذلك هو الصَّغار(٣).

وهذا الذى صوبه ابن القيم فى تفسير معنى الصغار، هو الذى تشهد له النصوص الأخرى، فلا شك أن خضوع الكفار لدولة

---

(١) سورة التوبة: الآية: (٢٩).

(٢) راجع أحكام القرآن لابن العربى (٢/ ٩٢٢).

(٣) أحكام أهل الذمة (١/ ٢٣، ٢٤).

الإسلام ودفعهم الجزية للمسلمين هو فى ذاته صغار لهم[1]، فلا داعى إذن لتلك الأمور التى ظن بعضهم أن الصَّغار لا يتحقق إلا بها، مثل الأخذ بتلابيبهم وزجرهم وسبهم، أو كونهم يدفعون الجزية قيامًا والآخذ جالسًا ونحو ذلك.

**ثانيًا**: روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه إلى أضيقه**»[2].

ففى هذا الحديث نهى عن بدء اليهود والنصارى بالسلام، وأمر بأن يضطر الواحد منهم إلى أضيق الطريق عند اللقاء.

**فهنا مسألتان:**

**أما الأولى**: وهى عدم البداءة بالسلام، فهى مسألة مشهورة والخلاف فيها مشهور، ففيها نحو أربعة أقوال: أحدهم التحريم.

**وثانيها**: الكراهة.

**وثالثها**: الإباحة.

**ورابعها**: أنه لا يجوز السلام إلا فى حالة ضرورة أو حاجة، أو سبب.

حكى هذه الأقوال الإمام النووى[3] وغيره، واختار التحريم

---

(١) قال الإمام الشافعى ﷺ: إذا أخذ الإمام منهم الجزية أخذها بإجمال ولم يضرب منهم أحدًا ولم ينله بقول قبيح، والصغار: أن يجرى الحكم عليهم لا أن يُضربوا ولا أن يُؤذوا (اختلاف الفقهاء- للإمام الطبرى ص (٢٣١)، نشر يوسف شخت سنة ١٩٣٣م).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٧) كتاب السلام.

(٣) انظر: شرح النووى على صحيح مسلم (١٤/ ١٤٤، ١٤٥)، وانظر: فتح البارى (١١/ ٣٩).

وقال: إنه قول أكثر العلماء.

**المسألة الثانية: وهى اضطراره إلى أضيق الطريق:**

نقول: بأن هذا كناية عن إظهار عز الإسلام، وذلة الكفر، وأن المسلم لا يظهر أمام الكافر بالمظهر المستخذى، ولكن بالمظهر اللائق به بصفته مسلمًا؛ لأنه هو الذى يمثل الحق على هذه الأرض، فإذا التقى مسلم وغيره فى طريق فليكن المسلم عزيزًا رافع الرأس وليأخذ من الطريق أوسعه، ولا يستذل للكافر فيفسح له الطريق ويبقى هو لاجئًا إلى أضيقه خاضعًا مستخذيًا.

يقول أبو العباس القرطبى (ت ٦٥٦ هـ) حول هذا الحديث: «معناه لا تتنحوا لهم عن الطريق الضيق إكرامًا لهم واحترامًا، وعلى هذا فتكون هذه الجملة مناسبة للجملة الأولى فى المعنى، وليس معنى ذلك أنا إذا لقيناهم فى طريق واسع أننا نُلجئهم إلى حرفه حتى نضيق عليهم؛ لأن ذلك أذى منا لهم من غير سبب وقد نُهينا عن أذاهم»(١). فالتضييق إذن ينبغى ألا يلحقهم أذى.

وفعل المسلم هذا ليس منطلقه الكبر والزهو، وإنما هو عزة الإسلام والحق. ومن هنا نقول: إن هذا الحديث لا ينافى ما ذكرناه من مشروعية التأدب معهم والرفق بهم(٢).

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ٤٩٠)، تحقيق محى الدين مستو وزملائه. دار ابن كثير، وانظر: الفروق للقرافى (٣/ ١٥)، الفرق (١١٩)، وانظر: أيضًا شرح النووى على مسلم (١٤/ ١٤٧)، وعون المعبود شرح سنن أبى داود (١٤/ ١١١، ١١٢).

(٢) التعامل مع غير المسلمين (ص: ٢٠ -٢٦) بتصرف.

**الحق الرابع: عدم ظلمهم:**

العدل: أحد الأسس والدعائم التى يقوم عليها الدين الإسلامى، وضده الظلم، وهو من أكبر الكبائر فى الإسلام، وهو خلق ذميم ممقوت عقلاً وفطرة وشرعًا.

وإذا كان الظلم يعنى فى اللغة: وضع الشىء فى غير موضعه(١)، فإن العدل بخلافه، فهو يعنى وضع الشىء فى موضعه، ويعنى الإنصاف وإحقاق الحق وإقامته.

وضروب العدل وأصنافه كثيرة، منها القولية، والفعلية، ومنها الاعتقادية والعملية، ومنها ما هو مطلوب مع النفس، ومع غيرها، ومنها ما هو مطلوب مع القريب، ومع البعيد، ومع المسلم وغير المسلم.

وكل هذه الأضرب مطلوبة شرعًا ودونك بعض الأدلة:

١ - يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ﴾(٢).

فأمر الله تعالى هنا بالقسط -وهو العدل- والمراد هنا قول الحق والصدق ولو كان على حساب النفس، أو على حساب الوالد أو القريب.

٢- ويقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(٣)

(١) انظر: القاموس المحيط مادة ظلم باب الميم فصل الظاء (٤/ ١٧٤).

(٢) سورة النساء: الآية: (١٣٥).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٨).

قال القرطبى عند هذه الآية: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾، أى: على ترك العدل وإيثار العدوان على الحق، وفى هذا دليل على نفوذ حكم العدل على عدوه فى الله تعالى ونفوذ شهادته عليه؛ لأنه أمر بالعدل وإن أبغضه... ودليل الآية أيضًا على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه[1].

٣- وقال سبحانه: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[2]. والإقساط: العدل.

٤- ويأمر الله تعالى بالعدل المطلق الشامل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[3].

هذه بعض النصوص بشأن العدل مع غير المسلمين، فنحن مأمورون بأن نعدل ونصدق، ونقول الحق والحقيقة فى كل حال وفى كل التصرفات، وإن كانت بيننا وبين أعدائنا، سواء أكانوا صادقين عادلين معنا أم لا، وسواء كانت القضايا المطروحة لنا أم علينا.

فالناس ولو اختلفوا معنا فى العقيدة والعبادة فلابد أن نعدل معهم، ولا يجوز أن نظلمهم أو نهضمهم شيئًا من حقوقهم، ولا يجوز أن نمكر بهم ونخدعهم إذا كان ثمة عهود ومواثيق[4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١٠٩، ١١٠).

(٢) سورة الممتحنة: الآية: (٨).

(٣) سورة النحل: الآية: (٩٠).

(٤) انظر: العلاقات الدولية فى الإسلام محمد أبو زهرة ص (٣٤).

* ولقد حذرنا النبى ﷺ من الظلم حتى ولو كان المظلوم كافراً:

قال ﷺ : «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمام، يقول الله: وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين»(١).

وقال ﷺ : «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»(٢) فهى سريعة الوصول.

وقال ﷺ : «اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب»(٣).

وقال ﷺ : «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه»(٤).

*** حُرمة قتل المعاهِد والغدر بالمستأمِن:**

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «من قتل معاهداً؛ لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليُوجد من مسيرة أربعين عامًا»(٥).

---

(١) حسن: رواه أحمد (٧٩٨٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٨٧٠).

(٢) صحيح: رواه الحاكم (١/ ٨٣) عن ابن عمر، كما نص على ذلك العجلونى فى كشف الخفا (١/ ٣٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٢٨).

(٣) حسن: رواه أحمد (١٢١٤٠)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٦٧).

(٤) حسن: رواه أحمد (٨٥٧٧)، والطيالسى فى مسنده (١/ ٣٠٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٨٢).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٣١٦٦) كتاب الجزية.

وعن أبى بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسًا معاهدة بغير حلِّها؛ حرّم الله عليه الجنة أن يشمَّ ريحها»[(١)].

وعن أبى بكَرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسًا معاهدة بغير حقها؛ لم يرح رائحة الجنة، وإن ريح الجنة ليُوجد من مسيرة مائة عام»[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ: «إذا اطمأن الرجل إلى الرجل، ثم قتله بعد ما اطمأن إليه نُصب له يوم القيامة لواءُ غدر»[(٣)].

وقال رسول الله ﷺ: «من أمَّن رجلاً على دمه فقتلهُ فأنا برىء من القاتل، وإن كان المقتول كافرًا»[(٤)].

## إن لسيوف المسلمين أخلاقًا

فهذا أبو دجانة -رضى الله تعالى عنه- يوم أُحد، ورحى الحرب دائرة ونارها مستعرة فالسيوف تنال من الرقاب والسهام تخترق الصدور، وإذا به يرى فارسًا مُلثَّمًا يخمش الناس خمشًا[(٥)]

(١) صحيح: رواه النسائى (٤٧٤٨) كتاب القسامة، وأحمد (١٩٨٨٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٥٨).

(٢) صحيح: رواه الحاكم (١/ ١٠٥)، والبيهقى (٩/ ٢٠٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣٥٦).

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٤/ ٣٩٣) وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٧).

(٤) صحيح: رواه البخارى فى التاريخ، والطحاوى فى المشكل (١/ ٧٨)، والخرائطى، والطبرانى فى الصغير (ص٩، ١٢١)، وأبو نعيم فى الحلية (٩/ ٢٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٠٣).

(٥) يخمش الناس؛ أى: يحث المقاتلين ويشجعهم ويحمسهم.

فهوى إليه بسيف رسول الله ﷺ الذى كان فى يده فسمع صوت ولولة فعلم أنها هند بنت عتبة.. فقال: «أكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة»[1].. فهذا الصحابى أكرم سيف رسول الله ﷺ أن يضرب امرأة تُحمس الكفار على القتال.. فكيف إذا كانت امرأة عادية من المدنيين أو شيخًا أو طفلاً.. فترى ماذا كان سيقول أبو دجانة- رضى الله تعالى عنه؟!!

فما أحوجنا- نحن أبناء الحركة الإسلامية- ألا نجعل صليل السيوف يطغى على صوت الشرع والعدل والحق.. وألا يُنسينا تراشق السهام ثوابت وقيم هذا الدين العظيم.. هذا الدين الذى لم يبح قتل كائن من الكائنات الحية إلا لجلب المصلحة أو دفع مضرة ومفسدة حتى الأنعام التى أباح لنا ذبحها من أجل مصلحة حفظ نفوسنا وضع لنا مراسم وقواعد الرحمة بها.. «**إن الله كتب الإحسان على كل شىء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحدَّ أحدكم شفرته فليُرح ذبيحته**»[2].

فإذا كانت هذه هى رحمته بالحيوان الذى سيُذبح بعد دقائق، فكيف تكون رحمته بامرأة ضعيفة لا تقاتل وطفل صغير لا يدرك شيئًا وشيخ فانٍ لا يقدر على شىء ورجل مدنى لا يقاتل المسلمين ولا ينتصب لقتالهم.

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٢٥٦) عن الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجه، وقال الذهبى فى التلخيص: صحيح.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٥٥) كتاب الصيد والذبائح.

وفى شرح صحيح مسلم للنووى نقل الإمام النووى إجماع العلماء على تحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا [1]. ونقل الإجماع أيضًا ابن حجر فهذه هى قيم الإسلام التى تضبط سيوفه وتحكم جيوشه بل إن الإسلام عصم دماء كل كافر تحارب دولته الإسلام إذا وُجد أعمى أو ذميًّا أو شيخًا أو راهبًا أو أجيرًا أو فلاحًا أو عاملاً ما لم ينتصب لقتالنا.

**قال عمر بن الخطاب -رضى الله تعالى عنه-:** «اتقوا الله فى الفلاحين الذين لا يناصبوكم الحرب».

فعلة القتال منتفية عنهم إذ أنهم لا يُحسنون القتال ولا ينتصبون له، وخاصة فى هذه الأيام التى لا يملك المدنيون أسباب القتال وأدواته وتدريبه وتختص بذلك فقط الجيوش المنظمة التى تملك هذه الأدوات، فالوضع الآن يختلف عن ذى قبل حيث إن المدنى فى عصور الصحابة والتابعين كان بوسعه امتلاك كثير من أدوات القتال أما الآن فمَنْ من المدنيين يملك دبابة أو عربة مدرعة أو طائرة أو صاروخًا.

ولذلك فإن حكم تحريم قتل النساء والأطفال والفلاحين والأُجراء يحمل فى طياته علة تحريم قتل كل المدنيين فى أيامنا هذه.. حيث إن القتال حرفة معينة وله أدوات معينة وأماكن معينة.

**يقول ابن تيمية رحمه الله:** «إذا كان أصل القتال المشروع هو

---

(١) المقصود بالمدنيين فى هذا الفصل كله المدنيين من الكفار من الدول التى تحارب المسلمين أو بلادهم.. أما المدنيون من المسلمين فيحرم قتلهم فى كل حال.. أما أهل الذمة فقد عصمت الذمة دماءهم وأموالهم وأعراضهم. مسلم بشرح النووى (٦/ ٢٩٢).

الجهاد ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هى العليا، فمن امتنع عن هذا قوتل باتفاق المسلمين، وأما من لم يكن من أهل الممانعة أو المقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والذمى فلا يُقتل عند جمهور المسلمين إلا أن يقاتل بقوله أو فعله»[(١)].

إن المسلم الفطن فى جهاده هو الذى يشهر سيفه ويشد قوسه حيث يرى مصلحة الإسلام العليا ومصلحة الأوطان العليا، وإلا غمد سيفه خشية أن يسىء إلى دينه ووطنه ودعوته وأمته.

إن خالد بن الوليد ﵁ لم يُلقَّب بسيف الله المسلول إلا يوم مؤتة، يوم قال بعض أطفال المدينة عنه: «يا فُرَّار... أفررتم فى سبيل الله عز وجل»[(٢)].. ولكن القائد العظيم والرسول الكريم محمد ﷺ منحه هذا اللقب الذى لم يمنح فى التاريخ لقائد انسحب بجيشه ولكنها عظمة خالد -رضى الله تعالى عنه- وعظمة النبى ﷺ[(٣)].

قد يظن البعض أن أى مسلم صالح يجاهد فى سبيل الله لا يخطئ وإن أخطأ لا يجوز لأحد أن يبين هذا الخطأ؛ لأنه يصد عن سبيل الله ويفتّ فى عزائم المجاهدين ويشوه صورتهم.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/ ١٩٥).

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٤٥/ ٤٣٥٥) عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه. وقال الذهبى: على شرط مسلم.

(٣) ذكره ابن هشام فى السيرة (٦/ ٣٠)، والبداية والنهاية (٤/ ١٦٧)، و(٤/ ٢٠٣).

والحقيقة أن ذلك كله غير صحيح فهذا رسول الله ﷺ يقول عن خالد بن الوليد سيف الله المسلول وأعظم المجاهدين الذين عرفهم التاريخ: «**اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد**» وذلك عندما بلغه ما فعله مع بنى جذيمة عندما قتلهم بعد أن قالوا: «صبأنا صبأنا».. ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا.

فأمر خالد جنوده بقتلهم فقتلوا بعضهم.

وهذا رسول الله ﷺ ينكر على أسامة بن زيد عندما قتل الرجل بعد أن قال: «لا إله إلا الله» (1)(2).

ولقد كان للسلف الصالح رضوان الله عليهم مع الكافرين آدابًا وتعاملات،... يقول حيوة بن شريح -رحمه الله تعالى-: كان عمر إذا بعث الجيوش أوصاهم بتقوى الله، ثم يقول: «بسم الله وعلى عون الله، امضوا بتأييد الله والنصر، ولزوم الحق والصبر، قاتلوا فى سبيل الله، من كفر بالله ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين، ثم لا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تتكلموا عند الجهاد، ولا تقتلوا امرأة ولا هرمًا، ولا وليدًا، وتوقَّوا قتلهم إذا التقى الجمعان، وعند حمة النهضات، وفى شنِّ الغارات، ولا تغلوا عند المغانم، ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا..» (3).

---

(1) متفق عليه:رواه البخارى (٤٢٦٩) كتاب المغازى، ومسلم (٩٦) كتاب الإيمان.

(2)فرسان النهار (ص: ٢٢٣- ٢٢٧) بتصرف شديد.

(3)سيرة عمر للإمام أبى الفرج ابن الجوزى ص (٨٦).

*** الحق الخامس: الوفاء بالعهد:**

كثيرًا ما يحصل بين الناس معاهدات واتفاق على أمور شتَّى، سواء أكانت بين أفراد، أم بين أفراد ودول، أما بين دول ودول. والعقل -دون شك- يقتضى لزوم الوفاء بهذه المعاهدات طالما كانت متمشية وفق المصالح العامة، ووفق منهج الله وشرعه، إذ إن نقضها يُفضى إلى الفساد والخراب، وانتهاك الحقوق والحدود وانعدام الأمن والاستقرار، كما أن النقض فى ذاته يُعدّ مكرًا وخداعًا وتلاعبًا بعقول البشر، وكل ذلك غير مقبول، لا فطرة ولا عقلاً ولا شرعًا ولا عرفًا.

من هنا... جاء الإسلام ليؤصِّل هذا المبدأ، ويرسى قاعدته، فجعل الالتزام بهذه العهود والوقوف عندها واحترامها أمرًا ضروريًّا وفرضًا لازمًا.

- يقول جل شأنه: ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾[1].

- ويقول تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾[2].

- ويصف الله تعالى عباده المؤمنين الصادقين بقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾[3].

- ونقض العهود سبب لمقت الله وغضبه ولعنته: ﴿ **وَالَّذِينَ**

---

(١) سورة النحل: الآية: (٩١).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٣٤).

(٣) سورة المؤمنون: الآية: (٨)، سورة المعارج: الآية: (٣٢).

يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [1].

- ونقض العهد من صفات المنافقين لا من صفات المؤمنين، يقول رسول الله ﷺ: **«أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتُمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»** [2].

وليس هذا الحكم خاصًّا بالمسلمين فيما بينهم بل هو عام لكل الناس، مطلق فى كل العهود، إذا كانت لا تحل حرامًا ولا تحرم حلالاً، فالعهد لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان ويلتزمه الإنسان من بيع أو صلة أو مواثقة فى أمر موافق للديانة[3].

**يقول ابن جرير فى قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾**، وأوفوا بالعقد الذى تعاقدون الناس، فى الصلح بين أهل الحرب والإسلام وفيما بينكم أيضًا، والبيوع والأشرية والإجارات وغير ذلك من العقود[4].

إذًا... فالعلاقة مع غير المسلمين قائمة على احترام العهود والمواثيق التى تتم بينهم.

أما ما ثبت فى السنة من أن الحرب خدعة[5].

---

(١) سورة الرعد: الآية: (٢٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٨) كتاب الإيمان.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (١٠/ ١٦٩).

(٤) تفسير الطبرى (١٥/ ٦١).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٣٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٧٣٩) كتاب الجهاد والسير.

فالجواب عنه ما قاله النووى رحمه الله تعالى: اتفق العلماء على جواز خداع الكفار فى الحرب، وكيف أمكن الخداع، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل (١).

فالخدعة الجائزة هى التى تكون مع الحربيين الذين لا حُرمة لهم ولا ذِمة ولا عهد، أما إن وُجد عهد ونحوه فلا تجوز عندئذ.

وقد يجوز نبذ العهد إلى الكفار فى صلح الهدنة إذاً خيف منهم نقض العهد (٢).

* **الحق السادس: حُرمة دمائهم:**

قدس الإسلام الحياة البشرية وصان حُرمة النفوس وجعل الاعتداء عليها من أكبر الجرائم عند الله.

ذلك أن النوع الإنسانى كله أسرة واحدة والعدوان على نفس من أنفسه هو فى الحقيقة عدوان على الإنسانية كلها.

ولقد عنيت «النصوص القرآنية والنبوية» بالتحذير من قتل المسلم وقتاله؛ لأنها جاءت تشريعًا وإرشادًا للمسلمين فى مجتمع إسلامى وليس معنى هذا أن غير المسلم دمه حلال، فإن النفس البشرية معصومة الدم حرمها الله وصانها بحكم بشريتها، ما لم يكن غير المسلم محاربًا للمسلمين فعند ذلك قد أحل هو دم نفسه، أما إذا كان معاهدًا أو ذميًا من أهل الكتاب فإن دمه مصون لا يحل لمسلم الاعتداء عليه (٣).

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (١٢/ ٤٥).

(٢) التعامل مع غير المسلمين (ص: ٤٣- ٤٥).

(٣) الحلال والحرام د. يوسف القرضاوى ص (٢٣٧) بتصرف.

وفى ذلك يقول ﷺ : «**من قتل نفسًا معاهدًا؛ لم يرح رائحة** الجنة (أى لم يشمّها)، **وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا**»(١).

وهؤلاء بالتعبير الحديث «مواطنون» فى الدولة الإسلامية أجمع المسلمون منذ العصر الأول إلى اليوم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، إلا ما هو من شؤون الدين والعقيدة، فإن الإسلام يتركهم وما يدينون.

وقد جرى خلفاء الرسول ﷺ على رعاية هذه الحقوق والحرمات لهؤلاء المواطنين من غير المسلمين فحفظوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم وأكد فقهاء الإسلام على اختلاف مذاهبهم هذه الحقوق والحرمات؛ لأنهم فى جوارنا وذمتنا وذمة الله ورسوله ودين الإسلام(٢).

* **الحق السابع: حُرمة أعراضهم:**

لقد صان الإسلام بتعاليمه الأعراض، ووصل برعايته للأعراض إلى حدّ الحرمة، فقد نظر ابن عمر رضي الله عنهما يومًا إلى الكعبة فقال: «ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة منك»، فحرمة المؤمن تتمثل فى حُرمة عرضه حتى عُدَّ من قُتل دفاعًا عن عرضه فهو شهيد.

وأشد أنواع الاعتداء على الأعراض: هو رمى المؤمنات بالفاحشة لما فيه من ضرر بالغ بسمعتهن وخطر على مستقبلهن

(١) صحيح: رواه البخارى (٣١٦٦) كتاب الجزية.

(٢) الحلال والحرام. د. يوسف القرضاوى ص (٢٤٦) بتصرف.

فضلاً عمّا فيه من حب إشاعة الفاحشة فى المجتمع؛ ولذا عُدَّ من الكبائر وأوعد القرآن عليه بأشد أنواع الوعيد(1).

* **الحق الثامن: حُرمة أموالهم:**

جاء من شروط «عمرو بن العاص» ﷺ التى أعطاها لأهل مصر أنهم لا يخرجون من كنوزهم ولا أراضيهم.

قال عبيد الله بن أبى جعفر: سألتُ شيخًا من القدماء عن فتح مصر، فقلت له: فهل كان لهم كتاب؟

فقال: نعم، كتب ثلاثة.

قلت له: أفتعلم ما كان من الشروط؟

قال: نعم، ستة شروط:

«لا يخرجون... ولا كنوزهم ولا أراضيهم...»(2).

ولقد حرم الإسلام العدوان على المال وجعل العدوان عليه من سرقة وإتلاف جريمة يعاقب عليها.

وحين أقر الإسلام ملكية الفرد المشروعة للمال فإنه حمى هذه الملكية بتشريعه القانونى، وتوجيهه الأخلاقى.

قال تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(3).

---

(1) الحلال والحرام (ص ٢٣٤).

(2) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. جمال الدين الأتباكى. وراجع «من سماحة الإسلام» الصادر عن وزارة الأوقاف المصرية سنة ١٩٨٩م.

(3) سورة المائدة: الآية: (٣٨).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾(١).

وجعل رسول الله ﷺ السرقة منافية لما يوجبه الإيمان.

فقال ﷺ: «... **ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»(٢).

وكذا غير المسلم لا حرج عليه فى أن يجمع من المال ما يشاء ما دام يجمعه وينميه بالطرق المشروعة التى أحلها الله، ففى هذه الحالة لغير المسلم على الدولة حق الحماية لماله(٣).

### * الحق التاسع: أن نجيره إذا استجار بنا:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾(٤).

بل وقد حذر النبى ﷺ من قتل المعاهد المستجير، فقال ﷺ: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا**»(٥).

**وقال** ﷺ: «**من كان بينه وبين قوم عهد، فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضى أمرها، أو ينبذ إليهم على سواء**»(٦).

---

(١) سورة النساء: الآية: (٢٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٤٧٥) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٥٧) كتاب الإيمان.

(٣) الأقباط والإسلام د/ محمد سليم العوا (ص ٤٥) بتصرف.

(٤) سورة التوبة: الآية: (٦).

(٥) **صحيح**: رواه البخارى (٣١٦٦) كتاب الجزية.

(٦) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٧٥٩) كتاب الجهاد والسير، والترمذى (١٥٨٠) كتاب السير، وأحمد (١٦٥٦٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٤٨٠).

**وجاء فى معاهدة «عمرو بن العاص» لأهل مصر:**

«هذا ما أعطى «عـمرو بن العاص» لأهل مصـر من الأمان على أنفسهم وأموالهم وملتهم وكنائسهم وصلبانهم، وبَرهم وبَحرهم، لا يدخل عليهـم شىء من ذلك ولا ينقص»، وقد بيَّن العلمـاء شروطًا لاستحقاقهم للوفاء بعهودهم، ولاستحقاق أن نجيرهم ومنها:

١- أن لا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف.

٢- أن لا يذكروا رسول الله ﷺ بتكذيب له ولا ازدراء.

٣- أن لا يذكروا دين الإسلام بذم ولا قدح فيه.

٤- أن لا يصيبوا مسلمة بزنا، ولا نكاح.

٥- أن لا يعينوا أهل الحرب.

٦- أن لا يفتنوا مسلمًا عن دينه أو يتعرضوا لماله أو دمه.

فتلك هى الشروط فإن التزموا بها، فلهم العهد والميثاق، ولهم حق الجوار، وإن نقضوها فلا إجارة لهم ولا وفاء لهم.

ومن المعروف أنهـم لا عهد لهم ولا مـيثاق وخـاصة اليـهود، وهذا من عهد موسى عليـه السلام، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

*      *      *

## جحدوا نبوته ﷺ والكون كله يحن إليه

جَحَدوا نُبُوَّتَه، وكانت الأحجارُ تُسلِّم عليه، والجِذعُ يبكى لفِراقه ويحنُّ إليه، وسَجَدت الحيواناتُ بين يديه تعظيمًا له:

* **عن جابر بن سَمُرة** رضي الله عنه **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**إنى لأعْرِف حجرًا بمكَّة، كان يُسلِّمُ علىَّ قبل أن أُبعث**»[1].

* **وعن جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما: قال: «كان المسجدُ مسقوفًا على جُذوع من نخْل، فكان النبى ﷺ إذا خَطَب يقومُ إلى جِذْع منها، فلما صُنع له المنبرُ فكان عليه، فسَمِعْنا لذلك الجِذعِ صوتًا كصوت العِشار، حتى جاء النبىُّ ﷺ فوضع يده عليه فسكت»[2].

* **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما: أن النبى ﷺ كان يخطب إلى جذع قبل أن يَتَّخذَ المنبرَ، فلما اتَّخَذ المنبر وتحوَّل إليه، حَنَّ الجذعُ، فاحتَضَنه فسكن، وقال: «**لو لم أحتضنْه لَحَنَّ إلى يوم القيامة**»[3].

**وعن عائشة** رضي الله عنها **قالت**: «كان لآل رسول الله ﷺ وَحْشٌ، فكان إذا خَرَج رسولُ الله ﷺ اشتدَّ ولَعِب فى البيت، فإذا دخل رسولُ الله ﷺ سكَن فلم يتحرَّك كراهيةَ أن يُؤذَيه»[4].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٧) كتاب الفضائل.
(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٥٨٥) كتاب المناقب.
(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٢٧) كتاب المناقب، وابن ماجه (١٤١٥) كتاب إقامة الصلاة، وأحمد (١/ ٢٤٩)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٠٠).
(٤) حديث حسن: أخرجه الإمام أحمد فى «المسند» (٦/ ٢٠٩) وقال الشيخ مقبل الوادعى: هذا حديث حسن.

وعن **أنس** ﷺ **قال**: «كان أهلُ بيتٍ من الأنصار لهم جَمَلٌ يَسْنُون عليه[1]، وإن الجَمَلَ استصعب عليهم فمنعهم ظَهْرَه، وإن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إنه كان لنا جَمَلٌ نسنى عليه، وإنه استصعب علينا، ومَنَعَنا ظَهْرَه، وقد عَطِش الزرعُ والنخل، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا**». فقاموا، فدخل الحائطَ، والجَمَلُ فى نَاحية، فمشى النبى ﷺ نحوه. فقالت الأنصار: يا نبيَّ الله، إنه قد صار مِثلَ الكلب الكَلِب، - أى الكلب المفترس - وإنا نخافُ عليك صَوْلَتَه! فقال: «**ليس علىَّ منه بأسٌ**»، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خَرَّ ساجدًا بين يديه، فأخذ رسولُ الله ﷺ بناصيته أذلَّ ما كانت قط حتى أدخله فى العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله، هذه البهيمة لا تعقلُ تسجد لك، ونحن نعقل، فنحن أحقُّ أن نسجدَ لك، فقال: «**لا يصلحُ لبشر أن يسجد لبشر، ولو صَلَح لبشر أن يسجدَ لبشر لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجها من عِظَم حقِّه عليها، والذى نفسى بيده لو كان من قَدَمه إلى مَفْرِق رأسه قَرحةٌ تنبجِسُ بالقيح والصديد، ثم استقبلته فلحَسَتْه ما أدَّتْ حقَّه**»[2].

وعن **سَفينة** ﷺ **مولى النبى** ﷺ **قال**: «ركبتُ البحرَ، فانكسرت السَّفينة، فركبتُ لَوحًا، فطرحنى اللَّوْحُ فى أَجَمَةٍ فيها الأسدُ، فأقبل

---

(١) أى يَستَقون.

(٢) أخرجه أحمد فى «المسند» (٣/ ١٥٨)، وقال الحافظ ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٦/ ١٥٥): وهذا إسناد جيد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٧٢٥).

إلىَّ يريدُنى، فقلتُ: يا أبا الحارث[1]، أنا مَوْلى رسول الله ﷺ، فطأطأ رأسه وأقبل إلىَّ، فـدفعنى بمنكبه حتى أخـرَجَنى من الأجَمَة، ووضعنى على الطريق وهَمْهَم، فظننت أنه يُوَدِّعنى»[2].

* وأعـجب من هذا استباقُ النـوق للموت بين يديه، وكـأنَّ الموت بين يديْه حياة:

**عن عبد الله بن قُرْط رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أعظمُ الأيام عند الله يومُ النَّحْـر، ثم يومُ النَّفْـر»**، وقُرِّب إلى رسـول الله ﷺ خَمسُ بَدَنات، فطَفِقْنَ يَزْدَلِفْنَ إليه[3] أَيَّتُهُنَّ يبدأ بها، فلما وَجَبَت جنوبُها، قال كلمةً خفيفة لم أفـهمها، فسألت بعضَ مَن يَلِينى: ما قال؟... قالوا: قال: **«مَن شاء اقتطع»**[4].

ما بالُ النوق يُسْرِعْن للموت بيـن يديه، وكأنَّ الموت بين يديه حياة!! ما بالُها وَعَت مَا لم يَعِه غِلاظُ الأكباد مَن البشر!! وما بالها سارعت فيما يُرضيه، وقـصَّر فى محبتَّـه مَن شَرَّفهم اللهُ بالانتساب إليـه بعد أن كانوا على هامشِ الحياة لا شأنَ لهم فى الأرض ولا ذكر لهم فى السماء!!.

* **حتى الكلاب تغضب لرسول الله ﷺ**:

إن كـانت الـكلابُ تغـضبُ لمن يـنتـقصُ شـخـصَ الرسـول

---

(١) كُنْيَة الأسد.

(٢) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير: (٧/ ٩٤)، والبزار كما فى كشف الأستار: (٣/ ٢٧١)؛ وأبو نعيم فى الحلية: (١/ ٣٦٩).

(٣) يقتربْن منه ويُسْرِعْن إليه.

(٤) حسن: رواه أحمد (٤/ ٣٥٠) وأبو داود (٥/ ١٨٤)، وحسنه مقبل الوادعى فى «الصحيح المسند من دلائل النبوة» (ص ١٠٢).

الكريم. . . . فماذا يفعلُ المليارُ وربُعُ مليار ممَّن أنقذهم الله به من الظلمات، وأخرجَهم إلى النور على يديه؟!. . . وماذا سنقول لنبينا ﷺ حينما نلقاه على الحوض؟!

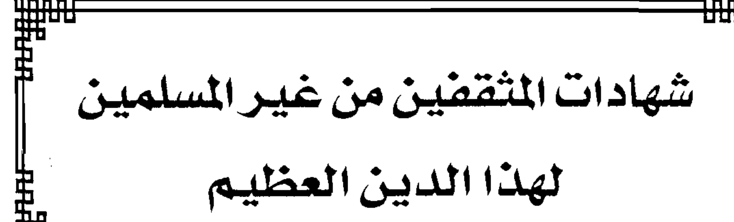
لنُعدَّ للسؤال جوابًا من الآن. . . انظر إلى هذا الخبر وتدبَّرْه تجد العجبَ العُجاب، يَرويه حافظ الدنيا ابن حجر العسقلانى فى كتابه «الدرر الكامنة»: «كان النصارى ينشُرون دعاتَهم بين قبائل المغول طَمَعًا فى تنصيرهم، وقد مَهَّد لهم الطاغية «هولاكو» سبيلَ الدعوة بسببِ زوجته الصليبية «ظفرخاتون»، وذات مرة توجَّه جماعةٌ من كبار النصارى لحضور حفل مغوليٍّ كبير عُقِد بسبب تنصُّر أحد أمراءِ المغول، فأخذ واحدٌ من دُعاة النصارى فى شتم النبى ﷺ، وكان هناك كلبُ صيدٍ مربوط، فلما بدأ هذا الصليبىُّ الحاقد فى سبِّ النبى ﷺ زمجر الكلبُ وهاج، ثم وثب على الصليبى وخَمَشه بشدة فخلَّصوه منه بعد جَهْد.

**فقال بعض الحاضرين:** هذا بكلامك فى حقِّ محمد ﷺ.

**فقال الصليبىُّ:** كلاَّ، بل هذا الكلبُ عزيزُ النفس رآنى أُشير بيدى، فظنَّ أنى أُريدُ ضربه، ثم عاد لسَبِّ النبى ﷺ وأقذعِ فى السبِّ، عندها قطع الكلبُ رِباطَه ووثب على عُنق الصليبىِّ وقَلَع زَوره فى الحال، فمات الصليبىُّ من فوره، فعندها أسلم نحوُ أربعين ألفًا من المغول»(١)(٢).

---

(١) «الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلانى (٣/ ٢٠٢).
(٢) وامحمداه/ د. سيد حسين (١/ ١٧- ٢٠).



# شهادات المثقفين من غير المسلمين لهذا الدين العظيم

## ١- الإسلام وحرية الأديان:

يقول الباحث الفرنسى المعاصر إدوار بروى: «ما لابدّ من التنويه به عاليًا أن هؤلاء السلاطين [العثمانيين] لم يُظهروا أى تحرج أو تعصب تجاه المسيحيين، فى وقت وزمان كان فيه ديوان التفتيش يبطش بالناس بطشًا ويُنزل بهم الهلع، وفى عهد كان اليهود والمسلمون يُطردون دونما رحمة أو شفقة من إسبانيا وبالرغم من إسكان عدد كبير من الجاليات الإسلامية فى البلقان، واعتناق بعض الجماعات البلقانية الإسلام فلم يأت العثمانيون شيئًا مهمًّا ليمنعوا السواد الأكبر من سكان البلاد البلقانية من الاحتفاظ بنصرانيتهم» (١).

## ٢- من صور التسامح عند الفاتحين المسلمين:

يقول مارسيل بوازار: «منذ بدء الفتح العربى الإسلامى، كان المحاربون المسلمون قد فرضوا على أنفسهم روحًا من التسامح مع غير المسلمين ومع الشعوب المغلوبة، وفى زمن لم يكن فيه العنف

(١) تاريخ الحضارات العام ٣/ ٥٩٠ .

يعرف شرعًا ولا عاطفة. . . أصدر أبو بكر ﷺ: أول خليفة للنبى ﷺ إلى جنوده التعليمات المشهورة المرنة كثيرًا التى تختصر الروح الخلقى للقانون الإسلامى» (١).

ومن النماذج العملية الرائعة فى ذلك: وصية عمر ﷺ:

يقول تريتون: «ولما تدانى أجل (عمر بن الخطاب) أوصى مَن بعده وهو على فراش الموت بقوله: أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيرًا، وأن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم» (٢).

ويقول المؤلف الأمريكى المعاصر ول ديورانت: «إن المسلمين كما يلوح كانوا رجالاً أكمل من المسيحيين فقد كانوا أحفظ منهم للعهد، وأكثر منهم رحمة بالمغلوبين، وقلما ارتكبوا فى تاريخهم من الوحشية ما ارتكبه المسيحيون عندما استولوا على بيت المقدس فى عام ١٠٩٩م» (٣).

ويقول الناقد الإنجليزى روم لاندو: «فى عصر كان (السلب والنهب) هو القاعدة التى يتبعها كل جيش منتصر لدى دخوله مدينةٍ ما، يبدو العهد الذى أعطاه خالد بن الوليد ﷺ لأهل دمشقٍ إنسانيًّا إلى أبعد الحدود ومعتدلاً إلى أبعد الحدود. ويبدو جليًّا فى الواقع أن الكتائب العربية اعتبرت نفسها محررة للشعب

(١) إنسانية الإسلام ص ٢٧٨، مفكر وقانونى فرنسى معاصر.
(٢) يحيى بن آدم: كتاب الخراج، ص: ٥٤ .
(٣) قصة الحضارة، ١٣/ ٣٨٣ .

المضطهد وحـاملة رسالة الإسلام إليـه فى آنٍ معًا. وقـد اتخذ من شروط الاستسـلام هذه نموذج احتـذى فى ما بعد عنـد فتح المدن السورية والفلسطينية الأخرى» [1].

**وتقول إيفلين كوبولد:** «إن الإسلام لا يعـرض لمعتنقى الأديان الأخـرى بسوء، وهو لا يحـملهم على قبـول دينه والنزول تحت شرعته، كما أنه لم يـحارب الذين لم يعتنقوا دينه، ولا عمل على قتلهم وحرقهم وتعذيبهم كما فعل غيره وسواه، وآية القرآن الكريم ظاهرة بيِّنة ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ [2]» .

**وتقول أيـضًا:** «هذا عـمر بن الخطاب ﷺ دخل بيت المقـدس فاتحًا ظافرًا، أدركته الصلاة وكان فى داخـل كنيسة القيامة، فخرج منها وصلى خارجهـا، ولما سأله البطريرك عن سبب ذلك قال له: أخشى أن يتخذ المسلمون بعدى مـن صلاتى هذه فى الكنيسة حجة لقلبها إلى مسجد فيـخرقون المعاهدة بذلك، وبذلك حفظ الفاروق للمسيحية كنيستهم الأولى».

**وتقول:** «لما استـرجع السلطان صلاح الدين بيت المقـدس بعد معارك عديدة، وطرد الصليبيين من البلاد أظهر فى حروبه ومعاركه كل ألوان الرفق والرحمة والعطف والعفـو عند المقدرة، وقد حفظ له كثير من كُتَّاب الغـرب هذه الصفات، ولم يتأخروا عن المجاهرة بها والإقرار بأنه كان أشرف الأعداء وأطهر الفاتحين».

(١) الإسلام والعرب، ص ٦٠ .
(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

**ومما قالت أيضًا:** «مما يجدر ذكره أن صلاح الدين لما افتتح القدس وكانت أفعال الصليبيين الدامية بأهلها لا تزال ملء السمع والبصر، وأبى أن يعامل المغلوبين إلا بالحسنى والرفق، ورفض الانتقام من الذين أساءوا وأحرقوا ودمروا، فسمح لجميع المسيحيين بمغادرة المدينة تحت رعاية رجاله ومحافظة قواده» (١).

**ويقول ريشار وود:** «النصارى [فى الدولة العثمانية] متمتعون بالحرية التامة، ونحن لم نتفرد بهذا القول؛ فإن كثيرين من علماء الإنكليز والروس ألَّفوا كُتبًا أكدوا فيها أن أرباب الفلاحة خارج البلاد العثمانية يحسدون البلغار العثمانيين على حسن حالهم وأمنهم فى منازلهم وبساتينهم الخصبة وما تحت يدهم من الأطيان والمواشى، وصوامع كنائسهم مشرفة على كل الجهات، بل يقول هؤلاء المؤلفون أن البلغار العثمانيين أحسن حظًّا من المسلمين العثمانيين» (٢).

**وفى المقابل يقول روم لاندو:** وفى عام ١٤٩٩م دشَّن الكاردينال كزمينز برنامجًا للتنصير الإجبارى شعاره: إما المعمودية وإما الإخراج من البلاد. ونشطت محاكم التفتيش نشاطًا رهيبًا. وأُكره كثير من المسلمين واليهود على مغادرة إسبانيا. وعام ١٥٥٦م أَجبر الملك فيليب الثانى مَن بقى من المسلمين فى البلاد على التخلى عن لغتهم ودينهم ومؤسساتهم، حتى إذا كانت سنة ١٦٠٩ أُمضى

(١) البحث عن الله ص ٩٣ - ٩٦ .
(٢) الإسلام والإصلاح، ص ٢٢، وهو رجل دبلوماسى بريطانى.

مرسوم ملكى نهائى إلى ترحيلهم ترحيلاً كاملاً. ودوَّن المؤرخون عدد المسلمين الذين أُبعدوا أو قُتلوا، ما بين سقوط غرناطة ومطلع القرن السابع عشر، بثلاثة ملايين ونيِّف»[1].

**أليس «بوش رئيس أمريكا» قد قال ما قالوا:** «الذى ليس معنا فهو مع الإرهاب».

**٣- الإسلام ليس متعصبًا ضد الناس:**

يقول (الأستاذ المحاضر المجرى) جولد تسيهر: «روح التسامح فى الإسلام قديمًا، تلك الروح التى اعترف بها المسيحيون المعاصرون أيضًا، كان لها أصلها فى القرآن: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[2]، وقد جاءت الأخبار عن السنين العشر الأولى للإسلام بمثل للتسامح الدينى للخلفاء، إزاء أهل الأديان القديمة، وكثيرًا ما كانوا يوصون فى وصاياهم للفاتحين بالتعاليم الحكيمة، ومن المثل لذلك عهد النبى ﷺ مع نصارى نجران، الذى حوى احترام منشآت النصارى، ثم هذه القواعد التى أعطاها لمعاذ بن جبل عند ذهابه إلى اليمن (لا يزعج يهودى فى يهوديته). وفى هذه الدائرة العالية كانت أيضًا عهود الصلح التى أُعطيت للنصارى الخاضعين للدولة البيزنطية التى اندمجت فى الإسلام وبموجبها كانوا - فى مقابل دفع الجزية - يستطيعون مباشرة شؤونهم الدينية من غير إزعاج لهم..».

(١) الإسلام والعرب، ص ١٨٠ .

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

وقال: «وكما أن مبدأ التسامح كان جاريًا فى الأعمال الدينية، كذلك من جهة أخرى كان يراعى فقهيًّا، فيما يتعلق بالمعاملات المدنية والاقتصادية بالنسبة لأهل الكتاب مبدأ الرعاية والتساهل، فظلم أهل الذمة وهم أولئك المحتمون بحمى الإسلام من غير المسلمين. كان يُحكم عليه بالمعصية وتعدِّى الشريعة، ففى بعض المرات عامل حاكم إقليم لبنان الشعب بقسوة عندما ثار ضد ظلم أحد عمال الضرائب، فحكم عليه بما قاله الرسول ﷺ: **«من ظلم معاهدًا، وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة»** وفى عصر أحدث من هذا ما رواه بورتر **Porter** فى كتابه (خمس سنين فى دمشق) من أنه رأى بالقرب من بصرى (بيت اليهود) وحكى أنه كان فى هذا الموضع مسجد هدمه عمر رضي الله عنه لأن الحاكم قد اغتصبه من يهودى ليبنى عليه هذا المسجد»[1].

### * أليس النبى ﷺ كان يقضى على هذه العصبية؟

**عن أبى هريرة** رضي الله عنه **قال:** بينما يهودى يعرض سلعته أعطى بها شيئًا كرهه فقال: لا والذى اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم وجهه وقال: تقول والذى اصطفى موسى على البشر والنبى ﷺ بين أظهرنا؟ فذهب اليهودى إليه فقال: أبا القاسم؛ إن لى ذمة وعهدًا فما بال فلان لطم وجهى؟ فقال: **«لمَ لطمتَ وجهه؟»** فذكره فغضب النبى ﷺ حتى رُئى فى وجهه ثم

---

(١) العقيدة والشريعة فى الإسلام ص ٤٥ - ٤٧ .

قال: «لا تفضلوا بين أنبياء الله؛ فإنه يُنفخ فى الصور فيصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله، ثم يُنفخ فيه أخرى فأكون أول من بُعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدرى أحوسب بصعقته يوم الطور أم بُعث قبلى، ولا أقول إن أحدًا أفضل من يونس بن متَّى» (١).

### ٤- إدارة البلاد المفتوحة:

«إن أبرز ما يلفت النظر فى الفتوح العربية ليس تلك السرعة وذلك النظام اللذين تمت بهما بغير دمار لا مبرر له إلا قليلاً ولكن تلك السهولة التى انتقلت بها البلاد المفتوحة من حال الحرب إلى حال السلم، ومن التغلّب إلى الإدارة» (٢).

**ويقول بيجى رودريك:** «ما إن كان الإسلام يدخل بلدًا من البلدان المفتوحة حتى يُقبل أهلها جميعًا على اعتناقه، ويُعامَلون معاملة الفاتحين سواءً بسواء، ومن احتفظ منهم بدينه لقى أكرم معاملة، فمصر وشمال أفريقيا والصومال وبلاد أخرى كثيرة هى أمثلة على البلاد التى فتحها المسلمون العرب، فأسلم أهلها وحملوا الإسلام إلى غيرهم وعاشوا أعزة مكرمين فى ظل دولة إسلامية مئات من السنين، فلا مجال إذن للمقارنة بين الفتوحات الإسلامية وبين الاستعمار البغيض الذى يسلب الشعوب كل شىء» (٣).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٤١٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٣٧٣) كتاب الفضائل.

(٢) الإسلام منهج حياة، ص ١٦٢، وهو شاب هندى نصرانى، أسلم فى منتصف الأربعينات.

(٣) رجال ونساء أسلموا، ٦/ ١١٤ .

**يقول الأديب البريطانى هـ. ج. ولز:** «أنشأ أبو بكر ﷺ بذلك الإيمان الراسخ الذى يزحزح الجبال ينصب نفسه فى بساطة وحسن تبصر، لتنظيم إخضاع العالم بأسره لله، بجيوش صغيرة من ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف عربى، بناء على تلك الرسائل التى بعث بها النبى ﷺ من المدينة إلى ملوك العالم... والحملات العسكرية التى بدأت عند ذاك، من ألمع ما خلد تاريخ العالم.... وكان المسلمون فى كل مكان يخيرون الناس بين أشياء ثلاثة: فإما أن تدفع الجزية، وإما أن تؤمن بالله الحق وتنضم إلينا، وإما أن تقاتل... ولم يحدث فى أى مكان شىء اسمه المقاومة الشعبية فإن فاضل الناس بين البلاط الفارسى وبين العرب، كان العرب - أعنى عرب السنين العظيمة - أنظف الطرفين وأطهرهما بشكل ظاهر، وكانوا أكثر عدالة وأوسع رحمة... وانضم العرب المسيحيون دون تردد إلى الغزاة، كذلك انضم إليهم كثير من اليهود. وكما كان الحال فى الغرب كان كذلك فى الشرق إذا استمر الجهاد الإسلامى لنشر الإسلام»(١).

## ٥- تهليل أهل البلاد المسيحية بالفاتحين المسلمين:

يقول أستاذ التاريخ الفرنسى كلود كاهن: «وبين أيدينا العديد من الشهادات والقرائن التى تنهض دليلاً على أن المسيحيين من أهل البلاد كانوا على العكس من ذلك قد هلّلوا فرحًا لحكومة

(١) معالم تاريخ الإنسانية ٣/ ٦٤٣ .

السادة الجدد عقب عودة النظام بمجيء السلاجقة ولم يخطر لهم مطلقًا أن يستنجدوا بالغرب لينقذوهم» (١).

ويقول هاملتون كب: «لقد تمت الفتوحات الإسلامية دون أن تزعزع اقتصاديات البلاد المفتوحة، وعلى أثرها أقام الفاتحون توًا سلطة مركزية منظمة» (٢).

فهل هلل العراقيون لغزو الأمريكان لبلادهم؟ وهل حافظ الغزاة الظلمة على اقتصاديات البلاد؟.... قاتلهم الله ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾ (٣).

**٦- الحرب والجهاد لا يعنى الظلم والاضطهاد:**

يقول أحمد سوسة: «يستحسن بأتباع موسى وعيسى عليهما السلام أن يراجعوا التاريخ الإسلامى، ليقفوا على ما يأمر به الإسلام بشأن الرفق بالأطفال والنساء والشيوخ وغير المقاتلين بصورة عامة، ويثبت لنا التاريخ عدا ذلك أن المسلمين ساروا وفق شريعتهم القاضية بوجوب عدم مس الأطفال والنساء والشيوخ بكل أمانة وحرص حتى فى الظروف التى كان فيها العدو المقابل يقتل الأطفال والنساء وغير المحاربين من المسلمين» (٤).

(١) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية (١/ ٥- ٦).
(٢) دراسات فى حضارة الإسلام، ص ٤، وهو أديب وإمام المستشرقين الإنجليز المعاصرين وأستاذ اللغة العربية ١٨٩٥ - ١٩٦٧ .
(٣) سورة المائدة: الآية: (٣٢).
(٤) فى طريقى إلى الإسلام ١/ ٩٤، وهو باحث ومهندس عراقى، كان يهوديًا وتأثر بالقرآن فأسلم، وتوفى قريبًا.



ويقول[1]: «الإسلام شريعة العدل والإنسانية، وأنه ينطوى على مبادئ تفوق السيف فى قوتها واستقامتها، وأن منهج اللطف فى دعوته إلى حقيقة التوحيد يجتذب القلوب ويسحر العقول ويأسر الناس بلا سيف ولا قتال».

**٧- عوامل نصر دين محمد ﷺ (شهادة له ولأصحابه):**

يقول المؤلف الأمريكى لوتروب ستودارد: «كان لنصر الإسلام هذا النصر الخارق عوامل ساعدت عليه، أكبرها أخلاق العرب، وماهية تعاليم صاحب الرسالة ﷺ وشريعته والحالة العامة التى كان عليها الشرق المعاصر فى ذلك العهد... لقد استطاع محمد، وهو يبشر بالوحدانية تبشيرًا عاريًا عن زخارف الطقوس والأباطيل أن يستثير حق الاستثارة من نفوس العرب الغيرة الدينية الكامنة... وإذ هبُّوا لنصرة دعوة محمد بن عبد الله من بعد ما ذهبت من صدورهم الأحقاد المزمنة والعداوات الشديدة التى كان من شأنها من قبل الذهاب بحولهم وقوتهم، وانضم بعضهم على بعض كالبنيان المرصوص تحت لواء الرسالة فى رأسها نور للناس وهدى للعالمين، أخذوا يتدفقون تدفق السيل من صحاريهم فى شبه الجزيرة ليفتحوا بلاد الإله الواحد....»[2].

**٨- عظمة أصحابه ﷺ:**

يقول جواهر لال نهرو: «كانت حياة العرب فى زمن محمد

(١) فى ٢/ ٣٨.
(٢) حاضر العالم الإسلامى ١/ ٢.

ﷺ غريبة، وكانت عزيمتهم تختلف عن عزيمة الجنود والجيوش التى كان يعتمد عليها الملوك... لقد برز هؤلاء العرب بعقيدة متوقدة قهرت الجبال ونشرت الإسلام فى الآفاق كما تنتشر النار فى الهشيم برزوا شامخين فى عالمهم فدانت أمام زحفهم المظفر الجيوش الجرارة كانت الشعوب الأخرى متململة من أمرائها؛ فلاح العرب كبارقة الأمل لهذه القوة التى كانت ترقب الفرج والثورة الاجتماعية»(1).

## ٩- الأصول الإسلامية الثابتة والقيم والشمائل سبب انتشاره:

«إن سرعة انتشار الإسلام فى العصر الحديث يرجع إلى عدم الخلط والخبط فى أصوله وبنيانه الأمر الذى جعل له مكانًا ثابتًا فى قلوب أهله وكل من تدين به بخلاف النصرانية فإنها مزعزعة الأركان قلّما يكون لها ثبات عند الإنسان لما فيها من التبديل والتغيير والتحريف والتحوير.. لقد أفاد الإسلام التمدن أكثر من النصرانية ونشر راية المساواة والأخوة، وهذه الأدلة نذكرها نقلاً عن تقارير الموظفين من الإنكليز، وعن ما كتبه أغلب السيّاح عن النتائج الحسنة التى نتجت من الدين الإسلامى، فإنه عندما تتدين به أمة من الأمم السودانية الأفريقية تختفى من بينها فى الحال عبادة الأوثان واتباع الشيطان والشرك، وتحرم أكل لحم الإنسان وقتل الرجال ووأد الأطفال وتضرب عن الكهانة، ويأخذ أهلها فى

(1) لمحات ص ٣٣ .

أسباب الإصلاح وحبّ الطهارة واجتناب الخبائث والرجس، والسعى نحو إحراز المعالى وشرف النفس، ويصبح عندهم قِرى الضيف من الواجبات الدينية وشرب الخمر ولعب الميسر من المحرمات، والرقص القبيح ومخالطة النساء دون تمييز منعدمة، يحسبون عفة المرأة من الفضائل ويتمسكون بحسن الشمائل» (١).

## ١٠- هيا إلى الإسلام وليس من الإسلام:

**يقول كوستاف لوبون:** «ساعد وضوح الإسلام البالغ وما أمر به من العدل والإحسان كل المساعدة على انتشاره فى العالم، ونفسر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام، كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطينية فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام، كما نفسر السبب فى عدم تنصّر أى أمة بعد أن رضيت بالإسلام دينًا، سواء أكانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة»(٢).

عن عبد الله بن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه فى ركب من قريش وكانوا تجارًا بالشام فى المدة التى كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى؟ فقال

(١) العقيدة الإسلامية ص ١٥ - ١٧ عن (كانن إسحاق تيلى فى خطبة له بمؤتمر الكنيسة الإنكليزية بتاريخ ٧ أكتوبر سنة ١٨٨٧، نشرت بجريدة التايمز فى اليوم التالى).
(٢) حضارة العرب ص ١٢٥ .

أبوسفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبًا، فقال: أدنوه منى وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إنى سائل عن هذا الرجل فإن كذبنى فكذبوه، فو الله لولا الحياء من أن يأثروا علىَّ كذبًا لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم.. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال: قلت: لا قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها، قال ولم تمكنى كلمة أُدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تُبعث فى نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسى بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من

ملك فـذكرت أن لا ، قلت: فلو كـان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه. وسـألتك هل كنتم تتهمونه بالكـذب قبل أن يقول ما قـال فذكـرت أن لا ، فقـد أعرف أنه لم يكن ليـذر الكذب على الناس ويكـذب على الله. وسـألتك أشـراف الناس اتبعـوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعـد أن يدخل فيه فذكرت أن لا ، وكذلك الإيـمان حين تخـالط بشاشـته القلوب. وسـألتك هل يغـدر فذكـرت أن لا وكذلك الرسل لا تغـدر وسألتك بما يأمـركم فذكرت أنه يأمـركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيـئًا وينهاكم عن عبـادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصـدق والعفاف، فإن كـان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدمى هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أنى أعلم أنى أخلـص إليه لتجـشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذى بعث به دحية إلى عظيم بصرى فـدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فـيه «**بسم الله الرحـمن الرحيم من مـحمـد عبد الله ورسـوله إلى هرقل عظيم الروم، سـلام على من اتبع الهـدى، أمـا بعـد فإنى أدعـوك بدعـاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتـك الله أجرك مـرتين، فإن توليت فـإن عليك إثم الأريسيين وَ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(١) قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأُخرجنا، فقلت لأصحابى حين أُخرجنا: لقد بلغ أمر ابن أبى كبشة - يقصد النبى ﷺ - أنه يخافه ملك بنى الأصفر. فما زلت موقنًا أنه سيظهر حتى أدخل الله علىَّ الإسلام»(٢).

## ١١- سماحة الإسلام:

يقول أستاذ اللغات الألمانى آدم ميتز: «ولم يكن فى الدين الإسلامى ما يغلق دون أهل الذمة أى باب من أبواب الأعمال، وكان قدمهم راسخًا فى الصنائع التى تُدر الأرباح الوافرة، فكانوا صيارفة وتجارًا وأصحاب ضياع وأطباء، بل إن أهل الذمة نظموا أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفة والجهابذة فى الشام مثلاً يهودًا، على حين كان أكثر الأطباء والكتبة نصارى. وكان رئيس النصارى فى بغداد هو طبيب الخليفة، وكان رواد اليهود وجهابذتهم عنده. . . .»(٣).

**قال الله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٤).**

## ١٢- شبهة الحروب الصليبية:

**ويقول نصرى سلهب:** «خاضت المسيحية الحروب الصليبية ضد

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٦٤).

(٢) **صحيح:** رواه البخارى (٧) كتاب بدء الوحى.

(٣) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع ١/ ٦٨ .

(٤) سورة الممتحنة: الآية: (٨).



الإسلام لإنقاذ الأماكن المقدسة كما يحلو للمؤرخين أن يرددوا، والحروب الصليبية هذه كانت إحدى الأخطاء التاريخية العظمى، فالأماكن المقدسة لم تكن فى خطر، ولم يحاول واحد من الحكام المسلمين أن يمحوها أو أن يزيلها من الوجود، بل على العكس من ذلك فقد تجنب الخليفة عمر رضي الله عنه فى فجر الإسلام الصلاة فى كنيسة القيامة بغية الحفاظ على طابعها المسيحى. وكذلك فعل الآخرون، على مرّ الزمن» (١).

**ويقول ص٣٣١** :«العهدة العمرية التى منحها ابن الخطاب رضي الله عنه لأهل بيت المقدس هل تعدلها عهدة فى التاريخ نبلاً وعدلاً وتسامحًا: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل القدس من أمان: أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم. لا يُكرَهون على دينهم ولا يُضار أحد منهم». أى خاسر حربًا من حروب التاريخ حظى بمثل هذه العهدة من غالب منتصر؟ ويبقى المسلمون فى الشرق، وفى فلسطين بالذات، ثلاثمائة سنة وألفًا، فلا يمس فيها للمسيحى أثر، بل تستمر الكنائس والأماكن المقدسة فى حرمة ومنعة».

## ١٣- الحضارة الإسلامية التى أسسها محمد صلى الله عليه وسلم وجوانب من عظمته:

**تقول لورا فيشيا فاغليرى**: «لقد تجلى أمام عيون العالم المندهش

(١) لقاء المسيحية والإسلام ص ٥٤ .

دين جديد، بسيط، سهل، يخاطب القلب والعقل جميعًا، وأقيم شكل جديد من أشكال الحكومة كان أسمى إلى حدٍّ بعيد - فى خصائصه ومبادئه الأخلاقية - من تلك المعروفة فى ذلك العصر. وبدأ الذهب الذى كان مخبوءًا فى صناديق السراة ينتقل إلى أيدى الفقراء، مستهلاً نظامًا فى التداول السليم كرة أخرى، وفى ظل من حكومة تسيّرها مُثُل عُليا ديمقراطية أمينة؛ وجد الرجال المثقفون البارعون الأذكياء تشجيعًا من النظام الجديد، فاستطاعوا أن يبلغوا أسمى المناصب العامة. ومن الممكن القول، فى اطمئنان، أن البلاد المفتوحة عرفت - على الرغم من بعض الحالات المحتومة النادرة التى تجاوز فيها الجند حدودهم أثناء الفتح - عهدًا من الرخاء والازدهار، وشهدت غنى لم تشهده آسيا منذ قرون طويلة، وإلى هذا فقد نعمت حياة الشعوب المغلوبة وحقوق المدنية وأموالها بدرجة من الحماية تقارب تلك التى نعم بها المسلمون أنفسهم»[(١)].

ولم يكن تأسيس النبى ﷺ لدولة الإسلام قاصرًا على علاقتها الخارجية ومعاملاتها الأجنبية؛ بل منطلقًا ومنبثقًا بعد التوحيد الخالص والاعتقاد الصحيح من تأسيس الفرد فى الأسرة بدءًا من الطفل، وصيانة الجانب الاجتماعى والحياة العامة، والبعد بها عن الانحراف والرذيلة.

يقول المستشرق الفرنسى لويس سيديو: «لا شىء أدعى إلى

(١) دفاع عن الإسلام ص ٢٦ - ٢٨ .

راحة النفس من عناية محمد ﷺ بالأولاد، فهو قد حرم بأمر الله عادة الوأد، وشغل باله بحال اليتامى على الدوام، وكان يجد فى ملاحظة صغار الأولاد أعظم لذة، ومما حدث ذات يوم أن كان محمد ﷺ يصلى فوثب الحسين بن على رضي الله عنهما فوق ظهره، فلم يُبالِ بنظرات الحضور فانتظر صابرًا إلى حين نزوله كما أراد. وما ألطف أقوال محمد ﷺ عن حنان الأم وحبّ الوالدين، وما أجمل ما فى كلمته «**الجنة تحت أقدام الأمهات**» من تكريم الأمهات! فيمكن أن يُكتب فصلٌ رائع من حياة محمد ﷺ حول هذا الموضوع»[1].

ويقول ص ١١٢: «جزاء الزنا صارم فى الإسلام ولابد من أربعة شهود لإثباته ولم يقصر محمد ﷺ فى منع انتشار الفجور، وله نصائح غالية بهذا الصدد وهو يأمر المؤمنين بالاحتشام، وينظم أمورهم نحو أُجرائهم وأبنائهم وآبائهم وأمهاتهم، برفق أبوى ممزوج بلسان المشرّع الوقور الجليل».

### ١٤- يا مسلمون، أيهما أهون البدء أم الإعادة؟!

يقول جواهر لال نهرو: «المدهش حقًّا أن نلاحظ هذا الشعب العربى الذى ظل منسيًّا أجيالاً عديدة بعيدًا عما يجرى حوله؛ قد استيقظ فجأه ووثب بنشاط فائق أدهش العالم وقَلَبَه رأسًا على عقب. وأن قصة انتشار العرب فى آسيا وأوروبا وأفريقيا،

(١) تاريخ العرب العام، ص ١١٠ .

والحضارة الراقية والمدنية الزاهرة التى قدموها للعالم هى أعجوبة من أعجوبات التاريخ»(١).

**ويقول أيضًا**(٢): «سار العرب من فتح إلى فتح، وكثيرًا ما ربحوا الحروب بدون قتال. وفى غضون خمسة وعشرين عامًا من وفاة الرسول ﷺ فتح العرب جميع بلاد فارس وسوريا وأرمينية وجزءًا من أواسط آسيا الشرقية ومصر وجزءًا من شمال أفريقيا وقد سلمت لهم مصر بسهولة لأنها كانت قد قاست كثيرًا من استبداد الإمبراطورية الرومانية ومن الحروب الطائفية. . »(٣).

## ماذا قال المُنصفون من الغرب عن النبى ﷺ(٤)

لا يستطيعُ أىُّ مُنصِفٍ أن يحجبَ الحقيقةَ والنور. . . ومَن يحاولُ حَجْبَ النورِ فهو كمن يحاولُ بكفِّ طفلٍ صغيرٍ أن يُخفِىَ شُعاعَ الشمسِ أو ضوءَ القمرِ أو إدراجَ الشمسِ فى قبرٍ أو كهفٍ من كهوفِ الزمن. . ولقد مَدَحَ وأثنى على رسولِ الله ﷺ كثيرٌ من مُفكِّرى الغرب، وعَدَلْتُ فى عنوان هذا الفصل عن تسميته «المنصفون للنبى ﷺ فى الغرب» فإنَّ قولَ بعضِ أهلِ الفكرِ فيه بأنه كان «عبقريًّا، عظيمًا، ما شَهِدت مِثلَه البشرية، أو مُصلِحًا

---

(١) لمحات ص ٢٣ .

(٢) ص ٢٧ .

(٣) رسالة محمد ﷺ / للشيخ جمال عبد الرحمن - حفظه الله -.

(٤) بتصرف من كتاب (وامحمداه) الجزء الرابع / د. سيد حسين العفانى- حفظه الله -.

عظيمًا، ما جاء مِثْلُه مَدَى الأيام فى بلاد العرب». . هذا ليس إنصافًا، بل حَطًّا من مرتبته، فهو رسولُ الله ﷺ إلى الناس كافةً، وهو خاتَمُ النبيِّين. . . وأىُّ إنكارٍ لهذه المرتبةِ والمنزلةِ ليس إنصافًا، فتمامُ الإنصاف الاعترافُ بنبوَّته الخاتمةِ والدخولُ فى دينه.

**قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسُ محمدٍ بيده، لا يَسمعُ بى أحدٌ من هذه الأمة، لا يهودىٌّ ولا نصرانىٌّ، ثم يموتُ ولم يُؤمنْ بالذى أُرسلتُ به، إلاَّ كان من أصحابِ النار»**[1].

وأىُّ ثناءٍ على الإسلام والقرآن أذكرُه هنا، فهو ثناءٌ على رسول الله ﷺ، فلا يمكنُ الفَصلُ بين الرسول ﷺ، وبين الدينِ العظيمِ الذى جاء به، وبين الكتابِ المُبين والذِّكْر الحكيمِ الذى أُنزل عليه.

ولكنْ قبلَ الشروع فى بيانِ أقوال هؤلاء؛ لابدَّ من ذِكرِ أصل وقاعدةٍ فى غاية الأهمية. . وهى أن الإسلامَ ليس بحاجة إلى شهادة غيره من أهل المِلَلِ الأخرى، ذلك لأن: «**الإسلام يعلُو ولا يُعلَى**» كما قال الحبيب المصطفى ﷺ[2]، وإنما أوردنا شهادتَهم من باب ﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا**﴾[3] وليكون كلامهم حجَّةً على أنفسهم أولاً، ثُم حُجَّةً على بَنِى قومهم ثانيًا عند الله تبارك وتعالى

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٥٣) كتاب الإيمان.

(٢) **حسن**: رواه الدارقطنى (٣/ ٢٥٢) والبيهقى (٦/ ٢٠٥) وحسنه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٢٧٧٨).

(٣) سورة يوسف: الآية: (٢٦).

غدًا.. وقد كفانا الله سبحانه بإسلامنا العظيم عن شهادة أيِّ مِلَّةٍ ونَهج آخرَ.

**قال سبحانه مُمتنًّا على عباده: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾** (١).

ونحن بحمد الله نكتفى ونرضَى بما رَضِيَ لنا به ربُّنا العظيمُ جلَّ جلالُه، ولو فَرَضْنا أن الكلمات القادمةَ فى مدح الإسلام ونبيِّه ﷺ لَم تصدُرْ من هؤلاء، فإن نبينا ﷺ لن ينقص قدره، ولن ينزل قيد شعرة من سموه.. وسيظل دينه رغم أنف الدنيا كلها هو الدين الحق المصان من التبديل والتحريف وسيظل محمد ﷺ شاء المتكبرون أم أبوا خاتم الأنبياء والمرسلين، والمبعوث بالحق من عند رب العالمين وشريعته الغراء ناسخة لجميع الشرائع من قبله، ومَن زكَّاه الله عز وجل لا يحتاج لتزكية من فوق التراب وكيف وهو الشاهدُ على الأمم والرسل يوم القيامة!!

فذكرنا لكلام هؤلاء إذن ليس احتجاجًا به، ولا تعظيمًا له، وإنما هو زيادة فى الحجة والبيان.. على أن مدح هؤلاء له ﷺ مدح ناقص. إذ لا يتم المدح والتعظيم إلا بالدخول فى دينه والانصياع لأمره والله المستعان، وعليه التكلان.

*** وها نحن نشرع فى ذكرهم:**

يقول جورج برنارد شو: «لقد كنتُ دائمًا أحتفظُ لدينِ محمدٍ

(١) سورة المائدة: الآية: (٣).

عندى بأعلى التقدير، وذلك بسببِ حيويته المدهشة، إنه الدين الذى يبدو لى أنه يَمتلكُ القُدرةَ على استيعابِ تغيُّرِ أطوارِ الحياة، بما يَجعلُه مَحلَّ إعجابٍ لكلِّ العصور. لقد درستُ محمدًا ذلك الرجلَ العجيبَ، وفى رأيى أنه أبعدُ ما يكونُ عمن يُسمَّى «ضد المسيح»، ويجبُ أن يُسمَّى: «مُنقذَ الإنسانية».

إنى أعتقدُ لو أن شخصًا مثلَه تولَّى الحُكمَ المُطلَقَ للعالَم المعاصِر، لَنَجَح فى حلِّ مشاكله بطريقة تجلِبُ له ما هو فى أشدِّ الحاجة إليه من سلام وسعادة.

لقد تنبأت بأن دينَ محمد سيكونُ مقبولاً فى أوروبا الغد، كما أنه بدأ يكونُ مقبولاً فى أوروبا اليوم».

وله مؤلَّف أسماه «محمدًا» أحرقته السلطةُ البريطانيةُ..

**قال برنارد شو:** «إنَّ العالمَ أحوجُ ما يكونُ إلى رجلٍ فى تفكير محمد، هذا النبىُّ الذى وَضع دينَه دائمًا موضعَ الاحترامِ والإجلال فإنه أقوى دينٍ على هَضم جميع المدنيَّات، خالدًا خلودَ الأبد، وإنى أرى كثيرًا من بنى قومى قد دخلوا هذا الدينَ على بيِّنةٍ، وسيجدُ هذا الدينُ مجالَه الفسيحَ فى هذه القارة (يعنى أوروبا)، وإذا أراد العالَمُ النجاةَ من شروره، فعليه بهذا الدين، إنه دينُ السلام والتعاون والعدالة فى ظلِّ شريعة متمدِّنة محكمة، لم تَنْسَ أمرًا من الدنيا إلاَّ رسمَتْه ووزنته بميزانٍ لا يُخطئُ أبدًا، وقد ألَّفتُ كتابًا فى «محمد، ولكنه صُودِر لخروجه عن تقاليد الإنكليز».

**يقول «مايكل هارت» فى كتابه:** «المائة: تصنيف لأعظم الشخصيات أثرًا فى التاريخ». وقد وضع محمدًا رسولَ الله على رأس هذه القائمة: «إنَّ اختيارى محمدًا ليكون على رأسِ القائمة لأعظم الشخصيات العالَمية فى التاريخ، قد يُدهِشُ بعضَ القُرَّاء، كما أنه قد يكونُ مَحلَّ تساؤلٍ من البعضِ الآخر، لكنَّ محمدًا كان هو الإنسانَ الوحيدَ فى التاريخ الذى بَلَغ أعلى درجاتِ النجاحِ على المستويَينِ الدينى والدنيوىِّ».

لقد استطاع محمدٌ رغمَ أنه جاء من أصول متواضعة(1) أن يؤسِّسَ وينشرَ واحدةً من أعظمِ ديانات العالم كما أصبح زعيمًا سياسيًّا ذا تأثير هائل، واليوم وبعدَ مرورِ ثلاثةَ عَشَر قرنًا على وفاته لا يزالُ تأثيرُه قويًّا واسعَ الانتشار.

*** الفيلسوف الشهير لاون تولستوى الروسى:**

تولستوى (١٨٢٨ - ١٩١٠) مؤلف قصصى، اشتغل بالإصلاح، وهو كاتبُ روسيا الأعظم، ثار على الزعماءِ من حُكَّام «واكليروس» فمَهَّد السبيلَ للثورةِ ولانتشار الشيوعية.

**قال فى كتابه «الإنسان والحياة»:** «وقد صَدَّقَتْ عائلةُ النبىِّ محمدٍ برسالتـه، وكذلك على بن أبى طالب وزَيدٌ، وانضم إلـيه أبو بكر وخديجةُ بنت خويلد وهى أولُ مَن أسلم من النساء».

**إلى أن قال:** «إنَّ محمدًا نبى الإسلام الذى آمن به الآن أكثرُ مِن

(1) بل هو أشرفُ الناس نسبًا ﷺ.

مائَتَىْ مليون نَفْس، قد قام بعمل عظيمٍ جداً، فإنه هَدى الوثنيين، الذين قَضَوا حياتَهم بالحروب الأهلية وسَفكِ الدماء وتقديم الضحايا البشرية على معرفةِ الإلهِ الواحد، وأنار أبصارهَم بنورِ الإيمان، وأعلن أن جميعَ الناس متساوون أمامَ الله سبحانه.

والحق الذى لا مِراءَ فيه، أن محمداً قام بعمل عظيم وانقلابٍ كبير فى العالم».

**وقال فى كتاب «حكم محمد»**: «ومَن أراد أن يَتحققَ ما عليه الدينُ الإسلامىُّ من التسامُح، عليه أن يُطالع القرآنَ الكريم بإمعان، ذلك الكتابُ الذى جاء به محمدٌ، وقد جاءت فى آياتٌ كريمةٌ تدلُّ على رُوحِ الإسلام السامية، فمنها الآية الكريمة: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ (١)».

**يقول الدكتور عبد الحليم محمود**: «ومن مآثِره الكريمة أنه حينما رأى الحَمْلَةَ الظالمَة على الإسلام، وعلى رسول الإسلام ﷺ، كَتَب رأيَه فى هذا الدين الذى أُعجب به، وتحدَّث عن رسوله الذى نال إكبارَه، وكان جزاؤه على ذلك أى على كلمة الحق التى يَدينُ بها أنْ حرَمه البابا من رحمة الله، فكان ذلك كما يقول الشيخ محمد عبده مخاطبًا الأديب الكبير: فليس ما حَصَل

(١) سورة آل عمران: الآية: (٢).

لك من رؤساءِ الدين سوى اعترافِ منهم، أعلنوه للناس أنك لست من القومِ الضالين».

يقول «تولستوى»: «لا ريبَ أن النبىَّ محمدًا ﷺ من كبار عظماءِ الرجال المُصلِحين الذين خدَموا الهيئةَ الاجتماعيةَ خِدمةً جليلة.

ويكفيه فخرًا أنه هَدَى أُمَّة بُرمَّتها إلى نور الحق تجنحُ (تخضع) للسكينةِ والسلام، وتفضل عيشةَ الزهد، وتكفُّ عن سَفكِ الدماء وتقديمِ الضحايا البشرية.

ويكفيه فخرًا أنه فَتَح لها طريقَ الرُّقِيِّ والتقدُّم والمدنيَّة، وهذا عملٌ عظيمٌ لا يفوزُ به إلا شخصٌ أوتِى قوَّةً وحكمةً وعِلمًا، ورجلٌ مِثْله جديرٌ بالاحترامِ والإجلال»(١).

*** الكاتبة الإيطالية الدكتورة لورا فيتشيا:**

دافعت الكاتبةُ الإيطاليةُ الدكتورة «لورا فيتشيا» عن الرسول ﷺ بحماس بالغ، فقالت: «قام أعداءُ الإسلامِ الألدَّاءُ الذين أعماهم الحِقدُ والتعصُّب، واتَّهموا رسولَ الله ﷺ، ذلك الرجلُ النبيلُ الذى كان يُنظَرُ إليه قبلَ الرسالة نَظرةَ إكبار وإجلال من جميع مواطنيه لِمَا تَحلَّى به من الأمانة والسجايا الكريمة، وكانت هذه التهمةُ التى رَمَوه بها مما لا يَقبَلُه عَقلٌ، ولا يُمكنُ أن يُسلِّمَ به

(١) «أوروبا والإسلام» للدكتور عبد الحليم محمود (ص ٦٤ - ٦٥) دار المعارف، و«آفاق جديدة للدعوة الإسلامية فى عالم الغرب» (ص ١٢٠) للأستاذ أنور الجندى - مؤسسة الرسالة.

عاقلٌ، فضلاً عن أنها لا تقـومُ على أيِّ أساس، وهى تهمةُ الغش والخداع، وليتَ شعرى كيف أن هؤلاء الناسَ لم يسألوا أنفسهم إذا كان النبى فى الحقيقة كـاذبًا، فكيف اجترأ على أن يُوجِّه فى القرآن إلى الكذَّابين والخـادعـين أشدَّ عـبـاراتِ الذمِّ وأقساها؟! وكـيف تَوعَّدهـم بالنار وسُوءِ العـذاب؟! وإذا كان كـاذبًا فى دعوته كـما يَفترون، فكيف صَمَدَ للمقاومة أكثَرَ من عَشْرِ سنين، وهو فى مكة احتـمل فى أثنائها الشىء الـكثير من صنـوف الاضطهاد والآلام، وهو ذلك الرجلُ الوديعُ الهادئ الطـباع؟! وكيف تهيـأ له أن ينحاز إليه طواعـيةً واختـياراً بل وبمنتهى التـحمس جمـاعات كبـيرة من رجالات قـريش ونبلائهم وأن ينضـووا تحتَ لوائه مع غيـرهم من السوقة والعبيد.

أما تهمةُ القسوة التى يوجهونـها إليه، فمن السهل دفعها، لأن مـحمـدًا الذى كان على رأس حكومـة ويتولى الدفـاعَ عن حيـاة الشعب وحريته، كان يحاكم الخـارجين على القانون بصرامة وشدة اقتضتهما ظروف البيئة التى كان يعيش فيها.

ولقد كان محمد - كرسول يدعو إلى الله - رجلاً رحيمًا، لين الجانب حـتى لأعدائه الشخصـيين وبذلك اجتمـعت فيه فضـيلتان كلتاهما أكبـرُ الفضائل التى يتصورها العقل البشـرى وهما الرحمة والعدالة.

وبحسبه أن الحرب التى هى أقصى ضرورات الحياة الإنسانية قد

صارت بفضلـه أقل وحشية وقسـوة، إذ إنه كان يطلب إلى جنوده ألا يقتلوا شـيخًا ولا امرأة ولا طفـلاً، ولا يهدموا بيوتًا لم تُتـخذ كمعاقل حربية، وقد أراد أعداء الإسلام أن يُظهروا النبى فى صورة رجل شهوانى إباحى، بأن اتخذوا من زيجاته المتعددة حجة لاتهامه بضعف خلقى لا يتفق ومركز النبوة.

ولكن فاتهم أمر هام لم يحسـبوا له حسابًا، وهو أن النبى أيام فتـوته وعنفوان شبـابه لم يتزوج إلا من امرأة واحـدة، ولم يتزوج من غيـرها حتى ماتت، مع أنه كـان يعيش بين قوم سادت فـيهم كـثرة الطلاق والزواج، وكـان يندر أن يقـتصـر الرجل منهم على زوجة واحدة ولما فُقدت زوجتـه وكانت سِنُّهُ حين ذاك خمسين سنة تزوج من أخرى كـما عَقَـدَ زيجاتهِ المختلفـةَ التى كانت فى أغلبِ الأحيان لدواع اجتماعية أو سياسية؛ لأنه كان يُريدُ بهذه الطريقةِ أن يَكتسِبَ إلى صفِّه زجالاً أو نسـاءً تقياتٍ، ويرتبطُ بروابطِ المصاهرةِ بأُسرٍ قوية، وكان كلُّ ذلك بقصد نشر الإسلام»(١).

* **العلامة كارل ماكس الألمانى:**

وُلد العلامـة «كارل ماكس» فى «تريـف» بألمانيا ١٨١٧، توفى ١٨٨٣، من رجال السياسـة والفلسفة الاجتماعية، ومـحرر البيان الشيوعى.

**قـال فى كـتابه «الحيـاة»:** «إن الرجل العـربى الذى أدرك خطايا

(١) كتاب «محاسن الإسلام» ترجمة طه فوزى... انظر «آفاق جديدة للدعوة» (ص ١٢٠ - ١٢٢).

المسيحية واليهودية وقام بهمة لا تخلو من الخطر بين أقوام مشركين يعبدون الأصنام، يدعوهم إلى التوحيد، ويزرع فيهم أبدية الروح، ليس من حقه أن يُعد بين صفوف رجال التاريخ العظام فقط، بل جدير بنا أن نعترف بنبوته وأنه رسول السماء إلى الأرض».

*** الكاتب الشهير دريترسى الألمانى:**

ولد فى برلين ١٨٢١م وتوفى ١٨٨٨م مستشرق ألمانى.

**قال:** «إن علوم الطبيعة والفلك والفلسفة والرياضيات التى أنعشت أوروبا فى القرن العاشر للميلاد مقتبسة من قرآن محمد، بل إن أوروبا مدينة للإسلام الذى جاء به محمد».

**وقال:** «إننا لو أنصفنا الإسلام، لاتبعنا ما عنده من تعاليم وأحكام، لأن الكثير منها ليس فى غيره، وقد زاده محمدٌ نموًا وعظمةً، بحسنِ عنايته وعظيم إرادته ويظهر من محمد أن دعوتَه لهذا الدين لم تكن إلا عن سبب سماوىٍّ إننا نقول هذا لو أنصفناه فيما دعا إليه ونادَى به».

*** أنَّا مارى شيمل أعظم من أنصف الإسلام فى ألمانيا:**

«أَنَّا مارى شيمل» أعظمُ المستشرقات اللاتى أنصفن الإسلامَ فى الغرب وما تقولُه له تأثيرٌ على كثير من المستشرقين والألمان بصفة خاصة، ويمتدُّ تأثيرها إلى بقيةِ دول أوروبا، وهى حائزةٌ على جائزة «السلام للناشرين الألمان»، وهى أهمُّ الجوائز الثقافية والفكرية فى ألمانيا.

وبسبب موقفها من «سلمان رشدى» وروايته تعرضت لحملة اضطهاد شديدة فى ألمانيا.

تقولُ: «ولولا أن الرئيس الألمانى فى ذلك الوقت كان يساندنى لكانت الذئاب قد افترستنى، ولكننى مع ذلك قضيتُ فى هذه المحنة ستةَ شهور»(١).

حَصَلت «أنَّا مارى شيمل» على جوائز تقديرٍ عديدةٍ من أنحاءِ العالَمِ يَصعُبُ حَصرُها، منها وسام الاستحقاق الكبير أعلى وسام ألمانى فى عام ١٩٨١، وإنتاجها المنشور عن الإسلام والشرق بلغ أكثر من ثمانين مجلداً، وصدر أكثر من ٢٠٠ كتاب عنها وعن أبحاثها وأفكارها، وهى معروفة عالميًّا ومقروءة باللغات الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية والأوردو، والعربية، والإندونيسية، وتوفيت يوم الثلاثاء ٤ فبراير ٢٠٠٣.

**وإجابة عن سؤال عن رأيها فى الإسلام قالت بوضوح:** «إننى أحب الإسلام، ولولا أننى أحبه ما كتبت عنه أكثر من ثمانين كتابًا، وقد وجدت فيه دين تسامح وروحانية وتوقفت كثيرًا عند كلمات القرآن: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾(٢)، وقد قلتُ لمن وجهوا إلىَّ النقد: إنى أحب الرسول محمداً ﷺ»(٣).

(١) المنصفون للإسلام فى الغرب (١٩).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

(٣) المصدر السابق (ص ١٨ - ١٩).

وفى رأيها أن التشهير بالإسلام والمسلمين فى الغرب قضيةٌ لها جذور وعمق تاريخى[1].

**وأجمل ما قالته:** «أنَّا مارى شيمل»: «إن وسيلتها للحديث عن الإسلام ليست بإصدار البيانات، أو بالظهور المسرحى؛ ولكنها تؤمن بأن المياه التى تسير سيرًا هادئًا وباستمرار قادرةٌ مع الزمن على أن تذيب الحجر الصلب».

**وتقول:** «إننى كمؤرخة للأديان أقفُ بإعجابٍ عند الآية (١٨٧) من سورة البقرة التى تحدد العلاقة بين الرجل والمرأة فى إطار الزواج: ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾ واللباس يعنى الذات الأخرى، أو النفس الأخرى، وبذلك يكون معنى الآية: أن الرجل والمرأة يكمل كل منهما الآخر، وأن كلا منهما هو النصف الأفضل للآخر، وأعتقدُ أنه يجب تسليط الضوء على هذه الآية عند الحديث على مكانة المرأة فى الإسلام»[2].

* **السير وليم سوير الإنكليزى:**

**قال فى كتابه «سيرة محمد» (ص: ٣١):** «امتاز محمدٌ بوضوح كلامه ويُسر دينه، وأنه أتم من الأعمال ما أدهش الألباب، ولم يشهد التاريخ مصلحًا أيقظ النفوس، وأحيا الأخلاقَ الحسنة، ورفع شأن الفضيلة فى زمن قصير كما فعل محمد».

---

(١) المصدر السابق (ص ١٩).

(٢) المنصفون للإسلام فى الغرب (ص ٢٣).

*** السير وليام ميو الإنكليزى:**

**قال فى كتابه «محمد»:** «ومن صفاتِ محمد الجليلة الجديرة بالذكر والحرية بالتنويه: الرقة والاحترام، اللتان كان يعامل بهما أصحابه، حتى أقلهم شأنًا، فالسماحة والتواضع والرأفة والرقة تغلغلت فى نفسه، ورسخت محبته عند كل من حوله، وكان يكره أن يقول: «لا» فإن لم يمكنه أن يجيب الطالب على سؤاله فضَّل السكوت على الجواب، ولقد كان أشد حياء من العذراء فى خدرها، وقالت عائشة ﵂: «وكان إذا ساءه شىءٌ تبين ذلك فى أسارير وجهه، ولم يَمَسَّ أحدًا بسوءٍ إلا فى سبيل الله».

ويؤثَر عنه أنه كان لا يمتنع عن إجابة الدعوة من أحد مهما كان حقيراً ولا يرفض هدية مُهداة إليه مهما كانت صغيرة، وإذا جلس مع أحد أيًّا كان لم يرفع نحوه ركبته تشامخًا وكبراً.

وكان سهلاً لين العريكة مع الأطفال، لا يأنف إذا مر بطائفة منهم يلعبون أن يقرأهم تحية السلام، وكان يشرك غيره فى طعامه، وعامل حتى ألد أعدائه بكل كرم وسخاء حتى مع أهل مكة، وهم الذين ناصبوه العداء سنين طوالاً، وامتنعوا من الدخولِ فى طاعته، كما ظهر حلمه وصفحه حتى فى حالتى الظفر والانتصار وقد دانت لطاعته القبائل التى كانت من قبل أكثر مناجزة وعداءً له».

*** الليدى إيفيلين كوبرلد:**

قالت الشاعرة الليدى «إيفيلين كوبرلد» البريطانية فى كتابها

«الأخلاق» (ص ٦٦): «لعمرى لقد استطاع محمد القيام بالمعجزات والعجائب لما تمكن من حمل هذه الأمة العربية الشديدة العنيدة على نبذ الأصنام وقبول الوحدانية الإلهية. . . ولقد كان محمدٌ شاكرًا حامدًا؛ إذ وُفِّق إلى خلق العرب خلقًا جديدًا، ونقلهم من الظلمات إلى النور، ومع ذلك كان محمدٌ سيد جزيرة العرب، وزعيم قبائلهم، فإنه لم يفكر فى هذه، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل على حاله، مكتفيًا بأنه رسولُ الله، ينظف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده، كريمًا بارًّا كأنه الريح السارية، لا يقصده فقيرٌ أو بائس إلا تفضل عليه بما لديه، وكان يعمل فى سبيل الله والإنسانية».

*** البحاثة ستانلى جيفونس البريطانى:**

مستشرق بريطانى، ولد فى بلدته «كانالى» عام ١٨٤١، وتوفى ١٩٠٤، من مشاهير الرواد، توغل فى مجاهل إفريقيا.

**قال فى كتابه «الديانات والعصور» (ص ٥١)**: «إن دراستنا لعصور بعثات الأنبياء تدل على أنهم جاؤوا ليحلوا مشاكل عجزت عقولُ البشر عن الاهتداء إلى حلول لها، فلم توجد لدى الإسرائيليين قبل رسالة موسى طريقةٌ للخلاص من اضطهادِ الفراعنة، ولا توفيرُ رخاءِ الشعب إلى آخرِ الحالاتِ المستوجِبةِ للعلاج، ولا وُجد قبل بَعثة المسيح طريقٌ لإدخالَ الأمل على النفوس اليائسة، فى عصر كانت تتألف فيه الجماعات السرية

لتنظيم الانتحار، ولقَتلِ المترفين لأن الشعوبَ كانت تئن من الحرمان والفقر، وكان الملوك وبطاناتهم يمضغون الذهب، وكانت المادة تطغى على الفضيلة فلذا بعث عيسى مخلوقًا روحيًا، فجاء عيسى بحلٍّ عجيب، ليس من صنع العقل البشرى، جاء يقول للناس: «لا يلزمكم مزود للطريق، ولا اقتناءُ ثوبينِ ولا عصًا»، وجاء يُزهد الناس فى الغنى، بل ينفرهم منه، فقال لهم: «لا يدخل غنى إلى ملكوت السموات».

ونبوة محمد جاءت لتعالج كل جوانب الحياة العمومية جميعًا، ومما لا ريبَ فيه أن دعوة محمد قد زلزلت أركانَ الدنيا، وقد استولت على القسم المهم منها».

* **المستر داز الإنكليزى:**

مستشرق إنكليزى ومؤرخ كبير، ولد فى «منشستر» ١٨٢٣، وتوفى ١٩٠٧ .

* قال فى كتابه **«مع الشرق والغرب»** وهو أحدُ مؤلفاته: «إن محمداً كان مجموعة من الخيال والنبوغ والبحث، كان محمدٌ زراعيًّا وطبيبًا وقانونيًا وقائدًا، اقرأ ما جاء فى أحاديثه، تعرف صدق ما أقول، ويكفى أن قوله المأثور عنه: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع» (١)هو الأساس الذى بُنى عليه علم الصحة، ولا يستطيع الأطباء على كثرتهم ومهارتهم حتى اليوم أن

(١)لا يصح عن رسولنا ﷺ .

يأتوا بنصيحة أثمن من هذه».

ثم قال: «إن محمدًا هو الذى استطاعَ فى مدة وجيزة لا تزيد على ربع قرن، أن يكتسح دولتين من أعظم دول العالم، وأن يُحدث ذلك الانقلاب المدهشَ وأن يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحرقة سكنًا لها، واشتهرت بالشجاعة والغزو ورباطة الجأش، والأخذ بالثأر.. فمن الذى يشك أن القوة الخارقة للعادة التى استطاع بها محمدٌ أن يقهرَ خصومه هى من عند الله؟!».

* **إدوارد لين الإنجليزى:**

مستشرق عاش ردحًا من الوقت فى القاهرة ولد عام ١٨٠٣م وتوفى سنة ١٨٧٧م وذلك فى بلدته «إكسياد»، له عدة مؤلفات، منها: «أخلاق وعادات المصريين» جاء فيه: «إن محمدًا كان يتصف بكثير من الخصال الحميدة، كاللطف والشجاعة ومكارم الأخلاق، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تتركه هذه الصفاتُ فى نفسه من أثر، كيف لا! وقد احتمل محمدٌ عداء أهله وعشيرته بصبر وجلدٍ عظيمين، ومع ذلك فقد بلغ من نبله أنه لم يكن يسحب يده من يد مُصافِحه حتى ولو كان يصافح طفلاً، وأنه لم يمر يومًا من الأيام بجماعة رجالاً كانوا أو أطفالاً دون أن يقرأهم السلام وعلى شفتيه ابتسامة حلوة، وقد كان محمد غيورًا ومتحمسًا وكان يحارب الباطل، وكان رسولاً من السماء، وكان يريد أن يؤدى رسالته على أكمل وجه، كما أنه لم ينسَ يومًا من

الأيام الغرض الذى بُعث لأجله، ودائمًا كان يعمل له ويتحمل فى سبيله جميع أنواع البلايا، حتى انتهى إلى إتمام ما يريد».

* **والفضل ما شهدت به الأعداء:**

نقلت مجلة «العرفان اللبنانية» فى آخر الجزء الثالث من المجلد (٣٢١) عن مجلة «العالم الإسلامى» الإنجليزية لصاحبها القس «زويمر» ما يلى: «فالقرآن الذى نَزَل على محمد بدلاً من أن يكون ضربة قاضية على التقدم، هو ﴿ **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾[1] فيه آياتٌ بينات، ودلائلُ واضحات، وأخبارٌ صادقة، ومواعظُ رائعة، وشرائعُ راقية، صالحةٌ لكل أمة ولكل زمان».

* **المسيو إميل برنامكام الفرنسى:**

ولد فى «بركادا» ١٨٥٧م وتوفى عام ١٩٢٤ ... وهو من مشاهير كُتاب القرن التاسع عشر للميلاد.

قال فى كتابه «الشرق والإسلام» وهو أحد مؤلفاته «إننى أردت أن أصور محمدًا صورة مطابقة للواقع على قدر الإمكان كما فهمتها مما قرأته عنه فى الكتب، وكما رأيتها فى أرواح أتباعه الحية».

**إلى أن قال:** «نشأ معتمدًا على نفسه، يرجع إليها فى الكبيرة والصغيرة ويجهد ويعمل لكسب رزقه من عرق جبينه، إذ لم يكن

---

(١) سورة هود: الآية: (١).

ذا ثروة تكفيه مؤنة السعى فكانت ثروته عند نشأته: صدقه وأمانته ونزاهته وإخلاصه، وتلك لعمر الله أسمى الثروات وأغلاها تلك كانت صفات محمد فى وسط منحل لا يعرف أخلاقًا ولا نبلاً».

* **المسيو برتلمى سانت هيليار الفرنسى:**

مستشرق فرنسى شهير، ولد فى بلدته «كلدا» ١٨١٧، وتوفى ١٨٩٢.

قال فى كتابه «مع الحياة»: «كان محمد أزكى العرب فى عهده، وأكثرهم تقوى ودينًا، وأرحبهم صدرًا، وأرفقهم بأعدائه وخصوم دينه، وما استقامت إمبراطوريته الخارقة إلا بسبب تفوقه على رجال عصره، وأما الدينُ الذى راح يدعو إليه، فقد كان خيرًا عظيمًا على الشعوب التى اعتنقته وآمنت به».

* **ويغان مكسيم الفرنسى:**

ولد فى «بركسل» ١٨٦٧، قائد فرنسى، ومندوب سامى فى سوريا ولبنان ١٩٢٣، له مذكراتٌ قيمة، دُعى إلى حفلة لذكرى ميلاد الرسول محمد ﷺ فى بيروت سنة ١٩٢٥ قال فيها: «مهما احتفل المسلمون بعيد ميلاد محمد، فهو قليل؛ لأنه جاءهم بدين هو فوق الأديان، وهو فى نفسه كبير، وفى أخلاقه عظيم، وفى شريعته سيد الأنبياء، فعلى المنصفين أن يحتفلوا بذكرى عظماء التاريخ وفى طليعتهم محمدٌ الرسولُ العربى والقائدُ الأعلى لتحقيق شريعةِ الله على الأرض، وتركيزها فى صدور الناس».

* **العلامة لوزن الفرنسى:**

ولد فى بلدته «لورد» ١٧٨٦، وتوفى ١٨٣٧، وهو أستاذٌ فى علوم الكيمياء والفلك.

**قال** فى كتابه (الله فى السماء): «لقد بُعث محمد رسولاً إلى العرب وعاشت بلاد العرب الأزمانَ الطويلةَ عاكفة على عبادة الأصنام، وتوغلت فى ذلك حتى احتاجت إلى انقلاب دينى عظيم».

**إلى أن قال:** «ولما فتح محمد مكة، جاء بيت الله الكعبة فى احتفال عظيم، وفيها ٣٦٠ صنمًا، فكان محمد يقف أمام كل صنم، ثم يضربه بعصاه ويقول: ﴿**جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾(١) ثم يهوى إلى الأرض تحت أقدامه، وليس محمدٌ نبى العرب وحدهم، بل هو أفضل نبى قال بوحدانية الله، وإن دين موسى وإن كان من الأديان التى أساسها الوحدانية، إلا أنه كان قوميًّا محضًا وخاصًّا ببنى إسرائيل، وأما محمد، فقد نشر دينه بقاعدتيه الأساسيتين وهما الوحدانية والبعث، وقد أعلنه لعموم البشر فى أنحاء المسكونة، وإنه لعمل عظيم يتعلق بالإنسانية جملة وتفصيلاً عند من يدرك معنى رسالة محمد الذى اعتنق مبدأه وعمل على رسالته أربعمائة مليون من الناس».

**إلى أن قال:** «فرسول كهذا الرسول يجدر باتباع رسالته والمبادرة

(١) سورة الإسراء: الآية: (٨١).

إلى اعتناق دعـوته، إذ إنها دعوة شريفة، قـوامها معـرفة الخالق، والحث على الخير، والردع عن المنكر، بل كل ما جاء به يرمى إلى الصلاح والإصلاح والصـلاح أنشودة المؤمن، هذا هو الدين الذى أدعو إليه جميع النصارى».

* **هارون ماركوس الأمريكى:**

وُلد ١٨١٢، وتوفى ١٨٨٧ . . . دكتور بالفلسفة.

قال فى كـتابه «حـياة مـحمد نبى المسـلمين»: «تعالوا إلى كلمة سواء بينـنا ننصف بها الإسـلام الحنيف، ونبيـه العظيم محـمدًا، ولنجعل موضـوعنا اليوم «الحكومة الإسلاميـة فى صدر الإسلام»، ولنستـعرض تنظيمـاتها فى عهـد سيدها وزعـيمهـا وقائدها ذلك الرسول الكريم لنُـبينَ أن الصحـابة والخلفاء وقادة الإسـلام، كانوا يقومون بواجباتهم بكل أمانة ودقة وفقًا للشريعة الغراء التى جاء بها محـمد، لم يكن فـى فجر الإسـلام شيع ولا أحـزاب، بل على العكس من ذلك كانـت الحكومة الإسلامـية تمثل جمـيع المسلمين تمثيلاً صحيحًا، وهى عبـارة عن هيئة منظمة مشتركة، تنطق بحق، بلسان كافـة المسلمين، كل مسلم يشد أزر أخيـه المسلم ويشعر بأن من الحق والواجب عليـه أن يتوجع لوجـعه، وكان عـدل محـمد منتشرًا بين المسلمين».

إلى أن قال: «فقد كان محمدٌ زعيمًا وقائدًا سياسيًّا بما فى أسمى معانى الزعامـة السياسية من معنى وسيـادة، هذه كانت تتجلى فى

أروع المظاهر التى عـرفـها بنو الإنسـان وخليق بى وأنا فى صـدر الكلام عن الزعـامة السيـاسيـة، أن أدحض فِريةً وأرد بهـتانًا، لا يزالانِ عالقين فى أذهان قاصرى العقول، الذين لا يملكون ذرة من حصـافة الرأى، وتلك الفريةُ وذلك البـهتان همـا ما يردده أولئك الأغبياءُ، الذين يزعمون أن لا عـلاقة بين الدين والسياسة، وأنْ لا رابطة تربط أحدَهما بالآخر!!».

*** الأستاذ رشيد سليم الخورى اللبنانى:**

الشاعر المعروف الملقب بالشاعر القروى، ولد فى «البربارة» لبنان ١٨٨٧م له ديوان «الرشيديات» ١٩١٦، و«القرويات» ١٩٢٢ .

**قال فى إحـدى محـاضراته:** «فلا «وليم شكسبـير» ولا «فكتور هوغو» ولا «لاون تولستوى» ولا غيرهم من أمـثالهم يطولون مهما اشرأبت أعناقـهم إلى الدرجة السفلى من تلك المنصة العـالية التى يقف عليـها محـمد بن عبـد الله؛ لأنه الرجل الذى تلتـقى أكمل الصفـات فى قلبه الكبيـر، وعقله الفـريد، ورقته المتناهيـة وروحه المتدفقة بشرف الإحساس وروح العاطفة».

وقال فى قصيدته اليائية المعروفة:

*عـيـد البـرية عـيـد المولد النبـوى*
*فى المشـرقَـين لـه والمغـربين دوى*
*عـيـد النبى ابن عـبـد الله مَن طلعت*
*شـمس الهـدايـة من قـرآنـه العلوى*

بدا من القفر نورًا للورى وهدى
يا للتمدن عَمَّ الكون من بدوى
يا فاتح الأرض ميدانًا لقوته
هذى بلادك ميدانٌ لكل قوى
يا شاهر السيف للفتح المبين به
اليوم يندى حياءً سيفُك الدموى
يا قوم هذا مسيحى يناشدكم
لا يُصلح الشرق إلا حبنا الأخوى
إذا ذكرتم رسول الله تكرمة
فبلغوه سلام الشاعرِ القروى

*** لبيب الرياشى اللبنانى:**

**قال فى أول كتابه «نفسية الرسول العربى»:** «لنتجرد ولنتطهر من جُذام التعصب وأَثَرَةِ الجنسية».

وقال فى أول كتابه «فلسفة الرسول العربى» (ص ٦) تحت عنوان «اعتراف قبل التحلل وقبل الدرس»: «ما نَدِمتُ على شىءٍ فى حياتى ندمًا عصبيًّا ساحقًا، مثل نَدَمى على جَهل نفسيةِ الرسول العربى والإمام الأعظم العالمى».

**وقال فى آخر كتابه المذكور:** «حقًّا يا محمد، إنك رسول الثقافة والعلم، رسول الهداية والتضحية، رسولُ الفلسفة الجديدة، رسول الإنسانية الجديدة».

وقال فى (ص ١١): «أما لو أدرك المسلمون سيرة الرسول

بجوهرها، وشرع الرسول بسنائه، وحِكَم الرسول بجلالها، وإبداع الضمائر الجديدة التى ابتدعها الرسول بجدَّتها الوضاءة، وعملوا بما أدركوا، لكان المسلمون غير هؤلاء المسلمين، ولكان العالم غير هذا العالم».

ثم قال: «أما لو درس عشاق الرسول وعشاق العظماء والحكماء والمبدعين غير العرب، بطهارة وجدان وبراءة سريرة، وتحليل عبقرى، حياة الرسول العربى، وسمو الرسول العربى، وبراءة سريرته وأعماله وشرعه، لاستكشفوا أعظم شخصية وأقدس رسالة للتاريخ الإنسانى ولقد طالعت مئات المجلدات وقرأت حياة ألوف العظماء والرسل، ولكن مئات المجلدات وحياة ألوفِ العظماء والرسل ما فعلت بنفسى وأثَّرت فى دماغى، وهذَّبتَ وثقفت وأدهشت، مثلما فعلت حياة الرسول العربى العالمى، محمد بن عبد الله».

* **شبلى الملاط اللبنانى:**

من قصيدة قالها فى مهرجان أقيم لأمير الشعراء «أحمد شوقى» فى القاهرة:

*مَن للزمان بمثل فضل محمد*
*وعدالةً كعدالة الخطَّابِ*
*رفع الرسول عماد أمة يَعْرُبُ*
*وأعزها بالآل والأصحابِ*

*فَشَت الفتوح وصفَّقت راياتها*
*في الشرق فوق أباطحٍ وهضابِ*
*وتغلغلت فى الغرب طائرةً على*
*أكتاف صقرٍ جارحٍ وعُقابِ*

* **الدكتور نيس الأندونيسى:**

أستاذُ الديانةِ المسيحية فى جامعة «برمنكهام».

قال فى إحدى محاضراته نقلاً عن «مجلة الهلال» الجزء الخامس من المجلد الثالث: «يا ابن مكة، ويا نسل الأكرمين، ويا معيد مجد الآباء والأجداد، ويا مخلص العالم من العبودية، إن العالم يفتخر بك، ويشكر الله على تلك المنحة العزيزة، بل ويقدر لك مجهوداتك كلها، يا نسل الخليل إبراهيم، يا من منحت السلام للعالم، ووفقت بين قلوب البشر، وجعلت الإخلاص شعارك، يا من قلت فى شريعتك: «**إنما الأعمالُ بالنيات**»، لك منا الشكر الجزيل».

* **فاندبرج:**

قال: «لقد وضع الإسلام قواعد جليلة للرقيق تدل على ما كان ينطوى عليه محمد ﷺ من شعور إنسانى نبيل يناقض كل المناقضة تلك الأساليب التى كانت تتخذها إلى عهد قريب شعوب تدَّعى أنها تمشى فى طليعة الحضارة، لهذا كان كثير من الرقيق يفضل حياة الرِّق فى ظلال هذه المبادئ على الحرية الوهمية فى

بلاد وأمم تسترق شعوبها بالجملة»[1].

الإسلام العظيم الذى رفع شأن بلال، فجعله من أئمة الصحابة، حتى قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أبو بكر سيدنا... أعتق بلالاً سيدنا».

**وفيه نزل قول الله عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾**[2].

أين هذا من قول الفيلسوف العنصرى «لونج» فى كتابه «تاريخ جامايكا» عن الزنوج: «إنهم غير خليقين بالحياة، وإنهم لا يزيدون عن القرود التى تتعلم لتأكل وتشرب، وإن قيمتهم لا تزيد عن قيمة أى سلعة تُباع فى الأسواق»؟.

**بل ويقول** «منتسيكو» **عن السود:** «إنى أعتقد أن الله أحكم من أن يضع روحًا فضلاً عن روح طيبة فى جسم حالك السواد»[3].

### * مونتجمرى وات:

رئيس قسم الدراسات العربية فى جامعة «أدنبرة» له عدة كتب ودراسات، منها «من تاريخ الجزيرة العربية» (١٩٢٧)، و«عوامل انتشار الإسلام» (١٩٥٥)، و«محمد فى مكة» (١٩٥٨).

**يقول** «مونتجمرى وات» **فى كتابه:** «الإسلام والمسيحية اليوم»:

(١) لماذا يخافون الإسلام (ص ١٢٢) للدكتور عبد الودود شلبى - دار الاعتصام.
(٢) سورة الكهف: الآية: (٢٨).
(٣) المصدر السابق (ص: ١٢٨).



«ولست مسلمًا بالمعنى المألوف، ومع ذلك فإنى أرجو أن أكون مسلمًا كإنسان استسلم لله، بَيْدَ أنى أعتقد أن القرآن وغيره من تعبيرات المنظور الإسلامى ينطوى على ذخيرة هائلة من الحق الإلهى، الذى ما زال يجب علىَّ أنا وآخرين من الغربيين أن نتعلم منه الكثير».

ومن المؤكد أن الإسلام منافس قوى فى مجال إعطاء النظام الأساسى للدين الوحيد الذى يسود فى المستقبل».

*** إدوارد جيبون:**

ولد إدوارد جيبون فى إنجلترا عام ١٧٣٧م وكان عضواً فى البرلمان.

**قال:** «إن عقيدةَ محمد خالية من الشك أو الغموض، والقرآن شهادة مجيدة على وحدانية الله، ومن الهند حتى مراكش يشتهر المهتدون إلى دينه باسم «الموحدين» وقد انزاح خطر الوثنية بتحريم الصور. إن مواهب محمد تجعلنا نكيل له المدح، إلا أن نجاحه ربما كان هو الذى جذب انتباهنا إليه، وإن ما يستحق إعجابنا ليس انتشار ديانته وإنما استمراريتها. إن نفس الانطباع النقى الكامل الذى حفره فى الأذهان فى مكة والمدينة، لا يزال مصونًا إلى اليوم بعد انقضاء اثنى عشر قرنًا، عند الذين اهتدوا بالقرآن من هنود وأفارقة وتُرك».

**وقال:** «نجد أنه من المحيط الأطلسى غربًا إلى أقاصى الهند

شرقًا، يعترف بأن القرآن هو الدستور الأساسى، ليس فقط فى مسائل الإلهيات، ولكن فيما يتعلق بالقوانين المدنية والجنائية والقوانين التى تنظم سلوكيات البشر».

لقد نفث محمد بين المؤمنين روح الأخوة والإحسان وأوصى بممارسة الفضائل الاجتماعية وكبح بشريعته وتعاليمه الأخلاقية التعطش إلى الانتقام وظلم الأرامل واليتامى ولقد توحدت القبائل التى كانت فى عداء تحت مظلة الدين والطاعة، وتوجهت شجاعة المقاتلين، التى أُنفقت هدرًا فى صراعات داخلية، نحو العدو الخارجى، فانتشرت بذلك أمصار الأمة الإسلامية شرقًا وغربًا»[١].

## الغرب عاش على تشويه الإسلام

قال «فولتير»: «لقد ألصقنا بالقرآن ما لا نهاية له من السفاهات التى لم تكن به على الإطلاق.

إن مؤلفينا لم يجدوا صعوبة تُذكر فى جعل نسائنا تقف فى صفهم، لقد أقنعوهن بأن محمدًا لم يعتبرهن ضمن الحيوانات الذكية، وأنهن جميعًا إماءٌ وفق شريعة القرآن، ومن الواضح أن كل هذا كذب وبطلان اعتقدوا فيه بكل قوة.

أيها الجهلةُ الأغبياء الذين خدعهم جهلة آخرون، إذ أقنعوكم بأن الديانة المحمدية ديانة شهوانية ولذات جسدية، بينما هى ليست شيئًا من ذلك».

(١) الإسلام فى الفكر الغربى (ص ٣٥ - ٣٨) ملخصًا.

# وأنطقهم الله بالحق[1]

ورغم إجحاف وعدم إنصاف ولا عدالة الحملة الظالمة ضد ديننا ونبينا محمد ﷺ فإن التاريخ يسجل أن أكثر من ٥٠٠ شخصية عالمية ذات وزن علمى وسياسى واجتماعى ودينى وثقافى، من مختلف أنحاء الكون شهدوا بالحق لنبى الرحمة والملحمة ﷺ.

قال الفيلسوف برناردشو: «إن أوروبا الآن بدأت تحس بحكمة محمد ﷺ وبدأت تعشق دينه، كما أنها ستبرئ العقيدة الإسلامية مما اتهمتها به من أراجيف رجال أوروبا فى العصور الوسطى وسيكون دين محمد ﷺ هو النظام الذى تؤسس عليه دعائم السلام والسعادة، ونستمد منه حل المعضلات والمشكلات وحل العُقَد.

وإن بوادر العصر الإسلامى الأوروبى قريبة وإنى أعتقد أن رجلاً كمحمد ﷺ لو تسلَّم زمام الحكم المطلق فى العالم بأجمعه اليوم لتم له النجاح التام فى حُكمه ولقاد العالم إلى الخير وحل مشكلاته على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة، . . . أجل! ما أحوج العالم اليوم إلى رجل كمحمد ﷺ ليحل قضاياه المعقدة بينما هو يتناول فنجانًا من القهوة»!.

ولقد قال الفيلسوف: برنارد شو أيضًا بصوت واضح، فى بريطانيا وامتد صوته إلى العالم، سيجىء يوم يعتنق فيه الغرب

---

(١) بتصرف من كتاب (الإسلام المعجزة المتجددة) / الشيخ صالح اليافعى.

الإسلام، فإنه قد مضت قرون كاملة كان الغرب يقرأ فيها كتبًا وصحفًا مملوءة بالافتراءات على دين الإسلام ونبيه محمد ﷺ، أما اليوم فقد تُرجم القرآن وكتب الإسلام بلغات أوروبا ففهم رجال الغرب أن الإسلام الحقيقى، ليس الذى كانوا يقرأونه فى الكتب والصحف السابقة».

**وقال مرماديوك باكتول:** «إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم فى العالم بنفس السرعة التى نشروها بها سابقًا بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التى كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالم الخاوى لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم».

وفى سجلات التاريخ المعاصر إن الله جل وعلا قد أنطق بالحق عميد كلية الحقوق فى جامعة فيينا الأستاذ شيربل فقال: «إن البشرية تفتخر بانتساب محمد إليها ذلك الأمى الذى استطاع أن يأتى بشريعة سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمتها بعد ألفى عام».

**وقال الفيلسوف الشاعر الألمانى جوته:** «أية شريعة فى الدنيا لا تستطيع أن تعلو على الشريعة التى جاء بها محمد ولن يتقدم عليه أحد، وإذا كان هذا هو الإسلام فكلنا مسلمون!».

**وقال أيضًا:** «إن هذا الكتاب - أى القرآن - سوف يستمر تأثيره القوى على مر العصور».

**وقال البروفيسور هوركرونجى:** «إن هيئة الأمم التى أسسها

رسول الإسلام محمد ﷺ قد أقامت مبادئ المساواة والإخاء الإنسانى على أسس عالمية كشمعة تنير الطريق للأمم الأخرى، ولا تستطيع أى أمة أن تأتى بمثل ما جاء به الإسلام»[1].

**لقد دوَّن غوستاف لوبون للأجيال قوله:** «ما عرف التاريخ فاتحًا أرحم من العرب» وسجل توماس أرنولد فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام) ما نصُّه: (لما بلغ الجيش الإسلامى وادى الأردن وعسكر أبو عبيدة بن الجراح فى بلدة فحل كتب الأهالى النصارى فى تلك البلاد إلى العرب الفاتحين يقولون: يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا وأنتم أوفى لنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا، لكنهم غلبونا على أمرنا».

وسجل التاريخ أن ملوك أوروبا وأباطرتها كانوا يرون منتهى أملهم فى تلك القرون الزاهية أن يرضى عنهم خليفة المسلمين وكانوا يرسلون البعثات إلى الأندلس، ثم بعد ذلك إلى الأستانة ليتعلموا من المسلمين، . . . وتوضح الرسالة الآتية التى بعثها جورج الثانى ملك إنجلترا إلى خليفة المسلمين فى الأندلس، هشام الثالث، كيف كان ملوك أوروبا ينظرون إلى المسلمين نظرة إعجاب وإكبار يتعلمون منهم مبادئ الحضارة:

(صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام بعد التعظيم والتوقير فقد سمعنا عن الترقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى

---

(١) انظر: محمد ﷺ رسول الإسلام للبرفيسور ك. س. راما كرشنا راو.

معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يجتاحها الجهل من أركانها الأربعة!! وقد وضعنا ابنة شقيقتنا الأميرة دوبانت على رأس بعثة من بنات أشراف الإنكليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف، ولتكن مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة، وحدب من لدن اللواتى سيتوفرن على تعليمهن، وقد رافقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل، أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص.. خادمكم جورج الثانى!!) [1].

وتقول الروايات التاريخية: أن أوروبا حتى القرن السابع عشر لم تكن تعرف الحمامات الخاصة داخل البيوت إنما كانوا يستخدمون الحمامات العامة.

إنما كانت الحمامات الخاصة داخل البيوت سمة إسلامية تعلمتها أوروبا من المسلمين فى الأندلس، ثم أخذوا يطبقونها رويدًا رويدًا مع ارتفاع مستوى معيشتهم التدريجى نتيجة الاستعمار من جهة والثورة الصناعية من جهة أخرى وإنه أثناء قيام محاكم التفتيش فى الأندلس بالبحث عن المسلمين المتنصرين ظاهرًا للفتك بهم والقضاء عليهم، كانوا يعرفون بيوت المسلمين بعلامة مميزة لا تخطىء وهى

(١) نقلها البروفيسور محمد بن على البار فى مقالته فى صحيفة «المسلمون» العدد ٢٢٩ فى ٢٦ ذى القعدة ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٩ يونيو ١٩٨٩م عن كتاب محمد الشاذلى دور المساجد التاريخى فى التثقيف من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.

وجود حمام خاص فى المنزل![1].

وقد كتب الطبيب الأمريكى فيكتور روبنسون: (كانت أوروبا فى ظلام حالك بعد غروب الشمس بينما كانت قرطبة تضيئها المصابيح العامة! وكانت أوروبا قذرة بينما شيدت قرطبة ألف حمام! وكانت سقوف القصور فى أوروبا مملوءةٌ بثقوب المداخن بينما قصور قرطبة تزينها الزخرفة العربية العجيبة)!!

ودوَّن التاريخ أنه عندما فتح الأمير محمد الفاتح المبشر به نعم الأمير ونعم الجيش الفاتح القسطنطينية «استبشر أهل المدينة بعدل الفاتح حتى قام أحد الوزراء النصارى توتاراس ينادى فى شوارع مدينة الإسلام (إسلام بول): أود من سويداء قلبى أن أشاهد هنا تاج السلطان محمد الفاتح من أن أرى فيها إكليل بابا أو قلنسوة كاردينال»[2]، ولذلك عندما توفى الفاتح محمد رحمه الله ظلت الكنائس فى الفاتيكان وغيرها تقرع ٣ أيام فرحًا بموته وفى أيامنا الحاضرة ومن داخل الكونجرس الأمريكى ارتفع صوت الخير فقال: (القرن الـ ٢١ هو قرن الإسلام) كان ذلك صوت السيد جون موران عضو لجنة الشئون الخارجية فى الكونجرس الأمريكى فى عام ١٤١٦ هـ الموافق ١٩٩٦م ودعا الشعب الأمريكى إلى الإسلام ونصح بنى قومه فقال: إن من واجب الشعب الأمريكى أن يدرك مدى أهمية تعميق معرفته بالثقافة الإسلامية على نحو أفضل؛

(١) انظر: أشرطة محاضرات ومؤلفات الأستاذ محمد قطب. رحمه الله.

(٢) انظر: بحث الأخ محمد الناصر فى البيان العدد ١٩٥ ذو القعدة ١٤٢٤هـ الموافق يناير ٢٠٠٤م.

فالإسلام دين السلام والمسالمة.

**قال العالم الأمريكي د. مايكل هارث:** الذى اختار محمدًا ﷺ على رأس القائمة العالمية لعظماء التاريخ الإنسانى (أن محمدًا ﷺ كان الرجل الوحيد فى التاريخ الذى نجح بشكل أسمى وأبرز فى كلا المستويين: الدينى والدنيوى، مما يخوله أن يعتبر أعظم شخصية ذات تأثير فى تاريخ البشرية) (إنه بعد مضى أكثر من ثلاثة عشر قرنًا فإن تأثيره لا زال قويًّا وعارمًا) (أن محمدًا ﷺ يصبح أعظم قائد سياسى على مدى الأجيال).

**وقال المستشرق الأمريكى واشنطن إيرفنج:** (تكفى تصرفات محمد ﷺ فى أعقاب فتح مكة لتدل على أنه نبى مرسل لا على أنه قائد مظفر، فلم تُثر انتصاراته العسكرية كبرياءه أو غروره، فقد كان يحارب من أجل الإسلام، لا من أجل مصلحة شخصية، وقد أبدى رحمة وشفقة على أهل مكة برغم أنه قد أصبح فى مركز قوى، ولكنه توَّج انتصاره ونجاحه بالرحمة والعفو).

**فى كتابه الأبطال قال توماس كارليل[1]:** «لقد كانت نية هذا النبى العظيم محمد ﷺ أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد بذل فى سبيل ذلك كل جهدٍ جهيد، ولكنه وجد أن الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته ودعوته وعدم الإصغاء إليها بل عمدوا إلى إسكاته بشتَّى الطرق من تهديد ووعيد واضطهاد حتى لا ينشر دعوته، وهذا ما دفعه إلى الدفاع عن نفسه والدفاع عن دعوته وكأن

(١) ترجمة السباعى.

لسان حاله يقول: أما وقد أبت قريش إلا الحرب فلتنظروا إذن أى قوم نحن!! لقد أصاب هذا الرسول فى رأيه فإن أولئك القوم أغلقوا آذانهم عن كلمة الحق والصدق وأبوا إلا التمادى فى الباطل، فاستباحوا الحرمات ونهبوا الممتلكات وقتلوا الأنفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق»، . . . واستطرد كارليل يرد على القائلين بأن هذا النبى نشر دينه بحدِّ السيف فيقول: (أرى أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال. . . ألم تروا أن النصرانية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف أحيانًا؟!، وحسبكم ما فعله شارلمان بقبائل السكسون[1]، وأنا لا أحفل أكان انتشار الحق بالسيف أو اللسان أم بأية طريقة أخرى، فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار لندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظافرها فإنها لم تُهزم أبدًا ولن يُهزم منها إلا ما يستحق أن يهزم ولا يفنى منها إلا ما يستحق الفناء فحبوب القمح عندما نأخذها إلى باطن الأرض كثيرًا ما تكون مخلوطة بقشور وتبن وقمامة وتراب

(١) شارلمان هو الذى فرض النصرانية بالقوة وحد السيف على السكسون، والملك كنوت هو الذى أباد غير النصارى فى الدانمارك وجماعة إخوان السيف هى التى فرضت النصرانية على روسيا والملك أولاف ذبح كل من رفض اعتناق النصرانية فى النرويج وفى روسيا فرض فلاديمير عام ٩٨٨م النصرانية على الروس ولم يعترف بتعدد الأديان إلا بمرسوم صدر عام ١٩٠٥م كما جاء فى مجلة التايم يوم ١٥ إبريل ١٩٨٨م وتجاوز لوثر البروتستانتى الكاثوليك عندما قال: (من استطاع منكم فليقتل فليخنق فليذبح سرًا وعلانية اقتلوا واذبحوا ما طاب لكم هؤلاء الفلاحين الثائرين) وفى ليلة عيد الميلاد ١٧٠٣م قاد الأسقف الحاكم دانيال بيتروفيتش عملية ذبح غير النصارى بما فيهم المسلمين فى الجبل الأسود بالبلقان وتكررت العملية فى عصرنا.

فإذا ألقيتها مختلطة بكل هذه الشوائب فى جوف الأرض فإن الله لا يعطيك إلا قمحًا خالصًا نقيًّا، أما الشوائب والقذى فإن الأرض تبتلعه فى سكون وتدفنه فى باطنها دون أن تذكر شيئًا عنه وما هى إلا فترة حتى نرى القمح ناميًا يهتز كأنه سبائك الذهب!».

وقال ديباسكيه المفكر الفرنسى: «إن الغرب لم يعرف الإسلام؛ فمنذ ظهور الإسلام اتخذ الغرب موقفًا عدائيًّا منه، ولم يَكُف عن الافتراء عليه والتنديد به؛ لكى يجد مبررات لقتاله وقد ترتب على هذا التشويه أن رسخت فى العقلية الغربية مقولات فظة عن الإسلام، ولا شك أن الإسلام هو الوحدانية التى يحتاج إليها العالم المعاصر ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة التى إن استمرت ستنتهى بتدمير الإنسان»[1].

ولقد سبق أن قال: إدوارد وورمى الأمريكى: ألم يأن لنا أن نعرف نحن الذين نعد أنفسنا فى أعلى قمة التهذيب بأنه لولا التهذيب الإسلامى ومدنية المسلمين وعلومهم وعظمتهم وحسن نظام جامعتهم، لكانت أوروبا اليوم تهيم فى ظلام ليلٍ بهيم؟! ألا يمكن أن يقال حقًّا: أن أوروبا المسيحية بذلت كل ما فى وسعها منذ قرون لتخفى شكرها للعرب المسلمين؟! دَعْ أوروبا تعترف بخطئها دعها تعلن للعالم أجمع عن غباوتها الغريزية، إنها ولا شك ستضطر فى يوم للاعتراف بالدين الأبدى المدينة به وهو الإسلام.

(١) مجلة الأمان اللبنانية مارس ١٩٨٠م.

وقال الكاتب الشهير «ليونارد»: (إن الإسلام له فضل على أوروبا يجب أن نعترف به وستعترف به أوروبا والقارة المسيحية فى المستقبل القريب بلا شك بفضل السلام والمسلمين، بل إنها ستضطر إلى الاعتراف بدين الأبدية والخلود دين الإسلام الحنيف).

وقال الباحث «نسكس»: (إن المسلمين يزدادون كل يوم عدداً وذلك دليل على حيوية دين الإسلام وعظمته) [1].

وقال «المسيو أوجين يوغ»: نعترف نحن الأوروبيين أنه لا يمكننا بأية حال أن نجزى العرب جزاءهم الأوفى على خدماتهم للعلم وللمدنية، فهم أساتذتنا الذين تلقينا عنهم شتَّى العلوم والفنون. . . أما نحن فقد كانت العلوم لدينا محصورة فى الأديرة وفى الصوامع وفى نطاق ضيق جداً.

ثم مضى قائلاً: (قد علَّمنا العربُ دروسًا فى التسامح والكرم، فإنهم لم يرغموا الشعوب التى فتحوا بلدانها على تغيير معتقدهم الدينى، كما كان المسلمون يحترمون جميع الأديان مهما ضعفت وقَلَّ عدد معتنقيها ولا يغرب عن البال أن من خصائص الدين الإسلامى السعى للمسلم العالمى، وأن من يمتزج بالمسلمين يتأكد من أنهم يحملون قلوبًا بيضاء سليمة من كل حقد وضغينة، وهم يسعون إلى تألف القلوب والأرواح، ولو أن الغربيين درسوا القرآن لمدوا أيديهم لمصافحة المسلمين بدلاً من الجور عليهم ومعاداتهم).

---

(١) انظر: المرجع السابق.






# بعض الشبهات المثارة حول الإسلام

## الشبهة الأولى: هل انتشر الإسلام بحد السيف؟

لا بد أن نعلم أولاً أن نبى الإسلام ﷺ هو نبى السلام وأن أعداءه هم أعداء السلام فى كل زمان ومكان، وما نشر النبى ﷺ الإسلام بحد السيف، بخلاف أعداء السلام من اليهود والنصارى:

هل انتشر الإسلام بالسيف؟، وهل كان رسول الله ﷺ متعطشًا للدماء؛ كما يقول شانؤوه من لصوص المغارات أبناء الحيات والأفاعى وشياطين البشرية وثعالبها وذئابها المتعطشون للدماء الذين يصدق فيهم قول القائل: «رمتنى بدائها وانسلَّت»!؟.

* قالوا عنه هذا، وهو القائل يوم الحديبية: **«والله لا تدعونى قريش إلى خطة تُوصَل فيها الأرحام، وتُعظَّم فيها الحرمات، إلا أعطيتها إياها»**.

انظروا إلى إشراق الرسول ﷺ ورحمته وسُموِّه حتى نزاله وضربه وقتاله.

**لقد قال ثعالب وذئاب الغرب عن رسول الله ﷺ**: «إنه دموى، وإنه بربرى، وإنه نشر الإسلام بحد السيف».

والتاريخ وسيرة الرسول ﷺ يشهدان بكذبهم ودجلهم وها نحن نسوق رقم قتلى كل الغزوات التى انتصر بها الإسلام على الشرك والوثنية، وغيَّر بها مجرى التاريخ، والتى لا يتعدى رقمها ٣٨٦ قتيلاً، هم جملة قتلى المشركين وشهداء المسلمين لنقارنه برقم المليونين من الضحايا فى الحروب الدينية التى أورد أخبارها الكهنة فى أسفار العهد القديم.

أما فتوحاتُ الإسلام خارج إطارِ الشرك الوثنى فى شبه الجزيرة العربية، فلقد كانت جميعها حروب تحرير لشعوب الشرق من القهر الدينى والسياسى والحضارى الذى مارسته قوى وإمبراطوريات الاستعمار البيزنطى والفارسى ضد تلك الشعوب ولقد دارت جميع معارك هذه الفتوحات ضد جيوش الاحتلال البيزنطى والفارسى.. ولم تدر معركة واحدة منها ضد شعوب تلك البلاد، بل لقد حاربت شعوبُ تلك البلاد وهى على دياناتها القديمة، مع العرب المسلمين ضد الروم والفرس لتحرير بلادها، ولتحرير ضميرها من القهر والاضطهاد.

**وقد يستدل بعض المجادلين بقول النبى ﷺ**: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**»(١) يستدلون بأن الإسلام انتشر بالقوة وهى سبب انتشاره.

**ونسأل**: هل فى واقع الأمر أدخل النبى ﷺ مدينة أو قرية أو

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٥) كتاب الإيمان، ومسلم (٢٢) كتاب الإيمان.

أسرة أو فـردًا فى الإسلام بالقوة؟ الواقع يقول خـلاف ذلك تمامًا، ولننظر إلى هذا الحديث.

عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أمـيرًا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقـوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال: «**اغزوا باسم الله وفى سبيل الله، قـاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليـدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعـهم إلى ثلاث خصال وخلال، فأيتهن مـا أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم؛ ادعهم إلـى الإسلام فإن أجابوك فـاقبل منهم وكف عنهم... فإن هم أبوا فسلهم الجزية فـإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم**»[(1)].

فأين القتال حـتى الإسلام؟!... إذا كان النبى ﷺ قال: «**فإن هم أبوا** - أى الإسلام - **فسلهم الجزية فإن هم أجـابوك فاقبل منهم وكف عنهم**»[(2)] والجـزية مـا هى إلا كـالزكـاة التى تُـحـصَّل من أغنيـاء المسلمين.

إذن فما المقـصود بقول النبى ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**».

بعض من ينتسب إلى الإسلام لم يطلع على تـفسيره ولم يقف على معناه فـرفض الحديث... قال ابن حجر فـى «فتح البارى»:

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

«فرق بين المقاتلة على الشىء والقتل عليه، فإن المقاتلة مفاعلة تقتضى الحصول من الجانبين». ا هـ.

وهذا يعنى أن النبى ﷺ لا يقاتل إلا من قاتله، وهذا واضح من سيرته ﷺ وسيرة أصحابه، وقد قال الله تعالى لهم: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1]، والغربيون يتناسون الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة التى تثبت أن الإسلام لا يُكره أحدًا على اعتناقه ولكنها الحرب النفسية، ولقد قال الله سبحانه وتعالى، مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[2].

* ولنستمع إلى شهادات الغربيين من غير المسلمين حول هذا الموضوع:

**يقول عبد الله كويليام:** «الإسلام كجسم قوى تدب فيه روح الحياة والنشاط وتتحرك فيه عوامل الحماسة والإقدام كما كان فى أيامه الأولى، فترى الناس تدخل فيه أفواجًا أفواجًا، وتُقبل عليه بإقبال عجيب يشبه أيامه السالفة، وأن دُعاة الدين المسيحى يحاولون قلب الحقائق وإلقاء تبعة آثام النخاسة على عاتق الإسلام.. وتراهم لقصورهم عن إدراك مزايا هذا الدين المبين يصفون انتشاره بداهية دهماء على الأفريقيين ويقولون - كما لُقن إليهم فى حداثتهم بأن دين محمد ﷺ لم تقم له قائمة إلا بقوة

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

(٢) سورة يونس: الآية: (٩٩).

النار والسيف... هذه هى التخيلات المطبوعة فى أذهانهم والتى يشيعونها عن انتشار الإسلام وهى على ما أظن تصورات توارثوها جيلاً عن جيل»(١).

كما تنعق بعض الهيئات والشخصيات المعادية للإسلام بأن الإسلام جاء بالسيف وأن بعض الحدود فى الإسلام فيها شدة وهدر للدماء وتخلُّف فى تنمية الموارد البشرية، وهذه شبهة خطيرة تطعن فى سماحة الإسلام... والجواب أن حرب الإشاعة قامت ضد الإسلام منذ حادثة الإفك إلى زماننا، وهذه الإشاعات ضَرْبٌ من ضروب الحرب النفسية.

**وأنقل لهم قول المستشرق الألمانى د، ج كامبفماير:** رئيس تحرير مجلة العالم الإسلامى: إن الاعتداء على الإسلام لا تُرجى منه فائدة، ولن يرد المسلمين عن دينهم، ولن يعوق النهضة الإسلامية بل سيقويها، ثم ليعلم هؤلاء أن الإسلام استخدم السيف مع المحاربين الذين يهددون كيان الدولة الإسلامية أما المسالمين فلا، فالإسلام يخير غير المسلمين بين الدخول فى الإسلام أو التعايش مع المسلمين مع دفع الجزية، وهى ما يقابل ما يدفعه المسلمون من الزكاة وإلا فالسيف لحماية بيضة المسلمين، ولا يسلط السيف على الأطفال والنساء.

---

(١) العقيدة الإسلامية (٢٩ - ٣٠)، وهو مفكر إنجليزى، ولد سنة ١٨٥٦ ، وأسلم سنة ١٨٨٧.

**ويقول بارتولد:** «انتشر الدين الإسلامى فى القرن الرابع للهجرة فى قبائل الترك الرُّحَّل وفى بعض مدن التركستان الصينية بواسطة التجارة وبدون استخدام أى سلاح فكان الأتراك الذين استولوا على البلاد الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى مسلمين»(١).

**ويقول هنرى دى كاسترى:** «الدين الإسلامى لم ينتشر بالعنف والقوة، بل الأقرب للصواب أن يقال: إن كثرة مسالمة المسلمين ولين جانبهم كان سببًا فى سقوط المملكة الغربية... وأمامنا أمر واحد ينبغى الوقوف عنده وهو أن ديانة القرآن تمكنت من قلوب جميع الأمم اليهودية والمسيحية والوثنية فى أفريقيا الشمالية وفى قسم عظيم من آسيا، حتى إنه وجد فى بلاد الأندلس من المسيحيين المتنورين من تركوا دينهم حبًّا فى الإسلام كل هذا بغير إكراه، إلا ما كان من لوازم الحروب وسيادة حكومة الفاتحين ومن دون أن يكون للإسلام دعاة وقُوَّام مخصصون وهو ما يقنعنا بأن للإسلام جاذبية وقوة انتشار؛ لأنه لا يزال ينتشر حتى الآن»(٢).

**ويقول أتيين دينيه:** «المسلمون على عكس ما يعتقده الكثيرون، لم يستخدموا القوة أبدًا خارج حدود الحجاز.. لإكراه غيرهم على الإسلام وإن وجود المسيحيين فى أسبانيا لدليل واضح على ذلك، فقد ظلوا آمنين على دينهم طوال القرون الثمانية التى ملك فيها

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٢٢، وقد تخرج هذا الكاتب من جامعة بطرسبورج سنة ١٨٩١ وتخرج على يده عدد من المستشرقين.

(٢) الإسلام: خواطر وسوانح، ص ٨٦، مقدم فى الجيش الفرنسى.

المسلمون بلادهم وكان لبعضهم مناصب رفيعة فى بلاط قرطبة، ثم إذا بهؤلاء المسيحيين أنفسهم يصبحون أصحاب السلطان فى هذه البلاد فكان أول هَمٍّ لهم أن يقضوا قضاء تامًّا على المسلمين» (١).

وتقول **لورافيشيا فاغليرى**: «كان العرب المنتصرون مستعدين دائمًا حتى وهم فى أوج قوتهم وانتصارهم لأن يقولوا لأعدائهم: (ألقوا السلاح وادفعوا جزية يسيرة نسبغ عليكم حماية كاملة، أو اتخذوا الإسلام دينًا وادخلوا فى ملتنا تتمتعوا بالحقوق نفسها التى نتمتع بها نحن). وإذا نظرنا إلى ما أوحى إلى محمد ﷺ أو إلى الفتوح الإسلامية الأولى سهل علينا أن نرى مدى الخطأ الذى ينطوى عليه الاتهام القائل بأن الإسلام فُرض بالسيف وأن انتشاره السريع الواسع لا يمكن تفسيره إلا بهذه الوسيلة» (٢).

ويقول **كوستاف لوبون**: «إن القوة لم تكن عاملاً فى انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحرارًا فى أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التى لم يعرفوها من قبل» (٣).

---

(١) محمد رسول الله، (ص ٣٣٢)، فرنسى، أسلم وتسمَّى باسم ناصر الدين ، وحج بيت الله الحرام.

(٢) دفاع عن الإسلام ص ٣٢ .

(٣) حضارة العرب، ص١٢٧ .

وهذه شهادة من أعظم الشهادات تقول فيها زغريد هونكة المستشرقة الألمانية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [1]هذا ما أمر به القرآن الكريم، وبناء على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول فى الإسلام.

فالمسيحيون والزرادشتيون واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الدينى وأفظعها، سُمح لهم جميعًا دون أى عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم. وترك لهم المسلمون بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى.

أَوَ ليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى؟ ومن ذا الذى لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطى الصارخ وبعد فظائع الإسبان واضطهادات اليهود؟ إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجُّوا بأنفسهم فى شئون تلك الشعوب الداخلية فبطريرك بيت المقدس يكتب فى القرن التاسع الميلادى لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب: (أنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة، وهم لا يستخدمون معنا أى عنف) [2].

## * فقه الجهاد فى الإسلام:

يقول المستشرق الفرنسى إميل درمنغم فى بيان فقه الجهاد فى الإسلام: وبيان الغاية التى من أجلها شُرع الجهاد: «لم يُشرع الجهاد لهداية الناس بالسيف، ففى القرآن: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٣٦٤ .

تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[1]، والقرآن يأمر المسلمين بالاعتدال وبأن لا يبدؤوا بالاعتداء»[2].

**ويقول أيضًا:** «ولم يرو التاريخ أن المسلمين قتلوا شعبًا وما دخول الناس أفواجًا فى الإسلام إلا عن رغبة فيه، وهنا نذكر أن عمر بن الخطاب ﷺ لما دخل القدس فاتحًا أمر بأن لا يُمس النصارى بسوء وبأن تُترك لهم كنائسهم وشمل البطريرك بكل رعاية، ورفض الصلاة فى الكنيسة خوفًا من أن يتخذ المسلمون ذلك ذريعة لتحويلها إلى مسجد، وهنا نقول ما أعظم الفرق بين دخول المسلمين القدس فاتحين ودخول الصليبيين الذين ضربوا رقاب المسلمين فسار فرسانهم فى نهر من الدماء التى كانت من الغزاة ما بلغت به رُكبهم، وعقد النية على قتل المسلمين الذين تفلتوا من المذبحة الأولى»[3].

**ويقول بيجى رودريك:** «قوانين الجهاد فى الإسلام تُعتبر أكثر القوانين إنسانية ورأفة، فهى تضمن السلامة التامة للنساء والولدان والشيوخ وجميع غير المحاربين، فليس هناك فى نظر الإسلام أبشع من جريمة قصف المستشفيات والمدارس وأماكن العبادة ومساكن المدنيين فى المنطقة المعادية. وإنما يجعل الإسلام لهذه المرافق الإنسانية قدسيتها ويحذر من المساس بها، فهذه هى الوصية التى

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).

(٢) حياة محمد، ص ١٩٦ .

(٣) حياة محمد ص ٣٧٠ .



كان يـوصى بها رسـول الله ﷺ قادة المسلمـين، وكذلك كـان موقف الخـلفاء الراشـدين من بعده رضى الله عنهم بل لقـد ظلت هذه سمة بارزة فى جميع الحروب الإسلامية على مر العصور.

**وقـال أيـضًـا:** «الإسـلام أذن لرسـوله بالجـهـاد لرفـع الظلم والاضطهاد ولإزالة العقبـات التى تقف فى وجه الدعوة للإسلام، تلك الدعـوة التى لا تُكره أحدًا على الدخـول فى هذا الدين وإنما تدعو الناس إليه وتترك لهم الحرية الكاملة للاختيار. ولذلك ما إن يدخل الناس فى الإسلام حتى يتـمسكوا به، ويستميـتوا فى الدفاع عنه... إن الإسلام هـو دين السلام، السلام مع اللـه والسلام مع الناس جميعًا»(١).

*** الحدود الشرعية:**

**قالوا:** الحدود فى الإسلام فيـها شدة وهدر للدماء وتخلُّف فى تنمية الموارد البشرية!!

**والجواب:** قد يظن بعض الـناس أن إقامة الحـدود فى الإسلام كإقامة الصلاة فى كثرتها، والحق أن أحكام الشريعة الإسلامية تعد بالمئـات لكن عـدد الحدود التى تقـام هى سـبعـة: الحـرابة (قطع الطريق)، والردة، والبـغى، والزنا، والقذف، والسـرقة، وشـرب الخمـر، وإذا نُفذت فإنه لا يمكن ذلك إلا بعد مـراحل وشروط، وذلك بعـد التأكد من وقـوع الجريمـة وإقامـة الحجة علـى الجانى

(١) رجال ونساء أسلموا ٦/ ١١٥ - ١١٦ .

كالاعتراف أو الشهادة عليه، وقد يصل عددهم إلى أربعة شهود فى جريمة الزنا، ويُشترط فيهم العدالة وعدم التهمة، مما يدل على التحرى والتثبت والاحتياط بهذا العدد الذى انفرد عن بقية الجرائم الأخرى، والحكمة فى ذلك أن الله تعالى يحب الستر، فالحدود الشرعية لا تُنفذ إلا بنطاق ضيق محدود، وهناك أيضًا التشديد فى أمر الشهود والبينة، واشترط فيها العدالة، وعدم التهمة، ومنذ أن كان حد الزنا لم نسمع فى تاريخ أمة الإسلام أن أقيم حد الزنا بتوافر أربعة شهود، وكذلك لم تُحد امرأة حتى لو تمت عليها الشهادة[1]. كما فى الملاعنة، إذا لم تقر بهذه الجريمة، فقد ثبت أن النبى ﷺ لم يُقم الحد على المرأة فى قصة الملاعنة وذلك: «أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبى ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبى ﷺ: «**البينة أو حدٌّ فى ظهرك**» فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبى ﷺ يقول: «**البينة وإلا حدٌّ فى ظهرك**»، فقال هلال: والذى بعثك بالحق إنى لصادق، فلينزلن الله ما يبرئ ظهرى من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ**﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿**إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[2] انصرف النبى ﷺ فأرسل إليها فجاء هلال فشهد، والنبى ﷺ يقول: «**إن الله يعلم أن أحدكما**

(١) من أقرب الناس إليها وهو زوجها.

(٢) سورة النور: الآيات: (٦-٩).

كاذب، فـهل منكما تائب»؟ ثم قامت فـشهدت، فلمـا كانت عند الخامسة وقفوها وقـالوا: إنها موجبة، قال ابن عبـاس: فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنهـا ترجع، ثم قالت: لا أفضح قـومى سائر اليـوم، فمـضت، فقـال النبى ﷺ: «**أبصـروها، فإن جـاءت به أكحل العينين سابغ الإليتين خدلج السـاقين فهو لشريك بن سحماء**». فجاءت به كذلك، فقال النبى ﷺ: «**لولا ما مضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن**»[1].

إنه تسامح الإسلام ونبى الإسلام، وحـتى لو ثبتت جريمة الزنا بالاعـتراف وأقيـم حد الرجم فـإن هذا الزانى الذى يُرجم لو طلب منهم التوقف عن ذلك لإدلاء ما عنده ما يدفع عنه فينبغى أن يوقف الرجم ويُسمع منه هل مـا يقوله يعتد به أم لا؟ وقـد صح أن ماعز ابن مالك فَرَّ حين وجد مس الحـجارة ومس الموت فقال رسول الله ﷺ: «**هلا تركتموه؟**»[2] وفى رواية: «فوجد مس الحجارة صرخ بنا: يا قوم ردونى إلى رسول الله ﷺ فإن قومى قتلونى وغرونى من نفسى وأخبرونى أن رسـول الله ﷺ غير قاتلى فلم ننزع عنه حتى قـتلناه، فلما رجعـنا إلى رسول الله ﷺ وأخبـرناه، قال: «**فهلا تركتموه وجئتمونى به؟**» ليستثبت رسول الله ﷺ منه.

أما المرأة التى زنت ووصل الأمـر إلى السلطان وتبين أنهـا حامل؛

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٤٧٤٧) كتاب تفسير القرآن.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٤٣١)، وصححه الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٣٥٦٥).

فإنه لا يُقام عليها الحد إلا بعد أن تضع وليدها وترضعه أو يتكفل غيرها إرضاعه، فإنه حينذاك يقام عليها الحد فيكون لها توبة وطهارة، فقد ثبت ذلك من السنة النبوية الشريفة، وذلك كما في حديث الغامدية رضي الله عنها، . . . وكذلك حينما يقع الشخص في بعض المحرمات، فإن الأصل قبل الحد الستر عليه، وذلك عند شرب الخمر أو عندما يرى الزنى. فالقاعدة حديث رسول الله ﷺ: «**من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته**»(١) وهذه القاعدة ذروة السماحة.

وإقامة الحدود لابد أن تكون مقيدة بالقضاء والسلطان، فقد اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز استيفاء الحق في العقوبات في الحقوق الشرعية من غير رفع الأمر إلى القاضي لأنها أمور خطيرة، فيجب الاحتياط في إثباتها واستيفائها، وهي أمور يختص بها الحاكم. أما إذا وصل أمره على السلطان فإنه ينظر في إثبات الجريمة، فإن الإثبات يتحقق به حقن الدماء، وصيانة الأعراض، ورد الحقوق إلى أصحابها واستتباب الأمن في المجتمع، وسيادة الطمأنينة والنظام، وإن تنظيم الإثبات وتقنينه علامة على تنظيم الحياة الإنسانية فإذا كان الحاكم لم تتوافر لديه الإثباتات فإنه لا يقيم الحد بل يدرأ الحد بالشبهات. ففي جامع الترمذي من حديث عائشة مرفوعًا: «**ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له**

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٥٤٦) كتاب الحدود، وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٣٤١).

**مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة»**[1].

**قال الحافظ ابن حجر:** وأخرجه الحاكم والدارقطنى والبيهقى وقال: كونه موقوفًا أقرب إلى الصواب[2].

**وثبت عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه **قال:** لئن أُعطل الحدود بالشبهات أحب إلىَّ من أن أقيمها بالشبهات[3] . . . إنها سماحة الخليفة الراشد الذى تربى فى مدرسة التسامح.

وقد وردت قواعد فقهية فى الشبهات الدارئة للحدود ذكرها سلطان العلماء العز بن عبد السلام فقال: الشبهات دارئة للحدود وهى ثلاثة: إحداهن فى الفاعل، وهو ظن حِل الوطء إذا وطئ امرأة يظنها أنها زوجته أو مملوكته؛ الثانية شبهة الموطوءة؛ كوطء الشركاء الجارية المشتركة، الثالثة فى السبب المبيح للوطء كالنكاح المختلف فى صحته. وكذلك فإن الحدود التى يثار حولها الجدل فى حقوق الإنسان كالقتل والرجم وقطع اليد فلو نظرنا فى الحدود بالشرائع والقوانين السابقة للبعثة النبوية الشريفة لوجدناها متفقة مع حدود الإسلام ومتفقة فى كثير من الأحكام كما فى التوراة والإنجيل وشريعة نوح وصحف إبراهيم وموسى.

---

(١) ضعيف: رواه الترمذى (١٤٢٤) كتاب الحدود، وضعفه الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (٢٥٩).

(٢) الموطأ - رواية محمد بن الحسن ح ٧٠٧ .

(٣) مصنف ابن أبى شيبة ح ٢٨٤٩٣ .

وهذه الأشباه بين الشريعة الإسلامية وأهل الكتاب وما فيها من الصحيح غير المحرف تدل على أن الشرائع السماوية متشابهة فى كثير من الأحكام، وأن مصدرها واحد وهو الله سبحانه وتعالى، ولكن ما حصل من تحريف عند أهل الكتاب غيَّر بعض الأحكام وأكبر دليل رجم الزانى، ففى التوراة ورد صريحًا كما أقر بذلك عبد الله بن سلام رضي الله عنه وهذا لا يعنى أن الإسلام تأثر بمن سبق من الرومان أو أهل الكتاب، بل جاء بالقرآن العظيم المهيمن على بقية الكتب وخاتم الرسل ليكون صالحًا لكل زمان ومكان.

**قال الله تعالى:** ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(١)(٢).

* * *

(١) سورة المائدة: الآية: (٤٨).

(٢) من كتاب (رسالة محمد ﷺ) / للشيخ جمال عبد الرحمن - حفظه الله.

# وأنذر عشيرتك الأقربين

حيـن يكون الحديث عن أمـر الدعوة إلى الله يظن البـعض أن الأمر متـعلق بالصين والهند والشرق والغـرب، وما علم أن الأمر من تحته وأقرب إليه من ذلك كله!

فأول أمور الدعوة أن يأخذ الإنسان نفسه على الحق وهذه أعظم دعوة. يتوب من المعاصى والذنوب ويستزيد من الصالحات ويحافظ على النوافل قدر المستطاع .

ولا بد أن يحدثَ له توبة من ترك النوافل والمستحبات فـيتوب من تضـيـيع السُّنَن الرواتب، ويـتـوب إلى الله من التـفـريط فى المسـارعة إلى الـصف الأول، ويتوب إلى الله مـن هجر القـرآن، ويتوب إلى الله من قلة ذكره لله سبـحانه وتعالى، ويتوب إلى الله من إضاعة الأوقات دون فائدة.

ثم هو مع هذا كله يبدأ خطـوة فى إصلاح منزله وأولهم والداه وزوجته وأبناؤه وقرابته كلٌّ بحسبه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾(١).

ويُسهم بـين حين وآخر فى مـحاولة دعـوة أسرته وقـرابته فى الاجتماع الأسبوعى أو الشهـرى، ويعين أهل الحى وخاصة الجيران

(١) سورة الشعراء: الآية: (٢١٤).

على الصلاة وتفقُّد أبنائهم . . إنها قائمة طويلة لو تتبعتها لوجدت فى نهايتها صلاح المجتمع بعامة!

* **ونحتاج لتحقيق ذلك كله إلى أمرين هامين:**

**الأول:** الرفق واللين. فـإن الرفق مـا كـان فى شىء إلا زانه، ويقول الله تعالى عن نبـينا محمد ﷺ : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (١).

**الثانى:** الاستمرار والمداومة، فإن البعض يدعو مرة ثم يتوقف، والأمر ليس بذاك، بل هو أمـر مستمـر ودعوة قائمة حـتى يموت الإنسان.

ونوح عليه السلام أمضى عـمرًا طويلاً يقارب الألف عام وهو يدعـو، والنبى ﷺ مكـث سنوات وليس مـعـه إلا الرجل والرجلان، وما وَهَنَ، أو تراجع، أو توقف.

* * *

(١) سورة الشعراء: الآية: (١٢٨).

# لماذا أسلم هؤلاء؟!!!!

وها أنا أنقل لحضراتكم فى تلك الصفحات القادمة بعض القصص لأُناسٍ أحيا الله قلوبهم بالإيمان فأسلموا لله جل وعلا وقام كل واحدٍ منهم يحكى قصته مع الإسلام وكيف أن الله مَنَّ عليه بتلك النعمة العظيمة التى لا تدانيها نعمة فى الوجود.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع قصص هؤلاء الأطهار الذين أشرقت قلوبهم بنور الإسلام.

## خالد بن الوليد يدعو (جرجه) قائد الروم فى أرض المعركة فيُسلم

* هل سمعت خبراً أعجب من هذا الخبر؟

فقبل أن تبدأ المعركة دار حوار عجيب بين (جرجة) قائد الروم وبين خالد بن الوليد رضي الله عنه كانت ثمرته إسلام قائد الروم وانضمامه لصفوف المسلمين.

كلمات عطرة تُحفر من نور فى التاريخ قالها (جرجة) عند إسلامه لخالد: «يا خالد، اصدُقنى ولا تكذبنى، فإن الحر لا يكذب، ولا تُخادعنى، فإن الكريم لا يُخادع المسترسل بالله، هل

أنزل الله على نبيكم سيفًا من السماء فأعطاكه، فلا تسُلَّه على قوم إلا هزمتهم؟.

قال: لا.

قال: فبم سُميت سيف الله المسلول؟

**فقال له خالد فيما قال:** إن الله عز وجل بعث فينا نبيه ﷺ، فدعانا فنفرنا عنه، ونأينا منه جميعًا، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا باعده وكذبه، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا، فهدانا به فتابعناه، فقال: «**أنت سيف من سيوف الله سله على المشركين**» ودعا لى بالنصر، فسُميت سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين.

قال: صدقتنى[1].

ثم أسلم جرجة. وخرج باهان فى جيشه وعلى ميسرته الدرنجار، وزحف الروم إلى المسلمين مثل الليل والسيل يدفون دفيفًا، قد رفعوا الصُّلبان.

**فقال رجل:** ما أكثر الروم وأقل المسلمين[2].

**فقال خالد:** ما أقل الروم وأكثر المسلمين! إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال. أبالروم تُخوفنى! والله لوددتُ أن الأشقر براء من تَّوَجِّيه[3] وأنهم - يعنى الروم - أضعفوا فى العدد».

(١) الطبرى (٣/ ٣٩٨)، وتهذيب ابن عساكر (١/ ٥٤٧).

(٢) الطبرى (٣/ ٣٩٧)، وابن عساكر (١/ ٥٥٠).

(٣) الأشقر هو فرس خالد، والتَّوَجِّى أن يشتكى الفرس بطن حافره.

وعندما اشتد هجوم الروم، نادى خالد: يا أهل الإسلام، لم يبق عند القوم من الجلد والقتال والقوة إلا ما قد رأيتم، فالشدة الشدة، فوالذى نفسى بيده ليعطينكم الله الظفر عليهم الساعة، إنى لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم.

كان خالد فى نصف فرسان المسلمين خلف جناحهم الأيمن، فى حين كان قيس بن هبيرة المرادى فى نصفهم الآخر خلف جناح المسلمين الأيسر، وفى اللحظة الحاسمة التى تضعضعت فيها صفوف الروم، زحف خالد فى فرسانه إلى الروم حتى تصافحوا بالسيوف، واعترض خالد الروم وإلى جنبه أكثر من مائة ألف، فحمل عليهم، وما هو إلا فى نحو ألف فارسٍ، فما بلغتهم الحملة حتى فض الله جمعهم ذلك.

وانتهت قصة الروم فى أرض الشام، أتوا وهم يرون أن لا غالب لهم من الناس أحد، وقاتلوا المسلمين قتالاً شديدًا، ما قُوتل المسلمون مثله فى موطن قطُّ، ورزق الله المسلمين الصبر، وأنزل عليهم النصر، فقتلهم الله فى كل قرية وشِعب ووادٍ وجبل وسهل.

وعن عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك، فقال: اطلبوها. فلم يجدوها. ثم وُجدت فإذا هى قلنسوة خَلِقة - قديمة - فقال خالد: اعتمر رسول الله ﷺ فحلق رأسه، فابتدر الناسُ شعره، فسبقتهم إلى ناصيته،

فجعلتُـها فى هذه القلنسوة، فلم أشهد قـتالاً وهى معى إلا رُزقت النصر[1].

* * *

## أمانى الملوك ونبينا ﷺ

فلقد سجل التاريخ موقفًا مشـرقًا للنجاشى ملك الحبشة رحمة الله عليه من هذا النبى العظيم ﷺ فعندما سـأل جعفرًا رضي الله عنه ما يقول صاحبك فى ابن مريم؟ قال يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرجـه من البتول العذراء لم يقربها بشر، فـبعد أن سمع من جـعفـر رضي الله عنه تناول الملك النجـاشى عودًا من الأرض فـرفعـه فقال: يا معشر القسـيسين والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما تقولون فى ابن مريم مـا يزيد هذه، مرحبًـا بكم وبمن جئـتم من عنده فأنا أشهد أنه رسول الله وأنه الذى بشَّر به عيسى ابن مريم ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى (أحمل نعليه)، امكثوا فى أرضى ما شئتم وسجل لنا التاريخ أيضًا موقفًا مشرقًا لهرقل ملك الروم الذى قال: (لو كنت عنده - أى النبى ﷺ - لغسلت قدميه!).

* * *

---

(١) ذكـره الهيـثـمى فى المجـمع (٩/ ٣٤٩)، ونسبـه إلى الطبـرانى وأبى يعلى، وقـال: ورجالهما رجال الصحيح.

## الشيخ جمال الدين يُدخل التتار والمغول الإسلام

تكلم الشيخ الندوى عن دور الربانيين فى إخضاع التتار الفاتحين لدين أمة مفتوحة فقال - رحمه الله -:

«لما فتح التتار العالم الإسلامى فى القرن السابع الهجرى، وأثخنوه جراحًا وقتلاً، ولم يتركوا فيه إلا روحًا ضعيفة ونفسًا خافتًا، وفُلّ سيف الجهاد والمقاومة فأصبح لا يؤثر ولا يعمل، وأغمده المسلمون يأسًا وقنوطًا، وآمن الناس بأن التتار لا يمكن إخضاعهم وأن العالم الإسلامى قد كُتب عليه أن يعيش تحت حكم هؤلاء الهمج، وأن الإسلام لا مستقبل له، قام هؤلاء الدعاة المخلصون الذين لا يزال تاريخ الدعوة والإصلاح - على إحصائه واستقصائه - يجهل أسماء كثير منهم، يتسربون فى هؤلاء الغلاظ الشداد، يفتحون قلوبهم للإسلام، حتى تفتحت له وأحبته، وصاروا يدخلون فى دين الله أفواجًا.

وهكذا أخضعوا للإسلام من أخضع العالم الإسلامى بالأمس من شرقه إلى غربه، وأدخلوا أمة قهرت الأمم كلها فى عصرها فى دين لا يحميه سيف، ولا يدافع عنه جيش، وقد كانوا ثلاثة ديانات تتنافس فى اكتساب هذه القوة القاهرة للعالم: «البوذية» و«المسيحية» و«الإسلام»، وكانت البوذية أقرب إلى فطرتها وبيئتها، وكانت النصرانية أرفع مكانة وأقرب زلفى فى مجالس سلاطينها، ولكن الإسلام - بفضل دعاته المخلصين - انتصر على منافستيه -

البوذية والنصرانية - وأسلم التتار أمة وجنسًا، وكوَّنوا دولاً إسلامية كان لكثير منها مآثر إسلامية يتجمل بها تاريخ الإسلام، وكان انتصار الإسلام على الديانتين المنافستين حادثة غريبة لا تعلل إلا بمشيئة الله تعالى وتأييده، وتفوق دعاة الإسلام فى الإخلاص والروحانية على دعاة البوذية والنصرانية.

يقول أرنلد: «لقد كان منافسة هذه الديانات العُظمى فى إخضاع القوة الباهرة لعقيدتها صراعًا عجيبًا ينظر إليه التاريخ، وينظر إليه العالم بدهشة واستغراب، كلٌّ يحاول أن يخضع هؤلاء الوحوش القساة الذين داسوا هذه الديانات وحطموها. لم يكن أحد يتوقع أن الإسلام سينتصر فى هذه المعركة ويهزم البوذية والنصرانية ويستأثر بالتتار، فقد كانت عاصفة هجومهم وغارتهم أشد على المسلمين منها على غيرهم، وكانت خسارتهم فى ذلك أعظم من خسارة أية أمة ودولة وديانة، وقتل التتار علماء المسلمين وفقهاءهم وأسروهم واستعبدوهم، وقد كان ملوك التتار وأمراؤهم يعطفون على كل ديانة سوى الإسلام.

ولكن رغم هذه المصاعب دان المغول والأمم الوحشية التى جاءت بعدهم بديانة أمة داستها بأقدامها واعتنقت الإسلام».

قال «أرنلد»: «أسلم سلطان (كاشغر) الذى كان يُسمى: «تغلق تيمورخان» (١٣٤٧م - ١٣٦٣م) على يد الشيخ (جمال الدين) الذى جاء من بُخارى: وكان من خبره، أنه كان مع رفقة له فى

رحلته، فمروا بأرض السلطان التى كان قد حماها للصيد وهم لا يشعرون، وأمر بهم الملك فأُوثقوا وعُرضوا عليه، وقال... وقد استشاط غضبًا: كيف دخلتم فى حماى من غير إذن؟.

**قال الشيخ:** نحن غرباء، ولم نشعر بأننا نمشى على أرض ممنوعة.. ولما علم الملك أنهم إيرانيون، قال فى احتقار وسخرية: حتى الكلب أفضل من الإيرانيين.

**قال الشيخ:** صدق الملك، لولا أن الله أكرمنا بالدين الحق لكنا أذل من الكلاب، وتحير الملك ومضى للصيد، وبقيت الكلمة تشغل فكره، وأمر بعرضهم عليه بعد الصيد، ولما رجع خلا بالشيخ وقال: فسِّر لى ما قلت، وأخبرنى ما تعنى بالدين الحق؟

وفسر الشيخ الإسلام فى حماسة وقوة تفسيرًا رقّ له قلب السلطان، وصور الكفر تصويرًا بشعًا هائلاً نزع منه السلطان وأيقن أنه على ضلال وخطر.

ولكن السلطان رأى أنه لو أعلن الإسلام لما استطاع أحد أن يدخل قومه فى الإسلام ورجا الشيخ أن ينتظر حتى إذا سمع أنه ولى الملك، وجلس على أريكة الحكم زاره.

وكانت المملكة «الجغتائية» قد توزّعت فى إمارات متعددة، واستطاع «تغلق تيمور» أن يجمعها، ويكون منها مملكة صغيرة، ورجع الشيخ «جمال الدين» إلى بلاده، ومرض مرضًا شديدًا، ولما حضرته الوفاة، دعا ولده «رشيد الدين» وقال له: إن «تغلق تيمور» سيكون فى

يوم من الأيام ملكًا عظيمًا، فإذا سمعت بذلك تزوره، وتقرئه منى السلام، وتذكره بما وعدنى به من اعتناق الإسلام، وكان كذلك.

فقد بويع «تغلق تيمور» بالملك، وجلس مكان أبيه، ودخل الشيخ «رشيد الدين» فى المعسكر لينفذ وصية أبيه، ولكنه لم يخلص إلى الملك، فاحتال، وبدأ يومًا يؤذن بصوت عال عند خيمة السلطان فى الصباح الباكر، فطار نوم السلطان وغضب وطلب الشيخ «رشيد الدين»، وحضر الشيخ، وبلغ السلطان تحية والده، وكان السلطان على ذكر منه، فنطق بالشهادتين وأسلم ثم نشر الإسلام فى رعيته، وأصبح الإسلام ديانة الأقطار التى كانت تحت سيطرة أولاد جغتاى بن جنكيزخان [1].

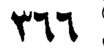
* * *

## الطفل الأمريكى والإسلام

إنه الإسلام الذى يملك قوة الانتشار الذاتى فى كل زمان ومكان.. إنه الإسلام الدين الذى يبهر العالم.... إن أمامنا دليلاً جديدًا ومتجددًا على أن الإسلام هو دين الله الحق! ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[2]، دين الله الحق يهدى لنوره من يشاء؛ فبعيدًا عن أى دعم أو مساندة ولأبوين

(١) «ربانية لا رهبانية» للشيخ أبى الحسن الندوى ص (٣١-٣٥) وكتاب «الدعوة إلى الإسلام» لأرنلد ص (٢٥٦).

(٢) سورة آل عمران: الآية: ٨٥.



نصرانيين طفل فى الثانية عشرة من عمره فى الولايات المتحدة الأمريكية تركت له أمه حرية اختيار دينه، وأحضرت له كتبًا عن كل الديانات والعقائد السماوية وغير السماوية وبعد قراءة متفحصة وعن اقتناع تام وإيمان قرر ألكسندر أن يكون مسلمًا يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وسمى نفسه محمدًا بن عبد الله، تعلم الصلاة، ويؤديها فى المدرسة فقد اختار مكتبة المدرسة ليؤدى الصلاة فيها يوميًّا، وتعلم كثيرًا من الكلمات العربية والأحكام الشرعية وحفظ بعض سور القرآن الكريم، كل هذا دون أن يلتقى بمسلم واحد، وعندما سُئل عن الصعوبات التى يواجهها لكونه مسلمًا يعيش فى أجواء غير إسلامية كان جوابه تلفُّه الحسرة وهو أنه تفوته بعض الصلوات أحيانًا بسبب عدم معرفته لأوقات الصلاة بدقة، وعندما سُئِلَ عن طموحه وأمانيه أجاب بأن لديه الكثير من الأمنيات منها أن يتعلم اللغة العربية وأن يحفظ القرآن الكريم وأهم أمنياته أن يذهب إلى مكة المكرمة ويُقبل الحجر الأسود وأنه يحاول أن يجمع من مصروفه الأسبوعى ليتمكن من زيارة بيت الله الحرام، واستطاع أن يجمع ٣٠٠ دولار حتى الآن وينتظر حتى يصل إلى جمع ألف دولار لكى يحقق أمنيته ويتمنى أن ينقل الصورة الصحيحة عن الإسلام والمسلمين إلى بنى قومه. نسأل الله أن يتمم أمانيه ويثبته. . . آمين)(١).

(١) نقل القصة الأخ د. أنس بن فيصل الحجى فى مقالة له فى جريدة الوطن الكويتية، وأعيد نشرها فى العدد الثامن مجلة زهرة المدائن ذو القعدة ١٤٢٦هـ الموافق ديسمبر ٢٠٠٥م.

# بمثل هذا قامت السموات والأرض

مرة أخرى وقبل الولوج فى عـمق فصول هذا الكتاب، أود أن نُجلِّى بعض الغبار الذى نَثَرُوه ليعموا بعض القلوب والأبصار ليصدوا عن سبيل الله وعن دين الله الحق... فنوضح أولاً وبادئ ذى بدء أن ديننا هو دين العدل الإلهى الحق وليس عجيبًا أن يُنزل رب العزة والجلال عشر آيات من السماء لتبرئة يهودى من سرقة اتهمه بها مصلى فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا أنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ (١).

فذلك هو منتهى العدل الربانى الذى عاش اليهود فى ذمته قرونًا آمنين حتى قال أحبار وقادة يهود (بمثل هذا العدل قامت السموات والأرض).... إن رفع الظلم عن الناس مهمة الأنبياء والرسل والخلفاء الراشدين المهديين التى من أجلها نزل الروح الأمين عليه السلام من السماء ولذلك فإن من قمة الظلم الامتناع عن الإعداد فى سبيل الله لرفع الظلم والهوان، والذين لا يتحركون لرفع الظلم هم الظالمون يصادمون سنة الله فى نشر العدل فى الأرض؛ لأنهم يصادمون الفطرة فلن يفلحوا.

إن للمسيحيين واليهود فى الإسلام معاملة خاصة، لا يعرفون الرحمة ولا العدل إلا فى ظله فهم أهل ذمة أى أهل عهد وضمان لهم فى ظل الإسلام عهد الله ورسوله، يعيشون فى حماية

(١) سورة النساء: الآية: (١٠٥).

المسلمين آمنين مطمئنين، فلهم ما للمسلمين من حقوق، وعليهم ما على المسلمين من واجبات وقد أمرنا نبينا محمد ﷺ فقال: «**من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقًّا أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة**»(١).

وقد اختصم إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه الإمام على رضي الله عنه ورجل يهودى فقال عمر: قف يا أبا الحسن فظهر الغضب على وجه الإمام على رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه: أكرهت أن نُسوِّى بينك وبين خصمك اليهودى فى القضاء؟ فقال على: لا ولكننى كرهت أن عظمتنى فى الخطاب فقلت يا أبا الحسن ولم تصنع مع خصمى اليهودى ما صنعته معى من التعظيم!!).

وهناك أمثلة أخرى كثيرة فى السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين، فلقد أمر الأمير عمر رضي الله عنه لمن ألجأته الشيخوخة أو الحاجة من اليهود والنصارى من بيت مال المسلمين ما يكفيهم ويصلح شأنهم وهو أول قرار بالضمان الاجتماعى عبر التاريخ.

* لقد شهد التاريخ عبر القرون للمسلمين بحسن المعاملة مع الآخرين وأعطاهم العهد وحرية عقيدتهم وكنائسهم ومعابدهم، ما عدا المواضع التى أمر النبى ﷺ بتحريم ذلك فيها.

وعندما جاء نصارى الحبشة أنزلهم رسول الله فى المسجد؛ لأنه كان موضع بيته وقام بنفسه على ضيافتهم وخدمتهم قال: «إنهم

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٠٥٢) كتاب الخراج، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٦٥٥).

**كانوا لأصحابنا مكرمين فأحب أن أكرمهم بنفسى»**، ولما جاء نصارى نجران أيضًا ناقشهم فى دينهم واستمع إليهم وجادلهم برفق وأدب وسماحة خلق، . . . ويذكر التاريخ أن المسيحيين فى القدس اشترطوا عند تسليم مفاتحه لأمير المؤمنين (أن لا يساكنهم فيها يهودى) وأجابهم أمير المؤمنين إلى ذلك.

وسجل التاريخ موقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حينما تغلب التتار على الشام وذهب الشيخ ليكلم التتار فى أمر إطلاق الأسرى فسمح القائد التترى للشيخ بإطلاق سراح أسرى المسلمين وأبى أن يطلق أهل الذمة فما كان من شيخ الاسلام إلا أن قال: (لا نرضى إلا بفكاك جميع الأسرى من اليهود والنصارى فهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيرًا لا من أهل الذمة ولا من أهل الملة)، فلما رأى إصراره وتشدده أطلقهم له.

قارنوا هذا النزر اليسير من الأمثلة بما يفعله اليهود والنصارى اليوم فى الحلف الإرهابى العالمى من جرائم تجاه المسلمين فى فلسطين وأفغانستان والعراق والشيشان وكشمير ولبنان، وغيرها من بلاد الإسلام والمسلمين، يدافعون عن أنفسهم بأبسط الإمكانيات ومع ذلك يمارس عليهم الإرهاب النفسى والاجتماعى والعسكرى وكل أشكال الظلم والعنف رغم أنهم فى موقف الدفاع إزاء الظلم الذى لحق ولا زال بهم، ولهم الحق فى الدفاع كفله لهم الله عز وجل القائل: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم**

مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [1].

وكشف لنا حقيقتهم فقال جل وعلا: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [2]، إن عصابة الشر والكراهية العالمية سواء فى الفاتيكان أو فى الكنيست والموساد أو البنتاجون تقول فى إحدى الوثائق (إن علينا أن نستعيد ذاكرة الغزو الإسلامى الذى أجبر كل المدن والقرى على تغيير ديانتهم الحقة إلى ديانة الباطل والزور تحت اسم الإسلام).

والحقيقة إذا أرادوا الحقيقة الساطعة كنور الشمس أن تاريخنا الناصع قد شهد لنا أننا لم نهدم كنائسهم ومعابدهم أثناء الفتوحات الإسلامية ولم نستأصلهم ونجتثهم بل لم يذوقوا العدل الحقيقى إلا فى ظل الإسلام وأن تواجد الأقليات النصرانية فى أندونسيا ومصر والشام وغيرها تظهر ذلك وتظهر تسامح الفاتحين حتى قال المؤرخ الفرنسى لوبون: (لقد أضرت بالمسلمين سماحتهم وأضر بهم كرمهم وشهامتهم!) ولو صدَّقنا خرافاتهم التهويلية حول انتشار الإسلام بالسيف لما بقى غير المسلمين فى البلدان التى فُتحت[3].

---

(١) سورة الممتحنة: الآيتان: (٨- ٩).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٢٠).

(٣) الإسلام المعجزة المتجددة (ص: ٥٤ - ٦٠) بتصرف.

## اللورد هيدلى وإسلامه

قال الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر: «كان لإسلام اللورد «هيدلى» ضجة كبيرة لمركزه ولما يعلمه فيه عارفوه من نضج فى التفكير وتَروٍّ فى الأمور وحينما أراد الحج مر بالإسكندرية فأقام له أهالى الثغر حفلة كبرى وضعت تحت رعاية الأمير السابق «عمر طوسون» الذى ألقى كلمة حيًّا فيها الضيف الكريم، ابتدأها بقوله: «مرحبًا مرحبًا وأهلاً وسهلاً، لقد خَفَّت مصر إلى استقبالكم، وابتهجت بمقدمكم الكريم، وكان سرورها بذلك عظيمًا، حتى لقد تمنت كل مدينة أن تسعى بأهلها إليكم، أو يكون لكم متسع من الوقت لزيارتها، فتقوم بما يجب لكم من الإجلال والإعظام، والترحيب والإكرام».

وكانت الحفلةُ برئاسة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الغنى محمود شيخ علماء الإسكندرية.

### * كيف أسلم اللورد هيدلى؟

ما هى العوامل التى دعته إلى اعتناق الإسلام؟

إننا فى الصفحات التالية سنذكر جملة من النصوص ترشد القارئ إلى سبب رفضه المسيحية وإلى سبب إسلامه، وإلى تصوره لكثير من وجهات النظر الإسلامية.

* يقول اللورد: «عندما كنت أقضى الزمن الطويل من حياتى الأولى

فى جو المسيحية كنت أشعر دائمًا أن الدين الإسلامى به الحسن والسهولة وأنه خِلْوٌ من عقائد الرومان والبروتستانت. وثبتنى فى هذا الاعتقاد زيارتى للشرق التى أعقبت ذلك، ودراستى للقرآن المجيد».

له الله لَكَم تألم وقاسى فى سبيل وصوله إلى الحق.

* **استمع إليه يقول:** «فكرت وصليت أربعين سنة، كى أصل إلى حَلٍّ صحيح، ويجب علىَّ أن أعترف أيضًا أن زيارتى للشرق ملأتنى احترامًا عظيمًا للدين المحمدى السلس الذى يجعل الإنسان يعبد الله حقيقة طول مدة الحياة، لا فى أيام الآحاد فقط».

* ويرى أن الإسلام هو الدين العالمى حقًّا، إذ يقول: «أيمكن إذن أن يوجد دين يُمكِّن العالم الإنسانى من أن يجمع أمره على عبادة الله الواحد الحقيقى الذى هو فوق الجميع وأمام الجميع بطريقة سهلة خالية من الحشو والتلبيك؟

فكر لحظة وذلك تفكير لازم لكمال البشر فى الحقيقة، إنه إذا أصبح كل فرد فى الإمبراطورية الإنجليزية محمديًّا حقيقيًّا بقلبه وروحه أصبحت إدارةُ الأحكامِ أسهل من ذلك؛ لأن الناس سيقادون بدين حقيقى».

* **وها هو ذا يعبر عن الشكر حينما هداه الله:** «روح الشكر هى خلاصة الدين الإسلامى، والابتهال أصل فى طلب الهداية والإرشاد من الله.

إنه وإن كان شكرى لله على كرمه وعناية كان متأصلاً فىَّ من

صغرى وأيـام حداثتى فإننى لا أستطيع أن أشـاهد ذلك من خلال السنين القليلة الماضيـة؛ التى قرع فيهـا الدين الإسلامى لُبِّى حقًّا، وتملَّك رشدى صـدقًا، وأقنعنى نقـاؤهُ وأصبح حقـيقة راسـخة فى عقلى وفؤادى، إذ التقيت بسعادة وطمأنينة ما رأيتهما قط من قبل، كمـا أستنشق هواء البحـر الخالص النقى، وبتـحققى من سـلاسة وضيـاء وعظمة الإسلام ومـجده أصـبحت كرجل فـرَّ من سرداب مظلم إلى فسيح من الأرض تضيؤه شمس النهار».

* **ومما يذكـر من تعـاليم الإسـلام مـشيـداً به:** «ليس هناك فى الإسلام إلا إله واحـد، نعبـده ونتبـعه، إنه أمـام الجمـيع، وفوق الجميع، وليس هناك قدوس آخر نُشركه معه، إنه لمن المدهش حقًّا أن تكون المخلوقات البشرية ذوات العقول والألباب على هذا القدر من الغباوة، فيسمحون للمعتقدات والحيل الكهنوتية أن تحجب عن نظرهم رؤية الـسمـاء رؤية ربهم القـهـار، المتـصل دومًـا بكل مخلوقاته، سواء كانوا عاديين، أو أولياء مقدسين».

مفتاح السماء موجود دائمًا فى مكانه، ويمكن إدارته بأذل وأقل المخلوقات دون أية مساعـدة من نبى أو كاهن أو مَلَكٍ، إنه كالهواء الذى نستنشقه مجانًا لكل خلق الله.

أما هؤلاء الذين يجعلون الناس يفهمـون غير ذلك، ما دعاهم إلى هذا العمل إلا حب الفائدة.

ليس غرضى الرئيسى أن أهاجم أى فرع معين من فروع الديانة

المسيحيـة، لأبين جلال وسلاسة الديانة الإسلاميـة التى هى خالية فى نظر الكاتب المنصف من العـوائق الظاهرة، جليًا فى كثـير من الديانات الأخرى».

*ولقـد افتـرى كـثيـرون على الإسـلام، وها هو ذا يرد على افتـراءاتهم: «ليس فى وسع الإنسان فى الحقـيقة إلا أن يعتـقد أن مُدبـجى وناسجى هذه الافـتراءات، لم يتـعلموا، حـتى ولا أول مبادئ دينهم، وإلا لما استطاعوا أن ينشـروا فى جميع أنحاء العالم تقارير معروف لديهم أنها محض كذب واختلاق».

إن تعاليم القرآن الكريم قـد نُفذت ومورست فى حياة مـحمد الذى سواء فى أيام تحـمله الألم والاضطهاد، أم فى زمن انتـصاره ونجاحـه أظهر أشرف الصفـات الخلقية التى لا يتـسنى لمخلوق آخر إظهارها.

فكل صفـات الصبـر والثبـات فى عصره كـانت تُرى فى أثناء الثلاث عشرة سنة التى تألمها فى مجاهداته الأولى بمكة، ولـم يشعر فى كل زمن هذا الجـهـاد بأى تزعـزع فى الثـقـة بالله، وأتم كل واجباته بشمم وحمية.

كـان ﷺ مثـابرًا، ولا يخشى أعـداءه؛ لأنه كـان يعلم بأنه مكلف بهـذه المأمـورية من قِبل الـله، ومن كلفه بـهذا العـمل لن يتخلى عنه.

لقد أثرت تلك الشجاعة التى لا تعرف الجفول، تلك الشجاعة

التى كانت حقًّا إحدى مميزاته وأوصافه العظيمة إعجابَ واحترامِ الكافرين، وأولئك الذين كانوا يشتهون قتله، ومع ذلك فقد انتبهت مشاعرنا وازداد إعجابنا به بعد ذلك فى حياته الأخيرة، أيام انتصاره بالمدينة، عندما كانت له القوة والقدرة على الانتقام واستطاعته الأخذ بالثأر ولم يفعل، بل عفا عن كل أعدائه.

العفو والإحسان والشجاعة ومثل هاتيك الصفات كانت تُرى منه فى كل تلك المدة، حتى إن عددًا عظيمًا من الكافرين اهتدوا إلى الإسلام عند رؤية ذلك.

عفا بلا قيد ولا شرط عن كل هؤلاء الذين اضطهدوه وعذبوه، آوى إلى كل الذين كانوا قد نفوه من مكة، وأغنى فقراءهم، وعفا عن ألد أعدائه، عندما كانت حياتهم فى قبضة يده وتحت رحمته.

تلك الأخلاق الربانية التى أظهرها النبى الكريم، أقنعت العرب بأن حائزها يجب ألا يكون إلا من عند الله، وأن يكون رجلاً على الصراط المستقيم حقًّا، وكراهيتهم المتأصلة فى نفوسهم حولتها تلك الأخلاق الشريفة إلى محبة وصداقة متينة».

* محمد المثل الكامل: نحن نعتبر أن نبى بلاد العرب الكريم ذو أخلاق متينة، وشخصية حقيقة وُزنت واختُبرت فى كل خطوة من خُطى حياته ولم يُرَ فيها أقل نقص أبدًا.

وبما أننا فى احتياج إلى نموذج كامل يفى بحاجاتنا فى خطوات الحياة، فحياة النبى المقدس تسد تلك الحاجة.

حياة محمد كمـرآة أمامنا تعكس علينا التعقل الراقى، والسخاء والكرم، والشجاعـة والإقدام، والصبر والحلم، والوداعـة والعفو، وباقى الأخلاق الجـوهرية التى تُكوِّن الإنسانيـة، ونرى ذلك فيـها بألوان وضاءة. . . . خُذ أى وجـه من وجوه الآداب وأنت تتـأكد أنك تجده موضحًا فى إحدى حوادث حياته.

ومحـمدٌ ﷺ وصل إلى أعـظم قوة، وأتى إليـه مُقـاوموه، ووجدوا منه شفقة لا تُجارَى وكـان ذلك سببًا فى هدايتهم ونقائهم فى الحياة.

رحم الله اللورد هيدلى وجزاه عن الإسلام خير الجزاء[1].

*　*　*

## الكاردينال السودانى أصبح داعية للإسلام

الكاردينال السودانى الأمين العام لمنظمة التضامن المسيحى أصبح الداعـية المسلم الأمـين العـام لمنظمة التـضـامن الإسلامى!! فـفى السودان (أشـوك كولن يانج) كان والده مسـئول الكنيسـة فى شرق ووسط أفريقـيا ومـقرها أوغندا وأرسله ليدرس فـى ولاية تكساس الأمـريكيـة علم اللاهوت وحصـل أيضًا على عـدة دبلومـات فى مجالات التـخطيط وإدارة التعليم الكنسى والتنصير وتنميـة المجتمع من النرويج وكينـيا والخرطوم وحـصل على ماجسـتير فى مـقارنة

---

(١) أوروبا والإسلام (ص ٦٧ - ٧٢).

الأديان من جامعة أكسفورد فى بريطانيا وتقلد العديد من المناصب الكنسية منها قسيس الكنيسة الأسقفية بالخرطوم، وأمين عام منظمة الشباب المسيحى عام ٨٧ - ١٩٨٨م، ومدير المنظمة النرويجية للعون الكنسى، ومدير منظمة درء الكوارث وهى منظمة سويدية دانماركية هولندية، وتولى منصب الأمين العام لمجلس الكنائس العالمى بشرق ووسط أفريقيا ٩٢- ١٩٩٣م، ومسئول التعليم الكنسى العالمى فى وسط وشرق أفريقيا، ومدير كلية النيل للاهوت، وأمين عام منظمة التضامن المسيحى فى أفريقيا والأمين العام لمجلس الكنائس العالمى لوسط وشرق أفريقيا، ثم فتح الله قلبه للإسلام واعتنق الإسلام عام ٢٠٠٢م، وأصبح أمين عام منظمة التضامن الإسلامى لتنمية وإعمار السودان منذ عام ٢٠٠٣م.

وقد أحب (أشوك كولن) الاحتفاظ باسمه لأسباب تعينه على الدعوة بين بنى قومه وفى رحلته من الظلمات إلى النور ومن الكفر إلى الإسلام يقول: (الإنسان مهما علا شأنه إذا كان صادقًا وجادًّا فى البحث عن الحقيقة، فإنه حتمًا سيصل إليها يومًا ما وهذه الحقيقة التى سيصل إليها إما تعزز ما يؤمن به أو تهديه إلى سبيل آخر وأنا وصلت إليها وغيرت عقيدتى من خلال أقوال المسيح التى وردت إلينا فى الأناجيل فقد جاء فى إنجيل يوحنا فى الإصحاح الثامن فقرة ٤٠ عندما هَمَّ اليهود بقتله: (ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله)، فالمسيح

عيسى عليه السلام إنسان اختاره الله وحمَّله رسالة وجعله نبيًّا ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (١).

وقد شاء الله لى أن أدرس مقارنة الأديان وكان الهدف أن أتعرف على الأديان السماوية وغير السماوية من أجل ممارسة التنصير بعلم وخبرة ومنهجية، لكن الله أراد شيئًا آخر فخلال مرحلة الدراسة كانت تتكشف أمامى الحقائق عن الإسلام أولاً بأول ثم أيقنت أن الإسلام هو الدين الصحيح وكنت حينما أسمع الأذان أتوقف عن المحاضرة احترامًا للنداء الإلهى وحينئذ أصبحت شخصًا بوجهين... وجه يرى أن الإسلام دين الحق وأن الله واحد لا شريك له، ووجه يغالط نفسه ويواصل انخراطه فى الأعمال الكنسية والتمتع بأموالها الطائلة، ولما بدأ تعاطفى مع الإسلام اجتمعت مجالس القساوسة والرهبان والكاردينالات، وكان رأيهم أننى أميل للإسلام، وهنا مارس مجلس الكنائس ضغوطًا كثيرة علىَّ ولما فشل قرر إيقافى عن العمل بالكنيسة وصدر قرار من الكنائس بأن الجنون قد أصابنى فقلت لهم: إننى لست مجنونًا فأنا أخاف الله الواحد ربى وربكم ورب محمد وعيسى، إننى أخاف عذاب الله، وعلمت بعد ذلك أن تقرير الأطباء أثبت إننى لست مجنونًا، ولكنى أتطلع إلى اعتناق الإسلام.

**ويقول:** (لقد تقلدت مناصب كبيرة فى الكنيسة، ومن بين

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٧٥).

ذلك كنت كاردينالاً كما كان والدى كذلك وهذا المنصب فى الكنيسة الكاثوليكية يوازى وظيفة المفتى فى الإسلام ومن مهام القس أنه يغفر للناس ولا حول ولا قوة إلا بالله... يجب أن يعرف القس أنه ليس إلهًا لكى يغفر للناس ذنوبهم وآثامهم، فالعجيب إنه إذا أخطأ عبد ذهب إلى القس يوم الأحد قبل الصلاة ويقول له لقد أخطأت فى كذا وكذا، فيقول القس: اذهب قد غُفر لك، كيف يتجرأ قس على حمل سلطة الله!! ومن الذى أعطاه هذه الصلاحية وهو بشر وأنا أتحدى أيًا من كبار القساوسة الشرقيين والغربيين أن يحاججنى، بل أنا على استعداد لمناظرة أى درجة عالية فى الكنيسة لإثبات صحة الإسلام وأحقيته بالاتباع فأنا لم أُسلم عاطفيًا أو عبثًا وإنما أسلمت بعد دراسة متعمقة للأديان حتى وصلت فى نهاية الدراسة إلى أن الإسلام هو الدين السماوى الذى ختم الله به الرسالات السماوية وأن النبى ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن عيسى عليه السلام إنسان من البشر وهو نبى ورسول وليس أكثر من ذلك، وأنا لست أول من يسلم من القساوسة فقد سبقنى إلى الإسلام عدد كبير من القساوسة والمنصرين وإلى رأسهم الأمين العام لمجلس المطارنة فى الكنيسة الكاثوليكية ورئيس القساوسة فى الولاية الشرقية).

**لقد خرجت عبر دراستى لمقارنة الأديان بالنتائج التالية:**

* القرآن الكريم لا يحمل اسم مؤلف كما هو حال كل الأناجيل.

* القرآن الكريم هو كلام الله تعالى فهو يتناول سيرة الرسل من سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ.

* أن السيرة النبوية تؤكد أن الإسلام هو أول دين وآخر دين.

* جميع الرسل نادوا بالتوحيد اتساقًا مع الإسلام.

* الكتب السابقة لا نستطيع أن نميز فيها بين كلام الله وكلام الرسول وكلام المؤلف فكل ما قرأناه قال يوحنا وقال بطرس.

**وقال:** كل رسول كان لديه مهمة محددة وأُرسل لقوم بعينهم فمهمة عيسى عليه السلام أن يهدى الأمة التى بعث إليها إلى عبادة الله وهى أمة بنى إسرائيل، أما غيرهم من الأمم فلا تعنيهم شريعة عيسى، وهذا ما تقرره الأناجيل فقد جاء فى إنجيل متَّى الإصحاح ١٥ فقرة ٥ قول يسوع (لم أُرسل إلا لخراف بنى إسرائيل الضالة)! بينما أُرسل محمد ﷺ للناس كافة.

* كلام الله تعالى فى الإسلام واضح وأقوال الرسول ﷺ وأفعاله معروفة وسيرته محددة وهذا يدل على حفظ الله لهذا الدين.

* الإسلام فيه عدالة ومساواة بين جميع المسلمين ووضوح رؤية أما فى النصرانية فهناك أشياء كثيرة كنت أخجل منها بسبب عنصريتها إذ كنت أخجل من لون بشرتى السوداء، فضلاً عن أن البشر فى ظل النصرانية مستويات ودرجات، فالسود يُصلون وحدهم، والبيض يصلون وحدهم، ففى الكنائس الأمريكية لا يستطيع الأسود أن يصلى فى كنائس البيض، فوزير الخارجية الأمريكى الأسود لا

يستطيع أن يدخل كنيسة البيض، أما فى الإسلام فلا يوجد هذا التميز فمن يسبق إلى المسجد يصلى فى الصف الأول والناس أمام الله سواسية، ويمكن أن يكون الإمام أسود أو أبيض لا فرق.

**ويمضى الأخ أشوك فى بيان مسيرته نحو الإسلام فقال:** (وحينما قررت اعتناق الإسلام ذهبت إلى الكنيسة وتقدمت بطلب إجازة لكى أقضيها مع أسرتى فطلب منى أن أنتظر حتى تعتمد لى الكنيسة من ٥٠ إلى ١٠٠ ألف دولار لكى أنفقها على أولادى قلت لهم: أنا لا أريد قروشكم وكان عندى للكنيسة عمارتان وقروش تبلغ مليونين و٤٠٠ ألف دولار أمريكى و ٣٢٠ مليون جنيه سودانى فقمت بتسليمها إلى راعى ميزانية التنصير فكانت مفاجأة كبيرة للكنيسة!! وبعد ذلك قضيت يومين مع أسرتى وأبلغتهم أن الوقت قد حان لاعتناق الإسلام، وذهبنا إلى مسجد النور وأشهرنا إسلامنا... صحيح أنى خسرت أموالاً كثيرة غير أننى كسبت الإيمان والراحة النفسية بعد ٤٠ سنة قضيتها فى الباطل، لقد انزعجت الكنيسة بشدة وعلى إثر ذلك اتهمتنى الكنيسة بالجنون وأننى مريض نفسيًّا وعملت جاهدة على ارتدادى عن الإسلام بشتَّى الوسائل، ومن ذلك جاءت إلىَّ وفود ولجان كثيرة من داخل السودان وخارجه، ومارست ضغوطًا كبيرة وقدمت فى سبيل ذلك إغراءات لا حدود لها غير أننى بإسلامى الذى اعتنقته عن دراسة واقتناع شعرت أننى وُلدت من جديد ومستقر

نفسيًّا رغم ما أعيشه الآن من شظف العيش إلا أننى أصبحت قويًّا ولم تنجح كل المحاولات فى إعادتى إلى النصرانية، ولما فقدت الكنيسة الأمل فى ذلك هددتنى بالتصفية الجسدية وجنَّدت بعض أتباعها لاغتيالى غير أنها لم تنجح فى ذلك وأنا الآن لا أسافر إلى الدول الغربية، حتى لا أتعرض للقتل كما أن موقعى القبلى يحمينى؛ ففى أحد المرات التى تعرضت فيها لمحاولة القتل وكتب الله لى النجاة دافعت عنى القبيلة ومنذ إسلامى وأنا أشعر أننى فى حماية الله تعالى، كما أننى كمسلم أصبحت مقتنعًا أن الموت حق ولست خائفًا منه فمن يمت دفاعًا عن إسلامه فهو شهيد وأجره عند الله عظيم أما النصارى واليهود فهم يحرصون على الحياة، وقد وفقنى الله تعالى فى كشف الأدوار الخطيرة التى يلعبها هؤلاء ضد الإسلام وإدراك خطورة ذلك لكننى أردت أن أكشف حقيقة ما يدور فى الدهاليز والأروقة الكنسية من استهدافات للإسلام والمسلمين ، خاصة بعد أن أصبحت مسلمًا وأنا لم أعد أخشى الموت خاصة إذا كان دفاعًا عن دين عظيم كالإسلام(١).

❊ ❊ ❊

(١) الإسلام المعجزة المتجددة (٧٩-٨٣).

## القرآن الكريم أكثر الكتب مبيعًا بعد أحداث ١١ سبتمبر

إن المتابع للإعلام العالمى سواء كُبريات الصحف والمجلات أو الفضائيات أو الإنترنت سيلاحظ بدون عناء، أن هناك شبه إجماع على أنه بعد أحداث ١١ سبتمبر؛ على الرغم مما تعرض له الإسلام والقرآن الكريم من حملات شديدة وتهجم قوى ومحاولات التضليل والإبعاد والافتراء والتشوية فإن القرآن الكريم سواء المصحف الشريف أو ترجمة معانى القرآن الكريم أو تفسير القرآن الكريم قد أصبح إثر أحداث ١١ سبتمبر أكثر الكتب مبيعًا فى أمريكا وأوروبا والعالم، واتفقت عناوين الصحف والمجلات العالمية الكبرى والبرامج الثقافية فى الفضائيات ومراكز الدراسات والأبحاث العالمية المتعددة، أن الأحداث فتحت شهية الأمريكيين، خاصة للتعرف على الإسلام وتصدرت ترجمة معانى القرآن الكريم قوائم الكتب الأكثر مبيعًا فى المكتبات الأمريكية، بل نفذت وتزايد الطلب عليها أضعافًا مضاعفة عما كانت عليه من قبل أحداث ١١ سبتمبر.

وفى موقع الأمازون وهو المكتبة الإلكترونية التى تعتبر من أشهر المواقع عالميًّا ازداد الاهتمام والطلب على الكتب الإسلامية وخاصة الكتب التى تتحدث عن فريضة الجهاد وأفغانستان والشيخ أسامة بن لادن[١].

(١) انظر: القدس العربى لندن عدد ٣٨٧٩ يوم ١٠ شعبان ١٤١٢ هـ الموافق ٤ نوفمبر ٢٠٠١م.



* **أغلى هدية:**

كما صدر فى الأسواق البريطانية عدد من مجلة (منظور) يحمل لأول مرة هدية مجانية للقارئ عبارة عن ترجمة كاملة لمعانى القرآن الكريم على قرص إلكترونى وهو اختيار المجلة من بين آلاف الاقتراحات التى طلبتها من أجل خدمة القارئ للتعرف على الإسلام وفهم الإسلام(١).

* * *

* **محكمة أمريكية تسمح بتدريس القرآن فى الجامعة الأمريكية:**

كما أن محكمة أمريكية قد قضت بالسماح لجامعة نورث كارولينا بتدريس كتاب عن القرآن الكريم لطلابها بعدما رأت المحكمة أن تدريس القرآن الكريم لا يمثل تهديداً للحريات فى أمريكا كما حاولت أن تدَّعى بعض الجهات العنصرية ورفضت المحكمة طلبًا قدَّمه محامون يمثلون جمعية أمريكية محافظة فى يوليو ٢٠٠٢م تنادى بعدم السماح بتدريس كتاب عن القرآن الكريم.

* **البطريرك الأمريكى:**

**الإسلام أكثر الديانات انتشاراً وكتب المسلمين ارتفعت مبيعاتها إلى أعلى وتيرة بعد الأحداث!!!**

وفى جلسة الحوار بين وفدى رابطة العالم الإسلامى ومجلس إدارة جمعية السلام فى الشرق الأوسط نبَّه البطريرك جون شان

---

(١) انظر: المرجع السابق.

بيثون رئيس الجمعية فى أمريكا إلى أن كثيرًا من الأمريكيين يجهلون الإسلام ويجهلون التعاليم الإسلامية التى جاء بها النبى محمد ﷺ ، وأشار إلى حقيقة أن بعض الأمريكيين يخافون الإسلام، لأنهم يجهلونه ولفت الانتباه إلى ظاهرة مهمة، وهى (ظاهرة ارتفاع مبيعات الكتب الإسلامية إلى أعلى وتيرة لها فى أمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر) وأقر أن الإسلام الدين الأكثر انتشارًا فى العالم. وسبق لجيمس متشنر أن أكَّد هذه الحقيقة المعاصرة عندما قال: (لعل القرآن هو أكثر الكتب التى تُقرأ فى العالم وهو بكل تأكيد أيسرها حفظًا وأشدها أثرًا فى الحياة اليومية لمن يؤمن به، فليس طويلاً كالعهد القديم ومن مزاياه أن القلوب تخشع عند سماعه وتزداد إيمانًا وسموًّا).

*** دعوات إلى تدريس الإسلام:**

وقد برزت دعوات واقتراحات واضحة بتعليم الإسلام فى المدارس والجامعات الأمريكية، ففى اجتماع مغلق مثلاً بين د/ وليد فتيحى مع حاكمة ولاية ماسوتشى لإيجاد مادة لتعليم الإسلام فى المدارس كمنهج دراسى لتوعية الشعب ومحاربة العنصرية ضد المسلمين الناجمة عن جهل الشعب الأمريكى بالإسلام وتمت الموافقة والتأييد من حاكمة الولاية وبدأت الخطوات لدراسة كيفية تحقيق هذا الهدف(١).

---

(١) انظر: مجلة المجلة لندن ٢ ديسمبر ٢٠٠١ مقالة لفهمى هويدى.

ولم تقتصر الدعوة لتعليم الإسلام على الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ولكنه امتد إلى كثير من بلدان العالم ولكنى هنا أقدم ٣ أمثلة فقط:

* دعا الكونجرس الإسلامى الكندى إلى إنشاء كلية للدراسات الإسلامية تتبع إحدى الجامعات الكندية الكبرى تتولى تخريج الأئمة والدعاة فى كندا التى وصل عدد المساجد فيها إلى أكثر من ٢٠٠ مسجد، وقدم مشروعًا إلى وزارة التعليم الكندى لتدريس الإسلام فى المدارس الكندية، كما دعا إلى مؤتمر لبحث مستقبل المسلمين الكنديين[1].

وكان رئيس وزراء ولاية سكسونيا السفلى فى ألمانيا قد دعا أيضًا إلى تعميم تدريس الإسلام على كل المدارس وعدم حصره على عدد قليل من المدارس فى بعض المدن الكبرى واعتبر أن هذا هو الأسلوب الوحيد لدمج المسلمين فى المجتمع الألمانى بعد أن باءت كل المحاولات السابقة بالفشل[2].

وانطلقت دعوات ألمانية للاعتراف بالإسلام! حيث أيَّد وزير الداخلية الألمانى المطالبة بالاعتراف بالإسلام رسميًّا، ودعا المؤسسات الإسلامية الواسعة الانتشار فى ألمانيا بالمساعدة على جعل الاعتراف

(١) انظر: صحيفة البلاغ اليمنية ١٤٧١ يوم ١٠/ ٩/ ١٤٢٢هـ، الموافق ٢٥/ ١١/ ٢٠٠١م.

(٢) عن التقرير الإخبارى اليمنى العدد ١١٠٤٨ يوم ١٥ جمادى الأولى، الموافق ٢٥/ يوليو ٢٠٠٢م.



بالإسلام غير متعارض مع القوانين والمفاهيم الحقوقية الألمانية، وأضاف الوزير الألمانى بأنه لا يمانع كذلك فى السماح بتدريس الإسلام للتلاميذ المسلمين فى المدارس الألمانية أو أن تكون هناك مدارس إسلامية، بدعم من الحكومة الألمانية طالما أن الأمر لم يتعدَّ إطار الحرية والقوانين التربوية(١)، ولكنه عاد وانساق تحت موجة الضغوط اليهودية العالمية بعد أحداث ١١ سبتمبر.

أما د/ أيوب كوهلر الاقتصادى الألمانى المسلم فقد قال بأعلى صوته:

[ إن الإسلام هو الذى حل مشكلة الفقر، وإن ألمانيا يعيش فيها أُناس تحت مستوى الفقر المدقع نظرًا لهمجية الرأسمالية المنحرفة، وجشعها الذى زاد الفقير فقرًا، والغنى غِنىً، ودعا إلى إنشاء قسم للاقتصاد الإسلامى فى الجامعات والمؤسسات الاقتصادية الألمانية ](٢).

* * *

---

(١) انظر: مجلة المجتمع العدد ١٣٣١ صادر فى ٤ رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ٢٢ - ١٢- ١٩٩٨م.

(٢) انظر: تفاصيل حفل توزيع جوائز المجلس الإسلامى الأعلى فى معرض فرانكفورت للكتاب الدولى الذى تم فيه تكريم السفير د/ مراد هوفمان صاحب كتاب {الإسلام كبديل} الذى آثار ضجة واسعة فى الأوساط العالمية. وتم تكريم د/ أيوب الاقتصادى الألمانى المسلم الذى قدم خدمات جليلة للإسلام والدعوة الإسلامية فى ألمانية وغيرهم فى العدد ٦٤١ صحيفة المسلمون الصادرة ١٠ محرم ١٤١٨ هـ الموافق ١٦ مايو ١٩٩٧م.

# نور الإسلام يضىء السجون الأمريكية

[إن الإسلام دين الله الحق... وهو دين جذاب ويسير وليس بالعسير لأنه دين الفطرة]... هكذا عبَّر أحد علماء النفس الأمريكيين وهو يرى كل مليارات وجهود الحضارة الغربية المعاصرة تفشل فى إصلاح الناس خارج وداخل السجون وأصيبت كثير من الجهات الرسمية هناك بالإحباط وخيبة الأمل بينما يحاول البعض منهم التشبث بأى نوع من الأمل حتى قال قائلهم: [إذا كان الإسلام هو الحل تفضلوا علموهم الإسلام هنا].

* * *

## الأثر الشامل العجيب لحفظ القرآن الكريم على السجين:

ومما يثلج الصدر أن يتسابق نزلاء السجون على دراسة وحفظ كتاب الله تعالى، وتفهُّم معانيه وأن تمتلئ قلوبهم وتكتظ أوقاتهم بهذا الخير، فتتحول السجون إلى دور تعليم وتأهيل ومدارس فلاح واستقامة، لا إلى زنزانات مظلمة يملؤها الخوف واليأس، فالمعلوم أن السجين يعانى من الإرهاصات النفسية وينتابه التوتر والقلق فإذا خلا مع كتاب الله عز وجل، وأخذ ينهل منه زالت عنه وساوسه وإرهاصاته النفسية، فضلاً عن أثر هذا على إصلاح سلوك السجناء وحسبك القرآن مصلحًا، وبعضهم يتجه للقرآن رغبة فى الخلاص من السجن فقط لا غير، فيكون سببًا لهدايته... وحدث أن دخل السجن مرة شاب طائش لم يسلم من شره أحد فى منطقته، فيشاء

الله أن يتجه إلى حفظ القرآن وبدأ يقرأه ساخرًا ثم صار يقرأه باكيًا فحفظ القرآن الكريم كله، وحَسُنت أخلاقه، وزان منطقه وأدبه، فلا شك أن قراءة القرآن وتلاوته وحفظه وتدبره من أسباب الصلاح والهدى، ولا شك أن إنارة عقول السجناء وتبصيرهم بأخطائهم، ثم بدينهم من أسباب إقلاعهم عن الجريمة والخطأ، فالقرآن الكريم يهدى قارئه إلى كل خير، وكم يقرأ الإنسان القرآن لمقصودٍ آخر، ولكن الله يأبى إلا أن يكون له... كما قال بعض السلف: تعلمنا العلم للدنيا، فيأبى الله إلا أن يكون له(١).

* * *

## إسلام أكثر من ٣٠٠ ألف سجين وتحول الجناة إلى دعاة!!

ولا زالت المعجزة العظيمة تتجدد... فإذا بالدين الذى حوَّل رعاة الإبل إلى سادة الدنيا، وحوَّل الجاهلين إلى أهل حضارة راقية، وحوَّل عَبَدة الأصنام الذين صنعوا آلهتهم من التمر والحلوى، وإذا جاعوا أكلوا ربهم، إلى أهل إيمان بالله وتقوى وعزة وسعادة فى الدنيا والآخرة، وحول الذين كانوا يئدون الفتيات عند ولادتهن ويدفنونهن فى الرمال، إلى مكرمين للمرأة وحقوقها ومكانتها، فالنساء شقائق الرجال، ولا فضل لذكر على أنثى ولا أبيض على أسود ولا سمين على نحيف إلا بالتقوى... إذا بهذه

(١) انظر: القرآن يطلق سجناء السعودية العدد ٦٢٧ صحيفة المسلمون الصادرة فى ٢٩ رمضان ١٤١٧هـ، الموافق ١٩٩٧م.

المعجـزة تتجدد فى خواتيم القـرن العشرين الميـلادى ومطلع القرن الواحد والعشـرين الميلادى. . . فبتحول الـسجناء فى أمريكا ليس فقط إلى مواطنين صالحين، مـسلمين هادئين ولكن أيضًا إلى دعاة خيـر وحب وتقوى وبُناة مـجتـمع صحيح وسليـم، ويحدث هذا التحول الـعظيم ليس فقط لأفراد قلائل من النسـاء والرجال، وإنما لأفواج تلو أفواج، تتدفق إلى عالم جـديد أراده الله لها، فارتضته فأصبح عـدد السجناء الذين اعتنقوا الإسـلام أكثر من ٣٠٠٠٠ مسلم جديد، أصبح بينهم ١٠٠٠ داعـية يحفظون القرآن الكريم، ويجسـدون السنة المطهـرة فى سلوكياتـهم ما استطاعـوا إلى ذلك سبيلاً، وتجاوزوا مَن كان قبلهم. . . وسبحان الله والحمد لله على نور الإسلام، الذى يضـىء القلوب، وسنقدم تفاصـيل كثـيرة فى الفصول القادمة من أجزاء كتابنا هذا بإذن الله [1].

* * *

## ارتفاع أول مئذنة فى سماء روما وإسلام أكثر من ٥٠٠ إيطالى

بعد ألفى عام منذ ولادة عبد الله ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام وبعـد أكثـر من ١٤١٨ عام، على بعثـة عبـد الله ورسوله سيـدنا محمـد ﷺ، ترتفع فى سمـاء روما عاصـمة النصـرانية

(١) الإسلام المعجزة المتجددة (ص: ٥٠٤ - ٥١٥) بتصرف.

الكاثوليكية أول مئذنة [1] ترفع النداء الخالد: (الله أكبر . . . لا إله إلا الله. . . محمد رسول الله)، وتوصل رسالة التوحيد من خلال المسجد والمركز الثقافى الإسلامى وغيره من وسائل الدعوة الإسلامية فى أرقى أحياء العاصمة الإيطالية (باريولى)، المسلمون والعالم كانوا على موعد مع حدث كبير يمثل نقطة مضيئة فى خواتيم القرن العشرين الميلادى وبالتحديد فى يوم ٢١ يونيو ١٩٩٥م أى ٢٣ محرم ١٤١٦هـ، يوم افتتاح أول وأكبر مسجد فى روما، والمركز الثقافى الإسلامى الجديد فأصبحت روما تسمع صوت الأذان على بعد حوالى ١٠ كيلو متر تقريبًا، من مقر الكنيسة العالمية وبابا الفاتيكان، ويضم مركز ثقافى مجهز بقاعات للاجتماعات والمحاضرات، ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ومعهد لتعليم اللغة العربية وساحة ومصلى خارجى وإذا بإيطاليا تفسح شوارعها لمليون مسلم كانوا يقطنون فيها ليمارسوا بكل اعتزاز فرائضهم علنًا بمجرد تنسُّم هواء الحرية، إنه يوم مشرق فى تاريخ الإسلام، الذى انطلق من الرحاب الطاهرة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ووصل إلى أنحاء الكون كله، لقد كان وجود المسجد فى روما حلمًا يراود كل مسلم منذ عدة عقود؛ ليكون صرحًا للمسلمين هناك يعكس حضارتهم وثقافتهم وتعاليم دينهم الحنيف ويشكل مركز إشعاع يغطى أوروبا من قلب روما عاصمة الكنيسة

(١) انظر: العدد ٥٤٢ صحيفة المسلمون الصادرة فى ٢٥ محرم ١٤١٦ هـ الموافق ١٩٩٥م.

العالمية[1]، وقد لقى المسجد معارضة كبيرة هناك، ولا زالت تحاول منعه من أداء رسالته وصلت حداً فاضحاً عندما أعلنت صحيفة «لاريبوبليكا» اليومية الإيطالية على صدر صفحة من صفحاتها بالخط العريض على خمسة أعمدة: [بدأت الحرب الصليبية ضد المركز الإسلامى فى العاصمة الإيطالية روما]، لكن مع فارق واحد هو أن تعبيرها كان على كل أعمدة الصفحة النصفية: [حرب مقدسة على القمامة] وحقيقة الأمر أن بلدية العاصمة اتخذت أسرع وأغرب قرار بإقامة مستودع للقمامة فى مواجهة المركز الإسلامى فى روما، والمسجد على بُعد لا يزيد على ١٥٠ متراً فقط لا غير، ووجد المسئولون عن المسجد أن هذا القرار ليس له معنى ولا يحمل أى هدف سوى الإساءة للمنطقة التى أقيم فيها المسجد والمركز الإسلامى باتفاق رسمى مسبق مع الحكومة الإيطالية فى منطقة باريولى التى تُعد من أفضل مناطق روما وأكثرها نظافة وكان هذا قبل افتتاحه رسمياً، فالمنطقة المذكورة التى تحيط المركز الإسلامى مكسوة بالخضرة، وقامت إدارة المركز بتلبية طلب أهل المنطقة بزراعة الأرض الخالية حفاظاً على طابع المنطقة، الذين وجدوا فى قرار البلدية أمراً مسيئاً إليهم أيضاً ومضراً بهم وأيَّدوا موقف المسلمين، وكما أساءت البلدية بفعلتها أساء بعض الإيطاليين إلى الإسلام فى بحوثهم ودراساتهم وأجهزة إعلامهم تديرها قوى خفية تهدف إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين.

---
(١) انظر: المرجع السابق.

ولكن مظاهر الحق ستعلو بإذن الله فـ ﴿لِّكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1] فأوروبا وخاصة (روما) المريضة الشقية المبتلاة بالحضارة المعاصرة المزعومة تتطلع إلى مدد السماء وهدى الله، فلا ولن تجد سوى الإسلام طوقًا للنجاة مما هى فيه من بلاء، فالوعد الإلهى للمؤمنين بالنصر هو وعدٌ دائم، وما تحقق فى عهد الخلفاء الراشدين ﷺ من تمكين يمكن أن يتحقق لمن بعدهم إذا خلصت النوايا بإذن الله، وقد بشَّر النبى ﷺ بفتح القسطنطينية وورومية وارتفاع أول مئذنة فى روما بشارة باقتراب إشراقة شمس الإسلام مهما كانت المحن والصعاب والعثرات إنها بشارة تملأ القلب يقينًا بأن الغد للإسلام إن شاء الله.

ولقد أعلن أكثر من ٥٠٠ كاثوليكى فى إيطاليا فى فترات متقاربة وعلى شكل مجموعات اعتناقهم لدين الإسلام فى لحظات مؤثرة على النفس البشرية أنزل فيها الخالق عز وجل سكينته على تلك المجموعات ومن شاهدها أو قرأ عنها لحظة الحدث العظيم، انتقال أولئك الأفواج من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى ومن العمى إلى البصيرة، وأين؟ فى عاصمة الفاتيكان الضالين ومتى؟ فى أوج ازدهار نشاط البابا يوحنا لنشر ضلاله فى العالم آخر القرن العشرين الميلادى.

من المهم الإشارة إلى الدور العظيم الذى قام به الشيخ أحمد ديدات (رحمه الله) فى جنوب إفريقيا والعالم لبيان التحريف

(١) سورة الأنعام: الآية: (٦٧).

المعاصر فى الأناجيل وشرح القرآن الكريم لبنى قومه والعالم بلغات متعددة، وكان الشيخ أحمد ديدات قد وجَّه دعوة إلى بابا الفاتيكان لاعتناق الإسلام خضوعًا لأمر الله تبارك وتعالى واستجابة لقول المسيح عليه السلام وجميع الأنبياء الذين نؤمن بهم جميعًا، ودعاه إلى إجراء حوار ليتضح له الحق... ونسجل هنا دعاء إلى الله عز وجل، أن يكتب له ولأمثاله من علماء المسلمين خير الجزاء، وخير الأجر.... آمين(١).

* * *

## توقع كنسى بتفوق الإسلام وتزايد المسلمين

وكشفت دراسة لمؤسسة نصرانية أن عدد المسلمين الملتزمين فى بريطانيا سيفوق قريبًا مع دخول الألفية الجديدة عدد النصارى المواظبين على طقوس الكنيسة الإنجليزية... جاء ذلك فى تقرير نُشر فى صحيفة (الصنداى تايمز) وأشارت أنه استنادًا على النتائج التى تم رصدها فى السنوات الأخيرة فإن من المتوقع أن يزيد عدد المسلمين بالنظام فى الوقت الذى يتم فيه بناء ١٠٠ مسجد بينما ينتقص عدد النصارى الذين يحضرون الطقوس الدينية.

**وقال د. بيتر يزلى:** (المدير التنفيذى لجمعية الأبحاث النصرانية التى أعدت الدراسة أن الأرقام تبرز مدى قوة الإسلام... أسرع الأديان نموًّا فى العالم).

---

(١) الإسلام المعجزة المتجددة (ص: ٥١٩- ٥٢٢).

## دعوة قادة الكنيسة للتعلم من جاذبية الإسلام!

ودعا ستيفن كانترى قادة الكنيسة إلى التعلم من جاذبية الإسلام وطرق الدعـوة إلى دين الإسلام بدون الاعـتـماد على الإغـراءات والمال والمتـعة وغيـرها. . . وأشار فى دعـوته أن من أسبـاب تلك الجـاذبية عند الشـباب، أن المسلـمين يدعـون إلى دينهم من زاوية العدالة الاجتـماعية، وكانت دراسة أعـدتها مؤسسة نصـرانية، قد أشـارت إلى عدد الداخلـين فى الإسلام، وقـوة التـزامن مقـارنة بضعف وتناقص عـدد الذين يمارسون طقوس الكنيـسة، وأشارت تقديراتها المحدودة آنذاك أن عـدد الذين يذهبون إلى المساجد سنويًا يزداد فى بريطانـيـا عن ٣٢ ألف مـا بين ١٩٩٢/ ١٩٩٤ مـقـابل انخفـاض بمقدار ١٤ ألف سنويًّا فى عدد المترددين على الكنيـسة هناك وعبَّر الأساقفة عن قلقهم من تزايد الاتجاه نحو الإسلام.

* * *

## محطة الـ CNN ... الإسلام دين عالمى!

أعلنت محطة الـ **CNN** الأمـريكية أن الإقـبال على الإسـلام يعتبر الأكبر عالميًّا، واستشهدت بالأعداد والأفواج الداخلة تباعًا فى دين الإسلام، وبكثـرة انتشار نهضـة بناء المساجد ومدارس تحـفيظ القرآن الكريم والمراكز الإسـلامية وقوافل الدعاة المنتـشرة فى أرجاء الأرض ودللت على ذلك ببناء أكثر من أربعة آلاف مسجد، وجامع

فى أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية ويلاحظ كذلك أن فرنسا تعتبر الإسلام الديانة الثانية من حيث عدد الأتباع؛ إذ يصل عدد المسلمين فيها إلى قرابة ٣ ملايين نسمة حسب مصادر وزارة الداخلية و٥ ملايين حسب مصادر أمن الإقليم وتقرير المجلس الأعلى الفرنسى للإدماج وبين تحقيق أجرته وزارة الداخلية الفرنسية سنة ١٩٩٨م، أن الشعائر الإسلامية لا تُمارَس فقط فى المساجد الرسمية المعروفة فى فرنسا، بل أيضًا فى عدد لا حصر له من قاعات الصلاة التابعة للخواص والموجودة فى المصانع والمراكز الثقافية والمساكن الجماعية للمهاجرين المسلمين وحسب نفس التحقيق فإن عدد المساجد فى فرنسا الذى كان لا يتجاوز ١٤٠ مسجدًا سنة ١٩٧٦م، ارتفع إلى ٨٥٠ مسجدًا سنة ١٩٩٤م وهو يتعدى الألف مسجد حاليًا منها ثمانية مساجد تتسع لأكثر من ألف شخص و١٠٠ مسجد يتسع لما بين ١٠٠ - ٦٠٠ شخصًا وحوالى ٩٠٠ قاعة صلاة صغيرة، تضم ما بين ١٠ إلى ٤٠ مكان، وكذلك بريطانيا أصبحت تحتضن الآلاف من المساجد والمراكز الإسلامية.

وتلك القراءة من المحطة الأمريكية لواقع انتشار وتقدم الإسلام فى أمريكا يمكن تعميمها عالميًا وهى تستمد قوتها من تسخير الله لجهود مخلصة يقوم بها دعاة مخلصون يحملون هم الإسلام ويجاهدون فى سبيل الله [1].

---

(١) الإسلام المعجزة المتجددة (ص: ٥٢٤ - ٥٢٥).

# ٢٠ قسيسًا على أرض الكنانة يدخلون في دين الله أفواجًا!!!

والحمد لله فقد شهدت عاصمة أرض الكنانة مشهدًا يهز الوجدان بعنف من جلاله وعظمته إذ أعلن ٢٠ قسيسًا إسلامهم بعد فترة قضوها فى التنصير ويقول زعميهم القس السابق (جيمس): (كنت أقود أكبر حركة تنصيرية فى الشرق الأوسط إذ كنت أشرف على ٢٢ مركزًا للتنصير، وكان يشرف علينا ٣ من أمريكا والفاتيكان، وبعد دراستى وتعمقى فى (علم اللاهوت) توثقت علاقتى بالمستشار الثقافى السعودى بالسودان، فكان يفتح لى المكتبة بالسفارة وكنت أطلع على الكتب الإسلامية وبعدها طلبت أنا وزملائى حوارًا مع علماء الإسلام وكان ما طلبنا، وتم الاتفاق على ذلك وبحضور كبير قساوسة مصر السابق الذى اعتنق الإسلام قبل فترة وجيزة آنذاك، وبعد ست ليال متوالية من النقاش الحاد اقتنعنا بالإسلام واعتنقناه.

**وقال:** (والآن بعد دخولى فى الإسلام سأقوم بالدعوة إلى الإسلام وإذا كان قد دخل فى الدين النصرانى أعداد هائلة على يدى ويد زملائى فى السودان، فإن ٢١٠٠٠ ينتظرونني ليتعرفوا على الإسلام وإن شاء الله يعتنقونه، ولكن نريد مدَّ يد العون والمساعدة لكى يتعلم الناس دينهم... إننى أقول لكم أن

الخـواجات يـأتون من أمريـكا والفاتيـكان وكل بلاد أوروبا، لكى يقـوموا بعـمليـات التنصـير لأديان باطلة، فلـماذا لا نقـوم نحن المسلمـون بالدعـوة إلى الـدين الحق الإسـلام، وإننى أُحـمِّل هذا العبء كل شاب مـسلم؛ لأن هذا دور الشبـاب بل وكل مسلم فى المجتمعات.

* * *

## رئيس الدعاة فى رواندا كان قسيسًا و ٣٠ قسيسًا أفريقيًّا يدخلون فى دين الله أفواجًا!!

كما أن أكثر من ٣٠ قسيسًا إفريقيًّا قد أعلنوا إسلامهم، بل إن رئيس الدعاة إلى الله فى (رواندا) كان قسـيسًا، ولكنه الآن أصبح رجلاً داعيـة من الطراز الأول، لا يستطيع أن يعيش يومًـا واحدًا، دون أن يقـوم بواجبـه فى الدعـوة إلى الله... بل ومن الطرائف التى رواها عنه الشيـخ د. عبـد الرحمن السـميط حـفظه الله فى محـاضراته عن أحوال الإسـلام فى إفريقيـا: (إنه كان فى يوم من الأيام مـريضًا بالحـمى ولم يسـتطع البـقاء فى فـراشـه فطلب من زوجتيه أن تحمـلانه إلى باب المنزل وبدأ يحدث بعض المارة وجعل بعضهم يعتنق الإسلام والحمد لله).

* * *

## خمسة قساوسة إثر مناظرة علمية يدخلون فى دين الله أفواجًا!!!

وأشهر خمسة قساوسة إسلامهم وذلك بعد مناظرة استمرت ٣ أيام بينهم وبين جماعة من الدعاة المسلمين وتمت المناظرة بأسلوب علمى، وقد دارت حول الإسلام وأحكامه وعلاقته بالإنسان واستخدم فيها منهج المقارنة بين الإسلام والديانات والعقائد والمذاهب الأخرى، وذلك فى جو من الحرية التامة والصفاء النفسى بعدها أكد هؤلاء القساوسة أن الإسلام يعتمد على الكلمة والمعاملة الحسنة والأسلوب الهادئ، الأمر الذى يمكنه أن يسحب البساط من تحت المعتقدات والمذاهب الأخرى، فضلاً عن أنهم قد أدركوا أن للقرآن الكريم قوة تستند على منهاج حيويته، حيث مثَّل نموذجًا متميزًا فى الحياة الاجتماعية اليومية قائمة على العدالة والمساواة وعدم التفضيل إلا بالتقوى والصلاح.

* * *

## أربعة قساوسة وأكثر من ٩٠٠ شخصًا فى تشاد يدخلون فى دين الله أفواجًا!!!

وأعلن ٤ قساوسة وأكثر من ٩٠٠ شخص فى جنوب أفريقيا دخولهم فى الإسلام فى لحظة نورانية عظيمة[1] وكذلك العشرات

---

(١) انظر: العدد ٥٣٨ صحيفة المسلمون صادر فى ٥ محرم ١٤١٤ هـ الموافق يونيو ١٩٩٣م.

من سكان العاصمة التشادية نيجامينا، أعلنوا إسلامهم دفعة واحدة، وقامت الندوة العالمية للشباب الإسلامى بتقديم المساعدة لهم ليحسن إسلامهم، وتعليمهم فرائض الإسلام.

كما دخل فى الإسلام أفواج من القرى والمدن؛ فإن حقيقة الإسلام وطمأنينة الإيمان وأجرها فى الدنيا قادت أفواجًا من الأسر إلى الدخول فيه واعتناقه وحبه، إيمانًا بالله وتصديقًا لرسوله الكريم محمد ﷺ .

* * *

## قسيس فى الجيش الأمريكى وأكثر من ٧٠٠٠ ضابط وجندى نساءً ورجالاً اعتنقوا الإسلام أثناء تواجدهم فى الخليج والجزيرة العربية

عرضت قناة الـ MBC برنامجًا وثائقيًا عن حرب الخليج قدمت فى إطاره عددٌ من الضباط والجنود والموظفين الأمريكيين، الذين اعتنقوا الإسلام أثناءها وكما تناولت الصحف خبر اعتناق عدد من الأمريكيين الإسلام خلال تلك الفترة، وكان بين الذين أشهروا إسلامهم قسيسًا أمريكيًا من أصل (سيرلانكى)، بعد مناظرة عُقدت أمام حشد من القوات الأمريكية وبعدها بدأ دخول أعداد كبيرة من الجنود الأمريكيين فى الإسلام، ويُقدر عدد الذين اعتنقوا الإسلام خلال تلك الفترة حوالى ٢٠٠٠ شخص حسب مصدر رفيع

المستوى بإدارة التوجيه الدينى بالمنطقة الشرقية فى السعودية، وأكثر من ٣٥٠٠ حسب مصادر شعبية مستقلة فى المساجد والمصليات هناك، بينما أعلن عن ارتفاع العدد إلى أكثر من ٥٠٠٠ مسلم فى نهاية الحرب وتزايد عددهم فى البنتاجون أثناء عودتهم إلى بلادهم؛ إذ كسبوا إلى دين الله الحق الإسلام آخرين من أهلهم وذويهم وأصدقائهم إضافة إلى زملاء لهم فى إطار القوات المسلحة الأمريكية(١).

* * *

## لحظة التحول إلى الإسلام تحققت لرئيس الأساقفة التنزانى

كانت رغبة أسرته أن يتبحر فى علوم النصرانية ليكون أُسقفًا فسافر لدراسة النصرانية فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى الوقت نفسه كان قد بدأ فى قراءة معانى القرآن الكريم وبعض الكتب الإسلامية المترجمة حيث كانت تدور فى ذهنه تساؤلات وشكوك كثيرة جعلته كما يقول يقارن بين القرآن الكريم والإنجيل وبالتالى وجد أنه من الضرورى أن يفكر أكثر إلى أى مدى يستطيع أن يكون قريبًا من الله وبالتالى كان عليه أن يدرس ويتعمق أكثر وهو يتساءل

(١) نشر الخبر فى حينه بالصحف السعودية ومنها صحيفة المدينة ونقلته الصحف العربية وبعد سنوات قدمته القنوات الفضائية.

لماذا لا نمتثل لأوامر الله، ولا نلتزم بها؟ وبدأ يتابع ما يفعله المسلمون ويواظب على قراءة تفاسير القرآن الكريم وترجماته حتى استشعر بقناعة تامة بأن الدين الإسلامى هو الدين الحق، فلم يجد بُدًّا من أن يعتنقه ويُشهر إسلامه فى ديسمبر ١٩٨٦م، الغريب فى الأمر أن (جون موايبوبو)، الذى تدرج فى مراتب الكنيسة حتى وصل إلى رتبة رئيس الأساقفة فى تنزانيا بعد أن اعتنق الإسلام، وتسمَّى باسم (أبى بكر) لم يكتفِ بإسلامه، بل اجتهد بأن يأخذ بيد غيره من النصارى الذين كانوا يترددون على الكنيسة، ويلقى عليهم المواعظ والدروس، حتى استطاع أن يقنع أكثر من خمسة آلاف شخص للدخول فى دين الإسلام.

ويذكر الداعية المسلم (أبو بكر) أنه قد صادف كثيراً من المشكلات التى استهدفت أن تُثنيه وترده عن دينه الجديد غير أنه لم يُعرْها أى اهتمام فحسبُه الله مؤيداً ونصيراً، فقد حدث أن قام بعض المتطرفين النصارى بإحراق منزله أثناء وجوده خارج بلاده وراح ضحية لهذا الحريق طفلاه التوأم من إحدى زوجتيه المسلمتين اللتين اقترن بهما بعد أن افترقت عنه زوجته النصرانية، كما تعرض منزله لحريق آخر تم خلاله إحراق جميع الأشرطة التى سجل عليها مراحل حياته من (النصرانية) إلى (الإسلام)، إضافة إلى أشرطة تحدث فيها عن بشارات الإنجيل بمقدم النبى محمد ﷺ، وغيرها فضلاً عن أنه تعرض لمحاولات قتله أكثر من ٣ مرات، وما زالت

المحاولات تتواصل لقتله، ومع ذلك فإنه يردد قائلاً: (أنا أشعر براحة واطمئنان لأنى استشعر الآن أن الله معى)[1].

* * *

## إسلام كبير أساقفة جنوب إفريقيا!!

فى مدينة جنيف السويسرية أعلن كبير أساقفة «جوهانسبرج» فريدرك دولا مارك اعتناقه الإسلام واهتزت الدوائر النصرانية لهذا النبأ، الذى شكَّل فى لحظته مفاجأة كبرى لها، وسادت الدهشة والذهول أركان الكنيسة الكاثوليكية، عندما أعلن كبير أساقفة جنوب إفريقيا أنه درس الإسلام ووجد صورة أخرى للمسيح عيسى عليه السلام، مما أحدث فى نفسه الأثر البالغ والعميق، وأعلن فور إسلامه استعداده للقيام بواجبه الإسلامى فى التعريف بحقيقة الإسلام، والعمل على نشر تعاليمه فى أنحاء القارة الإفريقية والعالم، ولم تُخف الكنيسة والدوائر النصرانية عامة قلقها وخشيتها، من تأثر عدد كبير من قادة العمل التنصيرى بسبب إسلام كبير الأساقفة، الذى اشتهر برجاحة عقله وإنصافه للحقيقة.

* * *

(١) الإسلام المعجزة المتجددة (ص ٥٤١ - ٥٤٢).



﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾

## قادت القس ولد قرقس إلى الإسلام

## فأصبح الداعية النشط عبد الله محمد إبراهيم!!

وهذا القس السابق ولد قرقس، الذى التحق بالدراسات الخاصة بعلم اللاهوت، التى تؤهل من يجتازها للعمل فى الكنيسة، ونجح نجاحًا باهرًا فرسموه قسيسًا ونال على جهده ثناء رؤسائه الذين كافؤوه ببيت مؤثث تأثيثًا فاخرًا وراتب كبير، وسيارة فارهة، وجوازًا عالميًّا وجعلوه رئيسًا للشباب النصرانى فى الحبشة، كحافز له على ما بذله من الجهد، وتنصير أكبر عدد من الناس وتوقع له الجميع مستقبلاً كنسيًّا كبيرًا وكان لا يزال فى العشرين من عمره.

حقق أمنية والده الذى عندما بشروه به عند ولادته، تمنى أن يصبح ولده قسيسًا كبيرًا وحمله ووضعه تحت تمثال يرمز عندهم إلى المسيح عليه السلام، وأمه السيدة مريم العذراء أملاً أن يحظى ببركة التمثال وأن تتحقق أمنيته، وكما هى عادتهم أخذوه إلى الكنيسة الكبيرة فى أسمرا العاصمة الإرترية ليُعمده القس الأكبر على طريقتهم، وكان والده أيضًا متعصبًا للنصرانية، ولا يقبل فى آراء القسس أى نقاش، وهكذا نشأ الابن أيضًا، وذات مرة لفت انتباهه أمر مهم كان بداية نقلة جديدة فى حياته، كانت الخطوة الأولى فى طريق الابتعاد عن

النصرانية المحرفة إلى رحاب الإسلام والإيمان الحق.

ذات مرة عثر سكرتيره على مجموعة أوراق قديمة فى مخزن الكنيسة بينها ورق من كتاب مقدس من العصور القديمة أذهلته عندما قرأ نص ما فيها وهو (رسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فاتبعوه) كان الأمر خطيرًا فالورقة تهدم كل الأسس التى بنى عليها إيمانه بالنصرانية، وتهدم كل ادعاءات القسس والرهبان، وتكشف التحريف الحاصل فى الأناجيل التى اعتمدوها، فحمل الورقة معه إلى القس الأكبر ليجلى له الأمر واضطرب القس الأكبر أمام هذا الدليل، ولكنه تمالك نفسه بسرعة، وطلب من القس ولد قرقس بلهجة آمرة ألا يقرأ مثل هذا الكلام مرة أخرى، فهو غير سليم وإن الذين كتبوه من السابقين كان علمهم بسيطًا، ولا يعرفون شيئًا ولا يُعترف بقولهم، وطلب منه ألا يناقش هذا الأمر مع أحدٍ أبدًا ثم أخذ منه القس الورقة وأخفاها، ولم يقتنع القس قرقس بما قاله كبير القسس وتملَّكه إحساس أن القس الأكبر يحاول إخفاء الحقائق، ولأن تربيته النصرانية مؤثرة تأثيرًا عميقًا عليه فقد ظل على النصرانية وإن راوده الشك فى صحتها.

ثم جاءت حادثة أخرى لتثبت له حقيقة شكه وبطلان ما هو عليه كان ذلك حلمًا عظيمًا قاده خطوة أخرى إلى رحاب الإسلام والإيمان الحق فقد رأى (أن رئيسه يأمره بالنزول فى بئر عميقة لاستخراج جهاز سقط فيها وشجعه أصحابه على النزول فى البئر

حين رأوا تردده فنزل وأخذ الجهاز وبينما كان صاعدًا من البئر لمح كتابة لم يفهمها ولكنه حفظ رسمها) وذهب فى اليوم التالى إلى القس الأكبر ليجلى له الرؤيا ففسر ذلك الحلم بأنه سيصبح ثريًّا ولم يقتنع ولد قرقس بهذا التفسير، فذهب إلى أحد المسلمين اشتهر والده بمقدرته على تفسير الرؤيا، وهو إمام مسجد صغير فطلب منه الرسم الذى حفظه عن الرؤيا، وما كاد يراه بعد كتابته حتى علت صيحة إمام المسجد (أتدرى ما تعنى هذه الكلمات؟!، إنها تعنى لا إله إلا الله، فأبشر فإنها دليل هدايتك إلى طريق الحق، وما خروجك من البئر إلا تعبير عن انتقالك من الظلمات إلى النور)، ثم انطلق الشيخ إمام المسجد يحدث ولد قرقس عن الإسلام، مما أثار غضب ولد قرقس آنذاك انتصارًا لما كان يؤمن به وانصرف حانقًا وكلمات الشيخ ترن فى أذنيه وتتردد فى صدره لتستقر فى أعماقه.

ومرت عدة سنوات يدرس الإسلام ويعايش الواقع ويلمس التحريف ويرى التناقضات فى النصرانية، التى دفعته إلى الشك فى عمله ووصل إلى دراسة القرآن الكريم ولمس احترام الإسلام للسيد المسيح عليه السلام مما جعله يتشكك أكثر فأكثر فى صحة المذاهب المتناقضة فى النصرانية، ويميل إلى تصديق الإسلام العظيم آخر الرسالات، وأنقاها من الشوائب وأسماها فى المقاصد الدنيوية والأخروية.

وبدأت قناعاته السابقة تهتز كثيراً؛ إذ لمس كيف يستغل المنصرون ظروف المجاعات، وحاجة الفقراء لإجبارهم على اعتناق النصرانية، ومدى تناقضات الكنيسة بين ادعاء الكنيسة بأن البشر متساوون، وتعاونها بالتشجيع والتأييد للنظم العنصرية، التى تفرق بين جنس وآخر، وبدأ يفكر بسماحة الإسلام وعدل الإسلام، وأنه الدين الحق.

ثم جاءت اللحظة النورانية العجيبة التى حولت شك (ولد قرقس) إلى يقين وأنارت الطريق للقس الشاب وأوضحت له السبيل، وجعلت له فرقانًا بين الحق والباطل بمشيئة الله الذى قدر له أن يزور أهله فى السودان لمدة ٤٠ يومًا أتاحت له اللقاء بالمسلمين وبعض علماء المسلمين فى جلسات متكررة وطويلة ونقاشات موضوعية ساخنة أفرغ فيها كل ما عنده من أسئلة حائرة لم يجد إجابات عليها لدى القسس، ولكنه سمع من الدعاة والعلماء ما يروى الظمأ ويشفى الغليل، وتبين له الطريق الصحيح فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فنطق بالشهادتين وغيَّر اسمه إلى عبد الله محمد إبراهيم، وأوضح للدنيا كلها أن القرآن الكريم كتاب الله الحق وأنه غير محرف وينبذ الطبقية ويدعو إلى المساواة بين مختلف الناس، ولا يعطى ميزة للتفاضل إلا للتقوى والعلم. وأخذ ينادى بضرورة تكثيف نشاط الدعاة المسلمين لمواجهة حملات التنصير، والغزو التنصيرى المنظم، ويؤكد على ضرورة توحيد

مواقف المسلمين لمواجهة التحـديات المختلفة، ويتمنى ازدياد اهتمام المسلمين بإخـوانهم الجدد الداخلين فى الإسـلام، حتى يصلوا إلى مرحلة متقدمة تحصنهم من الدعاية المضادة).

وكان يبذل جـهدًا للدعوة والتعريف بـالإسلام وجوهره العظيم ويتوقع اعـتناق المزيد من النصارى للإسـلام؛ لأنه دين يبعث على الطمأنينة فى النفس، ويرى أن مهمته أيسر من الآخرين نظرًا لخبرته السابقة ويـرى أن مستقبل الإسـلام فى إفريقيا بخـير برغم النقص الواضح فى الدعـاة والإمكانيـات ورغم استـغـلال ظروف الفقـر والمجاعة إلا أن الداخلين فى الإسلام أفواجٌ أفواجٌ، ويزداد الإسلام انتشارًا بأفضل وأسرع مما يتوقع البعض.

وهنا زاد الابتلاء واشتد وثارت العـاصفة ضده. . . وتلك سنة الله تعالى ليـبلوكم أيكم أحسن عملاً، وليمـحص المؤمنين، حتى أن والده الشديد التعصب للنصرانية هَمَّ بقتله.

وزاد الابتلاء حـين عجزت الكنيـسة عن إقناعه بالردة فـهددته بالقـتل، وفـرقت بينه وبين زوجـته وابنه، وقـامت بنقل الزوجـة والابن إلى النمسا، حيث منحتهما الجنسية النمساوية وأدخلت ولده مدرسة ملحقة بإحدى الكنائس لتربيـته على عقيدة التثليث، وكان هذا أشد مـا يؤلم عبد الله، فـكل الآلام والمضايقات كـانت تهون عند هذا المصـير المؤلم الذى ينتظر ولده ولكن ذلك الجـو الإرهابى لم يُثنِ عبـد الله من الثبات بفضل الله على إيمـانه، وزاد الابتلاء

بزيادة ضغط الكنيسة عليه وصار رأسه مطلوبًا فنصحه بعض المخلصين بالهجرة إلى الرحاب الطاهرة إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة، ويسَّر الله عليه فاستُضيف من قِبل الشيخ صالح الراجحى الذى هيأ له فرص الإقامة والعمل لديه هناك.

ولكن الحنين والحماس للقيام بالواجب فى الدعوة إلى الله، وعاد عبد الله إلى (كسلا) إسهامًا منه فى إنقاذ الأرواح من العذاب الذى ستقودها إليه أفكار الانحراف والضلالة وأكرمه الله بخبر إسلام شقيقتيه وتعرضهما أيضًا لأنواع العذاب والسخرية من قِبل عائلته، وعاد عبد الله بالفعل إلى مسقط رأسه واستطاع بحكم خبرته الطويلة فى الأناجيل، وما فتح الله عليه من نور الإسلام أن يقنع فى بداية مسيرته ٤٠ نصرانيًّا، بينهم عشرة قساوسة بالدخول فى الإسلام فأثار انتصار الإسلام هذا حنق الكنيسة وثورتها، ورأت فيه خطرًا يترصد مشاريعها فأوعزت إلى جماعة إرهابية تطلق على نفسها اسم (الثورة النصرانية) لقتله ومن آمن معه بالإسلام، وشاء الله أن يكشف خططهم الخبيثة لقتله، وبناء على نصيحة المخلصين من المؤمنين عاد إلى الأراضى المقدسة ونجح فى ترحيل أختيه المسلمتين على كفالة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله عليه حماية لهما ولإسلامهما بعدما كشف الله خطة العائلة تزويجهما قسرًا بقسيسين. وتزوج عبد الله من مسلمة رغم كل ما ناله من أذى من أسرته ووالده بالذات ولكنه كان حريصًا على صلته بوالديه

ويبعث لهما راتبًا شهريًّا؛ ويدعو لهما بالهداية، كما أمره الله عز وجل وأوصاه الحبيب المصطفى ﷺ (1).

* * *

## مع الدكتور زغلول النجار

في زيارة للدكتور زغلول النجار حفظه الله أستاذ علوم الأرض بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، وهو من رواد علم الكون الحديث، وأوقف نفسه للإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إلى ألمانيا وأوروبا، وزار فى ألمانيا أكثر من عشر مدن كبرى وأكثر من ١٧ مدينة فى بريطانيا أسلم الكثير والكثير، وعُقدت أغلبية محاضراته فى الجامعات ودُعى إليها أساتذة الجيولوجيا والفلك وكان صدى المحاضرات إيجابيًّا للغاية لدرجة أن أكثر من عالم غربى وقف وأعلن إسلامه! كما أُعجب كبار أساتذة الجيولوجيا فى العالم بنزول القرآن الكريم بهذه الحقائق قبل أكثر من ١٤٢٠ سنة، وعلى سبيل المثال وقف قائد الشرطة فى إحدى المدن، ليعلن إسلامه وسط ذهول الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية والإنجيلية وجمع حاشد من الحاضرين.

**يقول الدكتور زغلول النجار حفظه الله:** (المرء لا يعلن إسلامه هكذا بشكل تلقائى بل بعد تساؤلات شتَّى تثور فى نفسه، وقد

(1) الإسلام المعجزة المتجددة (ص ٥٤٨ - ٥٥٣).

جاءنى ذات مـرة طبيب أمريكى أسلم، ولم يقرأ من الـقرآن سوى قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [1]فقال: كتاب يصف نفسه بذلك لابد أنه كتاب من رب العالمين، فالواحد منا إذا كتب خطابًا وبات حتى الصباح، يقوم بتغيير نصفه على الأقل وهو مجـرد خطاب ولو بات الخطاب مـعه ليلة أخـرى، فإنه سـيقـوم بتعـديله كامـلاً ولذلك لابد من تشجـيع الناس على قـراءة القرآن الكريم وتراجم معانيه [2].

❊ ❊ ❊

## القسيس يتحول من جماعة أصحاب السبت النصرانية إلى خطيب الجمعة

إبراهيم سينتـوى لويما، وعبـد الرحمن زوا، اسمان من سـتة أسماء من القساوسة الأوغنديين اختاروا الإسلام بديلاً عن المسيحية وحياة الرهبنة.

**يقول إبراهيم لويما:** لقد كنت قسـيسًا فى الكنيسـة الكاثوليكية (أصحاب السبت) بعد أن تم اختيارى وكان عمرى ١٦ عامًا لخدمة الرب، وتم تدريبى لثلاث سنوات فـى منطقة بوقيـما حيث معـهد

(١) سورة البقرة: الآية: (٢).
(٢) انظر: نص المقـابلة التى أجـرتها مـجلة المجـتمع الـعدد ١٤١٠ فى ٢٣ ربيع الآخـر ١٤٢١ هـ الموافق ٢٥ يوليو ٢٠٠٠م.

لتدريب القساوسة يتولى التدريب فيه الأمريكى الدكتور وورنيه والبرفيسور كاترو.

عندما بدأت أفكر كثيرًا فى بعض النقاط فى المسيحية والآيات القوية التى تؤكد أن الإسلام هو الحق، وأن سيدنا محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، ومثال على ذلك فى السورة ١٦ الآية ٨ من الإنجيل يتحدث عن حرب عالمية ثالثة يكتب الله فيها النصر للمسلمين، وفى نفس السورة حديث حول هجمة من دول أوروبا على الإسلام، وكذلك فى سورة الافتتاح الآية ١٩ يقول النبى يوحنا (يحيى): أنه رأى فى منامه مبعوثًا جديدًا يلبس الثياب البيضاء، ويرتدى عمامة بيضاء ويحمل سيفًا ذا حدين، ومن فمه تخرج كلمة (الله) ومن عينيه يشع النور ويأمر بالجهاد، ويكتب له النصر، وكذلك أمر موسى وعيسى عليهما السلام بالنظافة والصلاة خمس مرات.

تردد فى البداية عن إشهار الإسلام لأن ضغوط الكنيسة قاسيةٌ جدًّا على كل من يعتنق الإسلام، وبعد أن عزم على الأمر ذهب إلى مقر مركز المجلس الأعلى الإسلامى وهناك قابل الشيخ على كولومبا، واقترح عليه أن يتدرج فى إعلان إسلامه، لكنه طلب منه إشهار إسلامه فى الحال والتوكل على الله ففعل.

ماذا كانت ردود فعل الكنيسة؟ أول قرار كان طرده من مسكنه. وكذلك طلب منه والده ألا يزوره مرة أخرى، وأحيانًا كان يستغل

فترات عدم وجوده فى المنزل لزيارة أسرته، والخروج من المنزل قبل وصوله. واستطاع بفضل الله أن يقنع أربعة من إخوته باعتناق الإسلام، وأصبحوا من جنود الإسلام، ويساعدونه فى نشر الإسلام بين الناس، والحمد لله رب العالمين.

*       *       *

## الدكتور الأسقف الأمريكى السابق اعتنق الإسلام فى رمضان واختار اسم مصطفى!!

شهر رمضان الكريم شهر القرآن والجهاد والتقوى وزيادة الطاعات والصبر والرحمة والمغفرة والعتق من النار وفيه ليلة القدر خير من ألف شهر... شهر رمضان مدرسة إيمانية كبيرة، ومحطة تزود للمؤمن لبقية العام بأفضل العادات والسلوكيات، وهو محطة انطلاق للتائبين الآيبين إلى أرحم الراحمين وهو شهر التغيير تتغير فيه كثير من العادات والتقاليد وتتغير فيه كثير من النفوس، وقد كانت مشاهد التغيير فى رمضان واحدة من أهم أسباب جذب كثير من غير المسلمين إلى الإسلام من بينهم القس الأسقف الأمريكى، الذى جاء إلى مصر، وشاء الله أن تكون زيارته فى شهر رمضان ليشهد معالم التغيير ويتأثر بها وهو يروى ذلك بقوله: (حين جئت إلى مصر فى شهر رمضان شاهدت المجتمع منتظمًا فى أسلوب حياته القائم على أساس من الدين، فالناس يذهبون إلى المسجد

عند سماع الأذان ويتطهرون بماء الوضوء ثم يقفون فى صفوف منتظمة وعند الإفطار تخلو الشوارع من المارة، وظننت فى بداية الأمر أن هناك قانونًا يقضى بحظر التجول بعد الغروب ولكننى عرفت السبب بعد ذلك فسخرت من تفكيرى، ورأيت أيضًا المسلمين يصلون العشاء والتراويح ويذهب بعضهم إلى أعمالهم ومتاجرهم حتى ساعة متأخرة يقال عنها السحور، ثم يصلون الفجر وينامون، فالمجتمع إذن منظم على أساس من الدين، يكفى أنه قد شد انتباهى أن الأمن والأمان سائدان فى شوارع العاصمة، بشكل لم أرهما من قبل فى أى مكان فأناس يسيرون فى الشوارع ليلاً فى أمن واطمئنان بدون أن يتعرضوا للاعتداء عليهم، فى حين أن عندنا فى نيويورك مثلاً يوجد ٨ قتلى فى الشوارع يوميًّا مع أن الأمريكيين لا يسيرون فى الشوارع والطرقات ليلاً خوفًا على حياتهم ليس ذلك فى نيويورك وحدها بل وفى باقى الولايات المتحدة الأمريكية فبرغم القوانين والعقوبات تنتشر الجرائم والانحرافات انتشارًا مخيفًا، لكن الأمر يختلف فى المجتمع المسلم كما هو الحال فى مصر، فإيمان الناس بدينهم يجعلهم يطبقون تعاليمه بدون خوف من عقوبة أو قانون، بل واحترامًا لمبادئهم وعقيدتهم وهذا هو الفرق بين المجتمع هنا والمجتمع فى الغرب حيث لا أمن ولا أمان وحينها برغم اقتناع الأسقف بالإسلام كمنهج حياة ينظم للبشر أسلوب معيشتهم وسلوكياتهم، كما رأى

بعينه من انتظام الناس فى العبادة فى شهر رمضان وبرغم انكبابه على قراءة كثير من الكتب الإسلامية المترجمة، ولا سيما ترجمة معانى القرآن الكريم وغيرها وبرغم مقابلاته مع شيوخ الأزهر برغم ذلك لم يعلن إسلامه.

هذا الأسقف الأمريكى فى فترة التحضير للدكتوراة من جامعة هارفرد بعد اشتغاله تسع سنوات فى الكنيسة، أراد أن يعرف المزيد عن الإسلام وحرص على حضور محاضرات لعدد من علماء الإسلام الذين يحاضرون حول علوم القرآن والسنة من باب حب الاستطلاع وسمع آنذاك عن مصر والأزهر ودوره الإسلامى، وأثناء احتفال جامعة هارفرد بمرور ٣٠٠ سنة على قيامها التى دعى فيها الأزهر الشريف كواحدة من أقدم الجامعات العريقة فى العالم، وحضر الحفل شيخان من الأزهر بزيهما المميز انجذب الأسقف إليهما، ولذلك قرر أن تكون رسالة الدكتوراه عن علماء الإسلام: أهميتهم ودورهم فى المجتمع المصرى من أيام الشيخ عبد المجيد سليم حتى الآن، ورغم معلوماته الواسعة التى اكتسبها عن الإسلام لم يقرر اعتناق الإسلام، كان همه الدراسة والحصول على المزيد من المعرفة بالإسلام وكان لابد وفق برنامجه للتحضير للدكتوراه أن يزور كلية أصول الدين بالأزهر الشريف واللقاء مع الأساتذة والعلماء، والاطلاع باستفاضة على كثير من الكتب الإسلامية، وفى الحقيقة أن الأسقف الأمريكى الذى استقال من

منصبه كأسقف فى إحدى أكبر الكنائس الأمريكية؛ ليدرس الإسلام على يد شيوخ الأزهر الشريف كان قد مر فى تلك الفترة بمرحلة الشك بصحة الدين النصرانى ولاحظ الكثير من الانحرافات والأباطيل والآراء التى لا تستقيم مع المنطق والمنهج السليم فهو قد درس الفلسفة اللاهوتية لمدة ٦ سنوات، وقام بتدريس هذه المواد فى المدارس الثانوية الكاثوليكية فى مسقط رأسه أيرلندا، ثم واصل دراسته فى أمريكا ولم تزده الدراسات والأبحاث التى أجراها وأفنى وقته فيها إلا شكًّا فى عقيدته النصرانية المحرفة، وفى طبيعة عمله أيضًا.

وكان خلال دراسته بكلية القسس بجامعة سانت باترك بعد الثانوية لم يسمع أى شىء عن الإسلام وبعد تخرجه من الكلية ذهب إلى أمريكا للتنصير وعمل الأسقف فى ولاية نيوجرسى وأصبح مسئولاً عن إعداد برامج التوجيه الدينى لكل المستويات، وتدريب القائمين على التنصير رغم أنه كان غير مقتنع بفكرة الرهبنة فكثير من الرهبان ممنوعون من الزواج بأمر البابا، وهذا يتعارض مع الفطرة البشرية وطبيعة الإنسان، وكان غير مقتنع بفكرة البابوية المطلقة المعصومة، وهى من الأمور التى ضاعفت شكوكه بعقيدته، وعدم اقتناعه بالاستمرار فى قول ما ليس مقتنعًا به.

ثم حانت اللحظة النورانية الربانية فى الهداية بعد عدة أشهر من قضاء شهر رمضان فى مصر والأزهر الشريف، وشرح الله

صـدره للإسـلام، فدخـل فى الدين الحق وتسـمَّى بـ: مـصطفى نورانى... وعن هذه اللحظة يقـول القس الأسقف السـابق أخونا فى الله بعد اعـتناقه الإسلام: (من الصعب على الإنسـان أن يغير دينه، كذلك كـان الأمر بالنسـبة لى فتـرددت كثيـرًا رغم اقتناعى الكامل بالإسلام كدين خاتم يجب أن يؤمن به النـاس جميعًا، ثم شـرح الله صدرى للإسـلام فدخلـت فى دين الله الحق وسمـيت نفسى مصطفى تيمنًا بالمصطفى محمد ﷺ ).

وفى لحظة اعتناقـى للإسلام عندما نطقت أشـهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مـحمدًا رسول الله شـعرت أنى أدخل عالمًا نورانيًّا يسمـو بالروح والنفس، وعندما تسلمت شـهادة إشهـارى الإسلام شعرت بأننى حصلت على أعلى شـهادة فى الدنيا، وأحسست فى الوقت ذاته أننى ألقيت عـن كاهلى عبئًـا ثقيلاً من الهـموم والقلق والشكوك والشقاء... نعم شعرت بسعـادة غامرة لم أشعر بها من قـبل لقـد اقتنعـت تمامًا بأن مـحـمـدًا ﷺ هو خاتم الأنـبيـاء والمرسلين، واقتنعت بسنتـه وتشريعاته التى اتخذها الغـرب مدخلاً للطعن فى رسـالته، مثل تعـدد الزوجات التى اقـتنعت بحكمتـها تمامًا، ثم قمت بـالعمرة وزرت بيت الله الحرام والروضـة الشريفة فى المدينة المنـورة، وفاضـت عيـناى بالدمع أمـام قـبـر المصطفى ﷺ ، وقلت لنفـسى حينئذ: من أنا حـتى أقف أمام قـبر أعظم إنسان عرفته البشرية فشكرت الله تعالى أن هدانى للإسلام).

وهكذا تبين لنا قصة الأسقف الأمريكى مدى عظمة هذا الدين وانتشاره فى أمريكا ذاتها، فهو أعظم من أمريكا وغير أمريكا، فمهما بلغت عظمة وقوة وجبروت أى قوة أرضية، لا تستطيع أن تجارى عظمة هذا الدين الحق، الذى تكفل الله بحفظه، فقال عز من قائل كريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١).

* * *

## القس «جون» سابقًا الأخ/ الداعية الناجح «محمد» أوفد للتنصير فى إفريقيا فعاد إلى لندن بالإسلام!!

وهذا النموذج من بريطانيا (القس جون سنت) الذى كان يتفاخر منذ طفولته بسلوكه النصرانى، وأداء الطقوس النصرانية فى الكنيسة، واشتهر بشدة تمسكه بها، حتى أُطلق عليه لقب القس جون وهو صغير، وتحول إلى دراسة الأديان، وكان متفوقًا ويقود صلوات الكنيسة كثيرًا ويلقى مواعظ ومحاضرات فى وقت مبكر، وذاع صيته وأصبحت شهرته واسعة، ومع ذلك أراد الله له الهداية، فوُلد فى قلبه شك كبير، إذ أن كثيرًا من الأسئلة التى كان يحتار فيها كما قال لم يجد لها جوابًا شافيًا فى المذاهب الإنجيلية كلها، وكان يشعر أن هناك حقيقة خافية عليه، رغم

---

(١) سورة الحجر: الآية: (٩).

نبوغـه وقدرته ومهارته فى الخطابة والوعظ الكنسـى وأرادت قيادة الكنيسـة أن تستفـيد من قدراته ومـهاراته، فاختـارته كأحـد قادة التنصيـر العالمى وأوفـدته إلى إحدى المناطق الإفريقـية المتـخلفة، وهناك كانت تنتظره اللحظة النورانية فقـد التقى بالمسلمين البُسطاء ونشأت عـلاقة صداقة مـع أحد المسلمين، كثـرت فيهـا اللقاءات والمناقشـات، حتى أمكن أن يقـتنع بخطأ النصرانيـة وانحرافـاتها وتناقض الأناجيل، والعبث بالإنجـيل الذى أُنزل على السيد الجليل عيـسى عليه السـلام، فتـشوق للمـزيد من المعرفـة عن الإسلام، فدرسـه كتلمـيذ على يد هذا الصـديق الإفريقى المسلـم، ثم أخذ يستـخدم مـهاراته وعلمـه ونبوغه وقـدراته فى البحث والتـحليل والمقارنة بين الأديان، وخاصة بين النصرانية والإسلام، فوجد الحق المبـين فى هذا الدين العظيم الذى أُنـزل هداية ورحمـة للعـالمين، فسـرى النور فى كيانه وقلبـه فأنطقه الله (أشـهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ).

وأدرك أن هذا القـرآن الكريم هو كلام الـله الصحـيح المحكم التنزيل، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

لم يواصل رحلة التـنصيـر بلا شك؛ لأن الكنيـسـة فى بلاده استدعته مغـضوبًا عليه، وفُصل من عمله واعترضته عـقبات كثيرة تغلب عليـها بفـضل الله عز وجل، الذى أعطاه الـصبر والحكـمة والتوكل، وأنقذه من الضلال الأكبر.

وفى مسجد المركز الإسلامى فى العاصمة البريطانية، (لندن) أعاد القس السابق إشهار إسلامه، ولم يكتفِ بذلك بل نذر نفسه للدعوة إلى الله وتبصير النصارى بالحق المبين والإجابة على أسئلة الحيارى، وتأكيد حقائق القرآن الكريم والسنة النبوية وإثبات تكريم الإسلام للسيد الجليل عيسى عليه السلام.

وبيان أن الإسلام دين الله الحق، وغيَّر اسمه إلى (محمد) وأصبح رئيسًا لجمعية من جمعيات المسلمين الإنكليز، ودخل على يديه العشرات بل المئات من الناس تمتلئ بهم لندن الآن يرفعون راية التوحيد، والحمد لله رب العالمين [1].

* * *

## أكثر من ربع مليون نسمة يدخلون فى دين الله أفواجًا على يد القسيس السابق إمام وخطيب المسجد حاليًا

الفضل لله وحده جل وعلا، الذى مَنَّ على القسيس برى هاريسو بالخروج من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الهدى، ومن العمى إلى الحق المبين، وهو القسيس الذى كان يتصور أن المسيح هو ابن الله، أو هو الإله نفسه، وكان يدعو الناس إلى هذا الضلال، ثم تعمق فى دراسة القرآن الكريم، وما جاء فيه من

---

(١) الإسلام المعجزة المتجددة (ص ٥٦٤ - ٥٦٩).

حـقائق وتشـريعات وسلوكـيات، ونظر فـى السنة النبوية المطهـرة وأدرك أن ما كان يتصوره عن السيد المسيح عليه السلام غير صحيح وأن ما جاء به الوحى فى القـرآن الكريم من الله العزيز الجليل إلى النبى محمد ﷺ هو الحق المبين فوجد فى الإسلام النور والهدى الذى بـحث عنه والنمـوذج العظيم للحيـاة الإنسـانية التى تقـود الإنسان على طـريق الخير، وبدأ يدرس مـا هو متـاح له من كتب التفسير والحديث وفتح الله عليه، وفتح أمامه آفاق الإيمان وقرر أن يدخل فى الإسـلام ودعا الله أن يوفـقه ويـعينه ليكون من الدعـاة المسلمين ويُسـهم فى نشر الإسلام والدعـوة إلى الله وأخلص النية لله وتوجَّه إليه، وأعلن: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

وكانت قريتـه هى أول ساحات الجهاد والدعوة التى بذل فـيها جهده وبقدر ما مكنه الله اسـتطاع بفضل الله أن يقوم بالدعوة إلى الدين الجديد الذى آمن به.

كان يبلغ تعداد أهل قريته الواقعـة فى غرب أندونيسيا أكثر من ربع مليون نسـمة وكان عدد المسلمـين حوالى ١٥٪ وعندما سمع أهل القرية أن قـسيسهم قـد أعلن الإسلام وآمن به اسـتغربوا هذا التـحول الكـبيـر وأخذوا يـتوافـدون عليـه ويسألونه ويـناقشـونه ويستـمعون إليه فـأكرمه الله بإقناعهم جـميعًا باعـتناق الإسلام بما شرح الله صدره له، وشـرحه لهم من فضائل الإسلام وتعـاليمه،

وراحوا يعلنون إسـلامهم بين يديه ويدخلون فى دين الله أفـواجًا، والحمد لله.

ونشط الإمام الجديد الذى خرج من الكنيـسة إلى المسجد وأقام معهدًا علميًّا إسلاميًّا لتحفيظ وتدريس القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبقية العلوم الإسلامية، وعمل على تشـييد تسعة مساجد صغـيرة فى كل المـنطقة يلقى فـيهـا الدروس الإسلامـية؛ دون أن يُحمِّل الناس مـشقة عبء الانتقال إلـيه لسماع ما يقـول فى خطبة الجمعة وكان له أسلوبه المميز الذى أكرمه الله به فكان يجادل بالتى هى أحسن وبالحكمة والموعظة الحسنة وبالكلمـة الطيبة، وكان يركز على شرح مـحاسن وفـضائل الدين الجديد الـذى آمن به، وعمل على فتح العيون على مـا نزل من عند الله، وكان لأسلوبه البسيط الواعى الأثر الكبير ففتح الله له القلوب والعقول.

ويسرنى أن أتذكـر هنا أنى أشرت إلى القـرى والمدن والأفواج التى تدخل فى الإسـلام فى عصـرنا وأشرت إلى حـدث مماثل فى أندونيسـيا ذاتهـا فى أواخر القرن العـشرين ومطلع القـرن الحادى والعشرين الميلادى أشرت إلى أن قرية (سيمفوك) بناحية (بوتنياناك) فى البلاد الأندونيسية أسلم أهلها بصورة جـماعية، كما أعلن ستة عشر شخصًا من قبيلة (داياك) أيـضًا إسلامهم وأقيم لذلك احتفال كبير بمحافظة (كاليمـانتان)، وقد تحقق هذا النجاح للإسلام بفضل من الله الذى سخَّـر وبارك فى جهود الدعاة والطلاب فى جـامعة

(تانجونج) وتعاون قائد المنطقة العسكرية[1].

كما أن نحو ٦٠ ألف نسمة هم سكان قرية (مينا كشيورام) الهندية أعلنوا إسلامهم رغم كل حملات الدعاية المكثفة التى شنتها السلطات الهندية لإثنائهم عن تلك الخطوة المباركة، وعبروا عن مشاعرهم تجاه دينهم الجديد الذى وجدوا فيه كما قالوا بأنفسهم التراحم والتسامح والعدل وكل المبادئ العظيمة.

كما اعتنق سكان قرية هندية أخرى يبلغ تعدادها ٣٢٠٠٠ نسمة وأعقب ذلك تحول مجموعة كبيرة من طائفة (الهاريجان) الهنود للإسلام الذين كانوا يعانون من التفرقة والعنصرية والظلم والكبت، لم يجدوا حريتهم ومساواتهم والعدل الذى ينشدونه، سوى فى دين الإسلام.

وفى مقاطعة (تاميل نادو) الهندية، أيضًا أعلن ٤٠٠ هندوسى من المنبوذين اعتناقهم للإسلام وقالوا إنهم وجدوا حقوقهم العادلة فى ظل هذا الدين وقال الأخ أمير بعد إسلامه معبرًا عن هذه المشاعر: (إننى أكره الهندوسية؛ إذ إنه لا يُسمح لنا فى ظلها بدخول المعابد، أما فى الإسلام فهناك إله واحد هو الله، والأغنياء والفقراء يُعَامَلون المعاملة نفسها فى المسجد، أما الهندوس لا يسمحون لنا بمشاركتهم أى شىء حتى المائدة نفسها، أما المسلمون فإننى لا أشاركهم المائدة نفسها فحسب؛ بل أتحرك بينهم بحرية

(١) انظر: العدد ٢٤٠ صحيفة المسلمون الصادرة فى ٨ صفر ١٤١٠هـ الموافق ٨ سبتمبر ١٩٨٩م.

تامة)... وقد وصفت صحيفـة الجارديان البريطانية الخبر فى حينه بأنه (موجة تحول جماعية لاعتناق الإسلام).

وكذلـك القرية الصـغيـرة (كوانجو) التـى تبعـد عن العاصـمة (سيـئول) بحوالى ٦٠ كم ظلت حـديث الناس فى البلاد الكورية الجنوبية، إذ اعتنق جـميع سكانها الإسلام وعـددهم تقريبًا ٣٠٠٠ مـسلم، وأصـبحت مـصـدر تلقِّى الإسـلام هناك لكل راغب فى التعرف على الإسلام، أو من ينوى الدخول فـيه، وأصبحت أيضًا هذه القـرية مـشهـورة بمسـجـدها الذى ينتـصب شامـخًـا بطرازه الإسلامى البديع، بعد أن كان غرفـة واحدة صغيرة فى منزل الحاج (عبد الله) أول مسلم فى تلك القرية، وأصـبح المسجد الآن مركزًا إسلاميًّا ضخمًا تمارس فـيه الشعائر الإسلامية، ويتلـقى فيه الطلبة العلم كما يُعـد ملتقى لجميع المسلميـن وقادتهم فى البلاد الكورية الجنوبية، وقد أصبح فى كوريا الآن العديد من الملتقيات والمنتديات والمخيمات الإسلامية وغيرها من مظاهر الإسلام[1].

* * *

## هذا ديننا

أعلنت ٣ قرى فى جنـوب السنغال الإسلام عن بكرة أبيـها، وجعـل الله السبب على يد أهل الخـير، الذين ذهبـوا إلى تلك

(١) الإسلام المعجزة المتجددة (ص ٥٧٠ - ٥٧٣).

المناطق للدعوة الإسلامية ومساعدة الناس الفقراء فى تلك الأعماق، وخاصة الجمعيات الخيرية الإسلامية من البلدان العربية المسلمة، وقد طلب المحافظ هناك من الجمعية الإسلامية أن تقوم بحفر الآبار فى قرى كلها من النصارى، وظن البعض أن المسلمين متعصبون ومتزمتون ولن يفعلوا ذلك، ولكن المسلمين خيَّبوا تلك الظنون الخاطئة التى يحاول الإعلام نشرها، واستخدموا الحكمة فى بيان عالمية الإسلام، وأنه أُرسل رحمة للعالمين، وليس خطرًا على العالمين، كما يجرى تصويره بشكل خاطئ وبتشويه مقصود.

وتوجهوا إلى تلك المناطق وحفروا الآبار لسكان تلك القرى مما حدا بها أن تفتح عينيها على عالمية وسماحة الإسلام وعبَّروا عن الأثر العظيم الذى تركه تصرف المسلمين إزاءهم وقالوا: نحن النصارى نسكن هنا منذ أكثر من ١٥ عامًا ولم يهتم بنا النصارى، وها أنتم تهتمون بنا رغم أنه ليس هناك رابطة تجمعنا بكم، أنتم مسلمون ونحن نصارى، أنتم سمر ونحن سود، أنتم عرب ونحن أفارقة، ورغم هذا دون أن تطلبوا شيئًا أتيتم وحفرتم لنا الآبار وما أمركم بهذا إلا دينكم إنه الدين الذى يستحق أن نتبعه وأعلنت الثلاث قرى الدخول فى الإسلام عن بكرة أبيها، والحمد لله[1].

(١) روى هذه الوقائع وغيرها الشيخ د. عبد الرحمن السميط حفظه الله فى محاضرته المتميزة عن العمل الخيرى الإسلامى العالمى فى مركز الدراسات والأبحاث الإسلامية بمؤسسة الملك فيصل بالرياض.

# ابن القسيس

ولنتأمل هنا مليًّا فى تنجانيقا (تنزانيا) فى مدينة تابورا (كانت هناك كنيسة يشرف عليها أحد القساوسة، وكان لهذا القس ولد لا تزيد سنه عن الثانية عشرة، وذات يوم قال الولد لأبيه القس: أبى هل هناك إله للبيض وإله للسود؟ وفوجئ القس بهذا السؤال الغريب من ولده فسأله: ماذا تقول ولِمَ هذا السؤال؟ فقال الولد: لقد لاحظت أن البيض يدخلون الكنيسة حين يخرج الملونون السود، بينما لا يدخل الكنيسة أحد من السود والملونين حتى يخرج البيض! ثم جذب الولد أباه القس من ثيابه وطلب منه أن يتبعه وسار الوالد القس خلف الولد مذهولاً من هول المفاجأة وهناك وعلى بعد مئات الأمتار توقف الولد أمام بوابة المسجد، وكان يوم جمعة والمسجد ممتلئ بالمصلين عن آخره بيض وسود، وسمر وملونون، عرب وأفارقة وهنود، ومن أوروبا وأمريكا والسويد وغيرها، الكل يتحرك حركة واحدة إلى الله الواحد المعبود وهنا التفت الولد إلى أبيه قائلاً: هنا إله واحد للأبيض والأسود، وأنا أريد أن أعبد هذا الإله الذى لا يفرق بين أحد وأحد!!

ثم انفلت من يد أبيه ودخل المسجد.

هذا هو الإسلام وتلك هى شريعة الإسلام التى كثر التشكيك بها من قِبل أعداء الإسلام باسم التخلف والتعصب والتطرف

والإرهاب، وهم يمثلون التخلف والكراهية والتعصب والتطرف والإرهاب، وليس الإسلام!![1].

* * *

* ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ **قادت القسيس آثر دكتوراه فى علوم اللاهوت والكهنوت إلى الإسلام فأقام المدارس الإسلامية، ودخل على يده أفواج كثيرة إلى الإسلام!!**

وصل القسيس د/ آثر ميلا سانتوس إلى درجة الدكتوراه فى علم اللاهوت والكهنوت وظل فى خدمة الكنيسة وعبادة الصليب عشرين سنة، ولم يكن الدكتور شخصًا عاديًا فى الكنيسة، وإنما كان الرجل الثالث فى مجمع كنائس قارة آسيا والمسئول عن النشاط التنصيرى فى قارة آسيا، تربَّى منذ الصغر على أن ما يقوله (الأب - أى القسيس) لا يُناقَش وغير قابل للحوار، فأحب أن يكون فى مرتبة القسيس، ولكن خلال الدراسة ظل يفكر كغيره من بسطاء المسيحيين هل صحيح أن الله ثالث ثلاثة؟! وهل صحيح أن من لا يؤمن بعقيدة التثليث هو من الخراف الضالة؟! وهل عيسى حقًّا هو الله؟! هل هو ابن الله؟! (نستغفر الله.... تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا) وكان كلما نطق بهذه الأسئلة يحشو القسيس فمه بالحلوى ويطلب منه ألا يسأل فقط يستمع وينصت ويؤمن بما يقوله

(1) الإسلام المعجزة المتجددة فى عصرنا/ الشيخ صالح اليافعى (ص ٥١ - ٥٢).

القسيس؟! ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾(1).

ومرت الأيام وشبَّ «آثر» على عقيدة التثليث يتخذ الصليب رمزًا لعبادة عيسى إلهًا من دون الله... صار متعصبًا ووصل فى دراسته للعلوم اللاهوتية إلى درجة الدكتوراه والأمر ليس صعبًا طالما وهو يردد لأقوال من سبقوه من القساوسة دون إعمال العقل أو مناقشة تلك الأقوال وكيف تُناقَش وقد صارت نصوصًا مقدسة؟ ووصل إلى أخطر المناصب... صار مسئولاً عن بعثات التنصير فى آسيا، وكان يُعلم آلاف الناس النصرانية ولديه القدرة على الوعظ والإجابة على الأسئلة وإذا ما أعياه سؤال كان يردد ما لقنه القس، لا تسأل فقط اقبل ما يقول (الأب) كحقيقة مُسلَّمٌ بها دونما نقاش وقضى «آثر» ٢٠ عامًا فى خدمة الكنيسة، أعطاها كل جهده ووقته مخلصًا فى طاعتها، منفذًا لما يأمر به الفاتيكان من خطط للتنصير ونال ثناء رؤسائه الذين رأوا فيه نموذجًا يُقتدى به فى العمل والإخلاص من أجل التنصير.

ورغم كل ذلك كان يصطدم فى داخله بالأسئلة المحيرة التى لم يجد لها جوابًا شافيًا ومقنعًا... كانت الفطرة تتحرك فيه رغم تعصبه الأعمى ولكن الإلحاح فى داخله أخذ يزداد للبحث عن الحقيقة كان الصراع فى داخله يزداد بين فطرة الحق التى فطر الله البشرية عليها وبين ما لقنه القساوسة إياه، وحضر أمامه التساؤل

(1) سورة الكهف: الآية: (٥).

الكبير أيهما دين الحق الإسـلام أم النصرانية؟، وهداه هذا التساؤل إلى البحث عن معرفة حقيقـة الإسلام خاصة وهو فى مستوى عالٍ من التعلـم قادر على المحاجـة، وقرر أن يواصل البـحث، وتوجه إلى أحد معارفـه من المسلمين ليستعير منه كـتاب المسلمين المقدس (القرآن) ليقرأه بحثًا عن المعـرفة والمحاجة وفوجئ بالرد الحاسم من الرجل المسلم الـذى قصـده، وهو يـرفض بحـزم إعطاءه الكتـاب المقدس قائلاً: ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾[1]وبعد أخذٍ وردٍّ ووعد منه ألا يمس القرآن الـكريم وهو على غير طهـارة وافق صاحـبه على إعارته إياه بعـد أن علمه كيف يتطهر ويتـوضأ، ولم يكن يعلم آثر أن هذه هى البداية التى أرادها الله له للخلاص مما هو فيه من حيرة وضـلال، وبداية خـروجـه من الظلـمـات إلى النور، حـمل آثر النصرانى المتعـصب القرآن الكريم بشكلٍ خفى خشـية أن يراه أحد جواسـيس الكنيسة، فـتلك تهمة لن تؤدى فـقط إلى فقده منصـبه وامتيازاته ومـرتبه الكنسى الكبير والسخى، ولكنهـا أيضًا قد تؤدى إلى فقده لحياته، وهى بالطبع تهمة حيث لم يكن الإيمان قد وصل إلى أعـماق قلبـه، كان يفكر كـيف يمكن له أن يهجـر دين آبائه وأجداده؟ وهل ستدعه الكنيسة وشأنه؟.

وبدأ يقرأ القرآن الكريم ويحس بمشاعر غريبـة ورغبة كبيرة فى اعتناق هذا الدين الذى يجـعل علاقة العـبد بربه جل وعلا عـلاقة

(١) سورة الواقعة: الآية: (٧٩).

مباشرة ... ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ ... لا يحتاج إلى وساطات القسس والكرادلة والرهبان والباباوات، ولا حاجة لصكوك الغفران، فالكل سواسية أمام الخالق العظيم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(١)، «ورُب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبرَّه»، كما قال النبى الصادق ﷺ، ولكن الدنيا ظلت تشده إليها رغم أنه اعتقد أن قراءة القرآن الكريم، قد نسفت ما تعلمه فى الإرسالية. وحطمت عقيدة التثليث فى داخله، ولكن رواسب السنين الماضية ما زالت تشده إليها... واشتد الصراع فى داخله وقرر أن يؤجل اتخاذ أى قرار إلى أن يعرف كل شىء عن هذا الدين، وهذا الكتاب الذى لا يمكن أن يكتبه بشر.

وقضى د. «آثر» أيامًا عصيبة فى مقارنة بين الإسلام والنصرانية، زاد من صعوبتها أنه وجد نفسه عاجزًا عن مصارحة أحد بما يعتمل فى صدره من اضطرابات وظل يقرأ القرآن الكريم فى السر ويستفسر عن ظروف دخول الإسلام إلى الفلبين، واتضح له أن الإسلام لم يدخل تلك البلاد بالسيف كما لقنوه فى الإرسالية، وإنما دخلها قبل أكثر من ستة قرون عن طريق المعرفة والموعظة الحسنة، واعتناق أميرها الإسلام آنذاك، واتضح له أن الدعاة المسلمين الذين فتحوا العقول والقلوب قبل قرون لم يتقاضوا على عملهم هذا أى أجر وإنما كانوا يطلبون الأجر من الله عز وجل

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٣).

فى وقت يعلم جيدًا أن العاملين فى مجال التنصير يتقاضون عمولات مالية ضخمة مقابل كل شخص يُنصرونه فالمسألة بالنسبة للأولين عقيدة وواجب فيما هى بالنسبة للمُنصرين تُشكِّل دخلاً ماديًّا يغنمونه من صكوك الغفران وتأليف الأناجيل ولقمة الغفران وحفلات الكنيسة!! واطلع د/ آثر خلال بحوثه ومقارناته على حقائق التاريخ وعرف أن الأبطال المسلمين الفلبنيين هم أول من قاتل وقاوم واستشهد فى مواجهة الغزو الاستعمارى الأسبانى القديم لبلادهم، وعرف أيضًا الجرائم التى ارتكبها أتباع الصليب فى حق مسلمى الفلبين وممارستهم العنف فى تحويلهم إلى النصرانية وقتل كل من يرفض ذلك، وزادته حقائق التاريخ نفسها اقتناعًا بضرورة استكشاف حقيقة الإسلام هذا الدين الحق الذى يفضل معتنقوه الموت على الارتداد عنه وفى ذات ليلة لازمه الأرق فلم ينم وأحس بعدم القدرة على التنفس بطريقة طبيعية وشعر بجسده يتصلب وتملكه خوف وكان فى أعماقه نداءٌ غامض يدعوه إلى قراءة القرآن الكريم، فهَمَّ بإمساك المصحف لكنه ما لبث أن سحب يده بسرعة، إذ تذكر قول صاحبه المسلم: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[1]، أسرع وتوضأ ثم أمسك بكتاب الله يقرأ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2] أحس بقشعريرة تتملكه، ومع ذلك تحمل وواصل تقليب صفحات المصحف حتى استقرت عيناه

(١) سورة الواقعة: الآية: (٧٩).

(٢) سورة محمد: الآية: (٢٤).

على قول الله تبارك وتعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[1] عندها أحس بتلاشى كل المخاوف التى كانت تعتريه، وتوقف الخفقان المتلاحق وسكنت جوانحه، كأنما مسَّها بلسم أمن وراحة سريع المفعول، وحلَّت الطمأنينة فى الروح الحيرى، لم يصبر (آثر) حتى تطلع الشمس، بل اتجه فوراً إلى منزل صديقه المسلم فى منتصف الليل ليسأله عما هو مطلوب ليصير مسلمًا وبين حيرة الصديق ودهشته نطق آثر بالشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله) وتوضأ وصلى ركعتين لله، كما علمه صديقه المسلم ليبدأ حياة جديدة باسم (خالد)، أحس بأنه خُلق من جديد وعاد الدكتور خالد إلى منزله وانتظر حتى الصباح وأخبر زوجته بإسلامه وظنته الزوجة يمزح فهو من أكبر رجالات الكنيسة وأعلاهم شأنًا فلم تصدق أنه جاد كل الجد، لكنها لم تلبث أن بكت حين أدركت من كلماته وملامحه الجادة أنه لا يمزح، ودعاها د. خالد إلى الدخول فى الإسلام فأبت وامتنعت فخيَّرها بين البقاء معه فى المنزل أو الذهاب إلى أهلها، فاختارت أن تبقى معه، ومن ناحيته لم يحاول أن يمارس عليها أية ضغوط لتدخل فى دينه الجديد إذ كانت ثقته فى الله كبيرة ولم تمر ٣ أشهر حتى أعلنت زوجته إسلامها، فسجد لله شكرًا أن هداها إلى الصراط المستقيم.

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٣).

وقد كان اعتناق د. خالد للإسلام صدمة كبيرة للكنيسة، إذ فقدت رجلها البارز وانتقل إلى صف الإسلام فعمدت فى البداية إلى محاولة فتنته عن دينه الحق، بإغرائه بزيادة المال والمناصب الكبرى، وظلت تمارس محاولات الاحتواء والترغيب، وحين عجزت عن ردِّ النفس المؤمنة عن فطرتها السليمة، لجأت إلى ورقتها الأخيرة (التهديد)، ولم يفلح ذلك فى انتزاع الإيمان من قلبه واتخذت وسائل متنوعة ذهبت كلها أدراج الرياح، إذ تشبث د. خالد بإيمانه واعتصامه بحبل الله المتين.

أما طلابه الذين افتقدوه أرسلوا إليه يسألونه العودة لتدريسهم اللاهوت والكهنوت، فجاء رده فى رسالة شرح فيها تفاصيل رحلته من عالم الضلال إلى عالم الإيمان بالله الواحد الأحد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفوًا أحد، وكان أثر هذه الرسالة واضحًا إذ أعلن ٨ من طلابه اعتناق الإسلام، واللحاق بأستاذهم وانضموا إلى قافلة رحلة الإيمان فى دين الله أفواجًا.

وتبدلت حياة د. خالد بعد أن أنعم الله عليه بالإسلام، وصار همه أن يُعوض ما فاته من زاد روحانى، فى رحلة الحياة إذ اعتبر تاريخ إسلامه، هو يوم مولده الحقيقى وأخذ يفكر فى خدمة الإسلام والمسلمين، وحماية الدين من أخطار المنصرين وألاعيبهم وتوصيل العلم بالله إلى ملايين الناس هناك، وعمل على المساهمة المباشرة فى إنشاء المدارس الإسلامية إلى جانب العلوم المختلفة

للإسهام فى إعداد أجيال من المسلمين الذين يجمعون بين الأصالة والمعاصرة وبين خيرى الدنيا والآخرة، نسأل الله أن يوفقه ويوفقنا ويثبته ويثبتنا إنه القوى الجبار القادر القهار.

*وأحب أن أضيف أنه يُذكرنى بالمهندس الفلبينى الفذ... وملخص القصة أن عددًا من الأُسر الفلبينية قد أسلمت على يد المهندس الفلبينى الكهربائى الذى عمل فى إحدى الدول العربية المسلمة لمدة ٥ سنوات وعندما أراد العودة إلى بلاده فى إجازة سنوية كان قدر الله خير فى المطار ينتظره إذ التقى بأحد الدعاة المسلمين الذى أهداه بعض الكتيبات التى تشرح الإسلام بلغة بلاده، فأخذها منه غير مكترث بها، ومع الفراغ فى الطائرة امتدت يده إلى تلك الكتيبات الهدية ليتصفحها من باب قضاء الوقت، وإذا به ينهمك بها ويلتهمها برغبة شديدة لم يدرك سرها ولم يستطع التحكم بها ولم يقدر على التوقف وكبح جماح نفسه المشتاقة إلى مواصلة القراءة بدون توقف، إنها تشرح له الإسلام شرحًا وافرًا فى أنصع بيان... وتبين له آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى ﷺ بيانًا بليغًا واضحًا، قرأ فيها عن النبى عيسى عليه السلام وأمه عليها السلام فى أفضل تعريف وتوضيح وتكريم وتوقير، وبأليق ما يكون عليه منطق مخاطبة الأنبياء والرسل، قرأ عن آيات الله فى الحياة والكون فى أفضل إجابات عن أسرار الحياة والكون تزيح عن العقل أى غموض ولبس وشبهات، وتعطيه

إجابات وافية ومقنعة عن الأسئلة الحائرة لدى الإنسان... قرأ عن الجنة والنار فى أفضل وأدق وصف كما فصَّلها القرآن الكريم وأخبر عنها النبى الرسول ﷺ فزالت الغشاوة عن قلبه وبصره وانشرح صدره لهذا الدين الحق، فقادته رجلاه عند هبوطه فى مطار بلاده إلى أقرب مسجد للمسلمين لإعلان إسلامه، وتوضأ وتطهر وسجد لله أول سجود فى حياته وشعر بمعنى حياته باتجاه ابتغاء ما عند الله فى الآخرة.

وانقضت الإجازة بين كنوز الإسلام يبحث ويستزيد ويتعلم ويتفقه فى الإسلام ويحض أسرته وجيرانه ومعارفه وبنى قومه على الدخول فى الإسلام، ووفقه الله ودخلت أُسر كثيرة وأُناس كثيرون على يديه فى الإسلام وعاد إلى موقع عمله فى تلك البلاد العربية ولكن هذه المرة [مسلمًا والحمد لله]، وكان فى استقباله بالمطار مدير عمله وبعض المسؤولين من الموظفين فى مقر عمله، ولم يعرفوه عند هبوطه من الطائرة، ولا عند اقترابه منهم لأن الإسلام لم يسر فى قلبه فحسب بل وفى كل جوانحه ظاهرًا وباطنًا، مظهرًا وسلوكًا، مما أدهش مُستقبليه، ولاموا أنفسهم على تقصيرهم فى الدعوة إلى الإسلام، ولم يتوقف المهندس المسلم الجديد ولم يكف عن الدعوة إلى الإسلام، بل وجد مناخًا خصبًا بين صفوف الجالية الكبيرة من أبناء بلاده العاملين فى تلك البلاد، وخصص غرفة من سكنه لتعليم الجالية الفلبينية الإسلام، واستعان بعلماء تلك البلاد

لمساعدته، ووجد عونًا وتوفيقًا والحمد لله، وتدفقت أفواج جديدة على يديه إلى الإسلام(١).

* * *

## مساعد القس الفلبينى السابق قاده القرآن الكريم إلى الإسلام فأصبح عبد الرحيم!!

بعد أن عرف الإسلام تحول مساعد القس إلى أحد المسلمين الجدد ودعاؤه لله تعالى أن يغفر له ما اقترفه من ذنوب خلال السنوات العشر التى عمل فيها فى الكنيسة!.

إنه المهندس الفلبينى عبد الرحيم موريتينى، الذى يعمل حاليًا موظفًا للكمبيوتر بشركة الخطوط الجوية السعودية...

* قال عن قصة إسلامه:

عملت مساعدًا للقس فى إحدى كنائس الفلبين لمدة عشر سنوات بعد أن أنهيت دراستى فى الكنيسة، ورغم تلك الظروف التى أرغمتنى على قبول تلك الوظيفة المغرية إلا أننى لم أكن فى قناعة ذاتية عن هذا العمل بسبب هذا الشك الذى كان يراود نفسى بين حين وآخر حول الأسس التى تقوم عليها النصرانية.

كنت عندما أخلو إلى نفسى أفكر فى مصداقية تلك الأسس التى يرفضها العقل السليم، فكيف يكون الإله ثلاثة وواحد فى

(١) روى لى هذه القصة الواقعية عدد من زملائه فى الرياض، وأخبرنى بها الدعاة فى مجال دعوة الأجانب إلى الإسلام ١٩٨٩م.

الوقت ذاته؟! وبأى صلاحية يغفر القسيس الذى أعمل معه ذنوب المخطئين؟ ومن أعطاه صلاحية الجلوس أساسًا ليروى له المخطئون تلك الذنوب التى ارتكبوها وسترها الله على عباده؟ وأيضًا كنت أتساءل ما مصداقية أن عيسى ابن مريم قد صُلب فداءً لخطايا البشرية كلها!!، فكيف يتأتّى أن بشرًا يفتدى بملايين الناس يزدادون يومًا بعد يوم وبينهم المجرمون والمخطئون الذين يصرون ويستكبرون على معاصيهم دون توبة!!، وهكذا عشت فى مرحلة الشك ردحًا طويلاً من الزمن حتى كتب الله لى الهداية فى تلك الأرض التى شهدت مهبط الوحى.

*** كيف كان إسلامه؟**

**قال:** حضرت إلى المملكة للعمل فى الخطوط الجوية السعودية وهناك تعرفت على أحد الشباب السعوديين من الملتزمين بالإسلام.. فكان نِعم الصديق، حيث ساعدنى فى معرفة كل شىء عن الإسلام، عندما فاتحته بالشكوك التى تراودنى حول النصرانية وأهدانى كتابين حول الإسلام كعقيدة ومنهاج باللغة الإنجليزية، أحسست عندما قرأتها بأننى وجدت ضالتى فى هذا الدين.

وكان مبعث دهشتى فى الإسلام وما شدنى إليه فى الوقت ذاته هو هذا التكريم الذى يضيفه القرآن الكريم على عيسى ابن مريم عليه السلام، رغم كل تلك الادعاءات الباطلة التى يروجها من

يدعون أنهم أنصار المسيح عليه السلام، وعلى نبينا محمد ﷺ، ومن خلال دراستى ازداد يقينى بهذا الدين يومًا بعد يوم. . .

وكان هذا اليقين مبنيًا على أُسس عقلانية قبل أن يكون نتيجة انجراف عاطفى. . فمن ذلك الذى يعارض أن الله تبارك وتعالى هو الخالق الأوحد والمدبر لهذا الكون، وهو بذلك المعبود دون سواه!؟.

إن أى عقل سليم سوف يقتنع بهذا الدين. . ولذلك لم يمضِ وقت طويل على دراستى للإسلام، حتى اعتنقت الإسلام دون أن أتردد لحظة واحدة.

**وعندما سُئل عن الفرق بين حياته الآن وحياته قبل الإسلام قال:**

يكفى أن أذكر نقطة واحدة، هى أننى حين كنت أعمل فى الكنيسة كان القساوسة يعلموننا كيف نعبد المسيح؟!، والآن فإننى أيقنت أن المسيح عليه السلام كان رسولاً مثل بقية الرسل، والله وحده هو الأحق أن نعبده ونخشاه.

وحول خطته المستقبلية فى دعوة الناس إلى دين الله أشار عبد الرحيم إلى أنه سوف يدعو القساوسة الذين عمل معهم إلى الإسلام باعتباره الدين الحق. . . ولن يهتم بغضبهم إذا لم يستجيبوا لدعوته، وسيحاول ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

* * *

## إسلام ٢٥ ممرضة فلبينية على يد الداعية الفلبينى

*فوج جديد مكون من ٢٥ ممرضة فلبينية وجدن طريقهن إلى الإسلام. . . لقد أعجبتهن أخلاقيات الإسلام والفضائل والسلوكيات الحميدة فقررن دراسة الدين الحنيف واعتناقه، لقد تأثرن بالحياة الطيبة، التى يعشن فى محيطها فى إحدى المستشفيات فى السعودية فأحضر لهن المدير الإدارى والمالى بعض الكتب التى تشرح الإسلام باللغة الفلبينية ونظم لهن لقاء مع أحد الدعاة الفلبينيين من المركز الإسلامى الثقافى بمدينة جدة، الذى وفقه الله للإجابة على كل أسئلتهن. وما يشغل فكرهن من أسئلة حول الإسلام، وألقى عليهن المحاضرات، ومنذ أول لقاء حرصن على ارتداء الحجاب تعبيراً عن رغبتهن فى اعتناق الإسلام وعبَّر الداعية الفلبينى عن ذلك المشهد: (إنهن متشوقات للإسلام والخوض فى الحديث عنه، لقد تجاوزن مرحلة الصراع الداخلى ومرحلة الاقتناع ودخلن مرحلة التقدم نحو الإسلام بشغف) فقالت إحداه - دلى مندوس -: (أنها اطمأنت بعد ما سمعته عن الإسلام، لأنها دائماً ما تحس بتأنيب الضمير لانفصال حياتها عن الدين وعدم معرفتها بالدين الحقيقى والصحيح) وتقول أخرى وهى الممرضة (مريانا): (إن أكثر ما لفت انتباهها، هو مدى احترام الإسلام لحقوق المرأة واحترامه لها بأن كلف الرجل بالإنفاق عليها مثلاً ).

ويكون من المناسب هنا أن نشير إلى أن هذا الداعية الفلبينى نفسه أسلم حديثًا ولم يمضِ على إسلامه سوى ١٠ سنوات لقد درس الكثير فى حياته عن النصرانية، ومارس طقوسها كذلك ولم يكن يعلم عن الإسلام إلا صورة مشوهة، وعندما جاء إلى المملكة العربية السعودية للعمل كانت الصلاة هى العامل الأساسى لدخوله الإسلام حيث كان يراقب ما يفعله المسلمون فى المساجد، ويسأل لماذا يقومون بهذه الحركات؟ وبعد الدراسة والبحث الجاد لمدة ٦ شهور تقريبًا عرف أن هذا هو الدين الحق وأن ما يقوم به القساوسة أكذوبة يضحكون بها على السُّذَّج والضعفاء... وأعلن إسلامه ونشط فى الدعوة إلى الإسلام بين بنى قومه يوضح لهم الانحرافات فى النصرانية والأناجيل ويقارنها بالحق فى الإسلام ويؤلف الكتب باللغة الفلبينية ليعرفهم بفرائض الإسلام كالصلاة والصيام والحج والعمرة ويترجم أحاديث النبى ﷺ ويقوم بإلقاء المحاضرات والدروس فى الشركات والمؤسسات وأماكن تجمع قومه فى المهجر والداخل وعن تجربته الدعوية يقول الداعية الفلبينى: (إن الفلبينيين والحمد لله من أكثر الناس دخولاً فى الإسلام، وفى كل يوم يدخل أُناس كثيرون إلى الإسلام بإرادتهم وبكامل قواهم العقلية والقلبية، وها هى المحاكم السعودية الشرعية على سبيل المثال، تشهد بذلك حيث لا يمر أسبوع أو شهر إلا ونسمع عن دخول فلبينيين إلى الإسلام وهذا يبشر بالخير، كما أن الفلبين

أرض خصبة للدعوة إلى الإسلام، فحرية العقيدة موجودة، إلا أنه وللأسف لا توجد جامعة أو مدرسة إسلامية، ولا يوجد سوى مركز إسلامى والمسلمون مقصرون ليس فقط فى دعوة غير المسلمين إلى دينهم، وإنما للأخذ بيد من دخل الإسلام حديثًا، حيث أن الغالبية منهم لا يعرفون عن الإسلام شيئًا) (١).

* * *

## تعلم ثمان لغات وتخصص فى التنصير فهداه الله فاستخدمها فى التبصير بالإسلام!!

وهذا النموذج من سيريلانكا وهو القسيس الدودمريس أحد المتخصصين فى علم مقارنة الأديان، إلى جانب مؤهله الجامعى فى الاقتصاد والتجارة، وكان يظن أن المسلمين قوم وثنيون يعبدون القمر وهذا الظن وُلد عنده بسبب فهم خاطئ لتحرى المسلمين القمر كل أول شهر قمرى؛ إذ لم يكن يدرى أن هذا يعود إلى ضرورة معرفة بدايات الشهور كى يتسنى لهم أداء فريضة الصوم والحج فى موعدهما، وكان بفهمه القاصر - آنذاك - يعتقد أن فعل المسلمين هذا ضرب من ضروب عبادة القمر كما يفعل الوثنيون.

وعندما أُتيحت له فرصة العمل فى السعودية أثار انتباهه إغلاق المحال التجارية وانصراف جموع المسلمين إلى الصلاة، بالإضافة

(١) انظر: العدد ٤٣٦ صحيفة المسلمون ٢،١ ذى الحجة ١٤١٣ هـ الموافق ١١ يونيو ١٩٩٣م.

إلى المعاملة الطيبة التى لقيها وبدأ التعرف على الإسلام واستفاد من ترجمة معانى القرآن الكريم، وظل عاكفًا عليها يدرسها حتى حان أذان الفجر وسمع المؤذن ينادى للصلاة؛ فدمعت عيناه فقام واغتسل وتوجه للصلاة فى المسجد،وحتى يتمكن من أداء العمرة وزيارة المدينة المنورة توجه إلى أحد أصدقائه المسلمين ليساعده ويرشده إلى طريقة إشهار الإسلام الذى تحقق بحضور القاضى الشرعى معلنًا مولده الجديد باسم (محمد شريف)، واستطاع بفضل الله أن يقنع الكثير من أقاربه وأهله بأن الإسلام دين الحق فآمنوا به بما فيهم صديق قسيس آخر صار بعد إسلامه من أخلص المؤمنين لدين الله كما نجح فى هداية زملائه السابقين فأسلم معظمهم.

وقد استفاد محمد شريف من معرفته السابقة للنصرانية، ومعرفته لثمان لغات فى الدعوة إلى الله على بصيرة بين الناطقين بتلك اللغات. والحمد لله.

* * *

## مدرس الدين الإسلامى اليوم فى السعودية كان قسيسًا فى الكنيسة المصرية!!

كانت أمنية (فوزى صبحى سمعان) منذ صغره أن يُقبِّل الناس يديه ويعترفون له بخطاياهم لعله يمنحهم صك الغفران ويغسل ذنوبهم على كرسى الاعتراف، وكان منذ طفولته المبكرة يقف

خلف قس كنيسة مارى جرجس بمصر، ولم يخالف رغبة والديه فى أن يكون خادمًا للكنيسة، يسير وراء القس حاملاً كأس النبيذ الكبيرة أو دم المسيح كما يدَّعون ليسقى رواد الكنيسة وينال بركات القس.. ومرت السنوات وكبر فوزى وصار رجلاً وبدأ فى تحقيق أمنيته فى أن يصير قسًّا يشار إليه بالبنان، وتنحنى له رؤوس الصبية والكبار رجالاً ونساء ليمنحهم بركاته المزعومة، ويجلسون أمامه على كرسى الاعتراف لينصت إلى أدق أسرار حياتهم، ويتكرم عليهم بمنحهم الغفران نيابة عن الرب!! ورغم إخلاص فوزى فى خدمة الكنيسة، فإن هناك ما كان يؤرقه ما يسمونها (الأسرار السبعة للكنيسة، وهى التعميد، والاعتراف، وشرب النبيذ، وأكل لحم المسيح، والأب، والابن، والروح القدس)، كان رغم صغر سنه يفكر تفكيرًا عميقًا فى صحة وحقيقة هذه الأسرار؛ إذ كلما تفكر وتدبر وكبر ونضج كلما زاد شكه بصحتها، فالعدل والمنطق السليم لا يجدان تبريرًا واحدًا لصلب المسيح وأكل لحمه، أو غفران الناس لخطايا الناس بدلاً عن الرب، وأن يذعن المسيح للصلب وهو إله، كيف يُعقل ذلك؟ ثم كيف يكون إله وابن إله؟؟ يتذكر فوزى (إذا كان البسطاء يعترفون للقس والقس يعترف للبطريرك والبطريرك يعترف للبابا والبابا يعترف لله، فلماذا هذا التسلسل غير المنطقى؟ ولماذا لا يعترف الناس لله مباشرة ويجنبون أنفسهم شرور الوقوع فى براثن بعض المنحرفين من القسس؟؟، أسئلة محيرة لم

يكن قادرًا على الحصول على إجابة شافية عليها ومقنعة ومنطقية ولو علم بها الآباء والقسس الكبار لأرسلوا به إلى الدير وقتلوه! لم يجد أمامه فى حيرته سوى أن ينكبَّ بصدق وحماس على دراسة دين آخر، وبالفعل أخذ يقرأ عن الإسلام وأخذ يقرأ القرآن الكريم وتوقفت عيناه ودمعت عند قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ (١) وهكذا بدأ يجد الإجابات الشافية المقنعة على الأسئلة الحائرة لديه.

وتعمق فى القرآن الكريم ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ (٢).

وخلال أدائه الخدمة العسكرية أُتيحت له فرصة كبيرة لمراجعة النفس وقادته قدماه ذات يوم لدخول كنيسة مدينة الإسماعيلية، ووجد نفسه بدون أن يشعر يسجد فيها سجود المسلمين واغرورقت عيناه بالدموع، وهو يناجى ربه سائلاً إياه أن يلهمه السداد، ويهديه إلى الحق المبين، ولم يرفع رأسه من سجوده حتى عزم على اعتناق الإسلام وبالفعل أشهر إسلامه بعيدًا عن قريته وأهله خشية بطشهم

(١) سورة المائدة: الآيتان: (١١٦- ١١٧).
(٢) سورة آل عمران: الآية: (٥٩).

وإيذائهم وتسـمَّى باسم (فوزى عـبد الرحمن المهـدى) وأثار ذلك غضب أهله والكنيسة وبقيـة الرعايا النصارى فى حين تمسك فوزى بحبل الله ودعا الله أن يَمُنَّ على والده وأخته بالهداية، وكانت أمه تُوفيت على ملة النصرانية، واستجاب الله دعاء القلب المؤمن وفتح عليه بإسلام والده وأختـه، وتزوجت أخته من شاب هداه الله إلى الإسلام وخرج من النصرانية ودخـل الإسلام وصار داعية إلى الله ويعمل إمام مسجد فى الدوحة بقطر.

وتفرغ القس السابق الأخ فـوزى عبد الرحمن للعـمل مدرسًا للدين الإسلامى فى مدارس منارات جدة بالسعودية والحمد لله رب العالمين(١).

❊ ❊ ❊

*** ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ قادت المنصرة سلفانا بولس إلى الإسلام وأصبحت تتباهى بعلم الشيخين «ديدات» و«الزندانى» فى عصرنا!!**

الطريق إلى الله يبـدأ من الطريق إلى النفس، هكذا كـان طريق (سلفانا) عندما بدأت تتعرف على ذاتها كإنسان يشعر ويفكر ويتنفس الحقيقة والحرية والحق، بعيدًا عن جهالات قوم وخزعبلات كُهان.

كانت سلفانا سامى بولس قبـل أن تكون سلفانا محمد هاشم، وبتنهـيدة طويلة تسـبق كلماتهـا قالت: سلفـانا كانت خـادمة من الخادمات المعـروفات فى الكنيسة، وأخـصائية اجتمـاعية أولى فى

(١) بتصرف من كتاب الإسلام المعجزة المتجددة.

مدرسة بلقاس الإعدادية للبنات.

وتقوم بتدريس مادة التربية المسيحية، وبالطبع تمارس التنصير بين البنات فى المدرسة وكان ارتباطها بالكنيسة بالغًا... وتضحك (سلفانا) وهى تقول: إلى درجة دفعت الكاهن الذى حاورها بعد اعتناقها للإسلام ليقول لها: (أنت كنت تعرفين من اللاهوت مثلى).

وماذا اعتراها ودفعها لتغيير مسارها واتخاذ القرار بالاتجاه نحو الإسلام؟

منذ عام ١٩٨٥م بدأت أتعرف من خلال عملى فى المدرسة على السيرة النبوية الشريفة للنبى ﷺ، وعلى مواقف وحياة الرسول الكريم ﷺ، وكذلك حياة بعض الصحابة مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى - رضوان الله عليهم أجمعين -، ورأيت فى هذه السيرة من الاعتدال وحُسن الإيمان وواقعية السلوك، ما جعلنى أفتح ملف الإسلام من خلال التعامل العقلى والمقارنة بين ما أعرفه عن الإسلام بطرق مختلفة وبين ما تعلمته بالكنيسة فوجدت فى نفسى ميلاً نحو الإسلام وثقة فى أنه الدين الحق وخاصة عندما وجدته يحقق انسجامًا قويًّا بين الروح والمادة، ولما فيه من واقعية فى التعامل مع الإنسان على اعتبار أنه روح وجسد معًا.

* **والسؤال**:هل كان هناك موقف مع أحد المسلمين دفعها إلى الإسلام؟... لقد قابلت زميلاً يعمل مدرسًا للغة العربية والتربية الإسلامية فكانت بينهما مناقشات فى بعض النواحى الدينية خاصة

جانب التوحيد، وبتكرار المناقشة وجدت نفسها تسرع الخطى نحو الإسلام ومن ناحيته شعر بذلك فعرض عليها إشهار إسلامها.

والتقى العرض برغبة داخلية كانت تنمو وميل وجدانى كان يكبر، فسألته تدبير ذلك، فعرض عليها الزواج وقبلت وأسلمت وجهها لله تعالى وتزوجته على سُنَّة الله ورسوله ﷺ، والحمد لله.

أما عن رأيها فيما يسميه النصارى بـ (قانون الاعتراف)؟ تقول: فى وقت من الأوقات مارست الاعتراف على يد أكثر من كاهن... ولكن غالبية جلسات الاعتراف كنت أفصح عن الأسباب السطحية فقط؛ لأننى كنت أعتقد أن الاعتراف يكون بين الإنسان وربه أما النصارى الآخرون فكانوا يعتقدون أنهم بعد جلسة الاعتراف يأخذون صَكَّ الغفران.

ولذلك توقفت كثيراً أمام هذه النقطة عندما تعرفت على الإسلام فوجدت نظريته أعمق وأعظم من ذلك من خلال مقارنة النص القرآنى بالنص المسيحى... يقول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ (١) وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ (٢).

*** أما النص النصرانى فيقول:**

(اقبلوا الروح القدس.... من غفرتم خطاياهم غفرت السماء... ومن أمسكتموها عليه أمسكت)؛ فالنص القرآنى أعظم

(١) سورة البقرة: الآية: (١٨٦).
(٢) سورة ق: الآية: (١٦).

لأنه نفى الواسطة بين الله والإنسان، وجعل الله المتحكم الوحيد فى قرار المغفرة.

سؤالى الذى أطرحه: هل الكاهن معصوم من الخطأ وعن إفشاء الأسرار باعتباره بشرًا؟. هل هو لا يخطئ حتى يقدم صكوك الغفران للآخرين؟!

فى إجابتها على أحد الأسئلة ذكرت أنه كانت هناك مواجهة بينها وبين أحد الكهان عقب إشهار إسلامها... كيف وأين وقعت هذه المواجهة؟

قالت: تمت هذه المواجهة فى محكمة بلقاس بغرفة مدير النيابة.... ومن الناحية الإنسانية كنت مشفقة من دموع أبى، ولا عيب فى ذلك؛ لأن الإسلام يأمر بصلة الرحم وأداء حق الوالدين... ولكن نعمة التوحيد أعظم من أى ارتباط آخر.

لقد حاول الكهنة فى المواجهة التأثير علىَّ بالتركيز على الناحية الأسرية، ثم الناحية الدينية وفشلوا، ثم واجهنى أحدهم بعدة أسئلة أجبت عنها بتأييد من الله... نعم كنت أشعر أن الله معى وأن بداخلى قوة ليست قوتى العادية وبثبات لم أعهده فى نفسى.

سألنى: هل تعرضت لضغوط وهل أنا مُكَرهة على الإسلام؟ وطلب منى على سبيل الاستهزاء أن أقنعهم بما اقتنعت به، وطلب منى أن أظل على زواجى من الزوج المسلم بشرط أن أبقى مسيحية، ولكن الحمد لله انتهت المناظرة وخرج كُلٌّ إلى سبيله.

وتصمت قليلاً وتقول: بعد ذلك شاهدت شريطًا لشيخ اسمه الشيخ عبد المجيد الزندانى عن الإعجاز العلمى فى القرآن والسُّنَّة وما أن انتهيت منه حتى غمرنى إحساس بالتباهى، وذلك لأن الدين الذى انتميت إليه تتأكد مصداقيته عن طريق العلم.

كما رأيت مناظرة بين الشيخ ديدات رحمه الله وقس يدعى (سواجارت) وكان ديدات عظيمًا وموفقًا، أما القس فكان موقفه ضعيفًا حتى النصوص التى يتمسك بها كان يُحرِّف فيها.

الحمد لله الذى هداها إلى دينه الحق، والحمد لله الذى نصر الإسلام بهذه العقول النيرة المفكرة (١).

*** * ***

### * الدكتور جرينييه:

* قال الرحالة السيد محمود سالم فى مقال له نُشر فى مجلة المنار مجلد ١٤ (ص ٥١٨): قصدت فى سياحاتى مدينة بونتارليه لمقابلة الدكتور جرينييه المسلم الفرنساوى الشهير، الذى كان فى السابق عضواً فى مجلس النواب، قابلته لأجل أن أسأله عن سبب إسلامه، فقال: «إنى تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها ارتباطٌ بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية، والتى درستها من صغرى وأعلمها جيدًا، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة فأسلمت لأنى تيقنت أن محمدًا ﷺ أتى بالحق

(١) الإسلام المعجزة المتجددة (ص٥٩٧ - ٥٩٨).

الصُّراح من قبل ألف سنة، من قبل أن يكون معلم أو مدرس من البشر، ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيداً كما قارنت أنا، لأسلم بلا شك إنْ كان عاقلاً خاليًا من الأمراض» (١).

❊ ❊ ❊

### * رينيه جينو «الشيخ عبد الواحد يحيى»:

«رينيه جينو» من الشخصيات التى أخذت مكانها فى التاريخ، وهو العالم الفيلسوف الذى يدوى اسمه فى أوروبا قاطبة، وفى أمريكا، يضعه المسلمون بجوار الغزالى وأمثاله، ويضعه غير المسلمين بجوار أفلاطون صاحب الأفلاطونية الحديثة.

وقد كان إسلامه ثورة كبرى هزت ضمائر الكثيرين من ذوى البصائر الطاهرة، فاقتدوا به، واعتنقوا الإسلام، وكوَّنوا جماعات مؤمنة مخلصة، تعبد الله على يقين فى معاقل الكاثوليكية فى الغرب.

وكان سببُ إسلامه يسيرًا؛ لقد أراد أن يعتصم بنص مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلم يجد بعد دراسة عميقة سوى القرآن، فهو الكتاب الوحيد الذى لم ينله التحريف والتبديل؛ لأن الله تكفل بحفظه، وحَفِظه حقيقة: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ (٢).

---

(١) أوروبا والإسلام للشيخ د. عبد الحليم محمود (ص ٨٧- ٨٨).
(٢) سورة الحجر: الآية: (٩).

لم يجد سوى القرآن نصًّا مقدسًا صحيحًا، فاعتصم به، وسار تحت لوائِه، فغمره الأمن النفسانى فى رحاب الفرقان.

ومؤلفاته كثيرة مشهورة، من بينها كتابُ «أزمة العالم الحديث» بيَّن فيه الانحراف الذى تسير فيه أوروبا الآن، والضلالَ المبين الذى أعمى الغرب عن سواء السبيل.

أما كتابه الشرق والغرب فهو من الكتب الخالدة التى تجعل كل شرقى يفتخر بشرقيته.

**يقول الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر:** وإذا كان الشخص فى بيئتنا الحالية لا يُقدَّر التقدير الذى يستحقه إلا بعد وفاته، فقد كان من حسن حظ رينيه جينو أنه قُدِّر فى أثناء حياته، وقُدر بعد وفاته، أما فى أثناء حياته، فكان أول تقدير له: أن حرَّمت الكنيسة قراءة كتبه، والكنيسة لا تفعل هذا إلا مع كبار المفكرين الذين تخشى خطرهم، فقد وضعته بذلك بجوار عباقرة الفكر الذين اتخذت تجاههم نفس المسلك، ولكنها رأت فى رينيه جينو خطرًا يكبر كل خطر سابق، فحرمت حتى الحديث عنه.

واستجاب كثيرون لدعوة رينيه جينو فألَّفوا جمعيات فى أنحاء العالم، وعلى وجه الخصوص فى سويسرا وفى فرنسا واتخذوا الإسلام دينًا.

ومن التقدير الإيجابى أن كُتب رينيه جينو برغم تحريم الكنيسة لقراءتها، قد انتشرت فى جميع أرجاءِ العالم، وطُبعت المرةَ بعدَ الأخرى، وتُرجم الكثير منها إلى جميع اللغات الحية، ما عدا العربية.

وبعد مماته كتبت عنه جميع صحف العالم، وقد خصصت له مجلة «فرنسا - آسيا» وهى مجلة محترمة، عددًا ضخمًا؛ كتب فيه كبار الكُتاب الشرقيين والغربيين، وافتتحته بتقدير كاتب فرنسا الأكبر «أندريه جيد»، وقوله فى صراحة لا لبس فيها: إن آراءَ رينيه جينو لا تُنقض.

وخصصت مجلة (ايتودترا ديسونيل) عددًا ضخمًا من أعدادها ثم خصص له الكاتب الصحفى الشهير بول سيران كتابًا ضخمًا تحدث فيه عن حياته وعن آرائه.

بعد أن بهرت أشعة الإسلام الخالدة رينيه، وغمره ضياؤه الباهر، اعتنق الإسلام، وأصبح جنديًّا من جنوده يدافعُ عنه ويدعو إليه.

ومن أمثلته ما كتبه فى كتابه (رمزية الصليب) تفنيدًا للفرية التى تقول: إن الإسلام انتشر بالسيف.

ومن أمثلة ذلك أيضًا ما كتبه فى مجلة (كابيه دى سور) فى عددها الخاص بالإسلام والغرب، دفاعًا عن الروحانية الإسلامية، لقد أنكر الغربيون روحانية الإسلام، أو قللوا من شأنها، وأشادوا بروحانية المسيحية وأكبروا من شأنها فأتى الشيخ عبد الواحد يحيى وبيَّن سمو الروحانية فى الإسلام وروعتها، وقارن بين ما يسمونه بـ «التصوف المسيحى» أو «المستيسزم» وانتهى بأن هذا «المستيسزم» لا يمكنه أن يبلغ ولا عن بعد ما بلغه التصوف الإسلامى [1] من سمو وجلال» [2].

---

(١) أى: الصحيح القائم على الكتاب والسنة الصحيحة، لا أقوال أصحاب التصوف الفلسفى أو البدعى الذى ضيع الأمة.

(٢) أوروبا والإسلام (ص ٧٢ - ٧٦).



* **الفنان الفرنسى «ألفونس إتيين دينييه»:**

وُلد ألفونس إتيين دينييـه فى باريس سنة ١٨٦١، وهو من كبار أهل الفن ورجال التـصوير، وصـاحب اللوحات الكبيـرة النفيـسة القيمة، وله فى متحف لوكسمبرج عدة صور، منها الصورة الشهيرة المعروفـة باسم غداة رمـضان، وكـذلك له صورة فى مـتحف (بو) وكذلك فى متحف (سدنى) بأستراليا، والحج إلى بيت الله الحرام، وله عـدة مؤلفـات منها حـياة العـرب، وكتـاب السراب، وحـياة الصحراء، وكـتاب ربيع القلوب، وكتاب الشرق كـما يراه الغرب، ومن أهم كتبه السـيرة النبوية، وهو مجلد كبيـر جليل وضعه باللغة الفرنسـية، وله رسالة أشـعة خاصـة بنور الإسلام، قـام بتعريبـها الأستـاذ الأديب راشد رستم، وقد أعلن إسـلامه رسـميًّا بالجامع الجديد بمدينة الجزائر عام ١٩٢٧م، وسمى نفسه ناصر الدين دينييه، وطلب أن يُدفن فى بلده (بو سعادة) بالجزائر حنيفًا مسلمًا.

* **قـال فى كتـابه محـمد رسـول الله (ص ٤٨ ):** «إن حدود هذا السفر لن تسمح لنا بأن نقدم جميع التفاصيل وجميع النواحى لحياة حافلة بالعظائم، إلى هذا الحد كما هو الشأن فى حياة النبى محمد نبى المسلمين».

* **وقال (ص ٤٩ ) منه:** «والحق أننا نرى من بين جمـيع الأنبياء الذين أسـسوا ديانات، أن مـحـمـدًا هو الوحـيد الذى اسـتطاع أن يستغنى عن مدد الخوارق والمعجزات المادية، معتمدًا فقط على بداهة

رسالتـه ووضوحها، وعلى بلاغـة القرآن الإلهية، وإن فى استـغناء محمد عن مدد الخوارق والمعجزات لأكبر معجزة على الإطلاق».

* **وقـال (ص ٥٢) منه:** «إن فى مـرأى المؤمنين وفى أعمـالهم لصورة تلمـحها منعكـسة من مآثر مـحمد، وإذا مـا كانت بالطبع باهتة بالقياس إلى كمالاته العليا، فإنها لا جدالَ فى صحتها، هذا على حين نجد قياصـرة روما مع دقة تماثيلهم لا يطالعنا منهم سوى قناع مزيف لوجوههم الجامدة تحت صورة من الخيلاء، إن صورهم تظل ميـتة يعـجز خيـالنا عن أن يلمح لها شـيئًا من الحـياة، وإنه لبوحى هذه الحـقيقـة المقررة قامت برؤوسنا فكرة نشـر لوحات فى تاريخ محـمد، تمثل المآثر الدينية لأتبـاعه، وبعض صور من حـياة العرب، وبعض مدن الحجاز الذى هو وطنه».

* **وقـال (ص ٨٧) منه:** «مـحمـد لم يؤلف القـرآن، حـقًّا إنه ليدهشنى أن يرى بعض المسـتشرقين أن محـمدًا قد انتهـز فرصة، فروى ورتَّب عمله المسـتقبل، بل لقد ذهب بعـضهم إلى أبعد من ذلك، فوسوس بأن محمد ألَّف فى تلك الفترة القرآن كله!.

أحـقًّـا لم يلاحظوا أن هذا الكتـاب الإلهى خـالٍ من أية خطة سابقة على وجـوده مرسومة على نسق المناهـج الإنسانية، وأن كل سورة من سوره منفـصلة عن غيرها، وخاصة بحـادثة وقعت بعد الرسالة طيلة فترة تزيد على عشرين عـامًا، وأنه كان من المستحيل على محمد أن يتوقع ذلك ويتنبأ به؟!».

* وقال (ص ٣٤٥) منه: «فدينُ الرسول محمد أكَّد من الساعة الأولى لظهوره أنه دينٌ عامٌّ صالحٌ لكل زمان ومكانٍ».

* * *

* **روجيه دى باسكيه:**

هو الكاتب والصحفى السويسرى الذى اعتنق الإسلام، تحت اسم سيدى عبد الكريم، وكذلك أسلمت زوجتُه الهولندية.

* قال روجيه دى باسكيه: «إن الإسلام بأبعاده الأفقية والرأسية، قادرٌ على عمل توافق قوى بين الإنسان والكون المحيط به، وكذلك بين الإنسان والإله خالق كل شىء ومُبدعه. . . إن الإسلام عالمى بكل معنى الكلمة.

فمهما حدث فى العالم الغربى المزدهر وفاسد الأخلاق، أو حدث للشعوب التى تعانى من فقر المستلزمات المادية للحياة مثل تلك التى يطلق عليها «العالم الثالث»، فإن الإسلام يقدم الحل الأكثر وضوحًا وجوهرية وحتمية، من أجل مواجهة التحدى الحديث.

وبالنسبة لهؤلاء الذين يعتنقون الإسلام ويطبقونه عمليًّا، فإنه يقدم لهم العلاج الأكثر فعالية وشفاء من شرور هذا العصر.

* وكتب كتابًا من أجل تعريف الغرب بالإسلام تحت اسم «اكتشاف الإسلام» قال فيه: «من المُسلَّم به حاليًا وبوجهٍ عام، أنه بينما تتراجعُ الديانات الكبرى أو على الأقل تتخذُ موقف الدفاع، فإن الإسلام ذاته فى تقدم، وتعطى أفريقيا أكثر الأمثلة وضوحًا على ذلك».

إن قوة الإسلام هذه مقارنة بضعف المسيحية تمثل حقيقة كبرى فى التاريخ المعاصر، ولقد قامت عدة دراسات اجتماعية واستشراقية بمحاولة لتفسير ذلك فأظهرت أن هناك وجهات نظر عديدة.

لقد جاء الإسلامُ إلى الناس لمساعدتهم على عبور هذه المرحلة الأخيرة من التاريخ العالمى، دون أن يتعرضوا للضياع، وباعتباره الوحى الأخير فى سلسلة النبوات، فإنه يقدم وسائل لمقاومة الفوضى التى تسود العالم حاليًا، وإقرار النظام والنقاء فى داخل الإنسان، وإيجاد التآلف والانسجام فى العلاقات الإنسانية وتحقيق الهدف الأسمى الذى من أجله دعانا الخالقُ إلى هذه الحياة».

* وقال: «والإسلام بأبعاده الأفقية والرأسية قادر على عمل توافق قوى بين الإنسان والكون المحيط به، وكذلك بين الإنسان والإله خالق كل شىء ومُبدعه... إن الإسلام عالمى بكل معنى الكلمة، إن الغرب المسيحى أو الذى فقد مسيحيته لم يعرف الإسلام أبدًا».

ويرى مارسيل بوازار أن الإسلام هو الحل لمشاكل العالم، ويقول: «لقد عرف الإسلام بمحافظته على العقيدة كيف يقاوم تحطيم جماعته السياسية، ولم يكن الإسلام منذ ظهوره وتحت إدارة النبى إلا ثوريًّا معتدلاً على المستوى الاجتماعى، فهناك تكليف مفروض بالتكافل والتضامن على جميع أعضاء الجماعة المسلمة، من أجل تأمين الرخاء والكرامة لجميع الأفراد فى حدود الإمكانات

المتاحة، ويمثل هذا مظهراً متمماً لطابع الجماعة المسلمة وشيئًا تتميز به مبادئ الأخلاق التى طبعهـا الوحى القرآنى. ولقد أقام الإسلام نظامًا اقتصاديًّا مرتكزًا على الأخـلاق وذلك بتنظيم توزيع الدخل عن طريق نظام ضريبـى مقدس هو الزكاة وبإدخـال مفهـوم جديد للملكيـة الخاصة التى ليـست فى كلمة مـوجزة سوى حق انتـفاع بالنعم التى أفـاءها الله على الإنـسان وبذلك حـقق الإسـلام من وجهة نظر خاصة الجمع بين قيمتى رأس المال والعمل».

* **وقال مونتجمرى وات**: «من المؤكد أن الإسلام منافس قوى فى مجال إعطاء النظام الأساسى للدين الوحيد الذى يسود فى المستقبل».

* **وقال إدوارد مـونتـيه**: «احتـفظ القرآن بمنزلته الثـابتة، كنقطة البداية الرئيسـية لفهم الدين، وصار يُعلنُ دائمًا عن عقـيدة توحيد الله فى سـموٍّ وجلال وصـفاء دائم، مع اقـتناع يقينى مـتمـيز من الصعب أن يوجد ما يفوقه خارج نطاق الإسلام».

* **وقـال جـورج برناردشـو عن رسـول الله** ﷺ: «يجب أن يُسمَّى «مـنقذ الإنسانيـة» وإنى أعتـقد لو أن شـخصًا مـثله تولى، الحكم المطلق للعالم المعاصر، لنـجح فى حل مشاكله بطريقة تجلب له ما هو فى أشد الحاجة إليه من سلام وسعادة».

* **وذكر الأمـير شكيب أرسلان فى كـتابه**: «لماذا تأخر المسلمون؟» بعد كلامه عن الفتوحات الإسـلامية: «على أن تلك الفتوحات التى فتـحوها فى نصـف قرن أو ثلثى قـرن قد أدهشت عـقول العـقلاء

والمؤرخين والمفكرين، وحيرت الفاتحين الكبار، وأذهلت نابليون بونابرت»، وله تصريح فى ذلك نقله «لاكاس» الذى رافقه إلى جزيرة سانته هيلانة، وغيره من المقيدين لحوادث نابليون المتتبعين لأقواله، فقد ثبت ثبوتًا قطعيًّا من أقوال نابليون وسيرته أيام كان بمصر أنه كان معجبًا بمحمد ﷺ وعمر رضي الله عنه وبكثير من أبطال الإسلام، وأن نفسه حدثته لما كان بمصر أن يتخذ الإسلام دينًا له»[1].

* **ونختم بما قال مايكل هارت:** لكن محمدًا كان هو الإنسان الوحيد فى التاريخ الذى بلغ أعلى درجات النجاح على المستويين الدينى والدنيوى.

وبسبب هذا الجمع الذى لا نظير له بين الدين والدنيا، أرى أن محمدًا من حقه أن يُعتبر أعظم الشخصيات البارزة أثرًا فى تاريخ الإنسانية».

* * *

*** محمد أسد (النمسا)[2] Muhammad Asad سياسى وصحفى ومؤلف:**

فى سنة ١٩٢٢م [3] غادرت موطنى النمسا للسفر فى رحلة إلى أفريقيا وآسيا لأعمل مراسلاً خاصًّا لبعض الصحف الأوروبية

(١) لماذا تأخر المسلمون؟ (٢١، ٢٢).

(٢) مجموعة قصص بتصرف من كتاب (لماذا أسلمنا)/ تهذيب وتعليق الشيخ عبد الحميد السحيبانى.

(٣) يوافق ١٣٤٠هـ .

الكبيرة، ومنذ تلك السنة وأنا أكاد أقضى كل وقتى فى بلاد الشرق الإسلامية، وكان اهتمامى بادئ الأمر بشعوب هذه البلاد التى زرتها، هو ما يشعر به الرجل الغريب.

رأيت أول ما رأيت مجتمعًا يختلف فى مظهره كل الاختلاف عن المجتمع الأوروبى، وبدأت منذ الوهلة الأولى أحس بميل ينساب فى نفسى، ويزداد إلى هذا اللون الهادئ المستقر من فلسفة الحياة، بل أقول إنها الحياة الإنسانية إذا قورنت بالأسلوب الميكانيكى الموسوم بالسرعة فى حياة الأوروبيين.

هذا الميل بدأ يوجه شعورى تدريجيًّا إلى دراسة أسباب هذا الاختلاف وبدأت أهتم بدراسة التعاليم الدينية فى الإسلام، على أننى فى ذلك الوقت لم أشعر بدافع قوى يكفى ليجذبنى إلى اعتناق الإسلام؛ إلا أننى بدأت أرى صورة حية لمجتمع إنسانى متطور يكاد يخلو نظامه من التناقضات الداخلية ويتسم بأوفر قسط من الشعور الأخوى الصحيح.

وقد ظهرت لى حقيقة واضحة مع ذلك هى أن حياة المسلمين اليوم بعيدة كل البعد عن الحياة المثالية التى يمكن أن تحققها لهم تعاليم الإسلام، فكل ما كان فى الإسلام من قوى دافعة ومن حركة، انقلب بين المسلمين إلى كسل وجمود، وما كان فيه من كرم واستعداد لبذل الروح أضحى بين مسلمى اليوم ضيقًا فى الأفق العقلى وحبًّا للحياة السهلة الوادعة، وقد تملكتنى الحيرة

عندما رأيت ذلك، ورأيت هذا التناقض العجيب بين ما كان فى ماضى المسلمين وحاضرهم فحفزنى ذلك إلى زيادة العناية بهذا اللغز الذى رأيته، فحاولت أن أتصور أننى فعلاً أحد هؤلاء الذين تضمهم دائرة الإسلام، ودخلت بذلك فى تجربة تصورية بحتة، وسرعان ما تكشَّف لى الحل الصحيح.

وجدت السبب الوحيد الذى ليس معه سبب آخر للتخلف الاجتماعى والثقافى بين المسلمين، ذلك أنهم بعدوا رويدًا رويدًا عن اتباع تعاليم الإسلام وروحه، إن مجتمع الإسلام ما زال قائمًا، إلا أنه جسد بغير روح... والعنصر الذى كان يومًا ما سر قوة العالم الإسلامى هو نفسه الذى انتهى به إلى ما هو فيه اليوم من ضعف... لقد بُنى المجتمع الإسلامى منذ نشأته على أساس من الدين وحده؛ ونتيجة حتمية لضعف هذا الأساس أن يضعف معه الكيان الثقافى، ومن المحتمل أن يكون ذلك سببًا فى زواله واختفائه نهائيًّا.

وكلما تكشف لى من قوة تعاليم الإسلام ومن ملاءمتها غير المحدودة للتطبيق الواقعى فى الحياة، كلما ازداد عجبى وتساؤلى عن السبب الذى حدا بالمسلمين إلى التخلى عن الالتصاق الكامل بهذه التعاليم وممارستها فعليًّا فى واقع حياتهم.

ناقشت هذا الأمر مع كثير من مفكرى المسلمين فى جميع الدول الإسلامية تقريبًا ما بين صحراء ليبيا وجبال البامير فى وسط آسيا وما بين البسفور والبحر العربى، حتى أصبح شغلى الشاغل

الذى استولى على فكرى، وطغى على كل اهتمام آخر لى فى محيط العالم الإسلامى.

وازداد يقينى فيما لهذا البحث من أهمية قصوى حتى أصبحت وأنا غير المسلم أدافع عن الإسلام أمام المسلمين مستنكرًا إهمالهم وتراخيهم؛ وكنت لا أُلقى بالاً إلى هذا الاهتمام المتزايد فى قرارة نفسى حتى كان ذلك اليوم، وأذكر أنه كان فى خريف عام ١٩٢٥م[١] وفى جبال أفغانستان، حين حدثنى شاب كان فى ذلك الوقت حاكمًا لإحدى المناطق، إذ فاجأنى بقوله: «ولكنك الآن مسلم دون أن تدرى»: فدهشتنى هذه الكلمات وظللت صامتًا.

وعندما عدت إلى أوروبا عام ١٩٢٦م[٢] رأيت أن النتيجة المنطقية لسلوكى وفكرى هى أن أعتنق الإسلام.

هذه هى الظروف التى انتهت بى إلى إعلان إسلامى، ومنذ ذلك الحين تكرر توجيه السؤال إلىَّ: «لماذا اعتنقت الإسلام؟ وما هو الشىء الذى أغراك فيه على التحديد؟» ويجب أن أعترف أننى لا أستطيع تحديد الجواب المقنع. لم يكن هناك شىء بعينه من تعاليم الإسلام هو الذى أخذ بمجامع قلبى. إنه المجموع المتكامل المتناسب والمتماسك من هذه التعاليم الروحية من جانب، والتى ترسم برنامجًا عمليًا للحياة من الجانب الآخر.

---

(١) يوافق منتصف ربيع الأول ١٣٤٤هـ.

(٢) يوافق ١٣٤٥هـ.

لم أكن لأستطيع عندئذ وحتى هذه اللحظة أن أحدد أى ناحية فى الإسلام كان لها فى نفسى وقع وأثر أكثر من غيرها؛ فالإسلام يبدو لى وكأنه بناء مُحكَم فى هندسته وتصميمه، كل أجزائه متناسبة ليكمل بعضها بعضًا ويشد بعضها بعضًا، لا زيادة فيه ولا نقصان، ويؤدى بذلك إلى نتيجة واحدة هى التوازن الكامل والاستقرار الشامل.

* * *

*** محمد اسكندر راسيل وب (الولايات المتحدة) Mohammad Alexander Russel Webb سياسى ومؤلف وصحفى:**

تسألنى لماذا وأنا الأمريكى المولود فى بلد يدين اسميًّا بالمسيحية ونشأت فى بيئة مسيحية أو على الأصح تتشدق بالمسيحية الأرثوذكسية على منابر الوعظ لماذا تخيرت الإسلام هاديًا لى فى حياتى؟

وأستطيع الإجابة على الفور وأنا صادق فيما أقول، إننى اتخذت هذا الدين سبيلاً لحياتى، لأننى بعد دراسات طويلة وجدته خير الأديان وأنه هو الوحيد بينها الذى يلبى الاحتياجات الروحية للجنس البشرى.

وأود أن أقرر هنا بأننى عندما كنت صبيًّا كانت تنقصنى الحماسة الدينية التى تبدو على كثير من الصبيان بالفطرة.

ولما بلغت العشرين عامًا وأصبحت حر التصرف فى نفسى،

ضاق صدرى بجمود الكنيسة وكآبتها فهجرتها إلى غير رجعة.

وكنت لحسن حظى ذا عقلية فاحصة أميل إلى أن أتحرى الأمور وأن أجد لكل شىء علة وسببًا، ووجدت أن الناس بين علمانيين ورجال دين، عجزوا عن إقناعى، بوسائل عقلية ومنطقية بحقيقة هذه العقيدة ولكن كلاًّ من الفريقين كانوا يقولون إن هذه أمور غامضة وخفية أو يقولون إنها مسائل فوق مستوى إدراكى.

ومنذ أحد عشر عامًا، بدأت أهتم بدراسة الديانات الشرقية وقرأت ما كتبه مل **Mill**، وكانت **Kant**، ولوك **Locke**، وهيجل **Hegel** وهكسلى **Huxley** واستمعت إلى محاضرات وأحاديث لكثيرين غيرهم من الكُتاب والمفكرين يتحدثون وكأنهم أُوتوا الحكمة، عن الذرة والخلية، ولكن أحدًا من هؤلاء جميعًا لم يستطع أن يحدثنا عن الروح فى ماضيها أو مآلها بعد الموت.

لقد تحدثت كثيرًا عن نفسى، وإنما قصدت إلى ذلك لأوضح أن اعتناقى للإسلام لم يكن عن ضلالة أو نزوة خاطئة، أو انقياد أعمى، أو اندفاع عاطفى، ولكن كان ذلك وليد دراسة دقيقة فاحصة أمينة غير متأثرة برأى أو ميلٍ سابق، ونتيجة لرغبة وعزم على معرفة الحقيقة.

إن روح العقيدة الإسلامية الحقة، تكمن فى الخضوع لإرادة الله، وحجر الزاوية فيها الصلاة. والإسلام دعوة إلى الأخوة العالمية وإلى المحبة بين العالمين جميعًا، وإلى الخير للناس كافة،

ويتطلب طهارة العقول وطهارة العمل وطهارة الحديث ويدعو إلى طهارة البدن ونظافته.

إن هذا الدين من بين جميع الأديان التى عرفها العالم، هو ولا شك أبسطها وهو فى نفس الوقت أقدرها على السمو بالبشرية.

* * *

**وليم بورشل بشير بيكارد (إنجلترا) William Burchell Bashyr Pickard مؤلف وشاعر وقصصى:**

**«كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهودانه أو يُنصرانه أو يمجسانه»**(١).

لقد وُلدت مسلمًا وتلك حقيقة لم أدركها إلا بعد سنين عديدة، وعندما كنت طالبًا فى المدرسة وفى الجامعة كنت أكاد أحصر اهتمامى فى متطلبات الساعة، وما أحسبنى كنت فى تلك الفترة لامعًا، ولكننى كنت على أى حال متفوقًا.

نشأت فى بيئة مسيحية، حيث تعلمت الحياة الفاضلة، وكان يطيب لى التفكير فى الرب وفى العبادة وفى الاستقامة، وإذا كنت حينذاك أُقدس أى شىء، فقد كنت أقدس النبل والشجاعة.

تخرجت فى كمبردج وسافرت إلى إفريقيا الوسطى حيث عُينت فى وظيفة إدارية فى محمية أوغندا، وهناك لقيت الحياة الجميلة الرائعة المثيرة فوق ما كنت أتصورها عندما كنت فى

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٨٥) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٦٥٨) كتاب القدر.

إنجلترا، وكـانت الظروف عندئذ تقتضى أن أعـيش بين إخواننا فى الإنسانية من السود الذين تعلقت بهم بكل جوارحى، وأستطيع أن أعزو ذلك إلى نظرتهم البسيطة المرحة للحياة.

لقد كـان الشرق دائمًـا يجذبنى إليه وكنـت فى كمبـردج أقرأ قصص ألف ليلة وليلة، وفى وحدتى فى أفريقيا قرأتها مرة أخرى، ولم تكن حياتى المتنقلة فى أوغندا لتقلل من حبى لبلاد الشرق.

وفى خلال هذه الفترة الوادعة من حيـاتى نشبت الحرب العالمية الأولى فسارعت إلى العودة لبلادى فى أوروبا، ثم أصابنى ضعف صحى. فـلما عوفـيت تقدمت طالبًـا للعمل فـى الجيش، إلا أن طلبى رُفض لحالتى الصحـية فتقدمت إلى فرقة الفـرسان المتطوعين ونجـحت فى أن أتخطى العقـبات الـطبيـة بوسيلة أو بأخـرى، ثم شعرت بالرضى عندما ارتديت زى الفرسان، وفى فرنسا فى الجبهة الغربية اشتركت فى معركة «سوم» **Somme** سنة ١٩١٧م [١] حيث جُرحت وأُخذت أسير حرب.

سافرت إلى بلجيكا ثم ألمانيا، حيث أقمت فى المستشفى؛ وفى ألمانيـا رأيت كثـيرًا من آلام الإنسـانية الجـريحة، وخـصوصًـا بين الروسيـين الذين يعانون الدوسنتـاريا... كدت أموت جـوعًا؛ إذ كنت عديم النفع للألمان؛ وكان ذراعى الأيمن مكسورًا، ولا يتقدم إلا قليلاً نحو الشفاء، فأرسلونى إلى مستشفى فى سويسرا للعلاج

---

(١) يوافق ١٣٣٥هـ.

وإجراء جراحة.

وإنى لأذكر أنه حتى فى تلك الحقبة من الزمان لم تكن منزلة القرآن لتتضاءل فى نفسى، وكنت أنا فى ألمانيا قد أرسلت إلى بلادى طالبًا نسخة من ترجمة «سيل» **Sale** ثم علمت بعد سنوات أنها فعلاً أُرسلت لى فى حينها ولكنها لم تصلنى.

وفى سويسرا استعدت عافيتى بعد إجراء جراحة فى ذراعى وساقى، وأصبحت مستطيعًا الخروج والتنقل فيما حولى، فاشتريت نسخة من القرآن منقولة للفرنسية ترجمة «ظَفَرى» **Savary** وهى عندى اليوم من أعز ما أقتنيه وفيها وجدت سعادتى وإشراق روحى، كانت شعاعًا من النور الخالد ملأ جوانب قلبى غبطة وبركة.

كانت يدى اليمنى ما تزال عاجزة، فكنت أكتب القرآن بيدى اليسرى، ومن شواهد تعلقى بالقرآن، أن من أروع ما علق بذهنى مما قرأت فى قصص ألف ليلة، قصة ذلك الشاب الذى وُجد حيًّا وحده فى مدينة الموتى، وهو يقرأ القرآن، غير مكترث بكل ما حوله.

فى تلك الأيام، فى سويسرا، كنت فى حقيقة أمرى مستسلمًا لمشيئة الله، أى: أننى كنت مسلمًا.

وبعد توقيع الهدنة عدت إلى لندن فى ديسمبر سنة ١٩١٨م(١) وبعد حوالى ثلاث سنوات التحقت بجامعة لندن سنة ١٩٢١م(٢)

(١) يوافق ربيع الأول ١٣٣٧هـ.

(٢) يوافق ١٣٤٠هـ.

لدراسة الآداب، وكـانت اللغة العربيـة إحدى المواد التى اختـرتها واستمعت إلى محاضرات عنها فى الكلية الملكية. وكان أستاذ اللغة العربية (المـرحوم بلشاه) Mr. Belshah من العراق يحـاضرنا ذات يوم وأشار إلى القـرآن الكريم وقال: «سـواء آمنت به أو لم تؤمن فإنك سـتجده كـتابًا عظيمًـا جديرًا بالدراسة» فكان جـوابى عليه: «ولكننى أومن به فعلاً» فكانت مفاجـأة سارة أثارت اهتمام أستاذى الذى دعانى بعـد حـديث قصـير، لمرافقـته إلى مسـجـد لندن فى نتوتنج هل جيت Notting Hill Gate وبعد ذلك صرت أتردد كثيرًا على هذا المسجد، حـيث ازدادت معرفتى عـمليًّا بشعائر الإسلام حتى كان يوم رأس السنة ١٩٢٢م [١] فأعلنت إسلامـى وانضمامى إلى جماعة المسلمين.

مـضى على ذلك أكثـر من ربع قـرن، ومنذ تلك اللحظة وأنا أطبق الإسلام نظريًّا وعمليًّا فى حياتى ما وسعنى أن أفعل ذلك.

إن قدرة الله وحكمته ورحمته وسعت كل شىء، وإن مجالات المعرفة فسيحة ممتـدة أمامنا لا تحدها الآفاق، وإنى لأحس إحساس اليـقين أن أنـسـب ثوب نرتديه ونحن نعـبر هـذه الحيـاة هو ثوب الاستسلام لله الأحـد الصمد والامتثال إليه، تتـوج رؤوسنا عمامة تسبيحه وتحميده ونملأ قلوبنا بحبه وتمجيده.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) يوافق ١٣٤١هـ.

## السيدة سيسيليا محمودة كانولى (استراليا) Mrs. Cecilia Mahmuda Cannolly

* لماذا أسلمت؟

أولاً وقبل كل شيء، أود أن أقول: إننى أسلمت لأننى كنت فى قرارة نفسى مسلمة دون أن أعلم ذلك.

منذ حداثة سنى كنت قد فقدت الإيمان بالمسيحية لأسباب كثيرة أهمها أننى ما سألت مسيحيًّا سواء كان ممن يقال عنهم رجال الكهنوت والأسرار المقدسة، أو من العامة، عن أى شىء يبدو لى غامضًا فى تعاليم الكنيسة، إلا تلقيت الجواب التقليدى «ليس لك أن تُناقشى تعاليم الكنيسة، ويجب أن تؤمنى بها».

وفى ذلك الوقت لم تكن عندى الشجاعة الكافية لأقول لهم «أننى لا أستطيع الإيمان بشىء لا أعقله» وتعلمت من خلال تجاربى أن غالبية الذين يسمون أنفسهم مسيحيين لا يجدون هذه الشجاعة كذلك.

كان كل ما فعلته أنى هجرت الكنيسة (الرومانية الكاثوليكية) وتعاليمها وركزت إيمانى فى الإله الواحد الحق، لأن الإيمان به أيسر على النفس من الإيمان بثلاثة آلهة كما تقول الكنيسة، وعلى النقيض من التعاليم الكنسية الغامضة البعيدة عن الإدراك بدأت أرى الحياة أوسع وأرحب، طليقة من الطقوس والفلسفات؛ فكنت حيثما وجهت وجهى أجد آيات الله فى خلقه، وكنت مثل غيرى

ممن يفوقوننى عقلاً وذكاء عـاجزة عن فهم المعجزات التى تقع تحت بصرى؛ كنت أقف أتأمل كل هذا الإبداع فى خلق الله: الأشجار، الأزهار، الأطيار، الحيوانات، حتى الطفل الوليد أصبحتُ أحس أنه معجزة رائعة جميلة، وليس كما كانت الكنيسة تصوره لنا؛ تذكرت كيف أننى كنت فى صغرى إذا نظرت إلى طفل حديث الولادة، تصورته «مُغطَّى بسواد الخطيئة» أما الآن فلم يعد للقبح مكان فى خيالى. بل لقد أصبح كل شىء أمامى جميلاً.

وذات يوم عادت ابنتى إلى المنزل، ومعها كتاب عن الإسلام أثار اهتمامنا بهذا الدين، حتى أتبعناه بقراءة كتب كثيرة أخرى عنه، وسرعان ما أدركنا أن الإسلام هو نفس العقيدة التى كنا نؤمن بها.

فى الفترة التى آمنت فيها بالمسيحية كنت متأثرة بما كان يُلقَى فى روعنا بأن الإسلام لا يعدو أن يكون حديث فكاهة، حتى كان أن قرأت عنه ما قرأت فانقشع عنى ذلك الوهم؛ ولم يمضِ وقت طويل حتى بحثت عن بعض المسلمين لأسألهم عن الأمور التى لم تكن واضحة تمام الوضوح أمامى، وهنا أيضًا تهتكت الأستار التى كانت تحجب ما بينى وبين الإسلام؛ فما خطر لى من سؤال إلا كنت أتلقى عنه الجواب المقنع الدقيق، على النقيض تمامًا، من ذلك الهراء الذى كنت أسمعه حينما كنت أناقش المسيحية.

وبعد طول قراءة ودراسة قررت وابنتى أن نعتنق الإسلام وتسمينا باسم رشيدة ومحمودة.

ولو أن أحدًا سألنى عن أهم جانب فى الإسلام اجتذبنى، لأجبت: إنها الصلاة، لأن الصلاة فى المسيحية لا تعدو أن تكون دعاء لله (بواسطة المسيح عيسى) ليمنحنا خير الدنيا، أما فى الإسلام فهى ثناء على الله وتحميد له على كافة نعمه لأنه العليم بما ينفعنا، ويمنحنا ما يلزمنا دون أن نسأله من ذلك شيئًا.

* * *

*** عمر ميتا (اليابان) Umar Mita من رجال الاقتصاد وباحث اجتماعى وواعظ:**

من فضل الله علىَّ أن وفقنى إلى حياة إسلامية سعيدة، منذ ثلاث سنوات وإنى مدين بهذا التوفيق إلى إخوان التبليغ الباكستانيين الذين زاروا بلادنا، فكان أن هدانى الله بهم إلى الطريق المستقيم.

إن غالبية أهل بلادنا بوذيون، ولكنهم بوذيون بالاسم فقط، فلا يمارسون طقوس البوذية، بل لا يكادون يكترثون بالدراسة الدينية، وربما كان السبب فى جفوتهم لدينهم أن البوذية تقدم للناس فلسفة رنانة معقدة، ولكنها لا تقدم إليهم مُثلاً عملية، وهى لذلك بعيدة المنال بالنسبة للرجل العادى الذى تشغله أمور حياته الدنيوية، فلا هو مستطيع أن يفهمها ولا هو قادر على تطبيقها.

ولكن الإسلام يختلف عن ذلك كل الاختلاف، فتعاليمه سهلة بسيطة وواضحة لا التواء فيها، وهى فى نفس الوقت عملية إلى أبعد الحدود.

والإسلام ينظم الحياة البشرية فى كافة جوانبها، ويصقل التفكير الإنسانى، وإذا ما صلح تفكير الإنسان وصفًّا، صلح معه العمل تلقائيًّا.

والرجل العادى يستطيع أن يفهم تعاليم الإسلام لبساطتها وسهولة تطبيقها، ولذلك لا نجدها حكرًا على طائفة من رجال الدين أو القساوسة كما نرى ذلك فى الأديان الأخرى.

وإنى لأتوقع أن يكون للإسلام فى اليابان شأن عظيم فى المستقبل، وربما صادفته بعض العقبات والصعوبات، إلا أن التغلب عليها غير عسير.

ولتحقيق ذلك أرى من الواجب فى المقام الأول ضرورة بذل جهود كبيرة متواصلة للتعريف بالإسلام وتعاليمه إلى شعبنا الذى يتجه يومًا بعد يوم نحو المادية، ولكنه لا يجد فيها سعادته، يجب أن نوضح لهم أن السلام الحقيقى والاطمئنان النفسى يكفلهما الإسلام، لأنه نظام كامل للحياة، يأخذ بيدهم ويوجههم إلى ما فيه خيرهم فى شتَّى نواحيها.

ويأتى بعد ذلك واجب الذين يقومون بالتبشير بالإسلام وتعاليمه، فلابد أن تكون حياتهم وتصرفاتهم كلها نموذجًا عمليًّا لما يدعون إليه غيرهم؛ ولعل من سوء الطالع أن الطلبة الذين يَفِدون على اليابان من مختلف البلاد الإسلامية، ليس فيهم من يقدم لنا مثالاً للرجل المسلم فنقتدى به، ولا نجد لديهم من الإرشاد

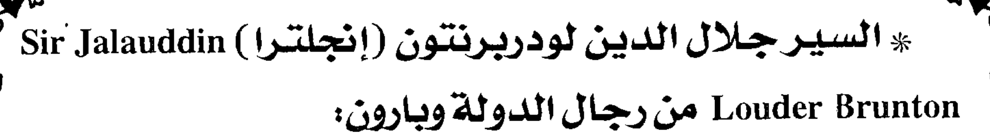
والتوجيه ما يفيدنا، بل نرى أكثـرهم يعيشون معيشة أهل الغرب، ولا يعرفـون شيئًا عن الإسـلام، لأنهم درسوا فى معاهد أنشـأتها الدول الأوروبية، وأكثرها يشرف عليها الرهبان.

وإذا كان للإسلام أن ينتشـر فى اليابان، وإنى على يقين من أن ذلك سيكون فإن على أنصار الإسلام ومُحبيه أن يفكروا فى الأمر، وأن يبذلوا فى سبـيل ذلك جهودًا متواصـلة ومُركزة، وعلى هؤلاء المسلمين المؤمنين الذين تتفق حـياتهم مع تعاليم دينهم، أن يزوروا اليابان لتعليم الناس وتقديم القدوة إليـهم، لأن شعبنا متعطش إلى السلام، والصدق ، والأمانة، والفـضيلة وما إلى ذلك من نواحى الخير فى الحياة، وإنى واثق كل الثـقة أن الإسلام، والإسلام وحده هو الذى يستطيع أن يروى ظمأهم.

إننا فى حاجة إلى الثقة الكاملة فى الله، حتى نستطيع أداء هذه الرسالة، وإننا لنضرع إلى الله أن يرزقنا الإيمان واليقين.

الإسـلام هو السلام، وليس بـين شعـوب الأرض من هو فى حاجـة للسلام أكثر من شـعب اليابان، وإذا أردنا السلام الحقـيقى فعلينا أن نؤمن بدين السـلام، السلام مع الناس جميـعًا، ذلك أن الأخوة فى الإسلام مبدأ ينفـرد به هذا الدين، وعليه تتوقف سعادة البشرية جميعًا.





*** السير جلال الدين لودربرنتون (إنجلترا) Sir Jalauddin Louder Brunton من رجال الدولة وبارون:**

إننى جد سعيد لأن تُتاح لى هذه الفرصة لأقص فى كلمات قليلة قصة اعتناقى للإسلام؛ فقد وُلدت ونشأت بين أبوين مسيحيين، وولعت بدراسة اللاهوت وأنا فى سن مبكرة؛ وارتبطت بالكنيسة الإنجليزية وأوليت أعمال التبشير اهتمامى، دون أن أُسهم فيها إيجابيًّا.

ومنذ سنوات بدأت أهتم بمبدأ العذاب الخالد لجميع البشر ما عدا نفر من المصطفين الأخيار، فأصابتنى الحيرة والانزعاج وأصبحت أقرب ما أكون إلى الشك فى هذه العقيدة. وتصورت أن الرب الذى يخلق الناس بقدرته وهو يعلم مسبقًا فى الغيب أن مآلهم ولا شك إلى العذاب الخالد تصورت أن هذا الرب لا يمكن أن يكون حكيمًا ولا عادلاً ولا عطوفًا، وأنه فى هذه الحالة يكون أدنى مستوى من كثير من الناس.

ورغم ذلك فقد ظل يقينى فى وجود الرب ثابتًا، ولكننى لم أقبل التسليم بالعقيدة المتواترة بأن الله قد تجلى للناس بذاته، ومن ثم اتجهت إلى دراسة الأديان الأخرى، فلم يزدنى ذلك إلا خيبة أمل وحيرة.

ولكنى مع ذلك كنت أزداد رغبة فى عبادة الرب الحقيقى وسلوك سبيله.

يقولون: إن العقائد المسيحية تستند إلى الإنجيل، ولكنى وجدتها متنافرة متضاربة فهل من الممكن أن يكون الإنجيل وتعاليم المسيح قد أصابها التحريف؟ عُدت ثانيًا إلى الإنجيل أُوليه دراسة دقيقة فشعرت أن هناك نقصًا لم أستطع تحديده.

عندئذ قررت أن أبحث بنفسى متجاهلاً عقائد الناس، وبدأت أدعو إلى أن لكل بشر روحًا، وأن هناك قوة خفية باقية خالدة، وأن من يقترف إثمًا أو سيئة يلقى جزاءه فى هذه الدنيا[1] وفى الحياة الأخرى، وأن الرب برحمته وعفوه يقبل التوبة من عباده المخطئين إذا كانوا حقًّا نادمين على ما قدمت أيديهم[2].

أما وقد أيقنت بضرورة البحث عن الحقيقة مهما طال المدى فى هذه السبيل، ومهما كان الجهد، حتى أصل إلى «الدر الثمين» فقد فرغت كل وقتى لدراسة الإسلام، الذى وجدت فيه عندئذ ما ملك علىَّ نفسى؛ وهناك فى ركنٍ مُنزوٍ فى قرية إكرا **Echhra** كرست كل وقتى وجهدى فى إقامة أمر الله العظيم بين أدنى طبقات المجتمع، راغبًا بكل حماس وإخلاص أن أرتقى بهم إلى درجة معرفة الله. . . الله الحق الذى لا رب سواه، ولأنشر بينهم مشاعر الأخوة والطهارة.

---

(١) يقول سبحانه: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ سورة النساء: الآية: (١٢٣).

(٢) يقول جل وعلا: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ سورة الشورى: الآية: (٢٥).

لا أود أن أتحدث عن مدى الجهود التى بذلتها بين هؤلاء الناس ولا عمَّا تحملت من تضحيات ولا عن العقبات الجسام التى اعترضت سبيلى.

لقد كنت أسير وليس لى سوى هدف واحد هو خير هذه الجماعات ماديًّا وروحيًّا.

ثم اتجهت بعد ذلك إلى دراسة سيرة النبى محمد ﷺ ولم أكن أعلم إلا القليل النادر مما أدى للبشرية، ولكننى علمت أو أحسست أن المسيحيين أجمعوا على قلب رجلٍ واحد، على إنكار هذا النبى العظيم الذى ظهر فى الجزيرة العربية، وعندئذ قررت أن أدرس الأمر بغير تعصب ولا ضغينة، ولم يمض بى طويل زمان حتى أدركت أنه من المستحيل أن يتطرق الشك إلى جدية وصدق دعوته إلى الحق وإلى الله.

شعرت أنه لا خطيئة أكبر من إنكارى هذا «الرجل الربانى» بعد أن درست ما قدمه للإنسانية، هؤلاء الأقوام القساة عُباد الأصنام الذين انغمسوا فى الجريمة والرجس والقذارة والعرى، علَّمهم كيف يلبسون الثياب ونقلهم من الرجس إلى النظافة والطهر، وبعث فى نفوسهم الإباء والاعتداد بالنفس، وأصبح الكرم عندهم سجية واجبة من أصول دينهم، فحطموا أصنامهم وتوجهوا بالعبادة إلى الله المعبود بحق والواحد بغير شريك، وجعل من المسلمين أقوى مجتمع رفيع يعاف الدنايا عرفه العالم، وإنى غير مستطيع أن

أحصى ما قدمه هذا الرسول وما أداه من جليل الأعمال؛ وأمام كل هذا الفضل وهذا الصفـاء، أليس من المحزن الأليم حقًّا أن يقدح فى شأنه المسيحيون؟

فكرت كثيرًا وتأملت عميقًا، وفى لحظة من لحظات التأمل زارنى صديق هندى يُدعى (ميان أمير الدين) وكان عجبًا أن أثارت هذه الزيارة فى نفسى انفعالاً شديدًا، فإذا هو يلهب روحى؛ تدبرت الأمر مليًّا، وناقشت العقائد المسيحية فى وقتنا هذا واحدة تلو الأخرى، فانتهيت إلى تعظيم الإسلام واقتنعت وآمنت بأنه دين الحق والصدق، دين اليسر والتسامح، دين الإخلاص فى الحب والأخوة.

لا أعتقد أن العمر سيمتد بى طويلاً فى هذه الدنيا، على أننى سأكرس كل ما بقى لى منه فى خدمة الإسلام.

* * *

## مستر ر. ل. ملما (هولندا) Mr. R. L. Mellema

## عالم فى تاريخ الأجناس البشرية وكاتب وأديب

ما هو أجمل ما راقنى فى الإسلام؟

وما الذى اجتذبنى للإيمان به؟

بدأت بدراسة اللغات الشرقية فى جامعة ليدن عام ١٩١٩م(١) وحضرت محاضرات البروفسور س. سنوك هير جرونج **C.Snouck Hurgronje** عالم اللغة العربية المعروف. فتعلمت العربية، وقرأت

(١) يوافق ١٣٣٧هـ.

وترجمت تفسير البيضاوى للقرآن، وخواطر الغزالى عن الشريعة؛ ثم قرأت عن تاريخ الإسلام ومذاهبه فى الكتب الصغيرة المتداولة فى أوروبا وكان ذلك هو الشىء الممكن العادى فى ذلك الوقت.

وفى سنة ١٩٢١م (١) أقمت فى القاهرة شهرًا زرت أثناءه «الأزهر» وإلى جانب اللغة العربية تعلمت اللغة السنسكريتية ولغتى الملايو وجاوة، وفى سنة ١٩٢٧م(٢) سافرت إلى جزر الهند الهولاندية (وهكذا كان اسمها فى ذلك الوقت) لتدريس اللغة الجاوية وتاريخ الثقافة الهندية فى إحدى المدارس الثانوية الخاصة بالدراسات العليا فى جوجاكارتا.

تخصصت مدة خمسة عشر عامًا فى دراسة اللغة والثقافة الجاوية قديمًا وحديثًا، وفى هذه الفترة كان اتصالى بالإسلام قليلاً، وكنت منقطعًا تمامًا عن اللغة العربية.

قضيت بعد ذلك فترة عصيبة، كنت فيها أسير حرب عند اليابانيين وعدت بعدها إلى هولندا سنة ١٩٤٦م (٣)، حيث التحقت بعمل جديد فى المعهد الاستوائى الملكى فى أمستردام؛ وهنا أُتيحت لى الفرصة لمعاودة دراسة الإسلام، بمناسبة تكليفى بكتابة دليل موجز عن الإسلام فى جاوة.

شرعت فى دراسة عن دولة باكستان الإسلامية الجديدة،

(١) يوافق ١٣٣٩هـ.
(٢) يوافق ١٣٤٥ هـ.
(٣) يوافق ١٣٦٥هـ.

واختتمت دراستى برحلة إلى باكستان فى شتاء سنة ١٩٥٤م [١] ١٩٥٥م[٢] ولما كانت دراساتى السابقة عن الإسلام محصورة فيما كتبه الأوروبيون وحدهم، فإننى عندما وصلت إلى لاهور، وجدتنى فجأة أمام واجهة أخرى جديدة عن الإسلام فطلبت من أصدقائى المسلمين أن أصحبهم إلى صلاة الجمعة فى المساجد، ومن تلك اللحظة بدأت أكتشف القيم الكبرى فى دين الإسلام، وبدأت أشعر فى قرارة نفسى أننى مسلم منذ طلب إلىَّ أن أخطب الناس فى أحد مساجد لاهور، وصاحبت بعدها من الإخوة والأصدقاء الجدد من لا أحصيهم عددًا، وكتبت فى تلك المناسبة مقالاً نُشر فى مجلة «باكستان كوارترلى» فى المجلد الخامس رقم ٤ سنة ١٩٥٥م [٣] وضمنته السطور التالية:

«ثم زرنا بعد ذلك مسجدًا أصغر كثيرًا وخطيب الجمعة عالم يتكلم الإنجليزية بانطلاق، له مركز مرموق فى جامعة البنجاب، قال لجموع المصلين، إنه تعمد تطعيم خطبته باللغة الأردية بكلمات إنجليزية أكثر من المعتاد، حتى ييسر بذلك فهمها على أخيهم الذى جاء من بلاده البعيدة فى هولندا، وبعد الخطبة صلى الحاضرون ركعتين خلف الإمام، وبعدها صلى من شاء ركعات أخرى».

كنت على وشك الانصراف، حين التفت إلىَّ «علامة صاحب»

(١) يوافق ١٣٧٣هـ.

(٢) يوافق ١٣٧٤هـ.

(٣) يوافق ١٣٧٤هـ.

(الإمام) وأشار إلى أن الجموع تنتظر منى أن ألقى فيهم كلمة؛ وكان عليه هو أن يترجمها إلى الأردية. فتوجهت إلى مكان الميكروفون وبدأت الحديث فى هدوء، وذكرت أننى أتيت من بلاد بعيدة ليس فيها من المسلمين إلا القليل، وأننى أحمل تحياتهم إلى إخوانهم الحاضرين فى المسجد الذين كان من حسن طالعهم أن أقاموا دولتهم الإسلامية منذ سبع سنوات تمكنت فيها مع قصر المدة من تدعيم مكانتها، وأنها رغم المشاكل والعقبات التى صادفت نشأتها لتنظر فى اطمئنان إلى مستقبل مزدهر.

ووعدت المستمعين أن أكون لسان صدق عند عودتى إلى بلادى لما لقيته من عطف وكرم من جميع قطاعات شعب باكستان المسلم.

وما كاد الجميع يستمع إلى الترجمة الأردية لهذه الكلمات، حتى سرت آثارها فيهم بقوة عجيبة أذهلتنى وقبل أن أعرف ماذا جرى بينهم رأيت مئات المصلين يسارعون إلىَّ شبابًا وشيوخًا يشدون على يدى مهنئين، وعلى وجوههم مشاعر المحبة العميقة، غير أن أشد ما أسر قلبى وخلب لُبىِّ، كان ذلك البريق الهادئ العميق الذى كان يشع من عيون الحاضرين وفى هذه اللحظة شعرت أننى أصبحت أحد أفراد الأسرة الإسلامية العظيمة، التى تمتد فى أرجاء الدنيا، وعندئذ أحسست بسعادة ليس فى مقدورى وصفها».

وهكذا علمنى شعب باكستان أن الإسلام ليس مجرد علم بتفاصيل الشريعة، وأن الإيمان بالقيم الروحية الإسلامية يأتى فى

المقدمة وأن العلم واجب للوصول إلى ذلك الإيمان.

والآن نأتى إلى السؤال: «ما هو أجمل ما راقنى فى الإسلام؟ وما هو على التحديد ذلك الشىء الذى اجتذبنى إلى الإيمان به؟».

**سأحاول الإجابة فى إيجاز عن هذين السؤالين فى ست نقاط:**

١- الإيمان بوجود إله واحد له السلطان المطلق فكرة تقتنع بها كل العقول المفكرة، وأنه الله الذى يحتاج إليه الخلق جميعًا[1] لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحدًا، وأنه متصف بأكمل الكمال فى الحكمة والقوة والجمال؛ ليس لبره ورحمته حدود.

٢- الصلة بين خالق الكون ومخلوقاته، التى ميز الله الإنسان عليها، صلة مباشرة؛ فلا يحتاج المؤمن إلى وساطة، كما لا يحتاج الإسلام إلى كهنوت، ومن تعاليم الإسلام أن الصلة بالله ترجع إلى الإنسان نفسه وأن على الإنسان أن يعمل فى حياته الدنيا لحياته الأخرى، وأنه مسئول عن عمله ولن تكفر ذنوبه تضحية نفس أخرى بريئة؛ وأنه لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

٣- مبدأ التسامح فى الإسلام، كما يبدو فى هذه الكلمات الخالدة ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[2] وأن المسلم مُطالَب بالبحث عن الحق حيثما وجده، ومطالب كذلك باحترام ما فى الأديان الأخرى من خير.

---

(١) يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ⦗١٥⦘ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ⦗١٦⦘ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ سورة فاطر: الآيات: (١٥- ١٧).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥٦).



٤- مبدأ الأخوة فى الإسلام الذى يمتد ليشمل البشرية عامة، بغير اعتبار للون أو جنس أو عقيدة، وينفرد الإسلام بين كل الأديان فى أنه الوحيد الذى طبق هذا المبدأ عمليًّا؛ والمسلمون أينما كانوا على سطح هذه المعمورة، ينظر الواحد منهم إلى الآخر نظرة الأخ لأخيه.

والمساواة بين الناس جميعًا أمام الله، تتمثل واضحة فى لباس الإحرام فى الحج.

٥- تقدير الإسلام للعقل والمادة ولقيمة كل منهما، باعتبارهما حقائق قائمة، وأن النمو العقلى فى الإنسان يسير جنبًا إلى جنب مع احتياجاته الجسدية، وأن على الإنسان أن يسلك فى الحياة سبيلاً يهيمن فيه بالعقل على المادة، ويخضع فيه المادة لحكم العقل.

٦- تحريم الخمور والمواد المخدرة، وهذا على الأخص أمر يمكن أن يقال فيه: إن الإسلام سبق به زمانه سبقًا كبيرًا.

* * *

*** محمد جون وبستر (إنجلترا) Muhammad John Webster**

**رئيس البعثة الإسلامية الإنجليزية.**

وُلدت فى لندن ونشأت مسيحيًّا بروتستانتيًّا، وفى سنة ١٩٣٠م[1] فى العقد الثانى من عمرى، واجهتنى المشاكل التى كثيرًا ما يلقاها شاب ذكى يستعمل عقله، وهى ترتبط أساسًا بالملاءمة بين شئون الحياة اليومية ومقتضيات الدين؛ وهنا صادفتنى

(١) يوافق ١٣٤٩هـ.



أول نقطة ضعف فى المسيحية.

فالمسيحية عقيدة مزدوجة تعتبر الدنيا أثيمة وتدير ظهرها إلى حقائق الحياة، وتعقد الآمال على الحياة الآخرة، وعلى ذلك وضعت نظامًا دينيًّا للناس خاصًّا بيوم الأحد، لا نظير له فى باقى الأيام الأخرى من الأسبوع؛ وفى الوقت الذى كانت فيه إنجلترا تعانى كثيرًا من حالات الفقر وفقدان الاستقرار الاجتماعى، فإن المسيحية لم تحاول أن تعمل شيئًا فى هذا السبيل؛ . . . لهذا، وفى حماس الشباب، وتحت تأثير العاطفة أكثر من تأثرى بحقائق المعرفة، تزعزع إيمانى بالكنيسة، وأصبحت شيوعيًّا.

وللشيوعية إقناعها المحدود لشاب عاطفى مراهق؛ فلم يمض وقت طويل حتى تبينت طبيعتها الكريهة القائمة على الصراع الطبقى الذى لا يتوقف، ولما لفظت الشيوعية بمبادئها المادية، اتجهت إلى دراسة الفلسفة والأديان، وبدأت من خلال مراقبة كل ما حولى، أشعر بوحدة هذا الوجود، وأدى بى هذا إلى اعتناقى البانثية، وهى دين تقديس الطبيعة وقوانينها.

من العسير علينا نحن الغربيين أن نتعرف على الإسلام فمنذ الحروب الصليبية المسيحية ونحن نرى إما إغفالاً متعمدًا لذكر الإسلام وإما تحريفًا متعمدًا وتشويهًا لحقائقه.

ثم حدث عند إقامتى فى استراليا أن طلبت نسخة من القرآن الكريم من مكتبة سيدنى العامة، فما أن قرأت مقدمة المترجم حتى

لست التعصب ضد الإسلام مكشوفًا مفضوحًا، فلم أتمالك إلا أن أقفل الكتاب وأتركه، ولم أجد عندهم ترجمة للقرآن قام بها مسلم، وبعد أسابيع كنت فى بيرث فى غربى أستراليا فعاودت البحث فى مكتبتها العامة عن نسخة للقرآن شريطة أن يكون مترجمها مسلمًا.

ولا أستطيع أن أعبر فى كلمات عن مدى تأثيرى بمجرد تلاوتى لأول سورة فيه،... سورة الفاتحة بآياتها السبع.

ثم قرأت عن حياة الرسول ﷺ وقضيت بضع ساعات فى المكتبة فى ذلك اليوم؛ لقد وجدت طلبتى وبغيتى وشاء الله بفضله أن أكون مسلمًا مع أننى لم أكن من قبل قد التقيت بمسلم، فبارحت المكتبة يومئذ مُتعبًا من أثر ما عانيت من جهدٍ فكرى وعاطفى.

وفى زيارة ثانية للمكتبة كنت أُسائل نفسى، أكان حلمًا ذلك الذى حدث بعد ذلك أو هو حقيقة واقعة؛ وكان من المستحيل علىَّ أن أصدق ما حدث... خرجت من المكتبة لأتناول فنجانًا من القهوة وبينما أنا أسير فى الطريق إذا ببصرى يقع على بناء خلف سور مرتفع من الطوب الأحمر، مكتوب عليه «مسجد المسلمين» فقلت لنفسى على الفور «أما وقد عرفت الحق، فعليك اتباعه على الفور» فأعلنت قولى: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) وبذلك أصبحت بفضل الله من المسلمين.

* **هـ. ف. فيلوز (انجلترا) H. F. Fellowes:**

قضيت معظم حياتى فى البحرية الملكية، وفى خلال هذه الفترة حضرت الحربين الأولى سنة ١٩١٤م(١) والثانية سنة ١٩٣٩م(٢). وفى البحر لا يمكن الهرب من قوة الطبيعة الجبارة رغم آلات العصر وأجهزته، بما لها من قوة ومقدرة ومن أبسط هذه المظاهر الأعاصير، والسحاب المركوم، ناهيك عما تضيفه الحروب إلى ذلك من الأخطار.

ولدينا كتاب اسمه «تعليمات من الملكة والأدميرالية» "Queen's Regulatons and Admirally, Instructions" نرجع إليه فى كل أمورنا، فيه تحديد لواجبات كل ضابط وجندى، ويبين المكافآت سواء فى شكل ترقيات أو جوائز حسن السلوك، كما يبين المرتبات والمعاشات، وفيه كذلك تفاصيل دقيقة عن الحد الأعلى للعقوبات فى حالات مخالفات القانون البحرى، ويشمل كل ما يتعلق بالحياة أثناء الخدمة البحرية. وفى ظل طاعة محتويات هذا الكتاب وتنفيذها أمكن تنظيم سير هذا العدد الضخم من رجال البحرية فى كيان منظم ومحكم يستطيع القيام بواجباته فى قدرة وكفاية.

ويمكننى أن أقول نفس الشىء عن القرآن الكريم، إذا جاز لى التشبيه، مع عدم المساس بما للقرآن من احترام وتقديس ومع ضخامة الفرق العظيم فهو كتاب يضم بين دفتيه تعاليم رب العالمين

(١) يوافق ١٣٣٢هـ.

(٢) يوافق ١٣٥٨هـ.

إلى كل فرد فى الوجود رجلاً كان أو امرأة أو طفلاً.

ومنذ أحد عشر عامًا وأنا أشتغل فى تربية الزهور، وهى بدورها مهنة يثبت معها اعتماد الإنسان على الله. فإذا أخلصت لله ونفذت أوامره فإنه يعينك وبإرادته يثمر النبات، وإن أنت خالفت نواميسه هلك زرعك؛ وكثيرًا ما تصدر نبوءات جوية عن رجال متخصصين ولكنها إن صدقت فى بعض الحالات أخطأها التوفيق فى حالات أخرى.

لقد آمنت أن القرآن الكريم هو كلام الله، وأن الله اصطفى رسوله محمدًا ﷺ ليبلغ هذه الرسالة إلى الناس كافة.

والإسلام يتفق وطبيعة الحياة فى هذه الدنيا، فى بساطته واستقامته وخلوه من التعقيدات التى يصعب إدراكها والإيمان بها. وعباداته فى صورها المختلفة تورث الإخلاص العميق.

لقد وُلدت ونشأت مسيحيًّا فى بلاد مسيحية... وللتقاليد المسيحية فى نفسى جذور متأصلة لا يمكن اقتلاعها والتخلى عنها إلا تحت ضغط دوافع بالغة القوة والإغراء؛ وهنا أرى من الحق أن أقول إن هذه الدوافع كانت نابعة من قرارة نفسى، ورغم أننى لقيت الإجابة عن كل سؤال دار بخلدى، فإن أحدًا لم يعرض علىَّ أن أعتنق الإسلام.

والعقائد الأساسية فى كل من الإسلام والمسيحية واحدة ومشتركة، فلابد والحالة هذه من مزيد من الدراسة حتى تستبين الأمور.

لقد بدأ مارتن لوثر ثورته على الكنيسة المسيحية لمزاولتها كثيراً من الطقوس والمعتقدات الوثنية، فأدت ثورته إلى حركة الإصلاح وإلى قيام الكنيسة البروتستانتية.

والملكة إليزابيث الأولى، عندما وجدت بلادها تحت تهديد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فى أسبانيا، فى نفس الوقت الذى كانت فيه بلاد أوروبا الوسطى تحت تهديد الإمبراطورية العثمانية النامية، ربطت بين أهداف كل من الإسلام والبروتستانتية على أساس عداء كل منهما للوثنية.

على أنه يبدو أن مارتن لوثر كان يجهل أو يتجاهل، أنه قبل أن يبدأ حركته بتسعة قرون، قام الرسول محمد ﷺ بأمر ربه، بتصحيح المعتقدات وتنقيتها مما علق بها، وبلغ بها ذروة الكمال، ولم يكن ذلك بالنسبة للمسيحية وحدها بل بالنسبة لجميع الأديان السماوية السابقة.

ومع هذا فإن حركة الإصلاح التى قادها لوثر لم تستأصل كل المعتقدات الوثنية من الديانة المسيحية؛ وكل ما صنعته أنها بدأت عهدًا جديدًا من القسوة والتعصب مازال إلى حدٍّ ما قائمًا حتى يومنا هذا.

وجدير بالذكر أنه فى الوقت الذى كانت فيه محاكم التفتيش الإسبانية بالغة القسوة ووالغة فى الدماء، كان الإسلام يُبدى سماحته وبعده عن التعصب، وقد التجأ اليهود المضطهدون فى

أسبانيا إلى الأتراك فأَمِنوا على أنفسهم.

لقد أمرنا عيسى عليه السلام باتباع الوصايا العشر التى أُنزلت إلى موسى وهو على جبل سيناء؛ وأول هذه الوصايا: «إنى أنا الله ربكم، فلا تتخذوا من دونى إلهًا» وهى تتعارض مع عقيدة الفداء التى يكون الولاء فيها للمسيح أجدى من الولاء لله، لأن المسيح سيشفع لنا يوم القيامة، ومع ذلك فالمسيحيون يؤمنون بأن المسيح هو الله مجسدًا.

كنت دائمًا أتصور الرب هاديًا للبشر ومتصفًا بالعفو والرحمة والعدل، وعلى هذا يستطيع الإنسان أن يطمئن إلى عدالة حسابه وإلى رحمته ومراعاة ظروفه المحيطة به.

أنت مسئول فى حياتك عن أعمالك وسلوكك شخصيًّا، فإذا كنت تعمل محاسبًا ودلست فى حسابات مخدومك، فإن مآلك إلى السجن لا محالة؛ وإذا كنت تقود سيارة بسرعة زائدة فى طريق متعرج منزلق فإنك ولا شك مُعرَّض للحوادث. هذه أخطاؤك أنت وارتكبتها أنت ومن الجبن أن تلقى المسئولية على من سواك.

ولا أعتقد أننا وُلدنا آثمين تعساء، فهذا ينافى العاطفة النقية نحو الأطفال الأبرياء. لقد علمتنى الأيام أن من طبيعة البشر إدخال السرور إلى قلوب الآخرين ما لم يكن الآخرون من الأشرار، وأن الأطفال يحترمون آراء آبائهم ومعلميهم، والكبار

يحترمون آراء رؤسائهم ويشعـرون بالغبطة إذا ما أُتيحت لهم فرصة معـاونة جيرانهم، ولكننا نتـعرض أحيـانًا لسبب أو لآخر، لتـأثير غضب شـديد فنلحق أضرارًا بشـخصٍ ما أو بشيءٍ مـا، وتختلف درجات هذه الانفـعالات شـدة ولينًا، وتتفاوت فـترات حـدوثها، وحين نستـجيب لها فإننا عندئذ نقع فى الإثم، ومَـثَل ذلك كمثل الألعاب الرياضية المنظمة، إذا ارتكب أحد اللاعبين مخالفة لقوانين اللعب، وقَّع عليه «الحكم» الجزاء.

وعلى هذا القياس، نرى أن عقيـدة تحمُّل المسيح لخطايا البشر، عقيدة مضطربة لا تقبلها العقول.

والوصية الثانية من الوصايا العشر تبدأ بالقول: «لا تتخذ لنفسك صوراً مجسمة» ثم تقـول بعد ذلك «لا تركع لها ولا تعبدها» وكم من الكنائس والكاتدرائيـات تزخـر بالصور يركع بعض الناس لهـا فعلاً.

ولطالما كنت أعجب كيف أن حياة المسـيح عيسى وموته وبعثه، لم يكن لها أثـر مباشـر على سكان فلسطين فى ذلك الوقت، من يهود ورومان وغيرهم، إذ يبـدو مما نقرؤه فى التاريخ أن سيرته لم تؤثر فى معـاصريه، وعندما كنت فى المدرسة لم أتعلـم غير آيات الإنجيل؛ وها قد مـضت عدة قرون لقيت فـيها المسيـحية من عناد المقاومة الشىء الكثير، حتى قدر لها أن تثبت ثم تنتشر.

وفى المدرسـة أيضًـا درسنا سيـرة مـحمـد رسـول الله ﷺ

وانتصاراته وسرعة انتشار الإسلام، على أنه لم تكن هناك أية إشارة للجانب الروحى من الإسلام.

وفى الفترة ما بين سنتى ١٩١٩م [١] و ١٩٢٣م [٢] كنت فى خدمة البحرية فى السفن العاملة فى مياه تركيا فأثار ذلك اهتمامى بالإسلام. . . . إن إعلان الشهادة الأساسية فى هذا الدين «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، تنتزع الانتباه إليها؛ فاشتريت بعض الكتب عن الإسلام رأيت أكثرها متحاملاً عليه وكان فى سلوك الخلفاء الأتراك فى القرون الثلاثة الأخيرة، وفى فساد رجال السياسة ورجال الدولة هناك، ما يلقى ظلاًّ سيئًا على الإسلام، فزال اهتمامى به تدريجيًّا، ورغم ثبات إيمانى بالله، إلا أنه كان إيمانًا سلبيًّا.

ومنذ عام تقريبًا عاودنى اهتمامى بالإسلام مرة أخرى فعاودت البحث؛ كتبت إلى البعثة الإسلامية فأمدتنى بكتب مؤلفوها مسلمون، كشفت لى عن مدى بُعد الغربيين عن فهم الإسلام وتشويههم لحقائقه وافترائهم عليه، ووضحت أسباب موقفهم هذا ووسائلهم لتحقيقه. قرأت فى هذه الكتب عن يقظة المسلمين من غفوتهم الطويلة، وعن قيام حركات إسلامية نشيطة فعَّالة تهدف إلى العودة بالإسلام إلى سابق نقائه وصفائه على ضوء تقدُّم العصر والعلم الحديث، والإسلام ينسجم معه كل الانسجام.

لقد بدأنا نقرأ فى الصحف فى الآونة الأخيرة أقوالاً لفلاسفة

(١) يوافق ١٣٣٧هـ.
(٢) يوافق ١٣٤١هـ.

وكُتاب، مؤداها أن الأديان الحالية أصبحت عتيقة بالية، وأعتقد أن هذه الأقوال تعكس على مرآتها مدى تشكُّك الغربيين وارتيابهم فى المفاهيم المعقدة والغامضة فى الدين المسيحى؛ وهؤلاء الذين ينادون فى زعمهم إلى الإصلاح والتجديد، إنما يقعون فى نفس الخطأ الذى وقع فيه قبلهم مارتن لوثر، لأن الإسلام، وهو الدين الذى يحقق كل هذه الرغبات فى الإصلاح، قائم فعلاً بين أيدينا.

ثم انظر إلى ذلك التناقض العجيب؛ إذا أنت لم تعرف طريق الكنيسة، فلا غبار عليك ولا يقول الناس عنك شيئًا، أما إذا أصبحت مسلمًا، فقد صرت فى نظرهم على أقل تقدير شاذًّا غريبًا.

وجملة القول، لقد اعتنقت الإسلام لأنه هو وحده الدين الحق، نظريًّا وعمليًّا وفى شتَّى الميادين ولقد زالت من نفسى كل الشكوك والأفكار الخاطئة وأصبح قلبى مطمئنًا إلى أن الإسلام دون ريب هو الصراط المستقيم، نسأل الله الهداية عليه؛ وأنه سيظل إلى أبد الآبدين هو الصراط المستقيم.

* * *

*** دكتور عبد الكريم جيرمانوس (المجر) Dr. Abdul Karim Germanus أستاذ الدراسات الشرقية:**

الحاج الدكتور عبد الكريم جيرمانوس مستشرق مجرى معروف، وعالم طبقت شهرته آفاق العالم. زار الهند فى فترة ما بين الحربين، وقد عمل فترة فى جامعة تاغور «شانتى ناكتن»

Shanti Naketen وأخيراً وفـد على «الجمعيـة الملية»Jamia Millie في دلهى، وهناك اعتنق الإسلام، وهو عـالم فى اللغات، ومرجع فى اللغة التركية وآدابها، ومن خلال دراسته الشرقية عرف الإسلام واعتنقه.

والدكتـور عبد الكريم جيرمـانوس يشغل الآن منصب أسـتاذ ورئيس قسم الدراسات الشرقية والإسلامية فى جامعة بودابست فى المجر.

يقول الدكتـور عبد الكريم: كان ذلك فى عصر يوم مطير وكنت ما أزال فى سن المراهقة، عندما كنت أقلب صحائف مجلة مصورة قديمة، تختلط فيها الأحداث الجارية مع قصص الخيال، مع وصف لبعض البلاد النـائية؛ بقيت بعض الوقت أُقلب الصحـائف فى غير اكتراث إلى أن وقعت عينى فجأة على صورة لوحة خشبية محفورة استـرعت انتبـاهى، كانت الصـورة لبيـوت ذات سقـوف مستوية تتخللهـا هنا وهناك قباب مسـتديرة ترتفع برفق إلى السمـاء المظلمة التى شق الهلال ظلمـتها؛ وعلى أحـد هذه السقوف صـور لرجال يجلسون فى صفوف غير منتظمة مرتدين ملابس غريبة الطراز.

ملكت الصورة علىَّ خيالى، إذ كانت فى طابعـها تختلف عما تعـودنا رؤيته من المناظر فـى أوروبا، كان منظراً من الشـرق، فى مكانٍ ما بالشـرق العربى، يمثل رجـلاً يقص حكايات خلابة على جمهور من المستمعـين يتدثرون بالبرانس... كانت الصورة ناطقة

حتى تخيلت أننى أستمع إلى صوت الرجل يُسلينا بحديثه، وأننى فى زمرة المنصتين إليه من العرب على سطح البناء، وأنا الطالب الذى لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره الجالس على كرسى وثير فى المجر. ثم أحسست بشوقٍ غلاَّب لا يُقاوَم إلى معرفة ذلك النور الذى كان يغالب الظلام فى اللوحة.

بدأت أدرس اللغة التركية وسرعان ما لاح لى أن اللغة التركية المكتوبة لا تحتوى إلا على قدر قليل من الكلمات التركية، وأن الشعر التركى يزخر بالكلمات الفارسية وأن النثر يزخر بالأصول العربية، فحاولت أن أتمكن من هذه اللغات الثلاث حتى أستطيع خوض هذا العالم الروحى الذى نشر هذا الضوء الباهر على أرجاء البشرية.

وفى إجازة صيف كان من حظى أن أسافر إلى البوسنة وهى أقرب بلد شرقى إلى بلادنا وما كدت أنزل أحد الفنادق حتى سارعت إلى الخروج لمشاهدة المسلمين فى واقع حياتهم وكانت لغتهم التركية ما تزال غامضة لى، إذ بدأت معرفتها من خلال الكتابة العربية المعقدة فى كتب النحو.

كان الوقت ليلاً، فنزلت إلى الشوارع وكانت خافتة الإضاءة، وسرعان ما وصلت إلى مقهى متواضع يجلس فيه رجلان من أهل البلاد على كرسيين قليلى الارتفاع ويتناولان «الكيف» يرتديان السراويل التقليدية الواسعة، يمسك بها فى الوسط حزام عريض

مدجج بالخنجر، فكان مظهرهما بما عليهما من لباسٍ غريب، عليه مسحة من الغلظة والشراسة فدخلت المقهى «قهواخان» Kahwekhane بقلب مرتجف وجلست منزويًا فى ركنٍ ناءٍ عنهما فى هلع ووجل.

نظر إلىَّ الرجلان نظرة عجيبة مستطلعة، وعندئذ قفزت إلى مخيلتى جميع قصص سفك الدماء التى قرأتها عن تعصب المسلمين فى الكتب المتحيزة غير المنصفة، كانا يتهامسان فيما بينهما وكان موضوع همسهما ولا شك هو حضورى غير المتوقع، وفى أوهام الأطفال أدركنى الهلع؛ إنهما ولا شك سيوجهان طعنات خنجريهما إلى صدر هذا الكافر الوافد عليهما وتمنيت لو أننى استطعت الخروج والخلاص من هذا المأزق الرهيب، غير أن قواى خانتنى فلم أستطع الحراك.

وبعد ثوانٍ قليلة أحضر لى الخادم كأسًا من القهوة يفوح أريجها وأشار إلى الرجلين الرهيبين، فرنوت إليهما بوجهٍ خائف، فألقيا علىَّ السلام فى رفق مع ابتسامة مودة رقيقة، وفى تردد، اصطنعت على شفتى المرتجفتين ابتسامة باردة، فقام هذان العدوان، كما كنت أتخيلهما وحضرا إلى منضدتى، وساورنى شعور عجيب! ترى هل يريدان طردى وإخراجى؟ ولكنهما ألقيا إلىَّ السلام للمرة الثانية وجلسا إلى جوارى، فجمعت أطراف شجاعتى وخاطبتهما فى لغة تركية ركيكة، ومع ذلك فقد كان حديثى مثل العصا السحرية، فإذا

بى أرى فى مـحيـاهما عـواطف الصداقـة والمودة؛ وإذا بى أتلقى منهما دعوة لى إلى منزليهما بدل مـا توقعته منهما من عداء، وإذا بهما يفيضـان علىَّ مشاعر العطف، فيما كنت أحسبـهما سينهالان علىَّ بأسنان الخناجر.

كان هذا هو أول لقاء لى مع المسلمين.

ثم مـرت بى سنوات وسنـوات فى حـيـاة حـافلة بالأسـفـار والدراسات وكنت مع مرور الزمن تتـفتح عيونى على آفاق عـجيبة وجديدة.

لقد زرت كل بلاد أوروبا، ودرست فى جـامعة القـسطنطينية، واسـتمـتعت بمشـاهدة روائع الآثار فى آسـيا الصـغرى وسـوريا، وتعلمت اللغات التركية والفارسية والعربية، وشغلت منصب أستاذ كرسى الدراسات الإسلامية فى جامعة بودابست، وقرأت الأبحاث الجافة الدفـينة التى أُلفت خلال قرون طويلة فى آلاف الصـفحات من كتب العلماء، قرأت كل ذلك بعـينٍ فاحصة، ومع ذلك ورغم كل ذلك فقد ظلت روحى ظمأى.

لقد وجدت فى الكتب المختلفـة شعاعًا هاديًا إلى بعض مراحل العلم؛ ولكننى كنت مع ذلك تواقًا إلى النعيـم المقيم فى ظل الحياة الدينية، كان عقلـى متخومًا، أما روحى فقـد بقيت ظمأى، وكان علىَّ أن أتجرد من كثير مما جمـعت من المعلومات لأعود فأومن بها من خلال تجاربى الشخصيـة، خالصة من الشوائب بصهرها فى نار

الشوق إلى معرفة الحق، كما يُعالَج الحديد الخام المنصهر بالتبريد المفاجئ فيصبح صلبًا مرنًا.

وفى ذات ليلة رأيت كأن محمدًا رسول الله ﷺ بلحيته الطويلة المخضبة بالحناء وملابسه البسيطة الأنيقة يفوح منها أريجٌ طيب، تلمع عيناه ببريق قوى مؤثر؛ وخاطبنى فى صوتٍ عطوف: «لماذا الحيرة، إن الطريق المستقيم أمامك، مأمون ممهد مثل سطح الأرض سِرْ عليه بخُطى ثابتة وبقوة الإيمان».

قلت باللغة العربية فى هذا الحلم العجيب: يا رسول الله إن هذا الأمر سهل عليك، وأنت الغالب، وقهرت كل الأعداء، عندما بدأت سبيلك بتوجيه ربانى كتب الله لك فيها النصر؛ أما أنا فما زالت أمامى طريق شاقة ومن يدرى متى أجد طمأنينتى؟

فنظر إلىَّ فى صرامة وحزم، وظل لحظة يفكر، ثم عاد يقول فى لغة عربية واضحة ترن كل كلمة منه رنين الأجراس الفضية، وكأنى بلسانه الشريف الذى استوعب تعاليم ربه، يضغط على صدرى حتى خلْت صدرى يتهشم: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا**﴾[1].

قلت فى حشرجة وقد أجهدنى الألم: «إنى لا أستطيع النوم، وليس فى قدرتى أن أجلو هذه الغوامض التى تخفيها الأستار

(١) سورة النبأ: الآيات: (٦- ٩).

الكثيفة، أرشدنى يا محمد، أرشدنى يا رسول الله».

وانطلق من حلقى صريخ متقطع، كأنما كنت أختنق من ثقل هذا الكابوس، وكنت أخشى غضب رسول الله ﷺ ثم شعرت كأنما أهوى من علٍ إلى أعماق الأعماق، وفجأة استيقظت من هذه الرؤيا، أتصبب عرقًا، يكاد الدم يجمد فى عروقى، وما منى عضو إلا يتنزى ألمًا، ثم أحاط بى صمت مثل سكون القبور، وشعرت بالأسى والوحدة.

وفى يوم الجمعة التالية وقع الحدث العظيم فى مسجد الجمعة الكبير فى دلهى... كنت أرتدى الثياب الهندية وعلى رأسى قلنسوة رامبور، وعلى صدرى الأوسمة التركية التى أهداها إلىَّ السلاطين السابقون؛ نظر إلىَّ المسلمون فى دهشة وذهول؛ أخذ جمعنا الصغير طريقه فى اتجاه المنبر حيث جلس العلماء وذوو المكانة من الشيوخ فتلقونى بالسلام فى صوت مرتفع رقيق.

جلست قريبًا من المنبر أتطلع إلى الزخارف الرائعة التى تزين صدر المسجد، وإلى دعائمه الوسطى وقد بنى النحل البرى فوقها مساكنه يحوم حولها فى أمان، ثم نودى بالأذان فجأة، وقد وقف المكبرون فى مواضع مختلفة من صحن المسجد حتى يُبلغوا الصوت إلى أبعد أركانه، فقام المصلون وهم يقاربون أربعة آلاف وكأنهم الجند المجندة، يستجيبون للدعوة الربانية وقد اصطفوا صفوفًا متقاربة، وصلُّوا فى خشوع عميق، وكنت واحدًا من هؤلاء

الخاشعين، لقد كنت تلك اللحظة عظيمة ومجيدة حقًّا.

وبعد الخطبة أخذ عبد الحى بيدى ليتجه إلى المنبر، وكان علىَّ أن أسير فى حذر حتى لا أُزعج أحدًا من الجالسين.

لقد آن وقت الحدث العظيم، فوقفت عند درجات المنبر وَسَرت حركة بين الجموع الزاخرة، بينما بدت لى آلاف الرؤوس المعممة كأنها حديقة مزهرة، إنهم جميعًا يهمهمون وهم ينظرون إلىَّ، وقفتُ وقد أحاط بى العلماء بلحاهم الشهباء ينظرون إلىَّ مشجعين، فأشاعوا فى نفسى ثباتًا عجيبًا لم أعهده من قبل، وفى غير وجل أو تردد ارتقيت المنبر حتى درجته السابعة واتجهت ببصرى إلى الجموع التى خُيل إلىَّ أنها لا آخر لها وكأنما هى بحر يموج بالحياة، وقد اشرأبت الأعناق نحوى، وساحة المسجد كلها حركة، سمعت من قريب أصواتًا تردد ما شاء الله ورأيت نظرات يشيع فيها الحب والمودة؛ فشرعت أقول أيها السادة الكرام - متحدثًا باللغة العربية - لقد حضرت من بلاد بعيدة، بحثًا عن العلم الذى لم أستطع أن أجده فى بلادى، أتيت لأنهل مما تتوق إليه روحى، فاستجبتم لى، ثم تحدثت عن الدور الذى قام به الإسلام فى تاريخ العالم، وعن المعجزات التى أيد الله بها رسوله ﷺ وتكلمت عن انحلال المسلمين فى العهد الحاضر، وعن الوسائل التى يمكن أن يستعيدوا بها مجدهم المفقود، وأن من المسلمين من يقول إن كل شىء موقوف على إرادة الله بينما يقول الله فى القرآن الكريم

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (١).

وركزت حديثى على هذه الفقرة من آيات كتاب الله ثم عرجت على تمجيد الحياة النقية الطاهرة، وعلى ضرورة محاربة التحلل المستشرى، ثم جلست. وكنتُ مستغرقًا فى الحديث بكل مشاعرى وأفقت على هتاف يتردد فى صوت مرتفع من كل زوايا المسجد «الله أكبر».

كان التأثر والحماسُ يعمان المكان ولا أستطيع أن أتذكر ماذا كان فى ذلك الحين، غير أن «أسلم» نادانى من فوق المنبر وشد على يدى وقادنى إلى خارج المسجد.

**قلت له:** «لماذا هذه العجلة»؟.

وقف الناس أمامى يتلقوننى بالأحضان، كم من مسكين مجهد نظر إلىَّ فى ضراعة يسألنى «الدعوات» ويريد تقبيل رأسى فابتهلت إلى الله أن لا يدع هذه النفوس البريئة تنظر إلىَّ وكأنى أرفع منها قدرًا؛ فما أنا إلا حشرة بين حشرات الأرض، أو تائه جاد فى البحث عن النور، لا حول لى ولا قوة مثل غيرى من المخلوقات التعيسة.

لقد خجلت أمام أنَّات وآمال هؤلاء الناس الطيبين، وأحسست كأننى قد خدعتهم أو سلبتهم شيئًا.

ألا ما أثقل الحمل المُلقَى على عاتق رجل الدولة والسلطان، يضع الناس فيه ثقتهم ويطلبون منه العون، ويعتقدون أنه يستطيع ما لا يستطيعون.

---

(١) سورة الرعد: الآية: (١١).

أخرجنى «أسلم» من أحضان إخوتى الجدد وأجلسنى فى «تونجا»[1] وذهب بى إلى المنزل.

وفى اليوم التالى وما يليه كان الناس يفدون إلىَّ فى جماعات لتهنئتى، ونالنى من محبتهم وعواطفهم ما يكفينى زادًا مدى حياتى.

* * *

*** مافيز ب. جولى (إنجلترا) Mavis B. Jolly :**

كان مولدى فى بيئة مسيحية، وتعميدى فى الكنيسة الإنجليزية، ثم التحقت بمدرسة تابعة للكنيسة وقرأت فى سن مبكرة قصة المسيح، كما جاءت فى الأناجيل، وكان لها فى نفسى تأثير عاطفى عميق، كما كنت أحس نفس الشعور كلما ترددت على الكنيسة، ونظرت إلى الهيكل المرتفع بشموعه المضيئة، وأريج عطوره، وإلى القساوسة فى أرديتهم التقليدية، واستمعت إلى ترانيمهم الغامضة فى الصلاة.

وأعتقد أننى كنت فى تلك السنوات القليلة، مسيحية متحمسة ومع تقدمى فى الدراسة واستمرار اتصالى بالإنجيل وكل ما يتعلق بالمسيحية، اتسعت أمامى فرصة التفكير فيما قرأت وشاهدت وفيما مارست من عبادة وعقيدة؛ وسرعان ما وجدتنى أمام أشياء كثيرة لا أستطيع الاقتناع بها. وما إن وصلت إلى نهاية هذه المرحلة الدراسية حتى أصبحت ملحدة لا أومن بالدين. ثم شرعت أدرس الأديان الرئيسية الأخرى فى العالم، فبدأت بالبوذية ودرست بكل

(١) تونجا: مركبة خفيفة ذات عجلتين تُستعمل فى الهند.

اهتمام طريقها ذا الشُّعب الثمانية فوجدتها تهدف إلى الخير، لكنها تفتقر إلى الكثير من التفاصيل وينقصها وضوح الاتجاه، وفى الهندوسية رأيتنى أمام مئات من الآلهة، لا ثلاثة فقط ولكل منها قصة وهمية مثيرة لا يمكننى قبولها.

ثم قرأت قليلاً عن اليهودية، غير أننى كنت قد قرأت الكثير عنها فى العهد القديم وخرجت من قراءاتى بأنها تنقصها المقومات التى أرى أن لابد من توفرها فى الدين.

وبناء على توجيه أحد أصدقائى(١) بدأت دراسة علم الروحانيات وأن أحضر جلساته التى تسيطر فيها الأرواح المجردة على الإنسان، غير أنى لم أزاول ذلك طويلاً، حيث اقتنعت تمامًا أن الأمر بالنسبة إلىَّ لم يكن أكثر من إيحاء نفسى، وقد أُعرِّض للخطر إذا سرت فى هذا السبيل طويلاً.

وبانتهاء الحرب حصلت على عمل فى أحد مكاتب لندن، غير أن ذلك لم يكن ليحول بينى وبين التفكير الدينى، وذات يوم نشرت إحدى الصحف المحلية مقالاً فكتبت ردًّا عليه أعترض على تأليه المسيح، كما ورد فى الإنجيل، ونتج عن ذلك الرد أن اتصل بى كثير من القراء، ومن بينهم رجل مسلم.

وهنا بدأت فى دراسة الإسلام مع هذا الذى تعرفت إليه حديثًا، وكنا كلما ناقشنا جانبًا من هذا الدين، أشعر بانهيار رغبتى

(١) الإسلام لا يقر للمرأة أو الرجل اتخاذ الصديق مهما ادعيا أن الصلة بينهما نزيهة.

فى مقاومـتـه، ثم اقتنعت وآمنت رغم استـبعادى لذلك فى الماضى بأن الرسالة الكاملة قـد وصلتنا على لسان رجل عادى من البـشر، إذ أن أرقى الحكومـات فى القـرن العـشـرين لـم تسـتطع أن ترقى بتشـريعهـا إلى ما يفـوق تلك الرسالة، بل إنهـا تقـتـبس أنظمتـهـا باستمرار من النظام الإسلامى.

وبعد تلـك الفترة قـابلت عددًا من المسلمـين، وبعض فتـيات إنجليزيات ممن تحولن عن دينهن، وبذلن الجـهد لمعاونتى؛ إذ أدركن ما أواجه من مشـاكل لنشأتنا جميعًا فى بيـئة واحدة، ولكن ذهبت جهودهن دون جدوى.

قـرأت عـددًا من الكتب، أذكـر منهـا: (دين الإسـلام) **The Religion of Islam** و(محـمد والمسـيح) **Mohammad and Christ** و(مصادر المسيحية) **The Sources of Christianity** وقد تأثرت كثيرًا بهذا الكتـاب الأخير الذى يوضح التـشابه العجـيب بين المسيحـية والقصص الخيالية الخرافـية فى الوثنية القديمة، والأهم من كل هذا أننى كنت قـد قرأت القـرآن، وللوهلة الأولى بدا لى كـأن أكثـره ترديد مكرر، ولم أكن واثقة تمامًا من مـدى استيعابى لما فـيه، غير أننى وجدته يصل إلى القلب رويدًا رويدًا؛ تتوالى الليالى ولا أجد فى نفسى الرغبـة فى تركه من يدى، وكثيرًا مـا كان يشغل فكرى ذلك التسـاؤل العجـيب، كيف يُعقل أن يأتى هذا الـهدى الكامل للإنسانية، بطريق البشر المتـصفين بالنقص، ولم يقل المسلمون أبدًا

عن محمد ﷺ إنه فوق البشر.

لقد رأيت الإسلام يقرر أن الرسل رجال لم يتدنسوا بالخطايا وأن الوحى ليس شيئًا جديدًا، فقد أُنزل على أنبياء اليهود من قبل، وأن عيسى كان هو الآخر رسولاً، غير أن لغزًا ظل يراود فكرى ! لماذا لا ينزل الوحى على رسل فى القرن العشرين؟! وكانت الإجابة أن أتدبر ما قرره القرآن (فى سورة الأحزاب ٤٠) أن محمدًا ﷺ : ﴿رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ فكان ردًّا مفحمًا تمامًا، إذ كيف يتأتى أن يرسل الرسل بعد محمد ﷺ والقرآن المجيد هو الكتاب الشامل الذى جاء تبيانًا لكل شىء ومصدقًا لما بين أيدينا، وهو باقٍ ثابت إلى الأبد بلا نسخ ولا عبث، كما يقرر القرآن ويؤكده الواقع ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ (أى القرآن) ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [1] لا شك أنه ليس هناك من داعٍ بعد ذلك إلى رسل ورسالات ورغم ذلك فقد ظللت فى غمرة التفكير.

قرأت أن القرآن هدى لقوم يتفكرون [2] وأنه تحدى المتشككين ليأتوا بسورة من مثله ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [3].

ثم أمعنت التفكير، إذا كان النظام القرآنى للحياة يعزى إلى

---

(١) سورة الحجر: الآية: (٩).

(٢) فى الأصل الإنجليزى إشارة إلى الآية ٦٥ من سورة النحل وربما كان المقصود الآية ٦٩ منها.

(٣) سورة البقرة: الآية: (٢٣).

رجل وُلد فى سنة ٥٧٠ ميلادية فلا شك أن بمقدورنا فى سنة ١٩٥٤م[1] أن نصل إلى نظام أفضل منه، وبدأت البحث على هذا الأساس، ولكننى فشلت فى كل مجال.

لا شك أننى كنت متأثرة بما سمعته من فوق المنابر المسيحية طعنًا فى الإسلام، عندما تناولت موضوع تعدد الزوجات، ظنًا منى أننى وجدت طلبتى فى إثبات هذا النقص، إذ كان جليًّا فى نفسى حينذاك أن نظرية الغرب فى قصر الزواج على واحدة تفوق كثيرًا ذلك النظام العتيق الداعى إلى التعدد، فحدثت فى ذلك صديقى المسلم الذى وضع أمامى الرد المقنع، بأن إباحة تعدد الزوجات فى الحدود الضيقة المقررة، إنما هو العلاج لما يجرى الآن فى الغرب من زيادة انتشار الاتصالات السرية بين الجنسين بشكل متزايد، مؤيدًا قوله بمقالات نشرتها الصحف، تبين مدى قلة عدد أولئك الذين يقنعون فعلاً بالزوجة الواحدة فى إنجلترا.

واستطعت بتفكيرى الشخصى أن أرى أنه بعد الحروب بصفة خاصة يصبح عدد النساء فى سن معينة يفوق كثيرًا عدد الرجال، ويستتبع هذا أن نسبة غير قليلة منهن لا تجد فرصة للزواج، فهل خلقهن الله لمقاساة هذا الحرمان؟ لا زلت أذكر أنه فى البرنامج الإذاعى «سيدى العزيز» سمعت يومًا فتاة إنجليزية تطالب بتشريع يبيح تعدد الزوجات وقالت: إنها تفضل العيش تشاركها زوجة

---

(١) يوافق ١٣٧٣هـ.

أخرى، على حياة العانس الموحشة التى يبدو أنها كُتبت عليها.

وليس فى الإسلام ما يُلزم بتعدد الزوجات، ولكن لا شك أن من سمات الدين الكامل أن يتيح مثل هذه الفرصة، عندما تدعو إليها ضرورات الحياة.

ومن ثم بدأت نفسى تطمئن تدريجيًّا إلى الحق الذى جاءت به تعاليم الإسلام فأعلنت إيمانى به واعتناقى إياه، لا عن عاطفة خاطفة مؤقتة إلى حين، إنما عن اقتناع كامل ودراسة واعية طويلة وتفكير دائب قرابة عامين، ولم أجد أمامى إلا أن أسلك هذا السبيل، طارحة كل العواطف الأخرى التى كانت تشدنى شدًّا إلى الطريق المضاد.

* * *

## عبد الله باترسبى (إنجلترا) Abdullah Battersdey

## رائد بالجيش البريطانى:

كان من عاداتى اليومية، منذ أكثر من ربع قرن، أن أتنزه فترة فى زورق صغير (سامبان) فى طرق بورما المائية، وكان بحَّار الزورق (الشيخ على) رجلاً مسلمًا من شيتاتونج (فى شرق باكستان)، ماهرًا فى عمله متمسكًا بتعاليم دينه مخلصًا به حريصًا على الصلاة فى وقتها، بادى التقوى، فلم يكن جديرًا باحترامى فحسب، بل مثيرًا لاهتمامى كذلك، بماهية هذا الدين الذى استطاع أن يسيطر على هذا الرجل، ويجعل منه عبدًا تقيًّا.

وكان حولنا أل بورما البوذيون، وكانت عليهم أيضًا مسحة التقوى، وربما كانوا كما رأيت فى مشاهداتى من أكثر أهل الأرض إحسانًا وعطاء، إلا أنه كان يبدو لى أن هناك نقصًا ما فى عباداتهم، وقد علمت أنهم كانوا يؤدون صلاتهم فى معابدهم «باجودا»[1] لأنى رأيت جموعهم جالسين القرفصاء فيها، يتلون تلاوتهم العبادية «بوذا كارانا جاشامى ضاما كارانا جاشامى سانغا كارانا جاشامى» ويقولون إنهم بذلك يتبعون هدى بوذا شريعة ومنهاجًا للسمو بحياتهم الروحية.

وكان مظهرهم هادئًا متلبدًا تنقصه الروح والحماس، مخالفًا تمام المخالفة لما كان يبدو على الشيخ على بحار الزورق أثناء صلاته، وقد كنت أتحدث إليه طوال رحلتنا فى الزورق فى المجارى المائية الضيقة وكنت أرى أنه تنقصه القدرة على التحدث إلى غيره، عن بواعث التقوى فى نفسه، بينما كان هو شخصيًّا نموذجًا حيًّا لقوة الإسلام الروحية.

اشتريت بعض الكتب التى تبحث فى تاريخ الإسلام وتعاليمه، ودرست ما أمكن من سيرة النبى محمد ﷺ وما حققه من عظائم الأمور، وكنت أحيانًا أناقش بعض هذه الأمور مع أصدقائى المسلمين؛ ثم أُعلنت الحرب العالمية الأولى، وكان علىَّ كما كان على كثير غيرى، أن ألتحق بالخدمة فى الجيش الهندى فى بلاد ما

(١) باجودا - اسم المعبد الهندى أو الصينى.

بين النهرين[1]، حيث أصبحت بعيداً عن بلاد البوذيين، وأعيش مع العرب، الذين بُعث منهم الرسول، والذين نزل القرآن بلغتهم.

وكانت إقامتى بين هؤلاء الناس حافزاً لى على الاستمرار فى الاهتمام بالإسلام وعلى دراسته، فتعلمت اللغة العربية، وازددت اتصالاً بالناس، فأعجبنى حرصهم على عبادة الله، وانتهى بى الأمر إلى أن آمنت أنا كذلك بوحدة الإله ووحدانيته بينما تربيت منذ طفولتى على الإيمان بعقيدة التثليث.

لقد وضح لى الحق الآن فى أن الله لم يكن ثالوثًا، إنما هو واحد أحد «لا إله إلا الله» وشعرت بالرغبة فى إعلان إسلامى؛ وفى الواقع إنه على الرغم من امتناعى عن زيارة الكنيسة، وأن ترددى على المساجد كان قليلاً عندما تضطرنى أعمالى الرسمية بصفتى ضابط شرطة، فقد بقيت حتى ذهبت إلى فلسطين فى الفترة بين سنتى ١٩٣٥م[2]، و١٩٤٢م [3] حيث وجدت الشجاعة على الإعلان رسميًّا بدخولى فى دين الإسلام، الذى تخيرته لنفسى منذ سنوات عديدة.

لقد كان يومًا عظيمًا فى حياتى، هذا الذى أعلنت فيه إسلامى رسميًّا فى المحكمة الشرعية فى (بيت المقدس) ويطلق عليها العرب (القدس) أى المدينة المقدسة.

---

(١) هى أرض الجزيرة بالعراق (بين دجلة والفرات).

(٢) يوافق ١٣٥٤هـ.

(٣) يوافق ١٣٦١هـ.

كنت فى ذلك الحين «رئيس أركان الحرب» وكان إعلانى لاعتناق الإسلام سببًا فى بعض المضايقات، ومنذ ذلك الوقت، عشت حياة المسلمين عقيدة وعملاً فى مصر، ثم أخيرًا فى باكستان.

والإسلام دين يضم أضخم مجموعة من الإخوة تعدادهم حوالى خمسمائة مليون[1]، والانتساب إليه انتساب إلى الله.

وإذا كنت اليوم قادرًا على الاعتراف بعظمة الإسلام، وقد استطعت فى السنين الأخيرة أن أبذل فى سبيل الإشادة بعظمته جهدى ونتاج قلمى وحياتى، فإن الفضل يعود إلى ذلك الرجل البسيط (الملاح) الذى كان فى تقواه حافزًا لى لأعود إلى الله وإلى الإسلام، فإننا جميعًا نولد مسلمين ولكنى فى ضعف البشرية كنت قد ضللت الطريق.

والآن الحمد لله، على أننى أصبحت أسهم فى هذه الأخوة الإسلامية العظيمة، وإنى لأضرع إلى الله فى صلواتى داعيًا لروح ذلك الملاح المسكين الذى دفعتنى تقواه إلى اكتشاف السبيل الذى ألهمه عقيدته القوية الثابتة.

* * *

(١) أى: فى ذلك الوقت.

* محمود جونار إيريكسون (السويد) Mauhmud Gunnar Erikson :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

بدأت صلتى لأول مرة بالإسلام منذ خمس سنوات، إذ أراد صديق عزيز علىَّ أن يقرأ القرآن الكريم، لغرض ما فى نفسه، ولم أشأ أن أظل جاهلاً بهذا الكتاب الذى أراد صديقى أن يُلم ببعض ما فيه فرأيت أن أحصل على نسخة مترجمة إلى اللغة السويدية، وتسنَّى لى الحصول عليها قبل أن يحصل هو على مثلها، ثم بدأت قراءته.

ونظرًا لأنى استعرتها من إحدى المكتبات العامة، فقد كان لزامًا علىَّ أن أردها بعد أسبوعين، ولذلك كررت استعارتها مرات ومرات، وكنت كلما عاودت القراءة ازداد اقتناعى بأن ما فى القرآن هو الحق، إلى أن كان أحد أيام شهر نوفمبر سنة ١٩٥٠م [1] حين قررت اعتناق الإسلام.

مضى عامان وأنا على هذه الحال من الإسلام ولم أزد عليها شيئًا فى دراسة هذا الدين، حتى جاء يوم زرت فيه المكتبة العامة الرئيسية فى استوكهولم، وعاودتنى ذكرى إسلامى، فرأيت أن أبحث عما إذا كانت المكتبة تحتوى كتبًا عن دين محمد، ﷺ

(١) يوافق صفر ١٣٧٠هـ.



وسرَّنى أن أجد شيئًا منها، فاستعرت منها القليل، وقرأتها بإمعان، ومن بينها نسخة ترجمـة محمد على للقرآن الكريم، وعندئذ ازداد اقتناعى بما فى الإسـلام من حق، ومن هنا أيضًا بدأت فى تطبيـقه عمليًا.

ثم اتصلت مصادفـة بجماعة إسلاميـة فى السويد وأديت صلاة العيد لأول مرة فى استوكهولم فى سنة ١٩٥٢م(١).

كان هذا موقفى من الإسلام حينمـا ذهبت إلى إنجلترا قبل عيد الفطر سنة ١٣٧٢ هـ بأسـابيع قليـلة؛ وفى أول يوم وصلت هناك زرت مسـجد (وكنج)، حـيث طُلب منى إعلان إسـلامى فى يوم العيد، وقد تم هذا فعلاً.

إن مـا أعجـبنى فى الإسـلام ومـا زال يعـجـبنى، هو أسلوبه المنطقى، فـلا يطلب إليك الإيمـان بشىء قـبل أن تدركه وتعـرف أسبـابه؛ والقرآن الكريم يعطينا من الأمـثال على وجـود الله ما لا يترك مزيدًا لمستزيد.

وناحية أخرى فى الإسلام أعجبتنى هى عالميته. فالقرآن الكريم لا يحدثنا عن الله على أنه رب العـرب أو أى شعب بذاته من بين الشعوب، كلا، بل وليس على أنه رب هذه الدنيا؛ ولكن على أنه رب العالمين، بينمـا تتحدث الكتب السابقـة عن «إله بنى إسرائيل» وما إلى ذلك.

---

(١) يوافق ١٣٧٢هـ.

وفوق هذا فإن الإسلام يأمرنا بالإيمان بجميع الرسل سواء منهم من ذُكر فى القرآن أو من لم يرد ذكره.

وأخيراً، فإننا نجد فى الكتب السماوية السابقة نبوءات عديدة تشير بغير أدنى شك إلى بعثة محمد ﷺ وفى ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[1].

ويقول: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾[2].

* * *

(١) سورة المائدة: الآية: (٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٩).

# لماذا تأخر المسلمون عن قيادة العالم

وبعد أن تبين لك أيها القارئ الكريم من خلال الصفحات الماضية عظمةُ دين الإسلام، وشموله، وعدله، ومدى حاجة البشرية إليه قد يخطر ببالك تساؤل فتقول:

إذا كان الإسلام بهذه العظمة والشمول والعدل - فلماذا لا نرى أهله فى مقدمة الأمم فى هذا العصر؟ ولماذا نرى كثيراً منهم بعيداً عن الاتصاف بما يأمر به الدين؟ وما مدى صحة ما يقال بأن الإسلام دين تطرف، وإرهاب؟

والجواب عن ذلك يسير بحمد الله، وذلك من عدة وجوه:

١- أن حال المسلمين فى عصورهم المتأخرة لا تمثل حقيقة الإسلام: فمن الظلم وقصور النظر أن تجعل حال المسلمين فى هذه العصور المتأخرة هى الصورة التى تمثل الإسلام، فيُظن أن الإسلام لم يرفع عنهم الذلة، ولا التفرق، ولا الفقر؛ فعلى من يريد الحقيقة بعدل وإنصاف أن ينظر إلى دين الإسلام من خلال مصادره الصحيحة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه سلف الأمة الصالح، وأن ينظر إلى الإسلام من خلال الكتب التى تتحدث عنه بعدل وعلم، فسيتبين له أن الإسلام يدعو إلى كل

صلاح دينى ودنيوى، وأنه يحث على الاستعداد لتعلم العلوم النافعة، وأنه يدعو إلى تقوية العزائم، وجمع الكلمة.

ثم إن انحرافات بعض المنتسبين إلى الإسلام قلَّت أو كثرت لا يجوز بحال من الأحوال أن تُحسب على الدين، أو أن يُعاب بها، بل هو براء منها، وتبعة الانحراف تعود على المنحرفين أنفسهم؛ لأن الإسلام لم يأمرهم بذلك؛ بل نهاهم وزجرهم عن الانحراف عما جاء به.

ثم إن العدل يقتضى بأن يُنظر فى حال القائمين بالدين حق القيام، والمنفذين لأوامره وأحكامه فى أنفسهم وفى غيرهم؛ فإن ذلك يملأ القلوب إجلالاً ووقارًا لهذا الدين وأهله؛ فالإسلام لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من الإرشاد والتهذيب إلا حثَّ عليها، ولا رذيلة أو مفسدة إلا صدَّ عن سبيلها.

وبذلك كان المُعظمون لشأنه، المقيمون لشعائره فى أعلى طبقة من أدب النفس، وتربيتها على محاسن الشيم، ومكارم الأخلاق، يشهد لهم بذلك القريب والبعيد، والموافق والمخالف.

أما مجرد النظر إلى حال المسلمين المفرطين فى دينهم، الناكبين عن صراطه المستقيم فليس من العدل فى شىء، بل هو الظلم بعينه.

٢- أن تأخر المسلمين سببه البعد عن الدين: فلم يتأخر المسلمون عن ركب الحضارة، ولم يتفرقوا ويُستذلوا إلا عندما

فرطوا فى دينهم، ونسوا حظًا مما ذُكِّروا به.

فالإسلام دين الرُّقى، والتقدم، والذكاء، وعندما كان المسلمون متمسكين بدينهم حق التمسك دانت لهم أمم الأرض قرونًا متطاولة، فنشروا فيها لواء الحكمة، والعدل، والعلم.

وهل ترقَّت أمم الأرض، وبزَّت غيرها فى الصناعات والاختراعات المذهلة إلا بعد أن استنارت عقول أهليها بعلوم المسلمين بعد الحروب الصليبية؟

ألم تكن تلك الأمم فى القرون التى يسمونها القرون المظلمة فى غاية الجهل، والهمجية؟ ألم يكن المسلمون هم سادة الخلق آنذاك؟

ألم تكن مدينة الإسلام هى المدينة الزاهرة الحقيقية؛ حيث كان روحها الدين والعدل، والرحمة، حتى لقد شملت بظلها الظليل، وإحسانها المتدفق جميع الناس حتى المخالفين والأعداء؟

فهل أخَّر المسلمين دينُهم الحق؟ وهل منعهم من الرقى الحقيقى؟ وهل نفع الآخرين كفرهم بالله فى تلك القرون الطويلة؛ إذ كانوا هم الأذلين المخذولين؟.

ثم لما قصَّر المسلمون فى التمسك بدينهم، وقصَّروا فى الأخذ بالأسباب الموصلة إلى خيرى الدنيا والآخرة حلَّ بهم التفكك والدمار.

ثم إن التقدم المادى لا يكفى وحده، بل لابد معه من الدين الحق الذى يزكى النفوس، ويرتقى بالأخلاق؛... فها هى أمم

الكفر لما ارتقت فى علوم المادة وأغفلت جانب الروح ها هى تتخبط فى تيهها وضلالها؛ فهل أغنت عنها تلك المدنية المادية فتيلاً؟.

ألم تكن حضارتها قائمة على الظلم والجشع، والاستبداد، والاستعباد، والتسلط على الأمم الضعيفة؟

ألم ينتشر فيهم الخيانة، والسرقة، والانتحار، والقتل، والأمراض النفسية، والجنسية وغيرها؟

فهذا أكبر برهان على أن الرقى ينقلب ضرراً على أهله إذا خلا من الدين الحق الذى تستنير به العقول، وتزكو به النفوس.

٣- أن القول بأن الإسلام دين تطرف وإرهاب مردود على من قاله: فهو محض افتراء، ومحاولة للصد عنه؛ فالإسلام دين الرحمة، والرفق، والتسامح، وما السيف الذى يأمر الإسلام بانتضائه للجهاد فى سبيل الله إلا كمبضع طبيب ناصح يشرط به جسم العليل؛ لينزف دمه الفاسد؛ حرصاً على سلامته؛ فليس الغرض من الجهاد فى الإسلام سفك الدماء، وإزهاق الأرواح، وإنما الغرض منه إعلاء كلمة الله، وتخليص البشرية من عبادة البشر، ودلالتهم على عبادة رب البشر، كى يعيشوا حياة كريمة.

وأمة الإسلام خير أمة أُخرجت للناس وخير أمة جاهدت فى سبيل الله فانتصرت وغلبت فرحمت، وحكمت فعدلت، وساست فأطلقت الحرية من عقالها، وفجرت ينابيع الحكمة بعد نضوبها.

واسأل التاريخ: فإنها قد استودعته من مآثرها الغُرِّ ما بَصُر بضوئه الأعمى، وازدهر فى الأرض ازدهار الكواكب فى كبد السماء.

فماذا فعل المسلمون حين انتصروا على خصومهم؟ هل تكبروا، وتسلطوا، واستبدوا؟ وهل انتهكوا الأعراض، وقتلوا الشيوخ، والنساء، والأطفال؟.

ماذا فعل النبى ﷺ عندما انتصر على خصومه الذين كانوا يؤذونه أشد الأذى؟ ألم يكن يصفح عنهم؟ ويَمُنَّ عليهم بالسبى والأموال؟.

وماذا فعل المسلمون عندما انتصروا على كسرى وقيصر؟ هل خانوا وغدروا؟ هل تعرضوا للنساء؟ وهل أساؤوا للرهبان فى الأديرة؟ وهل عاثوا فى الأرض فساداً؟ وهل هدموا المنازل، وقطعوا الأشجار؟.

وماذا فعل صلاح الدين لما انتصر على الصليبيين الذين فعلوا بالمسلمين الأفاعيل، ونكَّلوا بهم أيما تنكيل؟ فماذا فعل بهم صلاح الدين لما انتصر عليهم؟ ألم يصفح عن قائدهم؟ ويعالجه؟ ويطلق سراحه؟.

وماذا كانت أحوال أهل الذمة فى بلاد المسلمين عبر العصور المتطاولة إلى يومنا هذا؟ ألم يكونوا ينعمون بالأمان، والعدل، والإحسان؟.

ألم يجدوا من عدل المسلمين وإحسانهم ما لم يجدوه من بنى جلدتهم؟

فهذه المواقف النبيلة وأمثالها كثير فى تاريخ المسلمين، مما كان له أبلغ الأثر فى محبة الناس للإسلام، والدخول فيه عن قناعة ويقين.

أفغير المسلمين يقوم بهذا؟ الغرب يقدم مثل هذه النماذج؟

الجواب ما تراه، وتسمعه؛ فمن أين خرج هتلر، وموسولينى، ولينين، وستالين، ومجرموا الصرب؟ أليست أوروبا هى التى أخرجت هؤلاء وأمثالهم من الشياطين الذين قتلوا الملايين من البشر، ولاقت منهم البشرية الويلات إثر الويلات؟

ألا يعد أولئك هم طلائع حضارة أوروبا؟ فَمَنِ الهمج القساة العتاة إذا؟

ومَنِ المتطرفون الإرهابيون حقيقة؟

ثم مَنِ الذين صنعوا القنابل النووية، والعنقودية، والذرية، والجرثومية، وأسلحة الدمار الشامل؟

ومن الذين لوثوا الهواء بالعوادم، والأنهار بالمبيدات؟

ومن الذين يسلكون الطرق القذرة التى لا تَمُتّ إلى العدل، ولا إلى شرف الخصومة بشىء؟

من الذين يعقمون النساء؟ ويسرقون أموال الشعوب، وحرياتهم، ومن الذين ينشرون الإيدز؟

أليس الغرب، ومن يسير فى ركابهم؟
ومن الذى يدعم اليهود وهم فى قمة التسلط والإرهاب؟
وماذا حصل فى محاكم التفتيش وما أدراك ما محاكم التفتيش؟
وماذا حصل فى بعض السجون كأبى غريب وغيره مما يندى له الجبين؟

هذه هى الحقيقة الواضحة وهذا هو الإرهاب والتسلط.

ولا يعنى ذلك بحال من الأحوال أن يكون غير المسلمين على سُنَّة واحدة من الظلم والتسلط والجبروت، لا بل إن فيهم من هو قائم بالعدل، بعيد عن الظلم.

أما جهاد المسلمين لإحقاق الحق، وقمع الباطل، ودفاعهم عن دينهم، وأنفسهم وبلادهم فليس إرهابًا، وإنما هو العدل بعينه.

وما يحصل من بعض المسلمين من الخطأ فى سلوك سبيل الحكمة فقليل لا يكاد يُذكر بجانب وحشية الغرب، وتبعته تعود على من أخطأ السبيل ولا تعود على الدين، ولا على المسلمين، ولا يُقر عليها من قام بها، بل إن أهل الإسلام ينكرون مثل ذلك أشد الإنكار.

وهكذا ينبغى للعاقل المنصف؛ أن ينظر إلى الأمور كما هى بعيدًا عن الظلم والتزوير والنظرة القاصرة.

وبعد هذا فإن كان الإنسان عجب من شىء فإن عجبه من الأوروبيين، والأمريكان؛ حيث لم يكتشفوا حقيقة الدين الإسلامى

فيما اكتشفوه، وهو أجلُّ من كل ما اكتشفوه، وأضمن للسعادة الحقيقية من كل ما وصلوا إليه؛ فهل هم جاهلون بحقيقة الإسلام حقًا؟ أو أنهم يتعامون ويصدون عنه؟!.

إن كانت الأولى، فهي مصيبة، وإن كانت الثانية فمصيبتان! (1).

* * *

(1) من كتاب الطريق إلى الإسلام/ د. محمد بن إبراهيم الحمد.

## ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟

نستعير هنا عنوان الكتاب الذى ألَّفه السيد أبو الحسن الندوى، لأننا نجده خير ما يعبر عن المعنى الذى قصدنا إليه فى هذه الفقرة.

فلم تكن الخسارة التى نتجت من انحطاط المسلمين مقصورة عليهم وحدهم، إنما كانت خسارة شاملة شملت العالم كله.

ذلك أن الله منذ أخرج هذه الأمة إلى الوجود وحمَّلها رسالة الرسول الخاتم ﷺ جعل مقادير البشرية كلها مرتبطة بأحوال هذه الأمة، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. وذلك من مقتضى كون هذه الأمة أُخرجت لتكن شاهدة على كل البشرية: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾(1).

وحين نفصل مقدار الشر الذى أصاب البشرية من جرَّاء غياب الأمة الإسلامية عن الساحة، سيتبين لنا مجددًا مدى المسئولية المُلقاة على عاتق هذه الأمة، ومدى الوزر الذى ارتكبته فى حق نفسها، وحق البشر جميعًا، حين فرطت فى مسئوليتها.

ولن نعيد الكلام هنا عن الخسارة التى لحقت بالأمة الإسلامية

---

(1) سورة البقرة: الآية: (143).

بالذات، فهـذا واقع تعيشـه الأمة بالفعل، وتعـانى آلامه، وإن لم تكن دائمًـا تدرك أسبابه، فـقد قـيل لها إن مـا تعانيـه هو نتيـجة التـخلف الـعلمى والمادى والسـيـاسى والحـربى والاقـتـصـادى والحضارى، وأن عليهـا أن تجابه هذا كله وتتغلب عليه. وهذا حق ولكنه ليس كل الحق. والوقـوف عنده مـضلل للأمة عن مـعرفـة حقيقة دائها وحقيقة دوائها.

وإنما الذى ينبغـى أن تبصر به الأمـة جيدًا أن التـخلف العلمى والمادى والسياسى والحربى والاقتصادى والحضارى قد أصابها حين تخلت عن مـعـين قوتهـا، الذى أعطاها القـوة من قـبل فى هذه الميادين كلهـا، وما هو أبعـد منها أيضًا، وأنه لا عـلاج لها إلا أن تعود إلى المعين ذاته.

أما إن حـاولت أن تعالج كل أنواع التخلف السـالفة بغيـر العودة إلى ذلك المعين، فسيظل جهدها قاصرًا، ولا يؤدى إلى ثمرة، وتجربة قرن كامل من الزمان أو أكثر من قرن فى بعض بلاد العالم الإسلامى كفيلة ببـيان هذه الحقيقـة فقد بذلت بلاد العالم الإسـلامى جهدًا فى اللحاق بركب الحـضارة أو فى اللهاث وراء الغـرب فى الواقع فكانت النتيجـة قشرة حضارية زائفة لا تعـالج شيئًا فى الحقيـقة، ومزيدًا من الضعف السياسى والحربى والاقتصادى وفى جميع الميادين.

والعلاج الموضـوعى لكل أنواع التخلف واجب مـفروض على الأمة، إن أرادت أن تصلح أحوالها، ولكنه وحـده لن يحل شيئًا،

ما لم يقم على أساس حقيقى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، ذلك ما ينبغى أن تبصر به الأمة إن أُريد لها أى إصلاح حقيقى.

ولكنَّا هنا فى هذه الفقرة لا نتحدث عن الأمة الإسلامية بالذات إنما نتحدث على مستوى العالم كله، لنعرف ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

* * *

يمكن أن نلخص الخسارة الكبرى بأنها غياب النموذج الصحيح، الذى ترتَّب على غيابه بروز النموذج الفاسد وتثبيته وسيطرته على الساحة، ونشر الفساد منه إلى كل الأرض.

وما نقول إن بقاء الأمة الإسلامية وقيامها برسالتها أو بالأحرى رسالتيها كان سيمنع الفساد كلية من الأرض! فقد سبقت كلمة ربك ألا تجتمع البشرية فى أمة واحدة، ولا تكون كلها صالحة: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[2].

وقد وقفت الكنيسة بعناد وحشى تحارب تأثر أوروبا بالإسلام، الذى كان وشيكًا أن يُنشر الإسلام فيها على نطاق واسع، كما قال

(١) سورة التوبة: الآية: (١٠٩).
(٢) سورة هود: الآيتان: (١١٨- ١١٩).

ويلز فى كتاب معالم تاريخ الإنسانيـة. . . واستخدمت الكنيسة فى ذلك محاكم التفتيش من بين ما استخدمت من الوسائل.

فلا نزعم أن استمرار قيام الأمة الإسلاميـة برسالتها كان سيغير موقف الكنيسة ويلين عنادها الوحشى.

**ولكنا نقول مع ذلك:** إن نتائج مختلفة تمامًا عما هو حادث اليوم كانت قمينة أن تخرج إلى الوجود بحسب السنن الربانية ووعد الله ووعيده.

* **ونفصل الكلام بعض الشىء:**

لقـد قامت الكنيـسة بدور كـبيـر فى تنفيـر أوروبا من الدين، ودفعهـا إلى الانسلاخ منه، وكانت الصورة التى قدمـتها عن الدين كما أشـرنا مرارًا صورة منفرة بالفـعل، فضلاً عن الطغيـان البشع الذى مارسته الكنيسة باسم الدين فى مختلف الاتجاهات.

وبرز فى أوروبا نموذج من الحيـاة يبتـعد رويدًا رويدًا عن الدين، حتى انسلخ منه انسلاخًا كامـلاً فى العهد الأخير، ورأت أوروبا فى عـملها هذا أنه هو الصـواب الذى ينبـغى عمله، وأن كل تصـرف يؤدى إلى إبقاء سلطان الدين فضلاً عن توسيع سلطانه هو عمل ضد الشعوب! وضد الحضارة! وضد العلم! وضد إنسانية الإنسان!.

وكما قـلنا مرارًا فإن أوروبا معـذورة فى أن تقف من دينها هذا الموقف، فقد كان ذلك الدين بالفعل معوقًا عن الحياة، ومفسدًا لها فى كل اتجاه.

ولكن انتقال أوروبا من السخط على دينها وكنيستها، إلى السخط على الدين فى ذاته، وكل مقرراته، مع سيطرة أوروبا على العالم، كان هو سبب الكارثة التى وقعت فيها البشرية فى ظل الجاهلية المعاصرة.

وهنا يبدو الأثر الضخم الذى خلَّفه غياب الأمة الإسلامية عن الساحة، ونكولها عن رسالتها.

فلنتصور جدلاً أن الأمة الإسلامية ظلت قائمة برسالتها مُمكَّنة فى الأرض حسب وعد الله لها، حين تعبده لا تشرك به شيئًا فما الذى كان قمينًا أن يحدث؟! كان يمكن فى أسوأ الأحوال أن تكفر أوروبا وحدها ولا يؤثر كفرها على بقية الأرض، فإن تضخم أوروبا على الصورة التى وصلت إليها، واتساع سلطانها وسيطرتها سياسيًّا واقتصاديًّا وحربيًّا وثقافيًّا لم يحدث إلا بسبب ضعف الأمة الإسلامية وإلا فأين كانت أوروبا؟ وكيف كانت حين كانت بقية من القوة فى حوزة الأمة الإسلامية؟

وهل تضخمت أوروبا، وبلغت قوتها ما بلغت، وبلغ سلطانها ما بلغ، إلا حين استعمرت العالم الإسلامى ونهبت خيراته؟!

إن هناك وهمًا تاريخيًّا يعشش فى أذهان كثير من الناس مؤداه أن أوروبا من ذات نفسها بقوتها الذاتية، وبنوعية شعوبها، قد صارت إلى ما صارت إليه، وبسطت سلطانها على العالم، وأن هذا الأمر كان فى طريقه أن يقع مهما كانت أوضاع العالم من

حول أوروبا، ومهما كانت نسبة القوى العالمية بعضها إلى بعض!

والذى ثبَّت هـذا الوهم فى أذهان الناس دون شك هـو كـونه واقعًا حدث بالفعل! وللواقع دائمًا ثِقل فى حِسِّ الناس! ولكن هذا الواقع قد حـدث لأسباب! والسبب الأكبر فيه هو ضـعف العالم الإسلامى! وإلا فـلنتصور فـقط أن الدولة العثـمانيـة وهى المرحلة الأخيـرة من مراحل القوة الإسـلامية قـد بقيت على قوتهـا، فهل كانت تجرؤ أوروبا على استعمار العالم الإسلامى؟!.

يقول أحـد المبشرين فى بدايات القـرن العشرين الميلادى قـبيل انهيار الدولة العثمانية إن أوروبا كانت تخشى الرجل المريض (وهو مريض!!) لأن وراءه ثلاثمائة مليون من البشر على استعداد للقتال بإشارة من أصبعه!.

فإذا كان هذا موقف أوروبا من الرجل المريض، فكيف كان موقفها منه وهو قوى؟ ولـنتصور فـقط أن الجيـوش العثمـانية التى حـاصرت بطرسـبـرج (لننجراد حـاليًـا) من سنة ١٧٠٧م إلى سنة ١٧١١م قـد دخلتها، وأن الجـيوش التى حاصرت فـيينا فى المرة الأولى سنة ١٥٢٩ أو المرة الثانية سنة ١٦٨٣م قد دخلتهـا، فماذا كان يكون موقف أوروبا من العالم الإسلامى وكيف يتصور تجرؤها على استعماره؟!.

ونحن لا نتـحـدث عن الدولة العـثمـانيـة فى الوقت الذى حاصرت فيه بطرسبرج وفـيينا على أنها هى النموذج الذى نعنيه حين نتصـور الأمة الإسلامية مـحافظة على رسالتها فـقد كانت

الدولة العثمانية فى وقت ازدهارها وتمكنها، تمثل قوة سياسية وعسكرية هائلة، وتمثل كذلك رغبة مخلصة فى خدمة الإسلام ونشره فى الأرض، ولكنها لم تكن تمثل الصورة العلمية والحضارية الصحيحة للأمة الإسلامية وإنما الذى نعنيه هو صورة الأمة الإسلامية حين كانت محافظة على رسالتها فى جميع جوانبها كما كانت بالفعل فى فترة من تاريخها وهو أمر كان فى إمكان تلك الأمة ما دامت قد بلغته بالفعل لولا الانحرافات التى وقعت فيها، والتى هى مسئولة عنها فى الدنيا والآخرة، والتى تسببت بتراكمها على مدى الزمن فى زوال النموذج الصحيح، وبروز النموذج المنحرف، وتثبيته فى الأرض، وإيهام الناس أنه نموذج صحيح، بل أنه هو النموذج الصحيح الذى ينبغى أن يبقى فى الأرض!.

وهذه مسئولية الأمة الإسلامية التى نتحدث عنها فى هذه الفقرة، والتى استعرنا لها العنوان الذى عنونَّاها به.

* **ونعود إلى متابعة الأحداث...**

إن ضعف العالم الإسلامى هو الذى أغرى أوروبا باستعماره ولئن كانت القوة الحربية والسياسية للدولة العثمانية قد زجرت أوروبا مدة أربعة قرون متوالية عن أن تتجه فى حروبها الصليبية الحديثة نحو المشرق مباشرة، كما فعلت فى المرة الأولى للاستيلاء على القدس، فإنها لم تستطع بسبب ضعفها التدريجى أن تمنع أوروبا من

الالتـفاف حـول العالم الإسـلامى من جهـة الغرب، وحـول رأس الرجاء الصالح نحـو الشرق على هدى الخرائط الإسلامـية!! لتلتهم الأجزاء الضعيـفة من العالم الإسلامى تباعًا، حـتى إذا كانت نهاية القرن التاسع عشر الميـلادى لم يكن قد بقى من العالم الإسلامى لم يُستعمر إلا تركيا ذاتها، وأجزاء من الجزيرة العربية!!.

ومن نهب خيرات العالم الإسلامى تضخمت أوروبا، وصارت إلى ما صارت إليه.

فـإذا تصـورنا أن الأمة الإسـلامـيـة لم تكن تهـاونت، ولا تراجعت، ولا انحرفت، ولا فرطت، فإن أوروبا التى استيقظت من سُباتهـا وخرجت من عصورها الوسـطى المظلمة بما اكتسـبته من علوم المسلمين وحـضارتهم كانت قمينة أن تـسعى إلى القوة والعلم والحضارة، ولكن فى الحدود التى يسمح لهـا بها كيانها، مهما يكن من تدفق رغباتها، وحماسـتها، وبذلها الجهد لتحقيق أهدافها!.

إن الوهم التاريخى الذى أشرنا إليه آنفًا، يخيل لكثير من الناس أن الشعوب الأوروبية شعوب عبـقرية بفطرتها، حضارية بفطرتها، عظيمة بفطرتهـا، متغلبة بفطرتها، لا تقف فى طريقهـا عقبة، ولا يحجزها حاجز!!

**فنُحيل هؤلاء إلى حقائق التاريخ!**

تقول الروايات التـاريخية: إن فاسكو داجاما الذى نزعم لأبنائنا

أنه هو الذى اكتشف طريق رأس الرجاء الصالح[1]، التقى بالبحار العربى المسلم «ابن ماجد» بعد اكتشافه ذلك الطريق، فعرض عليه بعض الآلات البحرية التى يملكها (الاصطرلاب والبوصلة ونحوها) فاستمهله ابن ماجد قليلاً، ودخل حجرته ثم عاد ومعه من الأدوات ما ذُهل له فاسكو داجاما! فعرض عليه أن يكون هو قائد رحلته إلى جزر الهند الشرقية.

وتقول الروايات التاريخية: إن أوروبا حتى القرن السابع عشر لم تكن تعرف الحمَّامات الخاصة داخل البيوت! إنما كانوا يستخدمون الحمامات العامة... إنما كانت الحمامات الخاصة داخل البيوت سمة إسلامية، تعلمتها أوروبا من المسلمين فى الأندلس، ثم أخذوا يطبقونها رويدًا رويدًا مع ارتفاع مستوى معيشتهم التدريجى، نتيجة الاستعمار من جهة والثورة الصناعية من جهة أخرى، وأنه فى أثناء قيام محاكم التفتيش فى الأندلس بالبحث عن المسلمين المتنصرين ظاهرًا للفتك بهم والقضاء عليهم، كانوا يعرفون بيوت المسلمين بعلامة مميزة لا تخطئ وهى وجود حمام خاص فى المنزل!

والحى اللاتينى فى باريس الذى احتُفظ به للذكرى، والذى يتغنى عُبَّاد باريس بأزقته الضيقة، ويتغنون أحيانًا بقذارة رواده! هو نموذج لما كانت عليه باريس كلها إلى وقت قيام الثورة الفرنسية (١٧٨٩)م واقرأ إن شئت وصفًا لما كانت عليه الشوارع قبيل الثورة

---

(١) اكتشفه لنفسه ولأوربا، أما المسلمون فقد كانوا يعرفون الطريق ويرتادونه فى رحلاتهم التجارية قبل ذلك بقرون.

من القـــذارة ومن الوحـل اللازب حيـن ينزل المطر علـى الأتربة المتراكـمة، فى قـصة المدينتين التى كتـبها الكاتب الـروائى شارلز دكنز، الذى اشتهر بدقته وواقعيته فى وصف المشاهد التى يرسمها.

كلا إنما الـذى صنع أوروبا الحديثـة الغنية المتـعالية هـو ضعف العالم الإسلامى، وعدوان أوروبا عليه ونهب خيراته!

ولو بقى العـالم الإسلامى على صـورته التى كـان ينبغى أن يبـقى عليها، فقد كانت أوروبا ستـتعلم، وترتقى، وتتقوى، وتتحضر، ولكن فى الحدود المتاحة لها، التى تتيحها لها قوتها بإزاء قوة العالم الإسلامى.

ونفترض جـدلاً أنها آثرت الكفر بسبب أفاعـيل الكنيسة، ولم تدخل فى الإسـلام على الرغم من إشارة ويلز إلى أن العـالم كله كـان عُرضـة لأن يدخل فى الإسـلام فى بدايات القـرن السـادس عشر، فماذا كان يمكن أن يحدث؟

لقد كان النموذج المنحرف الذى اختارته أوروبا لنفسها، المعادى للدين، أو المبتعـد عنه فى أقل تقدير، سيظل محـصورًا فى حدود أوروبا، لا يتـجاوزه إلى العـالم الواسع، بسـبب وجود النمـوذج السوى فى رقعة واسعة من الأرض، مُمكَّـنًا قويًّا مستعليًا بإيمانه، وجـذابًا فى الوقت نفـسـه بما يشـتمل علـيه النمـوذج الإسـلامى الصحيح من توازن ورفعة ونظافة وشمول وطمأنينة وبركة.

وفضلاً عن ذلك فإن النموذج الأوربى المنحرف حتى ولو ملك القوة المادية والعلمـية كان سـيظل موضع الاستنكار ممن يمـارسون

الأسلوب الصحيح، وممن يقفون موقف المتفرج بين المنهج المنحرف والمنهج الصحيح. ومما يدل على ذلك أن الوثنيين فى الهند الذين حكمهم المسلمون ثمانية قرون دون أن يُكرهوهم على اعتناق الإسلام كانوا فى مبدإ الأمر أميل إلى الحكم الإسلامى منهم إلى المستعمر البريطانى، وذلك قبل أن يستميلهم الإنجليز بشتَّى الطرق إليهم، ويحرضوهم على تذبيح المسلمين وتقتيلهم، على طريقة الإنجليز الشهيرة: «فَرِّق تَسُدْ».

كانت أوروبا الكافرة ستمضى قُدمًا فى حضارتها المادية، وفى صراعتها الداخلية التى كان من نماذجها «الحرب الإيطالية» التى استغرقت من عام ١٤٩٤ إلى عام ١٥٥٩م وشهدت انتقال السلطة من دولة إلى دولة أكثر من مرة[١]، دون أن تسرى عدوى ذلك التحضر الكافر إلى بقية بلاد العالم، ودون أن يُنظر إلى الكفر على أنه ضرورة من ضرورات التحضر! ولا إلى الدين فى ذاته على أنه عقبة فى طريق التقدم، إلى آخر ما سممت به الحضارة الأوربية أفكار الملايين فى شتَّى بقاع الأرض، وتوهمت تلك الملايين أنه حقيقة بسبب غياب النموذج الصحيح.

وكانت أوروبا الكافرة ستتقدم فى العلم، بما تعلمت من علوم المسلمين وعلى هدى المنهج التجريبى خاصة، الذى ابتدعه المسلمون ونقلته أوروبا عنهم، ولكن هذا النموذج المنحرف، الذى

(١) من المراجع الجيدة فى هذا كتاب (أوربا فى مطلع العصور الحديثة) للدكتور عبد العزيز محمد الشناوى.

يخير الناس بين العلم وبين الإيمان بالله، ويعجز عن التوفيق بين أمرين لا تعارض بينهما فى الفطرة السوية، لم يكن ليفتن البشرية كما فتنها اليوم، لأن النموذج السوى، الذى يتقدم فى البحث العلمى وهو مؤمن ويمارس هذه النعمة الكبرى: نعمة التوافق والتناسق والتوازن، مع تحقيق مكاسب العلم فى الوقت ذاته، كان هو الذى سيجذب الناس إليه، لأنه يمثل وضع الفطرة السوية.

**وحين يرى الناس النموذجين المختلفين:** أحدهما يتقدم فى العلم وهو عابد لله شاكر لأنعمه، متخلق بأخلاق الإيمان، محافظ على روابطه الأسرية، مطمئن النفس من القلق والجنون والأمراض النفسية والعصبية، عازف عن الخمر وما شابهها مما يُذهب الوعى، مطمئن لعرضه، مطمئن لطهارة ماله، شاعر أنه يعيش من أجل قيم عُليا يجاهد فى سبيلها.

والآخر يتقدم فى العلم، ولكن بينه وبين الله جفوة، روابطه الأسرية مفككة، وروابطه الاجتماعية مفككة، يملأ مجتمعه القلق والجنون والأمرض النفسية والعصبية والخمر والمخدرات والجريمة؛ والفوضى الجنسية أصل فيه، والطهر شذوذ مستنكر[1].

حين يرى الناس النموذجين فأيهما يكون أحب إليهم؟ وأى نموذج يختارون لأنفسهم؟

---

(١) لقد قال قوم لوط من قبل: ﴿ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ والمجتمع الغربى يعتبر الفتاة التى بلغت الرابعة عشرة وليس لها صديق حالة شاذة تحتاج إلى الطبيب النفسانى ليعالجها!

وهَبْ أن أوروبا لسبب من الأسباب تفوقت فى بعض ميادين العلم أكثر من العالم الإسلامى، واحتاج الناس إلى ما بين أيديها من علم تفردت به، فإن وجود النموذج السوى، المشتمل على نهضة علمية ولو كانت لا تغطى كل الميادين ستظل له جاذبيته وسيظل الناس وإن احتاجوا إلى ما عند أوروبا فى بعض ما يلزمهم لا ينحازون إلى النموذج الفاسد، ولا يفضلونه على النموذج السوى، ولا يأخذون العدوى منه، ولا يتصورون أن الجفوة بين الدين والعلم هى من طبائع الأشياء!.

ونضرب مثلاً مع الفارق، فإن اليابان اليوم متقدمة فى بعض ميادين العلم الإليكترونى خاصة إلى درجة تعجز أوروبا وأمريكا عن اللحاق بها فيها، ومع ذلك فلم يفكر أحد وهو يستورد من اليابان ما يحتاج إليه من المنتجات أن يعبد ما تعبده اليابان، أو يتخذ التقاليد اليابانية فى حياته، فكذلك لو افترضنا أن أوروبا تفوقت على المسلمين الممارسين لدينهم على صورته الصحيحة فى بعض ميادين العلم، فلم يكن ذلك ليؤدى إلى أن يترك الناس عبادة الله من أجل حاجتهم إلى علم أوروبا فى بعض الميادين.

على أن هذا الفرض نفرضه من باب الجدل فحسب، فليس الأوربيون أذكى بالطبيعة من غيرهم من الشعوب، وليس المسلمون بالطبيعة أقل ذكاء منهم، حتى نفترض أن أوروبا كانت ستتفوق عليهم فى حال التزامهم بمنهج ربهم الذى دفعهم على العلم دفعًا،

وجعلهم لقرون سادة العلم فى الأرض.

إنما العلم - والعلم الحديث خاصة - ذكاء من جهة، وإمكانات بحث وتجريب ينفق عليها بسخاء من جهة أخرى.

والذى جعل أوروبا تتفوق فى العلم فى العصر الحديث لم يكن بالضرورة هو الذكاء العبقرى بمقدار ما كان إمكانات البحث والتجريب التى ينفق عليها بسخاء ولسنا ننفى وجود عبقريات فذة لديهم، ولكننا ننفى تفردهم بالعبقرية ولنذكر على سبيل المثال فقط أن أول من تنبأ بإمكان عمل قنبلة ذرية كان العالم المصرى المسلم الدكتور مصطفى مشرفة وكان مُقعدًا بسبب إصابته بشلل الأطفال!! ولكنه كان عبقريًا، وكان يقال عنه فى وقته إنه أحد أربعة فى العالم كله استوعبوا نظرية أينشتين استيعابًا علميًّا كاملاً! وقد تنبأ بإمكان صنع القنبلة الذرية، بعد دراسته لنظرية أينشتين فى وقت مبكر فى مبادئ الثلاثينيات من القرن العشرين فى وقت لم يكن أحد بعد قد فكر فى ذلك الموضوع، ولكنه كان محرومًا من الإمكانيات العملية التى تتيح له تجربة فكرته فى داخل المعمل.

ولنذكر أيضًا أن قاعدة إطلاق الصواريخ فى أمريكا تضم عالمًا مصريًّا مسلمًا يعتبر من كبار المختصين فى هذا العلم.

وفى العالم الإسلامى بمختلف شعوبه عبقريات علمية فى مجالات متعددة، تشتريها أمريكا وغيرها من الدول الغنية، أو تموت كمدًا من الإهمال والاضطهاد فى بلادها وذلك مع كل ما

أصاب العالم الإسلامى من قعود وتخلف وانصراف عن العلم فكيف لو تصورناه على صورته التى كان عليها وقت ازدهاره؟!

وقضية التقدم العلمى بالذات لها أوجه متعددة وكلها تؤكد مدى الخسارة التى خسرها العالم بانحطاط المسلمين.

فلو أن الأمة الإسلامية حافظت على تقدمها العلمى الذى كانت سابقة فيه لكل بلاد الأرض وعلى منهجها التجريبى الذى أنشأته بتوجيه الإسلام لها، فأين كان يتوقع أن تبدأ «الثورة الصناعية»؟

إن مكانها الطبيعى دون شك كان هو العالم الإسلامى فقد كانت الثورة الصناعية تطبيقًا تكنولوجيا لثمار التقدم العلمى. لذلك فإن الأمة التى تملك التقدم العلمى كانت قمينة أن تكون هى التى تخترع الآلة، وهى التى تبدأ الثورة الصناعية. ولو نشأت الحركة الصناعية الحديثة فى العالم الإسلامى، لكان لها من جميع الأوجه شأن آخر غير الذى صار لها حين نشأت فى أوروبا، النافرة من دينها، المعادية لتعاليمه.

وأول وجه كانت ستختلف فيه عن الحركة الصناعية الأوربية أنها لم تكن لتقوم على الربا، ولا تسمح به.

وهذا الأمر وحده على جانب كبير من الخطورة فى أزمة البشرية الحالية.

فلو أن الحركة الصناعية قامت على غير الربا لانتفت بادئ ذى

بدء تلك الأسطورة التى زعمت للناس أنه لابد من مخالفة أوامر الله من أجل الحصول على التقدم الصناعى! وأنه لا سبيل إلى تقدم البشرية صناعيًّا إذا التزمت بأوامر الله!.

ولم تكن البراءة من الربا الذى جر سيطرة اليهود العالمية، هى الخير الوحيد الذى كان العالم جديرًا أن يكتسبه من قيام الحركة الصناعية فى العالم الإسلامى بل كانت معها النجاة من شرور كثيرة أخرى وقعت فى الأرض.

**وخذ فقط قضية المرأة:**

لقد نشأت القضية من اضطرار المرأة الأوروبية للعمل حين نزح كافلها من الريف إلى المدينة للعمل وتركها بلا عائل، فتبعته إلى المدينة لتعمل لتسد جوعتها، فاستغلها أصحاب المصانع استغلالاً رديئًا؛ إذ ساوموها على شرفها من جهة، وأعطوها نصف أجر الرجل الذى تعمل معه فى المصنع نفسه وتؤدى القدر ذاته من ساعات العمل. فأصبحت لها قضية هى قضية المساواة مع الرجل فى الأجر ثم تطورت حتى صارت المساواة مع الرجل فى كل شىء وكان من بين كل شىء حق الفساد الذى يسمونه حق الاستمتاع بالحياة! **Enjoy yourself** .

فهل كان شىء من ذلك كله يمكن أن يحدث لو قامت الحركة الصناعية فى العالم الإسلامى؟!

لقد كفل الإسلام للمرأة من يكفلها فى جميع أحوالها، بحيث

لا تحتاج فى الأحوال العادية للعمل ويكفلها بيت المال حين لا يكون لها أى كافل من أسرتها ثم إذا اضطرت إلى العمل فإن عدالة الإسلام تُسوِّى بين الأجر والجهد المبذول ومن ثم لم تكن لتوجد للمرأة قضية أصلاً، ولم يكن ليتاح للشياطين أن يستخدموا تلك القضية كما استخدموها بالفعل لإفساد المجتمع البشرى كله [١].

ما أبعد الشُّقة بين قيام الحركة الصناعية فى العالم الإسلامى المتنور، وقيامها فى أوروبا التى تخرج من جاهلية إلى جاهلية، تتخبط فيها كما يتخبط الذى مسَّه الشياطين.

وقد قال تعالى عن الربا: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾ [٢].

فكيف بالذين يأكلون الربا ويمارسون الفواحش ويشربون الخمر ويدمنون المخدرات ويتعمدون مخالفة أمر الله فى الكبيرة والصغيرة ليطيعوا أمر الشيطان؟!.

إنما كان ذلك كله لانحرافات محلية فى أوروبا من ناحية، ولغياب النموذج الصحيح من ناحية أخرى.

---

(١) يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة فى المال الموروث باعتبار التكاليف الملقاة على عاتق كل منهما، فالرجل ينال مثل حظ الأنثيين ويكلف فى الوقت ذاته بالإنفاق على الأسرة، والمرأة تأخذ نصف نصيب الرجل ولا تكلف بالإنفاق. أما المال المكتسب فلا تفريق فيه.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٧٥).

ففى أوروبا كانت الكنيسة ومفاسدها وتحريفها للدين، وفى العالم الإسلامى كان التراجع والانحسار والضعف، نتيجة التفريط فى دين الله، وفى المنهج الربانى الذى أنزله الله لتستقيم به حياة الناس فى الأرض: ﴿ **دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[1] كلتا الأمتين وقعت فى الوزر. ولكن الوزر الأكبر والأثقل لا شك هو وزر الأمة التى أخرجها الله لتكون خير أمة، ولتكون شاهدة على كل البشرية.

*ولم أرَ فى عيوب الناس عيبًا*

*كنقص القادرين على التمامِ*

ولكن قائلا قد يقول وقد قرأ التفسير المادى للتاريخ وتأثر به ما قيمة (لو) فى عالم الواقع؟

إن الذى حدث بالفعل أن المسلمين عجزوا فى عالم الواقع عن تحقيق الإسلام فى صورته المثالية وانحسروا وضعفوا وتراجعوا وأن أوروبا تقدمت وتحضرت وتقوَّت حين نبذت الدين... فموت الدين إذن كان حتمية تاريخية كما أنه كان أمرًا لازمًا من أجل تقدم البشرية وتطورها.

وكلا الأمرين غير صحيح..

فأما بالنسبة لأوربا فلم يكن حتمًا أن تجرى الأمور فيها على النحو الذى وقعت به.

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (١٦١).



ولقد مر بنا فى السنن الربانية أن التمكين فى الأرض يعطيه الله للمؤمنين والكافرين للمصلحين والمفسدين: ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ (1).

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (2).

فليس هذا التمكين فى ذاته دليلاً على صلاحية القائمين عليه! ولا دليلاً على أن الحياة بلا دين هى النظام الأصلح، الذى يُكتب له البقاء فى الأرض، والذى يمثل تقدمًا فى حياة البشر!

ومهما يكن من أمر فلندع أوروبا تقول فى دينها وأحوالها ما تشاء! ولندع المفتونين بأوربا المنهزمين أمام سيطرتها، يقولوا نيابة عنها ما شاءت لهم هزيمتهم!

أما بالنسبة للإسلام، فإن القول بأن موت الدين كان حتمية تاريخية قول مردود بيقين.

وأبلغ رد يبين فساد تلك القولة وبعدها عن الواقع هو الصحوة الإسلامية (3).

* * *

---

(1) سورة الإسراء: الآية: (٢٠).

(2) سورة الأنعام: الآية: (٤٤).

(3) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر/ الأستاذ محمد قطب.

# ماذا قدمت لدين الله (1)

كيف أخدم الإسلام . . كلمة رنانة لها فى القلب وقع وفى النفس أَثر . .

خدمة هذا الدين أمنية عزيزة وهدف سامٍ نبيل لمن رضى بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً. إنه حلم يراود الكبار والصغار والرجال والنساء، لكن الجنة سلعة الله الغالية لا تُنال بالأمانى والأحلام!

وقد وفَّق الله من شاء من عباده للقيام بأمر هذا الدين ونصرة أهله والدفاع عنه والدعوة له، وحُرم آخرون من هذا الخير بسبب أنفسهم وضعفها وجُبنها وخَوَرها وشُحها وبُخلها وتلبيس إبليس عليها.

**خدمة الإسلام:** شرف ما بعده شرف، وعزٌّ ما بعده عز، خدمة هذا الدين: رفعة وعزة، وعلو منزلة، تسير فى طريق آمن سار عليه محمد ﷺ وتقتفى أثره!

**خدمة الإسلام:** ليست قصرًا على العلماء والفقهاء والمحدِّثين، وليست قصرًا على الأغنياء والموسرين.

إنها باب مفتوح لكل مسلم ومسلمة.

(1) بتصرف من كتيب (كيف أخدم الإسلام؟) للشيخ/ عبد الملك القاسم (حفظه الله).

**قال ابن القيم رحمه الله:** «فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم».

**وقال رحمه الله عن الدعوة إلى الله:** «إنها أشرف مقامات العبد، وأجلُّها، وأفضلها».

**قال مالك بن دينار:** «إن صدور المؤمنين تغلي بأعمال البر، وإن صدور الفجار تغلي بأعمال الفجور، والله تعالى يرى همومكم، فانظروا ما همومكم رحمكم الله»(1).

## ماذا يعود عليَّ إذا خدمت الإسلام؟

الكل يريد خدمة هذا الدين ويبحث عن عمل يقربه إلى الله زُلفى، ولكن الكسل والفتور وعدم المبالاة تصدُّ الإنسان عن أمر الدعوة!

استشعر الثمرات الحاصلة بالدعوة حتى تنهض من كبوتك وتقوم من قعدتك فإن لك أجرًا ومثوبة وخيرًا عظيمًا.

**من أعظم ما يعود عليك إذا قمت ونهضت لهذا الدين:**

١- الأجر والمثوبة: قال تعالى: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**﴾(2).

٢- التسديد والتوفيق: قال عز وجل: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(3).

---

(1) الزهد للإمام أحمد (ص: ٤٥١).

(2) سورة الزلزلة: الآية: (٧).

(3) سورة العنكبوت: الآية: (٦٩).

٣- حفظ الذرية قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴾(١).

٤- تكثير سواد المسلمين: فقد انتشر الفساد وكثر أتباعه، وبالدعوة يكثر سواد الأخيار ويزيد فى الأمة عددهم ويظهر أثرهم.

٥- تقليل الفساد ودحر المفسدين: فإن الدعوة إلى الله أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وفى هذا العمل دحرٌ للمفسدين، وشلٌّ لطاقاتهم، وإيقاف لفسادهم.

٦- النظر إلى نصر قادم لهذا الدين يعيد عز الأمة وكرامتها.

* وأنت تعمل تلمس فجراً يبزغ فى وسط ظلام حالك .. إنه ضوء الفجر يبدو باهتًا، ثم يظهر شيئًا فشيئًا، حتى يعم النور، ويظهر قرص الشمس، وتنتشر أشعة الحق ونور الإسلام.

## كيف تخدم الإسلام؟

١- تخدم الإسلام: إذا صح منك العزم وصدقت النية: فإن الله عز وجل يبارك فى العمل الخالص لوجهه الكريم حتى وإن كان قليلاً، والإخلاص إذا تمكن من طاعة ما حتى وإن كانت قليلة أو يسيرة فى عين صاحبها ولكنها خالصة لله تعالى يكمل فيها إخلاصه وعبوديته لله، فيغفر الله بها كبائر كما فى حديث البطاقة.

٢- تخدم الإسلام: إذا عرفت الطريق وسرت معه: الطريق المستقيم هو سلوك طريق نبينا محمد ﷺ فى أمر الدعوة

(١) سورة النساء: الآية: (٩).

ومبتدئها ووسائلها وطرقها والصبر على ذلك مع الرفق بالناس ورحمتهم فهم مرضى المعاصى والذنوب.

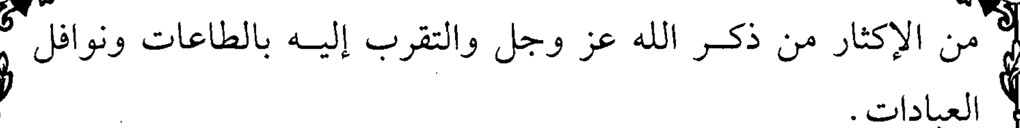
٣- **تخدم الإسلام**: إذا استفدت من جميع الظروف المتاحة والإمكانات المتوفرة: وهذه نعمة عظيمة فكلُّ الوسائل مباحة إلا ما حرمها الله عز وجل، ونحن ندعو بكل الوسائل المشروعة مراعين الأدلة الشرعية والآداب المرعية.

٤- **تخدم الإسلام**: إذا قدَّمت حظَّ الإسلام على حظوظك النفسية والمادية: خدمة هذا الدين معناه قيامك ببذل الغالى والنفيس من مال وجهد ووقت وفكر وغيرها،... أرأيت من يحب رياضة (كرة القدم) مثلاً، كيف يفرغ جهده ووقته وماله لمحبوبته تلك! وأنت أولى بذلك منه ولا شك.

٥- **تخدم الإسلام**: إذا سلكت سُبل العلماء والدُّعاة والمصلحين: فاستصحب الصبر وتحمل التعب والنَّصب فأنت فى عبادة عظيمة هى مهمة الأنبياء والمرسلين ومن سار على أثرهم.

٦- **تخدم الإسلام**: إذا ابتعدت عن الكسل والضعف والخور: فإن هذا الدين دين العزيمة والهمة والشجاعة والإقدام، ولا يضرُّ الدعوة إلا خَمول كسول، أو متهور جَهول.

٧- **تخدم الإسلام**: إذا ربطت قلبك بالله عز وجل وأكثرت من الدُّعاء والاستغفار ومداومة قراءة القرآن، فليس أنفع فى جلاء القلوب وصقل الأرواح وجعلها تعمل ولا تكلّ، وتكدح ولا تمل




من الإكثار من ذكـر الله عز وجل والتقرب إليـه بالطاعات ونوافل العبادات.

٨- **تخـدم الإسلام:** إذا ارتبطت بالعلماء الـعاملين: الذين لهم قدم صـدق وجهـاد معلوم فى نُصـرة هذا الدين، فإن السـير تحت عملهم وتوجيههم فيه خير عظيم، ونفع عميم.

٩- **تخـدم الإسلام:** إذا نظمت الوقت بشكل يومى وأسـبوعى وشهـرى فهناك أعمـال تقضيهـا فى اليوم، وأخرى فى الأسـبوع، وثالثة شهرية، ورابعة سنوية.

* **مثـال اليومى:** دعوة من تراهم كل يوم، . . . وأسبوعى: من تقابلهم كل أسـبوع، . . . وشهرى: مـثل اجتماع الأسـرة العائلى الشـهرى، . . . وسنوى: اللقـاءات الكبيـرة السنوية أو السفـر إلى الحج أو العمرة وهكذا.

١٠- **تخـدم الإسلام:** إذا وهبتـه جزءًا من همك، وأعطيـته جزءًا من وقـتك وعقلك وفكـرك ومالك، وأصبح هو شـغلك الشـاغل وهمك وديدنك، فـإن قـمت فللإسـلام، وإن سـرت فللإسلام، وإن فـكرت فللإسلام، وإن دفعـت فللإسلام، وإن جلست فللإسلام.

١١- **تخدم الإسلام:** كلما وجدت بابًا من أبواب الخـير سابقت إليه وسـرت إلى الإسهام بالعـمل فيه . . لا تتـردد ولا تؤخر ولا تُسوف.

* أسأل الله أن يستخدمنى وإياكم لنُصرة دينه ولنشر رسالته بين العالمين وأن يجعلنا هُداة مهديين وأن يفتح بنا القلوب لنُخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة... إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**وكتبه**

**الفقير إلى عفو الرحيم الغفار**

**محمود المصرى**

**أبو عمار**

# الفهرس

* * *


المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت: ٢٧٨٧٩٥٦٥ ف: ٢٧٨٧٩٥٦٤


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com




# لماذا أسلم هؤلاء



